الخوارج في بكراد المغرب حتى منته ف الترن الرابع الهجري

## الدكؤر محمود اسماعيل عبدالرازق

أستاذ بكلية الاداب ـــ فاس

# الخوارج في بالراب المعرب حتى منتصرف القرن الرابع الهجري

رسالة دكتورة

نشر وتوزيع



34-32 شارع فكتور هيكو الهاتف 30.76.44/30.23.75 ص ب 4038 الدار البيضاء المغرب To: www.al-mostafa.com



الطبعة الثانية 1406 ـــ 1985 جميع الحقوق محفوظة

# تمقت رمت

لعب الخوارج دورا بارزا في تاريخ بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى ، واثروا في احوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، كما كانت بلاد المغرب اكثر بقاع العالم الاسلامي تقبلا لعقائد الخوارج واكثرها حماسا لنصرتهم ، فباعتناق المغاربة مذهب الخوارج ، رفعوا علم الثورة على الامويين والعباسيين ، وانتهى بهم الامر الى اقاسة المارتين مستقلتين هما المارة بنى مدرار والمارة بنى رستم ،

وبتيامهما شهدت بلاد المغرب عصرا مسن الاستقسلال السياسى والازدهار الاقتصسادى والثقائى كسان لها عوضا عن نقسرة القلاقل والاضطربات السياسية والازمات الاقتصادية التى صحبت عصر الثورة .

ثم تامت الدولة الفاطمية ، وقضت على دول المغرب المستقلة ، فهب الخوارج من جديد ضحد الفاطميحين وسياستهم القائمة على التعصب للمذهب الشيعى ، وهددوا بازالة النفوذ الفاطمى محن بلاد المغرب ، حقيقة لم يقدر لثوراتهم النجاح ، الا انها ارغمت الفاطميين على التحول من سياسة العنف والتعصب الى اللين والاعتدال .

تصارى القول ــ ان تاريخ المغرب الاسلامى حتى منتصف القرن الرابع الهجرى تأثر بحركات الخوارج تأثرا كبيرا · وعلى الرغم من ذلك › نفتقر الى دراسة متكاملة عن الخوارج في المغرب واثرهم في تطوره السياسي ، ودورهم في تاريخه من بدء الثورة الى تحقيق الاستقلال ، ثم العودة الى الثورة مرة أخرى ، لا ننكر أنه ظهرت بعض الدراسات الخاصة بثورات الخوارج ، لكنها عولجت في ثنايسا التاريخ المسام للمغرب الاسلامي ، أو في ثنايا الحديث عن سياسة عمال الخلافة لمسى البلاد ، كما ظهرت كتب تعرض لدول الخوارج في المغرب لكنها لم تتناول الكثر من ظروف تيامها لمقط . هذا هو ما قرره ثقاة الدارسين من أمثال

جوتييه (1) وخورنل (2) وجوليان (3) وبيكيه (4) وجورج مارسيه (5) .

والواقع أن عديدا من المصاعب تعتور سبيل من يتصدى للتاريخ لهذا الموضوع ، فغى بعض الاحيان تندر المادة التاريخية كما هو الحال بالنسبة لظهور الخوارج في المغرب ، وكذلك دولة بنى مدرار بسجلماسة ، فعلى الرغم من كثرة ما دون عن تواريخ الخوارج لم يصل الينا منهالا التايل النادر (6) .

وما وصلنا من معلومات كان اغلبها من مصادر معادية للخوارج داب اصحابها على تشويه سيرهم والطعن في مبادئهم والمكارهم ، وليس أدل على ذلك من المتعال الاحاديث النبوية واصطناعها لخدمة اغراضهم في تسفيه الخوارج وتحتير شانهم (7) .

ومن ناحية أخرى غان ما وصلنا من تواريخ الخوارج يتتصر غقط على الاباضية منهم دون الصفرية ، وتنطوى على التعصب الشديد للمذهب الاباضى وأئمته ، وتتحامل على الفرق الاخرى من الخوارج ، ناهيك عن عدائها المقيت للمذاهب والفرق الاسلامية من غير الخوارج ، وغضلا عن ذلك تمتلىء بالاساطير والخوارق والكرامات التى لا تستقيم مع منطق التاريخ .

ولا مناص للباحث عن دراسة مصادر هذا التاريخ وتقييمها . والكشف عن ميولها واتجاهاتها قبل الاقدام على استقاء معلوماته منها .

ولما كان تاريخ الخوارج في المغرب تاسما مشتركا بين الخلامة السنية والشيعية ، نمن المفيد أن ندرس مصادر هذا التاريخ ونصنفها الى مصادر سنية وشيعية وخارجية .

#### اولا: المصادر السنية:

المادة التاريخية المتعلقة بالخوارج في المصادر السنية متفرقة

Les siecles obscurs du Maghreb. P. 292. (1)

Les Berbers. Vol. 2. P. 4. (2)

Histoire de l'Afrique du Nord. P. 339. (3)

Histoire de l'Afrique Septentrionale. P. 67. (4)

<sup>(5)</sup> مادة بني رستم بدائرة الممارف الاسلامية من 93 .

<sup>(6)</sup> انظر ابن النديم: الفهرست مس 258.

<sup>7)</sup> راجع: البلاذرى: أنساب الاشراف ج 11 من 106.

ومبعثرة في الحوليات العامة أو التواريخ الاقليمية وأقدم التصانيف في تاريخ المغرب عبثت بها يد الدهر ، فلم يصلنا منها سوى شذرات متفرقات نقلها المتأخرون لعل من أهمها كتاب مسالك المريقية وممالكها ، والمؤلفات الخاصة بأخبار تيهرت وسجلماسة وغيرها من المدن المغربية ، تلك التي نسبت الى محمد بسن يوسف السوراق ( 291 سـ 362 ه ) « الحافظ لاخبار المغرب » كما ذكر ابن حيان (8) والوراق مؤرخ اندلسي نشأ بالقيروان وتوفي بقرطبة (9) ، وقد فقد تاريخه كله ، وان وجدت فقرات منه عند البكري .

وينسحب نفس القول على ابن القطان ( ت 628 ه ) صاحب كتاب نظم الجمان ، وان كان بروفنسال قد عثر على جزء منه خاص بنهاية عصر المرابطين واوليات سنى الموحدين ، وكذلك الحال بالنسبة لكتاب « العبر » لابن ابى الفياض (ت 459 ه) (10) . والى عهد قريب كان تاريخ الرقيق القيرواني ( ت اوائل القرن الخامس الهجرى ) في حكم المفقود ، لكن لحسن الحظ قدر لنا الوقوف على جزء منه عثر عليه الاستاذ محمد المنوني المكناسي سنة 1965 م بالخزانة العامة بالرباط ، استغدنا منه ايما فائدة في دراسة ثورات الخوارج في بلاد المغرب .

وهذا الجزء الذي يقع في مائة وخمسين صحيفة حقه الاستاذ المنجى الكعبى التونسي ونشره سنة 1968 م بعنوان تاريخ افريقية والمغرب ومؤلفه هو ابو اسحق عمر بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني ولا نعلم كثيرا عن نشاته ، انها نعرف أنه تولي رئاسة ديوان الرسائل في البلاط الصنهاجي ، ومن ثم فقد أتيح له الاطلاع على كثير من الوثائق والتواليف في تاريخ المغرب قل أن توافرت لغيره ، بفضلها كتب تاريخه المشهور ابتداء بالفتح الاسلامي للمغرب حتى أوائل القرن الخسامس في عدة مجلدات لا نعلم عنها شيئا قط .

ولا شك فى أن الرقيق كان سنى المذهب بدليل اشتغاله فى بلاط بنى زيرى ، لكن اتجاهاته المذهبية ــ والحق يقال ــ لم تنعكس على كتاباته بشكل يسترعى النظر ، وقد نقل عنه معظم من صنف بعده فى

<sup>(8)</sup> المتبس في اخبار بلد الاندلس ، تحتيق الحجى من 33 \*

<sup>(9)</sup> بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس ص 131 ·

<sup>(10)</sup> انظر : عبيد الله أبن مالح : نص جديد عن نتاح العسرب للمغسرب ، نشره بروننسال \* ص 198 ،

تاريخ المغرب الاسلامى كأبن عذارى والنويرى وأبن خلدون وغيرهم وعلى الرغم من ذلك فقد حفل الجزء الذى نشر بتفصيلات كثيرة لم توجد عند من نقلوا عنه ، كتلك التى تتعلق بمعركتى القرن والاصنام ، وثورة ابن عطاف الاسدى على عبد الرحمن بن حبيب ، وامامة الحارث وعبد الجبار الاباضيين ، وحصار عمر بن حفص بطبنه سنة 152 ه ، وقدر لنا اعتمادا على هذه المادة الجديدة ان نكون اول من استفاد بها فى التاريخ لثورات الخوارج ببلاد المغرب ،

والراجح أن جزء آخر من تاريخ الرقيق وصل الينا عن طريق ابن حماد في كتابه المعروف بأخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم ، اذ ذكر فاندرهيدن (11) الذي نشره أن ابن حماد نقل النص برمته عن الرقيق . وجدير بالذكر أن هذا النص يتعلق بحركة أبي يزيد مخلد بن كيداد اساسا وليس تاريخا للخلافة الفاطمية في المغرب كما يوحي العنوان . على كل حال ، فلو صبح قول فاندر هيدن نكون قد استغدنا في دراستنا للخوارج في المغرب بمعلومات مستقاة من تاريخ الرقيق لم تتوفير للدارسين مين قبيل .

وثمة مصدر سنى آخر غاية فى الاهمية ، وهسو سيرة الائمسة الرستميين لابن الصغير المالكى (12) ، والواقع أنه ليس لدينا ثمة ما يشير الى اصل ابن الصغير او نشأته ، وكل ما نعرفه أنه أقام بتاهرت فى العصر الرستمى الآخير ، كشيخ من شيوخ المالكية ، كانله نشساط بارز فى المساجلات والمحاورات التى شهدتها تاهرت بين مشايخ الطوائف المذهبية المختلفة ، اذ يصور فى كتابه جدله فى المسائل الفقهية والدينية مع رؤساءالاباضية والمعتزلة ، كما نعلم من تاريخه أنسه كان يعمل تاجرا ويملك « دكانا فى الرهادنية » ، (13) على أن اهميته كمؤرخ دقيق نابه أمر لا يرقى اليه الشبك ، والراجح أنه صنف تواليف أخرى لم تصل الينا ، فأسلوبه ومنهجه كما يتضح فى تاريخه للدولة الرستمية ينم عن طول باع فى ميدان التاريخ ، على كل حال وقسف المستشرق ينم عن طول باع فى ميدان التاريخ ، على كل حال وقسف المستشرق الإئمة الرستميين ونشره سنة 1905

Histoires des Rois Obeidides. P. 9. ; انظـر (11)

<sup>(12)</sup> صنفه الدكتور سعد زغلول ... خطأ ... ضبن مؤرخى الاباضية ، انظر : تاريسخ المغرب العربسي ص 27 م .

<sup>· 46</sup> أبين الصغير : من 46

#### تحت عنوان:

Chronique d'Ibn Saghir sur les Imams Rostimides des Tahert. (14)

ويخيل الينا أن تاريخ ابن الصغير أهم مصادرنا عن دولة بنسى رستم ، فهو معاصر لاحداث العصر الرستمى الاخير وشاهد عيان لها ، كما استمد معلوماته عن بنى رستم الاوائل من معاصريه من شيوخ الاباضية وغير الاباضية ، ولكونه سنيا مالكيا فقد كشف لنا عن كثير من أسرار عصره ، مما تغاضى عنه مؤرخو الاباضية ، كما قدم لنا وجهة النظر المقابلة لتلك التى تتعصب للامامة الرستمية ، ومن الانصاف أن نذكر أن ابن الصغير كان موضوعيا في تاريخه ، أذ كثيرا ما أبدى أعجابه بسيرة الراشدين من الائمة الرستميين ، ولم يثنه خلافه المذهبي عن الاشادة بسياساتهم ، ولم يقدر لابن الصغير أن يشهد نهاية دولة بنى رستم مما يرجح أنه مات في التسعينات من القرن الثالث الهجرى أذ يقف تاريخه عند أمامة أبي حاتم يوسف بن محمد ( ت 294 ه ) .

اما ابن عذارى وتاريخه المعروف بالبيسان المفرب ، فيجمسع الدارسون (15) على اهميته كتاريخ عام للمغرب الاسلامى اقرب مسايكون الى التكامل ، على الرغم من تأخره النسبى ، فقد الفه ابن عذارى سنة 712 هـ . وهو لذلك من اكثر مراجع تاريخ المغرب الاسلامى تفصيلا، واثراها مادة ، وذلك راجع بطبيعة الحال الى استفادته من تواريسخ السابقين كالرقيق وابن عبد البر وابن القطان والوراق وغيرهم ممن اشار اليهم فيما نقسل عنهم ، ونحن في غني عسن التعريف بابن عذارى وتاريخه على وجه العموم ، فقد تناول ذلك كثير مسن الدارسين ، انما نكتفى بتقييم ما أورده متعلقا بالخوارج في المغرب ، فالملاحظ أنه أفاض في حديثه عن ثورات الخوارج ، لكنه عزف عن التاريخ لدولهم في المغرب واكتفى باشارات متناثرة عن أمرائهم وسنى حكمهم ، ومع ذلك ، فقد اسدى خدمة طيبة باثباته للتواريخ في دقة تامة ، وذلك أمر أغفلته تماما كل تواريخ الخوارج تقريبا ،

Actes du 14 Congrés international des orientalistes Algiers, 1905. Vol. (14) 3. Part 2.

انظر : بروننسال : نص جدید من 195 ، حسین مؤنس : ریاض النفوس ، (15) انظر : المتدهسة من 6 ، المتدهسة من 6 ، Hopkins : Medieval Moslem government in Barbary.. P. xi.

ومعلوماتنا المستقاة عن ابن عذارى بخصوص الخوارج والفاطميين لا تختلف كثيرا عن نظائرها في سائر المصادر العامة التقليدية كابن الأثير وابن خلدون والنويرى ، اذ انها جميعا تنقل اساسا عن الرقيق فيما يرجيح .

ولا مساحة في ان جغرافيا مثل البكرى ( ت 487 ه ) في كتابه المغرب ، فضلا عن قيمته الكبرى في دراسة البلدان ومواقعها والمسالك اليها .. النخ من المعلومات الجغرافية ، فقد زودنا بمادة تاريخية هامة ــ ان لم تكن فريدة في بعض الاحيان ــ عن خوارج المغرب وحسبنا ان كثيرا مما كتبه الوراق عن صفرية سجلماسة ما كان ليصل الينا لولا البكرى وتلك المعلومات ــ على ندرتها ــ عظيمة القيمة بالنسبة لدولة بنى مدرار ، فلولاها لظل تاريخ تلك الدولة في طى الابهام . على انه يؤخذ على البكرى افراطه في ذكر روايات ذات طابع اسطورى ، بالاضافة الى عدم دمة معلوماته الخاصة بتاريخ الرستميين .

ومن الاهمية بمكان أن نشير الى كتاب أبن عبد الحكم « فتوح مصرى الف مصر والمغرب والاندلس » · وعلى الرغم من أنه مؤرخ مصرى الف الساسا في المغازى ، فإن كتابه حافل بفيض من المعلوسات الخاصة بخوارج المغرب · وابن عبد الحكم المؤرخ في غنى عن التعريف فهو من خيرة مؤرخى الاسلام دقة وموضوعية ، ومن انضجهم اسلوبا ومنهجا · وتبدو أهميته بالنسبة لموضوع البحث كمعاصر للاحداث مسن ناحية ( توفي سنة 257 ه ) ، وكموثق يهتم باسناد رواياته الى من سمع منهم أو اخذ عنهم · ولا غرو فقد أتيح له الاتصال عن كثب بكثير من مشاهير المغاربة الذين كانوا يفدون الى مصر لدراسة مذهب مالك ، واستفاد من معلوماتهم فيما يتعلق بأخبار بلاد المغرب · وحسبنا ما أورده من معلومات سفريدة سحول ثورات الاباضية ، فضلا عن تقديمه صورة واضحة لاحوال بلاد المغرب قبيل ظهور دعوة الخوارج ·

اما الجزء الثالث من كتاب اعمال الاعلام لابن الخطيب الذي حقته الدكتور احمد مختار العبادي ونشره بعنوان « تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط » فيحوى معلومات عن ثورات الخوارج استمدها سهيما يرجح سهن ابن عذاري ، كما امدنا بمعلومات هامة له على ضالتها لله عن بني مدرار ، وجلى الرغم من اخطائه الكثيرة في اسماء الأعلام والتواريخ ، وبرغم اسرائه في ذكر روايات اسطورية ، فقد

زودنا بكثير من الاشارات عن بنى مدرار ، لا نجد لها نظيرا عند البكرى او من نقل عنه كابن خلدون والقلقشندى ، مما يرجح اعتماد ابن الخطيب فى هذا الصدد على كتابات محمد بن يوسف الوراق مباشرة وعدم نقله عن البكرى كما نعل غيره من المؤرخين المتأخرين .

ويقدم ابن الاثير في تاريخه « الكامل » مادة طيبة مأخوذة عسن الطبرى نيما يتعلق بخوارج المشرق . أما ما يخص منها خوارج المغرب نهى منقولة س في تحقيق وتمحيص وتنسيق س عن تسواليف المغاربة كالرقيق والورق وغيرهما ، شانه في ذلك شان النويرى في الجزاين الثاني والعشرين والسادس والعشرين من موسوعته المعروفة بنهاية الارب ،

ولا يغوتنا أن نعرض بايجاز لما ورد من اشارات الى خوارج المغرب عند البلاذرى والمؤرخ الاندلسى المجهول صاحب كتاب « اخبار مجموعة في منح الاندلس » ، وكذلك عند ابن حيان وابن سعيد وابسن بطوطة . مالبلاذرى في انساب الاشراف يفيض بمادة وميرة ويتدم وجهة نظر مغايرة لرواية ابى مخنف المتحيزة ، التى نقل عنها الطبرى وغيره ميما يتعلق بالخوارج في الشرق . أما كتابه « متوح البلدان » ملا يخلو من اشارات عابرة عن بلاد المغرب تبيل ظهور الخوارج ، مضلا عن ثورات الخوارج في بلاد المغرب .

اما صاحب الأخبار المجموعة ، نهو مشايع لبنى امية متحامل على الخوارج ، لكنه اورد تفصيلات نريدة بخصوص ثورات الخوارج الصفرية في بلاد المغرب .

وفى النصوص التى وصلتنا عن ابن حيان ــ شيخ مؤرخى الاندلس ــ سواء تلك التى نشرها ملشور انطونيه أو نشرها الحجى ببيروت سنة 1965 ، نجد اشارات عابرة لكنها منيدة فى توضيح علاقات بنى مدرار وبنى رستم باموى الاندلس وننس الشيء يقال عن كتاب المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد .

اما « رحلة » ابن بطوطة متحمل بمعلومات وميرة عن علاقات دول الخوارج ببلاد السودان ·

#### ثانيا: المسادر الشيعية:

كان ستوط دولتى الخوارج ببلاد المغرب مرتبطا بتيام الدولة

الفاطمية ، لذلك عرض مؤرخو الشيعة لاخبار الخيوارج \_ بطريقة عارضة \_ في ثنايا تاريخهم للدولة الفاطمية في المغرب ومع تلة المعلومات الخاصة بالخوارج عند مؤرخي الشيعة ، وبرغم تحاملهم على الخوارج لما بينهم من عداء مذهبي ، فقد خلفوا معلومات طيبة عن علاقة الخوارج بالفاطميين .

ويعد ابو حنيفة النعمان المعروف بابن حيون المغربى (ت 363 ه) من اهم من تناول هذا الموضوع ، ففضلا عن معاصرته الاحداث، كان على قرب منها أو معاين لها في اغلب الاحيان لعمله كقاضى قضاة المعنز الفاطمى . ولابن حيون مؤلفات كثيرة عن الفاطميين وعقائدهم وتواريخهم ، اطلعنا على ثلاثة منها هى : اساس التاويل الباطنى وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ولا يفيد كثيرا في دراسة الخوارج ، اما شرح الاخبار فهو مخطوط ايضا بدار الكتب المصرية نشر منه المستشرق الروسى ايفانونها مقتطفات جعلها ملاحق كتابه

Ismaili tradition concerningthe rise of the Fatimids.

ويلقى من الاضواء عن حياة المهدى فى سجلماسة حتى الغزو الشيعى ما يفيد فى معرفة أحوال دولة بنى مدرار فى عهد أميرها اليسع بن مدرار ، فضلا عن أهميته فى توضيح سقوط دولة بنى مدرار سنة 297 هعلى يد أبى عبد الله الشيعى .

واهم ما خلفه ابن حيون كتابه المسمى بالمجلس والمسايرات ، وهو مخطوط من جزاين بمكتبة جامعة القاهرة ، عرض فيه ان حيون لاحاديث المعز في مجالسه مع معاصريه من الحكام وكبار الشخصيات . وقد أتيح لابن حيون حضور هذه المجالس ، واستطاع تدوين وتسجيل ما كان يدور فيها . وبرغم تحيزه الظاهر للفاطميين ، ومع ان الكتاب لا يعد تاريخا بقدر ما هو مذكرات خاصة تقريبا ، فقيمته عظيمة في التاريخ للمدراريين الاواخر وعلاقتهم بالفاطميين ، ونعتقد أنه أهم مصدر في هذا الصدد ، أذ يعرض أبن حيون لاعداد المعز حملته على المغرب الاقصى سنة 347 هم التي كان من بين أهدافها تأديب الامير المدراري الشاكر لله الثائر على الحكم الفاطمي ، كما يتناول تفاصيل وقائعها ونتائجها : ومن خلال عرضه لمجالس المعز مع الشاكر لله بعد أسره عنه التي قصد المعز منها « معرفة أخبار سجلماسة وأهلها وسيرته فيهم وما يقال عنه من قبوله » ـ أمكن الوقوف على كثير من أخبار تلك

الدولة التى نفتقر الى معلومات عنها · وجدير بالتنويه أن أحدا ممن درسوا تاريخ المغرب الاسلامى لم يقدر له من قبل الاستفادة من تلك المادة التاريخية فى التاريخية لدولة بنى مدرار ·

وثمة مصدران شيعيان آخران عظيما الفائدة في تصوير مجتمع سجلماسة في اواخر العصر المدراري ـ من خلال تناول حياة المهدي في سجلماسة ـ وهما: «كتاب استتار الامام» لابراهيم بن احمد النيسابوري (ت أواخر القرن الرابع الهجري ) ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية نشر ايفانوغا اجزاء منه بمجلة كلية الآداب جامعة غؤاد الاول (مجلد 4 ـ ج 2) تحت عنوان مذكرات في حركة المهدي الفاطمي . وكتاب « سيرة جعفر الحاجب » التي رواها محمد بن محمد اليامني، وقد نشرها ايفانوفا أيضا في نفس العدد من مجلة كلية الآداب . وسيرة جعفر تعد من قبيل المذكرات الخاصة ، اذ كان صاحبها حاجبا للمهدي ومرافقا له في رحلته الي المغرب ، وسجن معه في سجلماسة ، ومن هنا تبدو اهمية سيرته كشاهد عيان للاحداث .

اما ابو عبد الله محمد بن على بن حماد (ت 628 ه) ، فكتابه المعروف بأخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم غاية فى الاهمية بخصوص ثورة ابى يزيد مخلد بن كيداد برغم تحامله الشديد على الخوارج والتعصب للفاطميين ، ولا غرو غابن حماد شيعى اسماعيلى ، اذ يذكر المهدى مسبوقا بعبارة «سيدنا الخليفة الاول امير المؤمنين » (16) ، وقد ذكر فاندر هيدن الذى نشر الكتاب وقدم له أن ابن حماد نقل مباشرة عن الرقيق نصه عن ثورة أبى يزيد ، ومن هنا تبرز قيمة تلك المعلومات برغم نسبتها الى ابن حماد الذى عاش عصرا متأخرا عن الاحداث ،

اما اليعتوبى المتوفى سنة 284 ه فقد صنف فى التاريخ والجغرافيا ، وتاريخه حافل بدراسة الخوارج فى الشرق ، ويلقى بعض الضوء على دوافع نزوحهم الى المغرب ، لكن جغرافيته المعروفة بكتاب البلدان اكثر اهمية من تاريخه ، اذ هى العمدة فى دراسة مشاكل الحدود بين دول الخوارج وجيرانهم فى بلاد المغرب ، ومعلوماته عن وضع تلمسان والنزاع عليها بين المدراريين والرستميين والادارسة جد قيمة فى دراسة العلاقات الخارجية لدول الخوارج ، وغير ذلك امدنا اليعتوبى بمعلومات

<sup>(16)</sup> انظسر : اخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم ص 10 ٠

هامة عن دولتى الخوارج على الرغم من اقتضابها ، ووجه الاهمية أنسه عاصر هاتين الدولتين وعاين بعض وقائعها عن كثب ، وقدر له الاتصال ببعض افراد البيت الرستمى ، وفي هذا الصدد يقول « . . وحدثنى أبو معبد عبد الرحمن بن محمد بن ميمون بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن ابن رستم التاهرتى » (17) . كما عرف بالموضوعية وعدم الانحياز الى جانب الحرص في التحقق من مصادره ، ولا مبالغة البتة غيما ذكره عن منهجه الذي حدده بقوله : « . . وقد اتصلت أسفارى ودام تغربى ، فكنت متى لقيت رجلا من تلك البلدان سألته عن وطنه ومصره وبلده وساكنيه ودياناتهم ومقالاتهم .. ثم اثبت كل ما يخبرنى به من أثق بصدقه ، واستظهر بمسألة قوم بعد قوم حتى سألت خلقا كثيرا من الناس . . »

وفى كتاب المسالك والمهالك للجغرافى المعروف ابن حوقل ـ وهو شيعى المذهب ـ نجد معلومات طيبة عن تاهرت وسجلماسة عاصمتى دولتى الخوارج ، اغلب الظن انه نقل كثيرا منها عن مصادر مغربية غير دقيقـة اعتمد عليها أيضـا أبو عبيد البكـرى بدليل وقوعه فى نفـس الاخطاء التى نجدها عند البكرى فيما بعد . ومع ذلك فمـا أورده ابن حوقل عن الخوارج ، وصلاتهم ببلاد السودان يعد عظيـم الاهميـة لمعاصرته الأحداث اذ توفى فى النصف الثانى من القرن الرابع المجرى .

وابن خلدون سواء في مقدمته او في تاريخه يبدى تعاطفا واضحا مع الشيعة الزيدية (الادارسة) والاسماعيليسة (الفاطميسين). وما كتبه عن المغرب الاسلامي لا غنى عنه لاى دارس لذلك التاريخ ، ففضلا عن استفادة ابن خلدون من مؤرخي المغرب السابتين ، كان لاشتغاله بالسياسة وتقلبه في خدمة الدول المعاصرة له ما اتاح له القدرة على الكشمف عن القوى المحركة للتاريخ والاسباب والعلل الكامنسة وراء احداثه. ولا غرو فقد تفرد عن جمهرة مؤرخي الاسلام بفلسفته للتاريخ ، وله نظرية اترب ما تكون الى نظرية « البيولوجية التطورية » في تفسير احداثه وتعليل وقائعه ، ولا حاجة بنا للخوض في تقييم ابن خلدون المؤرخ ، ويعنينا ما اورده عن الخوارج في المغرب ، والذي لا شك فيه ان ابن خلدون امدنا بمعلومات فريدة عن القبائل وانسابها ومذاهبها ومتالاتها فلدت كثيرا في دراسة انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب ، وفسي

<sup>(17)</sup> انظر : البلدان ص 358 .

تأريخه لثورات الخوارج ودولنهم وموقفهم من الفاطميين لا يختلف كثيرا عن غيره من المؤرخين الذين تناولوا تاريخ المغرب العام كابن عذارى وابسن الاثير والنويرى لكن ابن خلدون ، فضلا عن عدم دقة تواريخه ، كثيرا ما تختلط معلوماته ، مثل خلطه بين الاباضية والصفرية في احيان كثيرة حتى أن مؤرخا ما سكراى نبه الى ضرورة اتخاذ الحذر في تناول كتابات ابن خلدون في هذا الصدد ، ويخيل الينا أن اهتمامه بالتفسير والتحليل أوقعه في مزالق الخطأ ، أذ كثيرا ما نجد تناقضا واضحا حسين يتناول موضوعا ما في تأريخه العام وبين ذات الموضوع حين يعرض له أنناء عرضه لتواريسخ القبائل ، ومسع ذلك فحسبه أن فصلا مسن فصول البحث لم يخل من كتاباته ، سواء في مقدمته أو تاريخه .

#### ثالثا: مصادر الخسوارج:

خلف الخوارج الكثير عن عقائدهم وسيرهم وتاريخهم وطبقاتهم ، لكن لم يصلنا منها سوى النذر اليسير ، وقد اورد البرادى فى رسالته عن كتب الاباضية عديدا من هذه التصانيف للمشارقة والمغاربة على عن كتب الاباضية عديدا من هذه التصانيف للمشارقة والمغاربة على السواء ، كما اورد ابن النديم فى « الفهرست » مزيدا منها ، وذكر انها « مستورة محفوظة » ، فلم نقف لها على اثر ، ومن هذه الكتب ما دونه اليمان بن الرباب ويحى بن كامل والصيرفي وعبد الله بن زيد وابراهيم ابن اسحق الاباضى والهيثم بن الهيثم والربيع بن حبيب وغيرهم مسن المشارقة . كذلك نعلم من سير الشماخى أن مؤرخا اباضيا مغربيا شهيرا للشارقة . كذلك نعلم من سير الشماخى أن مؤرخا اباضيا مغربيا شهيرا يدعى ابن سلام عاش حول منتصف القرن الثالث الهجرى وصنف كتابا في السير لم يصلنا بعد ، وقد اعتمد عليه الشماخى فيما يتعلق بثورات الاباضية وطبقات مشايخ المذهب حتى عصر ابن سلام .

ومن المغاربة الاباضية كذلك أبى الربيع سليمان بن يخلف السذى نقل عن أبى زكريا ومعبد بن أغلج ممن نقل عنهم الوسياني .

ومن المحقق ان كثيرا من هذه الكتب أبيدت أو أحرقت نظرا لما تعرض له الخوارج في الاشرق والغرب من أضطهاد ، فقد أخبرنا الدرجيني (18 أن مكتبة الائمة الرستميين المعروفة « بالمعصوبة » أحرقها أبو عبد الله الشيعي سنة 297 هـ ، ومن المحقق أن كتب الصفرية

<sup>(18)</sup> طبتات الاباضية ج 2 ورتة 125 ظهر .

بسجلماسة لاقت نفس المصير .

وجدير بالذكر ان كاغة كتب الصغرية لم نقف لها على اثر ، بينما وصلنا بعض كتب الاباضية ، وتفسير ذلك ان ابا عبد الله الشيعى الذى القام بسجلماسة أربعين يوما ، اجهز على ما بها تواليف وتصانيف ، بينما لم تحلل اقامته بتاهرت ، اذ غادرها على التو لتحرير المهدى من سجنه بسجلماسة ، فتسربت بعض كتب الاباضية مع بعض افراد البيت الرستمى الذين هربوا الى وارجلان ، ومعروف انها استعصت على الغزو الشيعى . كذلك سلم جبل نفوسة من عبث الفاطميين بديوان الاباضية الحافل بتصانيف المذهب ، ويخبرنا البرادى (19) ان ديوان نفوسة كان مشتملا على اكداس هائلة من الكتب بلغ ما ورد منها من الشرق فقط نحو ثلاثمائة وثلاثين الف جـزء .

وبعد ان فتح المرابطون وارجلان رحل اباضيتها بكتبهم واقاموا بوادى ميزاب حبوبى الجزائر حيث لا تزال محفوظة لدى مشايخ المذهب الى الآن ، وقد ذكر ماسكراى ان ثروة جبل نفوسة من كتب الاباضية اكثر وفرة منسها في وادى الميزاب . وقد حاول لفيف مسن المستشرقين المهتمين بتاريخ المغرب زيارة مشايخ الاباضية بوادى الميزاب وجبل نفوسة ، والاطلاع على خزائن الكتب هناك ، ومن هؤلاء الميزاب وجبل نفوسة ، والاطلاع على خزائن الكتب هناك ، ومن هؤلاء ماسكراى وموتايلنسكى ولويسكى وباسيه وغيرهم . ونجحوا بالفعل في الوقوف على قدر ضئيل من تراث الاباضية ، اذ ان مشايخ المذهب بيحون يرفضون اظهار ما لديهم من الكتب المتعلقة بأسرار المذهب ولا يتيحون سوى الاطلاع على الكتب المتواترة الخاصة بالعموميات ، كما ذكر برسى سميث (20) وماسكراى (21) .

ومع ذلك فقد حصلنا على بعض تلك التصانيف الخاصة بالعقائد والنوازل والفتاوى ، وكذلك بعض التواريخ والسير وكتب الطبقات .

ومن اهم مصادرنا فى كتب الفتيا رسالة فى احكام الزكاة لابسى عبيدة مسلم بن ابى كريمة (ت اواخر القرن الثانى الهجرى) ، وهى مخطوطة بدار الكتب المصرية غاية فى الاهمية لأن صاحبها كان شيخا لاباضية

<sup>(19)</sup> رسالية في ذكير كتب الاباضيية ،

The Ibadites. P. 267. The Moslem World. Vol 12, July ; 1922. (20)
Chronique d'abou Zakaria. P. VII. : انظار (21)

البصرة ورئيسا لتنظيم المذهبي السياسي بعد جابر بن زيد ، واليه يعزى الفضل في بث دعاة المذهب الى اطراف الدولة الاسلامية ومن بينها بلاد المغرب ، كما كان رؤساء المذهب في المغرب يلتحقون بحضرته للتفقه في المذهب والاعداد لاقامة الدولة الاباضية . وتكشف لنا الرسالة عسن حقيقة تطور المكار الخوارج السياسية في الشرق اواخر العصر الأموى ، ولجوئهم الى اساليب التنظيم والدعوة كبديل لاسلوب الثورات الهوجاء الذي اثبت فشلا ذريعا ، وتمدنا بمعلومات هامة ـ على ضالتها \_ عن صلة التنظيم الام في البصرة بمشايخ المذهب في المغرب بعد قيام المامة ابى الخطاب عبد الأعلى بن السمح بطرابلس سنة 140 ه .

ومن كتب العقائد والفقيه ، نشر المستشرق موتايلنسكي (22) نصا للشيخ الاباضى عمرو بن جميع بعنوان « متن عقيدة التوحيد » ، يلتى بعض الضوء على الفكر السياسى عند الخوارج ، فضلا عن آراء الاباضية في كثير من المسائل الفقهية ، ونفس المعلومات نجدها في « مقدمة أصول الفقه» للشماخي «ومدونة ابى غانم الصفرى» «وشرح السؤالات» للسوفي ، وهي جميعا مخطوطات بدار الكتب المصرية .

اما عن كتب التاريخ والسير ، فأهمها على الاطلاق « كتاب السيرة واخبار الائمة » لأبى زكريا يحيى بن ابى بكر ( ت النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ) ، ولا يزال الكتاب مخطوطا بدار الكتب المصرية ، وقد ترجمه ماسكراى الى الفرنسية وقدم له وعلق عليه ونشره تحت عنوان : Chronique d'Abou Zakaria

وابو زكريا من أهل وارجلان ، ولا نعلم شيئا عن نشأته ، بينما ندرك أنه اعتمد في تاريخه لشورات الاباضية والرستميين الأوائل على مؤرخ اباضي يدعى أبو الربيع سليمان بن يخلف ، ويبدو أنه عاصر العهد الرستمى الأخير أو استمد معلوماته عنه من الجيل السابق له ، بينما نقل عنه كل من لحقه من مؤرخي الاباضية ، وصدق فيه قول أبسى الربيع (23) الوسياني « أن أبا زكريا له الفضل في السبق الى كتابة أخبار أهل الدعوة » وقد أرخ أبو زكريا أساسا للدولة الرستمية ، لذلك

**(2) — 17 —** 

Actes du 14 Congrés international des orientalistes. Algiers, : انظـر (22) 1905. Vol. 3, Part 2.

<sup>(23)</sup> سير أبى الربيع بن عبد السلام الوسياني ورقة 1 وجه .

يسرف في تصوير غضل الفرس على الاسلام ، حتى أنه انتحل كثيرا من الاحاديث والماثورات عن الصحابة والتابعين تمجيدا لنسب أئمة بنى رستم . وفي تاريخه لهم اتبع منهجا طيبا ، نمع حرصه على التسلسل الزمنى للأحداث خلال عهود الائمة ، تصور خمسة مراحل للامامسة تعرضت الجماعة الاباضية في كل منها لانشبقاق مذهبي وبعدد ذلك يعرض لاخبار الاباضية بعد سقوط دولة بنى رستـم ، أي علاقتهـم بالفاطميين الذين اطلق عليهم « المسودة » · ومن خلال كتابات ابي زكرياً عن اباضية المغرب نقف على معلومات خاصة بالخوارج الصفرية كتلك التي تتعلق بانتشار مذهبهم ببلاد المغرب ، وعلاقة بنى رستم ببنسي مدرار . . الخ وقد امدنا بتاريخ شبه متكامل لدولة بنى رستم يعساب عليه فيه تعصبه التام للائمة وتحامله على الحركات المناوئة لهم ، واغفاله ذكر احداث كثبة لان فيها ما يشين سياسة الائمة وقد دفعه هسذا التعصب احيانا اخرى الى تزييف الوقائع والاخبار · كما يؤخذ على تاريخ ابى زكريا اسرائه في أيراد روايات خرافية واسطورية ، والماضته في نسبة اعمال خارقة ومعجزات الى من ترجم لهم من مثمايخ المذهب . وغيما يختص بمعلوماته عن الخوارج والفاطميين ، ففضلا عن الشذرات المتفرقة التي تلقى ضوءا على ثورات الاباضية ، امدنا بمادة طيبة تفيد في توضيح موقف الاباضية الوهبية من حركة ابى يزيد النكارى ، هذا بالاضائة الى معلومات عن سقوط دولة بنى مدرار الصفرية على الرغم مها تتسم به من طابع روائي .

وغير سيرة ابى زكريا ، وقفنا بدار الكتب المصرية على مخطوطة عن «سير ابى الربيع الوسيانى » تلك التى اعتبرها لويسكى (24) فى حكم المفقودة ، وعلق على النصوص التى اوردها الشماخى عن ابى الربيع بأنها «غاية فى الأهمية ». ونعتقد أن أهمية سير أبى الربيع تكمن فى كونه عاش قريبا من الأحداث أذ توفى سنة 418 هـ ، فضلا عن أقامته بوارجلان من أهم معاقل الاباضية بعد سقوط الدولة الرستمية . كذلك أثبت أبو الربيع مصادره ، فسمع عن شيخه أبى محمد عبد الله بسن محمد العاصمى ، كما أخذ أيضا عن المؤرخ الاباضى معبد بن أفلح وغيرهما ممن

Une chronique ibadite "Kitab-as-Syar" d'As-Samachi. P. 74. (24) Revue des etudes Islamiques, Vol. VII, 1934.

لم نقف على كتبهما الاصلية ، فحفظ لنا قبسا مما دونوه · وجدير بالذكر أن سير أبى الربيع تلقى أضواء باهرة على أخبار الاباضية في العصر الفاطمى ، فضلا عما ورد بها من معلومات عارضة عن العصور السابقة ، بالاضافة الى مسائل وأجوبتها في الفقه الاباضى جد مفيدة في معرفة فكر الاباضية وفلسفتهم في الحكم والادارة ·

وثمة مؤرخ اباضى شمهير هو ابو العباس احمد بن سعيد الشماخى (ت 928 هـ) الذى ينتمى الى اسرة معروغة بجبل نفوسة اخرجت كثيرين من اعلام الاباضية وله فضلا عن كتابه «شرح مقدمة اصول الفقه » وهو مخطوط بدار الكتب المصرية حكتابه المعروف بالسير وسير الشماخى تعد تاريخا شبه متكامل لاباضية المغرب ، فلكونه عاش فى عصر متأخر ، قدر له الاطلاع على تواليف سابقيه كابن سلام وابى زكريا والربيع بن حبيب والسوفى ومقرين بن محمد البغطورى الذى الف عن سير مشايخ نفوسة سنة 999 ه وامتازت سير الشماخصى عن غيرها من سير الاباضية بأخذ مؤلفها عن مؤرخين من غير الاباضية كالرقيق وابن الصغير ، كما يلحظ الدارس حرص الشماخى على مناقشة وتحليل الروايات المختلفة والمفاضلة بينها واثبات ما يراه صحيحا ومقنعا ولا غرو فكثيرا ما خالف سابقيه من مؤرخى الاباضية ، ورجع روايات المنة الأمر الذى يجعله اكثر مؤرخى الاباضية حيادا وموضوعية فى نظسرنسا ،

اما كتب الطبقات ، نقد وتفنا على اثنين منها ، اولهما لأبى العباس الحمد الدرجينى ( ت حوالى منتصف القرن السابع الهجرى ) ويسمسى «طبقات الاباضية » ، وهو مخطوط فى ثلاثة اجزاء بدار الكتب المصرية ، يعرض نيه الدرجينى تراجم لمشايخ المذهب الاباضى جيلا بعد جيل فى المشرق والمغرب على السواء ، ونيما يتعلق بالمشارقة اعتمد الدرجينى على كتاب الكامل لابى العباس المبرد ، بينما نقل كثيرا عن أبى زكريا فى اخبار المغاربة ، ومن ثم نما تضمنه كتابه من معلومات فى هذا الصدد مكررة ولا تقدم جديدا . اكثر من ذلك نمان الدرجينى ورث نفس مثالب سابقيه ولم يبذل ثمة محاولة لتحقيق معلومات الى من نقلها عنهم . كما وقع فى كثير من الاخطاء ، واغفل كثيرا من مشايخ المذهب ولم يترجم لهم وهذا فى كثير من الاخطاء ، واغفل كثيرا من مشايخ المذهب ولم يترجم لهم وهذا هو حا حدا بأبى القاسم البرادى الى تدارك ذلك الاغفال وتصحيح تلك

الاخطاء التي ماتت على الدرجيني •

فابو القاسم البرادى ( ت 697 ه ) سمى طبقاته لذلك « الجواهر المنتقاه في اتمام ما اخل به كتاب الطبقات لابى العباس الدرجينى » وهذا الكتاب مخطوط بدار الكتب عالج فيه صاحبه كثيرا من الموضوعات وعرض لعديد من عيون المذهب واعلامه ممن اهملهم الدرجينى ، كمساحلل وناقش كثيرا من روايات سابقيه بطريعه نقدية من مؤرخى الاباضية وغير الاباضية على السواء ومن الملاحظ أن نقل كثيرا عن ابن الصغير فيما يتعلق بالعهد الرستمى الاخير ، ومع ذلك فكتب الطبقات تزخسر بمعلومات هامة عن اثر الخوارج في المجتمع المغربي ، وعلى تلك المصادر الاباضية الاصلية اعتمد جمهرة المحدثين من مؤرخى الاباضية فيما كتبوه عن تواريخ الابان ية في المغرب ، ومن هؤلاء البارونسي والورجلانسي واطفيش والجربي والطاهر الزاوى . على ان كناباتهم جميعا تتسم الى والمنيث المنهب الاباضي بطابع الاسفاف والسطحية ،

والى جانب تلك المصادر لم ندخر وسعا فى البحث عن المادة التاريخية التى تخدم موضوع الدراسة والتى تمسه من قريب او بعيد فى المراجع التاريخية وكتب الجغرافيا والرحلات ، وكتب الطبقات والتراجم والتصانيف الادبية ، وكتب الفرق المختلفة ، كما استفدنا بكتب السكة فى تحقيق كثير من الالتاب وتحديد عديد من التواريخ التى كان يشوبها الخلط ويكتنفها الابهام ،

كذلك لم نغفل دراسات المحدثين من العرب والمستشرقين غيما الغوه من مراجع او نشروه بالموسوعات والدوريات العلمية ، غاطلعنا على كتابات الدكاترة حسن محمود وحسين مؤنس ومحمود مكسى ، وأحمد مختار العبادى وسعد زغلول عبد الحميد وغيرهم من المتخصصين في تاريخ المغرب والاندلس ، كما استغدنا كثيرا من دراسات جوتييه وبل وبروغنسال ودوزى وبرنشويج ولويسكى ومارسيه وباسيسه وسميث وغيرهم سواء ما تضمنته كتبهم او ما نشروه بالدوريات والموسوعات

Actes du congres internationales des orientalistes, : مثل Andalus, Islamic review, Moslem World, Journal Asiatique, Revue des etudes Islamiques, Studia Islamica.

وبفضل تلك المادة التاريخية التي توافرت للبحث أمكن دراسية الموضوع ولم شتاته في أبواب خمسة وخاتمة ·

تناول الباب الاول دعوة الخوارج فى بلاد المغرب وتضمن ظروف الخوارج فى الشرق الاسلامى التى دفعت بهم الى الهجرة والانتشار فى بلاد المغرب وعرض لاحوال بلاد المغرب قبيل ظهور الخوارج وملاعمتها لدعوتهم . ثم عالجت كيفية انتشار مبادىء الخوارج الصفرية والاباضية فى بلاد المغرب واقبال البربر على اعتناق هذه المبادىء .

وخصص الباب الثانى لثورات الخوارج فى بلاد المغرب ، حيست تضمن دراسة لاسباب ثورات الخوارج ـ صفرية واباضية ـ ووقائع تلك الثورات وتبيان نتائجها وآثارها .

أما الباب الثالث نقد تضمن تاريخا لدول الخوارج فى بلاد المغرب ، تناولت نيه دولتى بنى مدرار الصفرية وبنى رستم الاباضية من حيث ظروف قيامهما وعرض سياستهما الداخلية ، وتحديد علائقهما الخارجية ،

وافرد الباب الرابع لدراسة الخوارج والفاطميين ، حيث عرضت فيه لدور الفاطميين في استقاط دولتي بني مدرار وبني رستم ، شم ثورات الصفرية والاباضية على الحكم الفاطمي .

ونظرا لما احدثه الخوارج من آثار اقتصادية واجتماعية وثقافية فضلا عن آثارهم السياسية في بلاد المغرب ، ولما كانت تلك الجوانب تحتاج لدراسة مستفيضة متعمقة ، فقد اثرنا أن نفرد لها الباب الخامس من البحسث .

وفى الخاتمة اوجزنا ما انتهينا اليه من نتائج تمخضت عنها هدده السدر اسهة .

ولا يسعنى فى هذا المقام الا أن أنقدم بخالص شكرى وعظيهم الامتنان لاستاذى الدكتور حسن أحمد محمود الذى تولى الاشراف على هذا البحث وتعهده برعايته وتوجيهه مذ كان فكرة حتى صار حقيقة ·

ويعلم الله ـ كم تكبدت من عناء ، وكم من جهد بذلت . . واساله التسوفيسق .

فاس في أغسطس 1976

## الباب الاول ــــــ

دعوة الخوارج في بلاد المفرب

# أُحوال الخوارج في المشرق الاسلامى حتى اوائل القرن الثاني الهجري

ارتبط ظهور مذهب الخوارج وانتشاره في بلاد المغرب بعاملين الساسيين:

اولهما: التطور السياسى الذى حدث للخوارج في المشرق الاسلامسى في اواخر القرن الاول الهجرى بعد غشل ثوراتهم واضطرارهم الى اتباع اسلوب الدعوة والتنظيم السياسى ، واختيار اطراف العالم الاسلامي ميدانا لنشاطهم بعد أن تعرضوا للمطاردة والاضطهاد .

وثانيهمسا: ملاعمة الاحوال السياسية والاجتماعية في بلاد المغرب في اواخر القرن الاول الهجرى واوائل القرن الثانسي لتقبل هدذا المذهب وانتشاره.

وليس من شك في أن ما لحق بالخوارج من غشل في المشرق يعزى اللي اسباب عدة ، منها تطرف عقائدهم وقصور فكرهم السياسي الظاهر من الثورات التي قاموا بها طوال العصر الاموى ، ثم يقظه الخلافة ورجالها في مناهضة هذه الثورات ومواجهتها في سرعة وحزم .

معلى الرغم من كثرة الثورات التي مام بها الخوارج في المشرق

الاسلامى ، وما أبدوه فيها من ضروب الشجاعة (1) ، وبرغم ما انطوت عليه مبادئهم من دعوة الى العدل والحرية (2) ، فقد عجزوا عن تحقيق اهدافهم ، واصبحوا هدفا للبطش والاضطهاد . ومن امثلة تطرفهم ، اجماع كافة فرقهم على تكفير على وعثمان واصحاب الجمل والحكمين وكل من رضى بالتحكيم (3) ، واتفاقها في الخروج على الامام الجائر وتكفير مرتكبى الكبائر باستثناء النجدات (4) ، وكذلك الاجماع على جواز الامامة لكل مسلم عالم بالكتاب والسنة (5) .

فاتفاقهم على تكفير على وعثمان وأصحاب الجمل وضعهم, في موقف العداء للجماعة الاسلامية برمتها (6) ، فتعرضوا لسخط كافة الحكومات الاسلامية ، اذ حاربهم على بن أبى طالب وفل شوكتهم في موقعتى النهروان والنخيلة (7) ، ولم يستمر تحالفهم مع الزبيريين ضد الأمويين طويلا ، فقد انقلب ابن الزبير عليهم حين آنس من نفسه القوة على مواجهة بنى أمية (8) ، ولم يتوان الأمويون في تعقب حركاتهم وقمعها بعد حروب طويلة وقف الشيعة في معظمها الى جانب بنى أمية على ما بينهما من عداء متأصل (9) ،

وبسبب تكفيرهم مرتكبى الكبائر ، انقسموا على انفسهم اشد الانقسام في كثير من المسائل الفقهية ، واعتبرت كل فرقة ما عداها مارقة ، وعاملت انصارها معاملة الكفسار فسى استباهسة الدماء واستحسلال الأمسوال والذرارى (10) .

Lammens : Etudes sur le siecle des omyyades. P. 187.

<sup>1)</sup> انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج 6 من 172 ، المبرد : الكامل ج 1 من 546 ، ج 3 من 954 ، ابن عبد ربه : العقد الغريد ج 1 من 256 .

<sup>(2)</sup> الرازى : اعتقادات نرق المسلين ص 42 ، Dozy. Spanish Islam. P. 86.

<sup>(3)</sup> الاسمغرائيني : التبصير في الدين ص 146 ، البغدادي : الغرق بين الغرق ص 273 .

 <sup>(4)</sup> البغدادى : ننس المصدر والصحيفة : المسعودى : مروج الذهب ج 3 من 145 "
 جعفر بن عبد السلام : ابائة المناهج ورقة 154 مخطوط .

<sup>(5)</sup> النوبختى : نرق الشيعة ص 31 ، الاسترائينى : المرجع السابق ص 46 ، جعنر ابن عبد السلام : المرجع السابق ورقعة 166 .

<sup>(6)</sup> الاسترائيني: ننس المصدر والصحينة ، 170. (4) Gibb : Mohammed anism. P. 170.

<sup>7)</sup> عن على والخوارج انظر : الطبرى ج 5 ص 76 وما بعدها ، الدينورى : الاخبار الطوال ص 210 وما بعدها .

<sup>(8)</sup> الطبرى : ننس المصدر من 563 ، نلهوزن : الخوارج والشيعة من 69 .

<sup>(9)</sup> ابن خلدون: العبرج 3 ص 142 ٠

<sup>(10)</sup> الرازى : اعتقادات نرق المسلمين ص 46 -

وكان من المتوقع أن يقبل الموالى على مذهب الخوارج لسماحة رايهم في الامامة ، فقد اعتبرت حقا متاحا لكل مسلم بغض النظر عن اصله وجنسه وهو مبدأ تفرد به الخوارج دون سائر الفرق الاسلامية الآخرى لكن أعداد الموالى في صفوف الخوارج كانت قليلة ، ولم يقبل بعضهم على مذهبهم الا في أواخر العصر الأموى (11) · حين أسرف بنو أمية في أضطهاد الموالى واذلالهم . ويعزى هذا الاعراض عن مذهب الخوارج الى المراطه في التطرف (12) وأسراف انصاره في استخدام العنف ، وتشدد زعمائهم في قبول المهاجرة وهم الاتباع الجدد وذلك باجراء اختبارات قاسية للتأكد من صدقهم وحسن نواياهم · كما رفض الخوارج مبدأ التقية عاستناء الصغرية (13) — ولم يعمدوا الى التنظيم والدعوة وما يرتبط بها من وسائل الترغيب وكسب الانصار ، ولم يغطنوا الى ذلك الا في وقت متأفسر .

ولعل المتقار المذهب الى زعامة قريشية او شخصية مرموقة يلتف حولها الانصار ويدعون لها دعوة منظمة كان سببا في تفرق كلمتهم وانقسامهم الى طوائف تلتف حول قيادات محلية او قبلية لايجمعها رابط في العمل او تشملها وحدة في الخطط والأهداف ، فما أن تجتمع جماعة منهم حستى يتواعدوا على اللقاء ، فاذا التفوا اظهروا العصيان (14) ، الأمر الذي سهل على الحكام ملاحقتهم واستئصال شافتهم جماعة في اثر أخرى ، ولعل هذا هو ما يعنيه فلهوزن بقوله (15) « أن سياسة الخوارج كانت غسير سياسية » ،

على أن من أهم أسباب اخفاق حركات الخوارج ونشل ثوراتهم ، تنشى الخلافات داخل جماعتهم وهي خلافات كان الباعث عليها في الغالب

<sup>(11)</sup> المبرد: الكامل ج 3 ص 1151 ، سرور: الحياة السياسية في الدولة العربيسة الاسلامية من 126 . وقد أسرف بعض الدارسين في تقدير الاثار الناجمة عن اعتناق الموالى مذهب الخوارج حتى ذهبوا الى أن عقائد الخوارج بنتمى الى اصول مسيحية ومجوسية . انظر : عمر أبو النصر : الخوارج في الاسلام من 245 . فالواقع أن عقائد الخوارج تفردت بطابعها العربي الاسلامي الخالص وخلوها من أي اثر لفلسفة اليونان أو الفرس . انظر : أحمد أمين : ضحى الاسلام ج 3 مفحة 335 ، 344 .

<sup>(12)</sup> المبرد : الكامسل ج 3 ص 967 .

<sup>(13)</sup> الرازى: اعتقادات غرق المسلمين والمشركين من 51.

<sup>(14)</sup> الطبرى : ج 5 من 211 ، طه حسين : الغتنة الكبرى ج 2 من 113 .

<sup>(15)</sup> تاريسخ الدولسة العربيسة من 372

الاختلاف في المبدأ والرأى (16) · فقد تباينت أراؤهم في مسائل جوهرية كمسالة القعدة والاستعراض (17) • وأدى ذلك الى انقسامهم الى غرق الازارقة والاباضية والصفرية والنجدات وتشعبت هذه الخلافات لتشتت شبهل المذهب في أكثر من عشرين فرقة (18) •

ومما زاد من خطورة هذا الانقسام أنه كان يحدث في الأوقات العصيبة ابان حروبهم فكان يحرمهم من جنى ثمار النصر ويؤدى بهم الى الهزائم ٠ ومن امثلة ذلك خروج عبد ربه الكبير على قطرى بن الفجاءة وهو يقاتل المهلب بن أبي صفرة سنة 77 ه ( 696 م ) لأن قطري « تأول فأخطأ » (19)، خانفصل عنه عبد ربه بمعظم الجيش بعد أن كان النصر وشبيكا ، وأتيح للمهلب سحقهما واحدا بعد الآخر (20) .

وقد انقسم النجدات على انفسهم كما انقسم الأزارقة ، مخالف عطية بن الأسود نجدة بن عامر الحنفي (21) وانفصل عنه وغادر البحرين الي المشرق وازداد الأمر سؤا بخروج أبى مديك عبد الله بن ثور على نجدة وقتله ، وتفرق النجدات لذلك الى ثلاث شيع متناحرة ، مما أدى في النهاية الى اضمحلالهم وزوال ذولتهم في البحرين وحضر موت والطائف واليمن سنة 72 هـ (22) ( 691 م ) ·

ولم يسلم الصفرية كذلك من آفة الانقسام ، فقد خالف مصقلة بن مهلهل الضبى شبيب بن يزيد الشيباني سنة 77 ه ( 696 م ) وموت عليه انتصاراته الحاملة على جيوش الحجاج الثقفى لانسحابه بمعظم الجيش احتجاجا على ما أعلنه شبيب من البراءة من سلفه صلاح بن مسرح (23) .

وقد استغل خصومهم هذا الانقسام في ملاحقتهم والقضاء عليهم ، غلم

<sup>(16)</sup> نفس المصدر ص 61 ، لينى ديللانيدا : مادة الصغرية - دائرة المعارف الاسلامية منحـة 229 ،

<sup>(17)</sup> الورجلاني : الدليل لاهل العقول ج 1 ص 15 ، مجهول : قطعة من كتاب فسي الاديان والفرق ورتسة 97 سـ مخطوط .

<sup>. (18)</sup> عن هذه الغرق ومعتقداتها انظر : الرازى : اعتقادات غرق المسلمين من 46 ... 51.

<sup>(19)</sup> ابن خلسدون : العبسر ج 3 من 161 ٠

عن تفصيلات أسباب خروج عبد ربه الكبير على قطرى راجع : الطبرى : ج 6 صنحـة 300 ــ 301 ·

<sup>(20)</sup> الطبرى : ج 6 ص 300 ، ابن تتيبة : المعارف ص 411 ، ابن كثير : البدايــة والنهايسة ج 9 من 30 .

<sup>(21)</sup> عن أسباب هذا الخلاف انظر : البلاذرى : انساب الاشراف ج 11 ص 144 .

<sup>(22)</sup> الطبرى : ج 6 ص 174 ، اليعتوبى : تاريخه ج 3 ص 18

<sup>(23)</sup> الطبرى : ننس المصدر ص 275 ٠

يدخر الخلفاء والولاة وسعا في مناهضتهم ، واتبعوا في ذلك شتى الوسائل من عنف وخداع واستنفار للجماعة الاسلامية لمواجهة ثوراتهم والتربص باية حركة أو نشاط لهم ، كما استخدموا اسلوب اللين والاتناع والمحاجاة ، واتبعوا سياسة الترغيب ، واغراء زعمائهم بالمراكز المروقة والمناصب الرسمية ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، فمعاوية بن أبى سفيان كثيرا ما استنفر أهل الكوفة للمشاركة في قتال الازارقة (24) كما أن عامليه على الكوفة والبصرة بالمغيرة بن شعبة وابن عامر بجندا كتائب مسن الشيعة من أهل المصريين لقتالهم (25) ، وكان هذا العمل من البراعة بمكان ، أذ كفل ضرب الشيعة بالخوارج بوكلاهما عدو لبنى أميسة ليضعف بعضهما بعضا فيسمل بعد ذلك استئصال شافتهما كل على حدة ، والى المغيرة بن شعبة خاصة يعزى الفضل في تطبيق تلك السياسة بنجاح فكان يستخدم اسلوب التهديد والترغيب ويلزم القبائل نفسها بالقضاء على أي نشاط للخوارج داخلها (26) ليكفى نفسه مؤنة قتالهم ،

واثهرت تلك السياسة في عهد زياد بن ابيه « نكانت القبائل اذا أحست بخارجي نيهم اوثقوه واتوا به زيادا ، نمنهم من يحبسه ومنهم من يقتله » (27) كما المحلت سياسته في الترغيب والترضية ، نكان يستميل من يقبل عليه من زعماء الخوارج ويتخذهم صنائع وعمالا ، ويغدق عليهم الهبات والعطايا (28) ، لكنه لم يتورع عن البطش والتنكيل بمن يعرض عنه ويناوىء حكمه ، حتى النساء لم يسلمن من اذاه فكان يقتلهن ويمثل بهن (29) .

وقد اسرف ابنه عبيد الله في سياسة العنف هذه وبالغ فيها (30) ، فكان القتل جزاء من يشتبه في ميله لمذهب الخوارج · ويذكر الدينوري (31)

<sup>· 142</sup> إبن خلدون : ج 3 مس 142 ·

<sup>(25)</sup> ابن الاثير : الكامل ج 3 مس 171 ·

<sup>(26)</sup> ورد في خطاب له في هذا الصدد توله « . ايها الناس ، انى لم أزل أحب لجماعتكم العافية واكل عنكم الاذى ، وانى والله لقد خشيت أن يكون ذلك أدب سوء لسنهائكم ، وأما الحلماء الاتقياء ملا وأيم الله ، لقد خشيت ألا أجد بدا من أن يعمل الحليم التقى بذنب السفيه « الجاهل » مكفوا أيها الناس سفهائكم قبل أن يشمل البلاء عوامكم ، وقد ذكر لى أن رجالا منكم يريدون أن يظهروا في المصر بالشقاق والخلاف ، وأيم الله سالا يخرجون في حى بين أحياء العرب في هذا المصر الا أبدتهم ، وجعلتهم نكالا لن بعدهم . . » راجع الطبرى : ج 5 ص 184 .

 $<sup>\</sup>cdot$  184 م ، وجعلتهم نكالًا لمن بعدهم  $\cdot$  ، » راجع الطبرى  $\cdot$  ج 5 ص 184 ·  $\cdot$  250 المبرد  $\cdot$  1 الكامل ج 3 ص 985 ، ابن عبد ربه  $\cdot$  العتد الغريد ج 1 ص 259 ·  $\cdot$  270

<sup>(28)</sup> المبرد : ننس المسدر من 1006 ·

<sup>(29)</sup> ابن عبد ربه : المرجع السابق ص 259 ·

<sup>(30)</sup> الطبرى : ج 5 منصة 312 · (31) الاغبار الطوال منصة 270 ·

أنه قتل تسعمائة رجل « بالتهمة والظنة » ، عدا ما لاقاه الآلاف في السجون من صنوف الارهاب والتعذيب (32) واستمرأ عبيد الله هذه السياسة وتغنن فيها ، حتى أنه كان يرغم المسجونين من الخوارج على قتل بعضهم بعضا أمعانا في التنكيل والتشفى (33) .

ولما آل الأمر لعبد الله بن الزبير في العراق عول على القضاء على الخوارج واستئصال شأفتهم ، فرماهم بالمهلببن ابسى صفرة الذي كان « يسير في طلبهم من بلد الى بلد ويواقعهم وقعة بوقعة » (34) .

على أن محنة الخوارج الشديدة كانت في عهد عبد الملك بن مروان ، فقد رماهم بالحجاج والمهلب في آن واحد . وتفيض المصادر بأمثلة عن قسوة الحجاج وعسفه ، فكان يأمر بقتلهم جماعات « بالتهمة لا بالخطيئة » (35) .

وكان سيافه يضرب اعناقهم في حضرته وبين يديه (36) ، ثم تصلب اجسادهم بعد التمثيل بها (37) ، اما المهلب نقد اعتمد في حروبه مسع الشوارج على الفداع والدهاء اكثر من اعتماده على السيف ، وحقق بذلك انتصارات لم يستطع احرازها في ميادين القتال ، فاستطاع أن يحسدث تصدعا في جيوشهم عن طريق بث الخلاف والشقاق بين زعمائهم بما كان يثيره من مسائل فقهية يشغل بها الخوارج عن قتاله بقتال بعضهم البعض ، فأذا ما وهنت شوكتم تمكن من هزيمتهم طائفة في اثر أخرى ، وحسبه أنه استطاع بذلك أن يضع حدا لحركات الازارقة في المشرق الاسلامي (38) ،

<sup>(32)</sup> المبرد : الكامل ج 3 من 1004 ؛ نلموزن : الخوارج والشيعة من 63 ،

<sup>(33)</sup> ابن الاثير : الكامل ج 3 من 203 ، ابن خلدون : العبر ج 3 من 144 ·

<sup>(34)</sup> الدينورى : الاخبار الطوال من 275 وفي هـذا الصدد ارتجز أحد الخـوارج هذا القول : حتى يتبعنا المهلب ، ليس لنا في الارض منه مهرب ، ولا السما اين المذهب في الدينورى : نفس المصدر من 276 .

<sup>(35)</sup> ابن العربي : القواصم والعواصم ورتة 107 مخطوط .

<sup>(36)</sup> مجهول: المعيون والحدائق في أخبار الحقائق ص 22 ·

<sup>(37)</sup> البلاذرى : انساب الاشراف ج 11 ص 63

<sup>(38)</sup> المبرد: الكامل ج 3 ص 1064 ، سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية ص 121 ـ 123 · تال تطرى بن الفجاءة في هذا الصدد: « · أما المهلب فهو من عرفتموه ، ان اخذتم بطرف ثوب ، اخذ بطرفه الاخر ، يعده اذا ارسلتموه ، ويرسله اذا أمددتموه ، لايبدؤكم الا ان تبدؤه ، الا ان يرى فرصة فينتهزها ، فها الليث المبر ! والثعلب المراوغ ، والبلاء المتيم » ، انظر : المبارد : الكامال ج 3 صفحة 1086 ،

وانحسرت موجة العنف ابان خلافة عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، فقد نجح عمر بن عبد العزيز في تجميد نشاط الخوارج في عصره بسياسة المجاجاة والحسنى والاقناع (39) · بينما عمد هشام الى اسلوب الاغراء بالأموال والمناصب ، وشراء زعمائهم بالمال ايثارا للعافية (40) · وذلك كان دليلا على فتور همة الخوارج واضمحلال شانهم حتى أن مروان بن محمد لم يجد صعوبة في القضاء على حركاتهم في بلاد العراق والجزيرة ثم في مدن الحجاز واليمن « فركدت ريخ الخوارج من يومئذ الى أن ظهرت الدولة العباسية » (41) ·

هكذا وصلت احوال الخوارج في المشرق الاسلامي في اواخر القرن الأول الهجرى وأوائل القرن الثاني الى مثل هذا الضعف والانحلال ، بحيث لم يعد في وسعهم مواصلة نشاطهم في قلب العالم الاسلامي وكان عليهم ان يغيروا في اسلوبهم بنبذ طريق الثورات السافرة واتباع اسلوب الدعوة والتنظيم السياسي ، والانتقال الى اطراف العالم الاسلامي بعيدا عسن حاضرة الخلافة فاتجهوا الى بلاد المغرب .

<sup>(39)</sup> الطبرى : ج 5 ص 409 ، عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربيــة ج 2 صنحــة 260 ،

<sup>(40)</sup> أبن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج 1 مس 251 ·

<sup>(41)</sup> ابن خلدون : العبر ج 3 من 167 ·

### ثانيا:

# بلاد المغرب قبيل ظهور الخوارج

نجم عن سياسة الامويين الأواخر موجة من السخط عمت كافة الولايات الاسلامية ، وقد استغل الهاشميون والخوارج حالة السخط هذه في تأليب الجماعة الاسلامية ضد الحكم الاموى ، فبينما اتجه الهاشميون بدعوتهم نحو المشرق في فارس وخراسان عمد الخوارج الى بث دعاتهم في بلاد المغرب التي كانت اذ ذاك ميدانا خصبا لتقبل مبادئهم ،

نقد عانت بلاد المغرب كغيرها من الولايات الاسلامية من الفتسن السياسية الناجمة عن الخصومات القبلية بين القيسية واليمنية حتى ليذهب بعض الدارسين (42) الى اعتبارها دافعا اساسيا لثورات البربر علسى الحكم الأموى نفالثابت ان غالبية عرب الفتح الذين استقروا بالمغرب كانوا من اليمنية (43) ، وهم الذين آزروا موسى بن نصير خلال ولايته استمرت حتى عام 96 ه ، ولما عزل موسى واستبدله الخليفة سليمان بن عبد الملك بمحمد بن يزيد — وكان قيسيا (44) — كان هم الوالى الجديد وشغله الشاغل تصفية نفوذ آل موسى ، فاخذ يتتبعهم ويبطش بهم ويستولى

<sup>(42)</sup> انظر حسين مؤنس : غجر الاندلس من 144 (42) Marcais, G : La Berberie Musulmane. P. 141.

<sup>(43)</sup> ابن عذارى : ج 1 م 39 ، البوعياشي : الريف بعد الفتح الاسلامي م 15 .

<sup>(44)</sup> ابن التوطية : تاريخ المتتاح الاندلس من 38 ،

على أموالهم بتحريض من الخليفة لنقمته على موسى بن نصير (45) · فأودع محمد بن يزيد عبد الله بن موسى السجن وغرض عليه من المغارم ما هو غوق طاقته (46) ، وما فتىء يعذبه حتى مات (47) .

وفي ولاية يزيد بن أبي مسلم ( 101 - 103 هـ ) ( 720 - 723 م ) عاد نغوذ اليمنية من جديد (48) ، وانتقم يزيد بن ابى مسلم من سلفه محمد بن يزيد '، مرمى به في السجن واشبعه جلدا وتعذيبا انتقاما لما حل باليمنية على يديه من عسف واضطهاد ٠

والت ولاية المغرب الى بشر بن صغوان بعد مقتل يزيد بن أبي مسلم ، وكان بشر من غلاة اليمنية (49) مأمعن في اضطهاد القيسية ، وبلغ بسه التعصب لعشيرته انه استخلف على البلاد قبل موته نغاش بن قــرط الكلبي (50) ، نعاث نيها (51) وأسرف في اذلال التيسية .

وعاودت التيسية الظهور حين ولى هشام بن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن القيسى ، غبيت النية على البطش بعمال بشر بن صغوان (52) ،

راجع : ابن القوطية : المرجع السابق ص 36 ، الرقيق : تاريخ انريتية والمغرب من 294 °

(46) اليعتوبى : تاريخه ج 3 من 255 .

من 37 ؛ الرتيق : من 295 ،

(48) ابن الابار: الحلة السيراء ص 336. (49) اليعتسوبسى : ج 3 من 59 .

المساءت بنسو مسروان لمينسا ومسا لنسسا كانهم لم يشهدوا لممي وتنسلة وقينساكم حسر التنسسا بسيسوننسسا الملهسا تيتنتم نيسل سسا تسد أردتهسوا تفاللتم علا كان لم يكن لكم انظر : الربيق : من 105 ــ 106 .

وفي الله ان لسم يعسدلسوا حكسم عسدل ولم يعلمسوا من كمان قبل له الفضل وليس لكسم خيسل سوانسا ولا رجسل وطساب لكسم فينسا المشسارب والاكسل صديقا وانتسم ما علمتسم لنا وصل

<sup>(45)</sup> نقم الخليفة على موسى لعدم استجابته لطلبه قبل توليه الخلافة بأن ينتظر بما معه من هدايا المغرب حتى يموت الخليفة الوليد بن عبد الملك ــ الذى كان يلفظ انفاسه الأخيرة - مقد سلم موسى الهدايا للوليد الذي قارق الحياة بعد ثلاثة ايام . قلما آلت الخلامة الى سليمان ، نكب موسى واودعه السبون وبعث في قتل ابنيه عبد العزيز بالاندلس وعبد الله بالمغرب

<sup>(47)</sup> ابن عذاری : ج 2 ص 47 ، النویری : نهایة الارب ج 22 ورقة 13 ــ مخطوط . (48) وثبة رواية للبلاذرى وابن عبد الحكم تذهب الى ان عبد الله بن موسى تتل سنة 102 ه في ولاية بشر بن صغوان ، راجع : فتوح البلسدان حس 273 ، فتسوح مصر والمغرب من 290 . وعن بمتل عبد العزيز بن بوسي بن نصير انظر : ابن القوطية :

<sup>(50)</sup> ابن عبد الحكم: حس 216 ، وأورد الرتيق بدلا منه العباس بن ناصعة الكلبي . راجع : تاريخ المريتية والمغرب من 105 ، (51) ابن ابى دينار : المؤنس صفحة 34 ،

<sup>(52)</sup> وقد استصرخ احد زعماء اليمنية هشام بن عبد الملك لانقاذهم من بطش عبيدة بن عبد الرحمن بهذه الابيسات :

وامعسن في المتفساء آئسر آل موسسي بن نصيسر حستي استأصسل شامتهم (54) . واستمرت محنة اليمنية في المغرب في عهد عبيد الله بسن الحبحاب الذي تقلد الولاية سنة 116 ه ( 735 م ) ، ولاتي اشياعهم على يديه عنتا شديدا (55) .

والى جانب انشىغال الولاة بالخصومات القبلية ، كانوا يتنافسون في جمع الاموال ارضاء للخلافة من ناحية ، وكسبا للانصار واشباعا لنهمهم من ناحية أخرى . معكفوا على ارسال الحملات والجيوش تضرب في اطراف المغرب أو تهاجم الجزر البحرية في البحر المتوسط بغية السلب والنهب . نيزيد ابن ابي مسلم غزا صقلية سنة 101 ه (56) ( 719 م ) في وقت كان الموقف بالمغرب عصيبا . وفي سنة 109 ه ( 727 م ) غزا بشر ابن مسغوان نفس الجزيرة « وأصاب منها سبيا كثيرا » (57) بعد أن « هلك من جيشمه خلق كثير » (58) . وغرق الاسطول الذي بعثه عبيدة ابن عبد الرحمن الى صقلية في العسام التسالي بقيسادة المستنير بسن المبحاب (59) . وغزا عبيد الله بن المبحاب في بلاد السوس وارض السودان ٤ لكنه لم يجن من وراء غزواته سوى مغانم الذهب والفضسة وسبايا البربر (60) . كما بعث بجنده الى جزيرة سردينية سنة 117 هـ ( 736 م ) « منهبوا وغنموا وعادوا » (61) ، ثم غزا صقلية وعادت حملته بالاموال والسبايا (62) . و في كل تلك الجيوش كان البربر يشكلون غالبية رجالها ، مكانوا اداة لخدمة اطماع الولاة .

ويجمع كثيرون من المؤرخين (63) على سوء معاملة عمال العصر

Marcais: La Berberie Musulmane, P. 43, Hopkins: Medieval Mulim government; P. 27.

<sup>(54)</sup> ابسن الابسار : منتحسة 48 ،

<sup>(55)</sup> ابن عبد الحكم : من 293 ، مؤنس : ثورات البربر في المريقية والاندلس من 165 ·

<sup>(56)</sup> ابن عبد الحكم : ص 289 ، ابن عذارى : ج 1 ص 49 .

<sup>(57)</sup> الرقيق : من 102 ، السلاوى : ج 1 من 293 ، الباجى المسعودى : الخلاصة النتيـة سنحـة 13 .

<sup>191</sup> ابن عبد الحكم : صنحــة 191

<sup>(59)</sup> نفس المسدر والصحيفة ،

<sup>· 108</sup> البلاذرى : متوح البلدان من 273 ، الرقيق : من 108 ·

<sup>(61)</sup> ابــن الائيــر : ج 5 منحــة 69 · (62) الرتيق : من 109 ، السلاري : ج 1 من 95 ·

<sup>(63)</sup> انظر : مجهول : أخبار مجموعة ص 23 ، الورجلاني ج ا ص 27 ، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ج 2 مص 204 ، مؤنس : ثورات البربر مص 147 ، دبوز : المغرب الكبير ج 2 ص 234 ، 235 ،

الاموى الاخير للبربر وارهاقهم بالمغارم والجبايات ، واعتبر بعضهم بلاد البربر دار حرب حتى بعد اعتناقهم الاسلام جريا على سياسة الخلافة الاموية في سائر الامصار الاسلامية (64) . وحاول الخليفة عمر بسن عبد العزيز وضع حد لتسلط الولاة واستعادة ثقة البربر في الحكوسة الاسلامية ، فعين على المغرب واليا تقيا هو اسماعيل بن عبيد الله (65) وامره باسقاط الجزية على من اسلم مر الربر وتحرير من استرق من نسائهم ، كما امره « باقرار القرى في يد غنامها بعد اخذ الخمس » (66) ، لتئول الارض الى اصحابها فيجنون ثمارها ويدفعون عنها خراجها المعلوم (67) ، وقد حرص عمر بن عبد العزيز على أن يجمع اسماعيل بن عبيد الله بين اعباء الادارة والحسرب الى جسع الخسراج والصدقات (68) ليحول دون جور الجباة واستبدادهم .

لكن هذه السباسة انتهت بوفاته ، وعادت الخلافة الاموية. الى سيرتها الاولى . فقد استبدل الخليفة يزيد بن عبد الملك اسماعيل بسن عبيد الله بيزيد بن ابى مسلم سنة 102 هـ 720 م ، فاستبد بالبربر ، وقضى على الاصلاحات التى انجزها سلفه ، وكان يزيد بن ابى مسلم ينفذ مشيئة الخلافة الاموية التى اعادت فرض الجزية على من اسلم مسن الموالى (69) ليتسنى لها الحصول على مزيد من الاموال والتنصل من دفع مزيد من الاعطيات للجند المسلمين من الموالى ومهما كان الامر فقد اشتط يزيد في معاملة البربر ، ونسب اليه انه اهدر كبرياءهم بوشم حرسه من البربر فكان يشم الرجل في يده اليمنى باسمه وفي اليسرى بكلهة «حرسى» ، وادى ذلك الى شعور البربر بالمهانة ، فانفوا منه وانكروه (70) .

وجرى عبيدة بن عبد الرحمن على سياسة العسف هذه حتى

<sup>(64)</sup> عن هذا الموضوع انظر : ملهوزن : تاريخ الدولة العربية من 275 وما بعدها .

<sup>(65)</sup> أخبار مجبوعة ص 23 ، البلاذرى : متوح البلدان ص 273 .

<sup>· 23</sup> اخبار مجموعة صنعة (66)

<sup>(67)</sup> فلموزن : المرجع السابق صفحة 280 .

<sup>· 287</sup> ابـن عبـد الحكم : صغحـة 287

<sup>(69)</sup> الطبرى : ج 6 مس 617 ، ابن تعزى بردى : ج 1 مس 245 ، نلموزن : تاريخ الدولية العربية منصة 235 .

<sup>(70)</sup> البلاذرى : نتوح البلدان من 273 ، ابن عبد الحكم : من 289 ، الرتيــق : من 99 ، مؤنس : نورات البربر من 163 .

« جمع من الاماء والجوارى والعبيد والخصيان والدواب والذهب » (71) الشيء الكثير . وتفاقمت الاحوال وازدادت سوءا ابان ولاية عبيد الله بن الحبحاب الذى أسرف فى سياسته فجند الجيوش لسلب البربر وسبيهم فى اقاصى المغرب (72) ، ونشر الهلع والرعب فى تلك الاصقاع . وعين ابنه اسماعيل عاملا على طنجة وجعل معه عمر بن عبد الله المرادى ، فأساءا السيرة واعتبرا البربر فيئا — اسلموا أم لم يسلموا — وعاملوهم معاملة الرقيق (73) . وهكذا تسبب الولاة الامويون فى المغرب فى اثارة مشاعر الحقد والكراهية عند البربر على الولاة والخلفاء على السواء مما اوجد مناخا ملائها لانتشار مذهب الخوارج .

ويحاول بعض الدارسين الدفاع عن الخلافة الاموية وتبرئتها من تبعات ما حدث في المغرب من مساوىء ، بالقاء اللوم على الولاة وحدهم . فيذكر دبوز (74) أن « سليمان بن عبد الملك أنكر على موسى بن نصير سلوكه في المغرب وأنه كان حانقا عليه لمبالغته في السبى وعدم عدله في البربر » . ويمضى الدكتور السيد عبد العزيسز سالم (75) في نفس الاتجاه فيتول « . . وكان سليمان بن عبد الملك يستهجن سياسة عبد الله بن موسى القائمسة على العنف والتسلط في معاملة البربسر . . » ويستثمهد بعبارة أوردها الرقيق (76) مدللا بها على نزاهة الخليفة وعدله اذ أوصى واليه الجديد على المغرب بقوله « يا محمد بن يزيد ، اتق الله وحده لا شريك له ، وقم فيما وليتك بالحق والعدل » . ويظهر نفس هذا الاتجاه عند الدكتور مؤنس (77) أذ يتول « . . وليس الى الشك سبيل في أن خلفاء بني امية لم يكونوا ليرضوا عن سياسة يزيد بن أبى مسلم في أن خلفاء بني امية لم يكونوا ليرضوا عن سياسة يزيد بن أبى مسلم

<sup>(71)</sup> ابسن عبسد الحكسم : من 292

<sup>· 223</sup> الرقيق : من 108 البلاذرى : نتوح البلدان من 223 ·

<sup>(73)</sup> نلس المصدر من 109 ، ابن الاثي : ج 5 من 69 ، ابن عذارى : ج 1 من 52 ، ابن خلدون : ج 4 من 189 ،

Mercier: Histoire de l'Afrique septentrionale. vol. l.P. 71, Provencal: Histoire de l'Espagne Musulmane vol. l.P. 29, Hopkins: Medieval Moslem government. P. 28.

<sup>· 165</sup> المفرب الكبير ج 2 مفحـة 165

<sup>(75)</sup> المفرب الكبير مسمحة 288

 <sup>13</sup> تاريخ المريتية والمغرب من 63 ، النويرى : ج 22 ورقة 13 .

<sup>· 152 ، 151</sup> مجر الاندلس من 145 ، ثورات البربر من 151 ، 152 ·

وبشر بن صفوان في افريقية ، اذ انهم لم يكونوا يعلمون شيئا عن الوسائل التي كانا يلجان اليها في عسف البربر والاستبداد بهم . وسن دلائل ذلك أن يزيد بن عبد الملك لم يغضب حين علم بقتل البربر يزيد ابسن ابسى مسلم » (78) .

ونعتقد أن المحدثين قد تأثروا في هذا الصدد برواية لصاحب كتاب اخبار مجموعة في فتح الاندلس تقول « . . وقد يقول من يطعن على الائمة انهم انما خرجوا ضيقا من سير عمالهم ، وأن الخليفة وولده كانوا يكتبون الى عمال طنجة في جلود الخرفان العسلية . . وهو قول أهل البغض للائمة (يقصد الخوارج) » ومن المعروف أن هذا المؤرخ المجهول يعد الوحيد بين المؤرخين القدامي الذي تصدى للدفاع عن بنى أمية . ولا غرابة في ذلك أذا علمنا أنه كان أندلسيا يعيش في كنف الدولة الاموية بالاندلس ، وبديهي أن يتعصب لبنى أمية ضد أعدائهم .

اما ما ذكره دبوز عن حنق سليمان بن عبد الملك على موسى بسن نصير لعدم عدله في البربر ، فقول يؤخذ بحذر . فمن الثابت أن حقده هذا يرجع لاسباب شخصية أوردناها سلفا . ونفس الشيء يقال في تفسير حنق سليمان بن عبد الملك على عبد الله بن موسى ، وليس الحال كما ذكر الدكتور سالم استهجانا لتسلط عبد الله على البربر . فما أورده من دليل في هذا الصدد لا يؤيد ما ساقه ، أذ أن نصيحة الخليفة لواليه الجديد باتباع « الحق والعدل » أمر تقليدي اصطلح عليه في تعيين الولاة والعمال .

وتؤكد الوتائع هذا التفسير ، نقد اسرف الوالى الجديد في اضطهاد اليمنية وتعتب آل موسى بن نصير واتباعهم ومصادرة أموالهم وسبى ذراريهم مرضاة للخليفة (79).

ولا نشك في ان ولاة المغرب كانوا يمثلون مشيئة الخلافة وينفذون سياستها ، وان الخلفاء درجوا على اختيار عمال يأتمرون بأمرهم ، والا فما تفسير سنى الاصلاح والعدل التي شهدها المغرب ابان ولاية اسماعيل ابن عبيد الله ؟ ؟ لقد حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي عسرف

<sup>(78)</sup> وقد ذكر الدكتور بؤنس في هذا الصدد تولا آخر هاك نصه : « اعتاد الخلفاء بسن عمال المريقية كثرة الهدايا والالطاف والابوال ، ولم يستطيعوا الامتناع عن الالهاح على العمال في طلبها . . » راجع ثورات البربر من 144 ، 145 .

<sup>(79)</sup> ایسن عبداری : ج 1 صفحیة 47 ،

بالورع والتقى على اختيار عماله من العدول الاتقياء ، وكان اسماعيل احدهم . والظلم الذي حاق بالبربر على يد يزيد بن أبي مسلم انما تم تحت سمع الخلافة وبصرها ، فالخليفة يزيد بن عبد الملك عرف بالطمع والجشيع وحب المال « الذي جمع له عماله منه ما لم يجمع لاحد من قبل » (80) . ولا غرو فقد كان ممتنا لسياسة عامله في المغرب الذي اشبع له اطماعسه فقال فيه عبارته الشمهيرة « ما مثلى ومثل الحجاج وابن أبى مسلم بعده الا كرجل ضاع منه درهم فوجد دينارا » (81) . وتسليسم الخليفة بمسا حدث من قتله سنة 102 ه ( 721م ) واختيار محمد بن يزيد بدلا منه لا يؤيد وجهة نظر الدكتور مؤنس ، فقد كان عليه أن يسلم بالامر الواقع ريثما تهدأ الخواطر من جراء الآثار السيئة لحكم يزيد في نفوس البربر ، ثم رماهم بعد شمهور ببشر بن صفوان الذي انتقم من قتلة يزيد . وبعد موت يزيد بن عبد الملك تولى اخوه هشام الخلافة فأقر بشرا على المغرب لانه « بعث اليه بأموال عظام وهدايا ماخرة » (82) . ولا يخامرنا شك في أن اشتطاط ابن الحبحاب. في سياسته المالية بالمغرب كان مرضاة للخليفة ، مقد كان الخلفاء بالمشرق يستحبون طرائف المغرب ويبعثون في طلبها الى عمال المريقية . ويذكر ابن عذارى (83) انه لما المضى الامر الى ابن الحبحاب مناهم بالكثير . ويخبرنا ابن خلدون (84) أن الخلفاء كانسوا يطالبون الولاة بالوصائف البربريات والاردية العسلية الالسوان وانواع طرف المغرب ، مكانوا يتغالسون في جمع ذلك وانتحاله حتى « كانت الصرمة من الغنم تهلك بالذبح لاتخاذ الجلود العسلية من سخالها ولا يوجد منها مع ذلك الا الواحد وما قرب منه » .

ولدينا من الروايات ما تؤكد أن الخليفة رفض السماح لوفد مسن البربر جاء اليه يشكو جور ابن الحبحاب وعسفه ، وعاد بعد أن تيقن رجاله من تواطؤ الخليفة مع عماله (85) ، وأن الخليفة بسبب جشعه

<sup>(80)</sup> المهوزن : تاريخ الدولة العربية من 337 ، عن مساحب كتاب الصلة الاسباني الذي الكهل تاريخ ايزيدور ،

<sup>(81)</sup> السلاوى : ج 1 صنصة 91 .

<sup>(82)</sup> اليعتوبسى : تاريخسه ج 3 صنصة 59 ·

<sup>(83)</sup> البيان المغرب ج 1 صنحة 53 ·

<sup>(84)</sup> العبـر ج 6 صنحـة 119 ·

<sup>(85)</sup> الطبرى: ج 4 منحـة 264 ·

للحصول على الاموال « هو الذي يكره العمال على المتصاص دم الرعايا » على حد قول فلهوزن (86) . ولعل ما حدث فيما بعد من رفض عبد الرحمن ابن حبيب الاذعان لمشيئة المنصور قائلا عبارته المتواترة « أن المريقية اليوم اسلامية كلها وقد انقطع السبى منها والمال » (87) ما يشير الى ما كان سائدا في العصر الاموى الاخير من طمع الخلفاء في أموال البربر وسباياهم ، ويؤكد مسؤولية الخلافة الأموية عما كان يقوم به عمالها في بلاد المغسرب.

كان الظلم الاجتماعي الذي استشرى في بلاد المغرب اذن من صنع الخلافة وعمالها ، وهو امر ساعد البربر الذين كانوا قد أسلموا وصلح اسلامهم على اعتناق مبادىء الخوارج التسى تحض على الثسورة على الجائرين من الحكام (88) .

لقد بدا انتشار الاسلام بين البربر منذ وطأت اقدام العرب بلاد المغرب ، وكان لعقبة بن نافع دور بارز في هذا الصدد (89) ، فقد بنسى مدينة القيروان سنة 55 ه ( 675 م ) مدخل كثير من البربر في الاسلام وثبت الاسلام بها (90) وواصل أبو المهاجر سياسة عتبة في نشر الاسلام وتعريب البربر ، وحسبه اكتساب كسيلة وقومه الى الاسلام واتخاذه حليفا (91) ، كما صالح عجم المريقية وادخلهم حظيرة الاسملام والعسروبسة (92).

والى حسان بن النعمان يعزى الفضل في المؤاخاة بين البربر والعرب، فقد جند من البربر اجنادا وعهد الى ثلاثة عشر فقيها من كبار التابعين بتعليمهم القرآن وأصول الاسلام واللغة العربية ، وخدم هؤلاء في الجيش العربي جنبا الى جنب مع العرب المسلمين . ومنذ ذلك الحسين اطردت حركة بناء المساجد في سائر ارجاء المغرب (93) ، واصبحت بمثابة مراكز

<sup>(86)</sup> تاريسخ الدولسة العربيسة صفحسة 331 ·

<sup>(87)</sup> ابـن الاثيـر : ج 5 صنحـة 117 · (88) البغدادى : الغرق بين الغرق من 273 ، حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية ن انريتيسة صنحسة 231 ·

<sup>(89)</sup> ابن الاثير : ج 3 صنصة 234 ·

<sup>(90)</sup> ننس المصدر منحة 235

<sup>(91)</sup> ابن عنداری : ج 1 منصة 28 ·

<sup>(92)</sup> المالكسي : رياض النفوس ج 1 صفصة 21 ·

<sup>(93)</sup> مبيد الله بن مالح : نص جديد عن بتح العرب للمغرب من 224 ، المالكسي : من 36 ، الدباغ ج 1 من 36 ،

ثابتة لنشر الاسلام والحضارة العربية بين البربر (94) . أما موسى بن نصير مقد بث الاسلام في بلاد المسامدة (95) ومقه البربر في تلك الانحاء في تواعد الدين واصول الشريعة (96) ، كما أشرك البربسر المسلمين في فتح الاندلسس وجعل لاحدهم قيادة الجيش وهو طارق بن زياد (97) ، وفي ذلك دلالة على رسوخ الاسلام عند البربر وقيامهم بحمل رسالته الى أوربا في أواخر القرن الاول الهجري (98).

وفي خلافة عمر بن عبد العزيدز تعاظمت حركة اسلام البربدر وتعريبهم ، اذ بعث الى المغرب واليه اسماعيل بن عبيسد الله ، وجعل برنقته عشرة من كبار الفقهاء لتبصير المغاربة بأصول الاسلام ونروعه وتعليمهم اللغة العربية (99) واستجاب البربر لتعاليم الفقهاء وأتبلوا على الاسلام حتى « غلب على المغرب » (100) « ولم يبق يومئذ من البربر احد الا اسلم » (101) ، باستثناء جماعات طفيفة العدد متناثرة مسن المسيحيين الذين ظلوا على دينهم (102).

وهكذا جرى اسلام البربر وتعريبهم « في سرعة وعمق

<sup>· 27</sup> م 1 من عذاري ج 1 م 94) ننس المصدر السابق ص

<sup>(95)</sup> ابسن عــذارى : ج 1 صنعــة 43

 <sup>(96)</sup> ابـن عبـد الحكم : صنحـة 204

<sup>(97)</sup> مجهسول : اخبار مجموعة صفحة 6 .

<sup>(98)</sup> انظر : حسن ابراهيم : انتشار الاسلام في القارة الانريقية ص 89 - 90 ، Brunschvig : La Tunisie dans le haut moyen age.

P. 7, Drague: Esquisse d'histoire religeuse du Maroc, P. 17.

حيث يمتقد اولئك المؤرخون أن اسلام البربر كان سطحيا حتى ذلك الحين .

<sup>(99)</sup> المالكي : ج 1 ص 67 ، الدباغ : معالم الإيمان ج 1 ص 142 ، حسن محبود : الاسلام والثَّقامة العربية في المريقية ص 99 ·

<sup>(100)</sup> البلاذرى : متوح البلدان من 273 ، ابن كثير : البداية والنهاية ج 9 من 185 ، النويــرى : ج 22 ورتــة 14 ·

 $<sup>\</sup>cdot$  154 م : من 297 ، الرتيق : من 297 ، الدباغ : ج 1 من 154 ، (101)

ابن خلدون : ج 4 ص 188 ، السلاوى : ج 1 ص 90 . (102) حسن محبود : الاسلام والثقائة العربية ص 31 ،

Marcais: La Berberie musulmane. P. 36. وقد زعم بعض الستشرقين أن عمر بن عبد العزيز خير مسيحى المغرب بين الدخول في الاسلام أو الرحيل عن البلاد ، فآثر بعضهم اعتناق الاسلام بينما رحل البعض

الاخر الى أوربا ، انظر : Bonte : l'Islamisme et le christianisme en Afrique. P. 72. وقد أنكر البعض الاخر هذا التجنى « شعير لم يكره النصارى على اعتناق الاسلام مهددا اياهم بالطرد والقتل ، وذلك لانه كان مسلما حقا متمسكا بما ورد في الشريعة الإسلامية في معاملة أهل الذمة ، وليس من المعتول أن يتجاهل أو يخرج عن هذه الشريعة » ، انظر : ناموزن : تاريخ الدولة العربية من 289 ، Mercier : Histoire de Constantine. P. 86.

وشمول » (103) على عكس دعاوى بعص المستشرقين (104) الذين ذهبوا الى ان حركة التعريب لم تساير انتشار الاسلام في المغرب ، وان البربر لم يتعلموا العربية الافي وقت متاخر ،

ووجد البربر المسلمون تناقضا صارخا بين تعاليم الاسلام ومبادئه بما تنطوى عليه من عدل ومساواة وبين سياسة الأمويين الأواخر الجائرة ، فأقبلوا على اعتناق مذهب الخسوارج وهو في جوهره مذهب « ثورى ديمقراطى اشتراكى » على حد تعبير ميور (105) .

وليس الى الشك سبيل فى ان مبادىء الخوارج بما تنطوى عليه من تمسك بالشريعة فى جانبها العقائدى (106) ، وثورية فى قوامها السياسى وبساطة ووضوح فى جوانبها الفكرية ، وجدت مناخا ملائما فى ظروف المغرب الاسلامى وطبيعة سكانه .

فاذا كانت الديمقراطية هي محور مذهب الخوارج وقوامه على اعتبار ان الامامة حق متاح لكل مسلم (107) ، فبديهي ان يلقى ذلك المذهب قبولا لدى البربر الذين طال حرمانهم من المساواة مع العنصر العربي الحاكم ، ومن الطبيعي ان تتولد لديهم نزعة تومية مغربية تتطلع لازاحة نفوذ الاقلية العربية عن مكان الصدارة والحكم في اطار شرعي يكفله الدين ، ولما كان مذهب الخوارج يقول بالتسورة على الجائريسن مسن الحكام (108) فقد وجد البربر في اعتناقه مبررا لانتفاضهم على الحكم العسربسي ،

وبهعنى آخر ، اكتسبت نزعة الاستقلال عند البربر \_ بغضل مذهب الخوارج س طابعا ثوريا دينيا (109) ، فالتتى البربر مع الخوارج فى موقفهم من عدو مشترك ممثل فى السلطة الاموية .

Brunschvig: Op. Cit. P. 7. (103)

(104) انظــر

Marcais, W: Comment L'Afrique du Nord à ete arabisee. P. 3, Hudas: Essai sur l'ecriture Maghrebine,

P. 86, Marcais, G: La Berberie Musulmane, P. 41.

The caliphate, its rise, decline and Fall: P. 407. (105)

(106) انظر : أبو زكريا : السيرة وراتة 8 مخطوط ،

Smith: The Ibadites, P. 279.

(107) الاسمرائيلي: التبصير في الدين ص 46 .

(108) البغدادي : الغرق بين النرق من 273 ·

Vonderheyden : La Berberie Orientale. P. 4.

ولمضلاً عن ذلك مان وضوح مكر الخوارج والتزامه بظاهر الدين وعدم ميله للفلسفة والتأويل (110) جعله يتلاءم مع عقلية البربر (111)٠ وبعبارة أخرى كان فكر الخوارج متسقا مع طبيعة البربر المعرومنين «باقامتهم لمراسم الشريعة واخذهم بأحكام الملة ونصرهم لدين الله » (112)٠

ومن مظاهر هذا الاتساق أيضا أن صفات الصلابة والقوة ممثلة في قول الخوارج بالاستعراض ورفض التقية والامر بالمعروف والنهى عن المنكر (113) يقابلها عند البربر شدة المراس وقوة البأس والميل الغريزي للتطــرف (114) ٠

وهكذا كانت مبادىء الخوارج متوائمة مع طباع البربر الفطرية ومتمشية مع أهدانهم السياسية ونزعتهم القومية . وهو ما عبر عنسه السلاوى (115) في ايجاز رائع بقوله : « . . وحسن موقعها ( يعني مبادىء الخوارج ) لديهم بسبب ما كانوا يعانون منه من وطاة الخلافة القرشية ، وجور بعض عمالها ، غلقنهم أهل البدع أن الخلافة لا يشترط فيها القرشية بل ولا العربية . . ودسوا اليهم مع ذلك بعض تشديدات الخوارج وتعمقاتهم ، واروهم ما هم عليه من التصلب في دينهم ، غظهر للبربر ببادىء الراي أن تعمقهم ذلك أنما هو من آثار الخشية لله والخوف منه ، وأن ذلك هو عين التقوى المأمور بها شرعا .. »

قصارى القول ـ ساعدت أحوال بلاد المغرب في أواخر القرن الاول الهجرى وأوائل القرن الثانى على نزوح الخوارج المضطهدين في المشرق الى بلاد المغرب (116) لنشر دعوتهم بين البربر وتحقيق ما فشلوا فيه من قبل من أهداف ٠

<sup>(110)</sup> انظر : الرازى : اعتقادات مرق المسلمين من 40 وما بعدها ، أحمد أمين :

<sup>(110)</sup> انظر ، الرازي . فلحى الاسلام ج 3 مل 335 . فلحى الاسلام ج 3 مل 335 ، ابن زيدان : اتحان اعلام الناس ج 1 Dozy : Op.cit. P. 131.

Smith: Op. Cit. P. 279 (112) ابن خلدون : ج 6 ص 105 ، ولذلك طلق عليهم دوزى « كلامنة الاسلام » ودى بوا «بيوريتان الاسلام » Spanish Islam. P. 130, Le Djebel Nefousa. P. 137.

<sup>(113)</sup> أنظر : الاسترائيني : التبصير في الدين ص 142 وما بعدها \* (114) صاعد الاندلسي : طبقات الامم ص 12 م

Cam. Med. hist. Vol. 2 P. 376, Draguge: Op. Cit. P. 23.

<sup>(115)</sup> الاستتما ج 1 منحة 123

<sup>(116)</sup> ابن خلدون : العبر ج 5 ص 11 ،

Le Tourneau : La revolte, d'Abou-Yazid. P. 105 Mercier : Histoire de L'etablissement des Arabes dans l'Afrique septentrionale. P. 70.

## انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب

كان غشل الخوارج في المشرق في تحقيق اهداغهم سببه أن حركاتهم كانت تغتقر الى التنظيم السياسي (117) ، وتعمد الى القيام بثورات هوجاء دون تنظيم أو اعداد سابق (118) مما سمل على الخلاغة الاموية وولاتها مهمة مناهضتها واستئصال شاغتها أولا بأول ، وبانتهاء القسرن الأول الهجرى اختفت غرقتا الازارقة والنجدات وهما من أهم غرق الخوارج ، وكان من الطبيعي أن تلجأ غرقتا الصغرية والاباضية الى اسلوب مغاير

<sup>(117)</sup> ما يقال عن الاتفاق السرى بين ثلاثة من الخوارج لافتيال على ومعاوية وعمرو بن العاص لا يننى صحة ما ذهبنا اليه ، فهو تآمر انتقامى لا يخدم أهداها بعيدة للخوارج ، وأسلوب التآمر السرى ليس تيارا أصيلا في فكر الخوارج السياسى بل انه « لا يتفق مع عادات الخوارج » على حد تول بعض الدارسين ، راجع : فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص 98 ،

Hitti: History of the Arabs. P. 182.

(118) تخالف ما ذهبت اليه الدكتورة سمير التلماوي في تفسيرها اختلاف الخوارج على نافع بن الازرق وظهور فرق الازارقة والنجدات والصغرية والإباضية بأنه خطسة محكمة من الخوارج للهجوم على الدولة الاموية التي كانت تجتاز اذ ذاك أزمسة خطيرة فيتجه فريق منهم الى الشمال وآخر الى الجنوب لتكوين خط هجوم شرقي يمتد من الجزيرة شمالا الى اليمامة والبحرين جنوبا ، بينما يتوغل فريق ثالث في فارس لاتخاذها ملجأ ساعة الشدة ، انظر : أدب الخوارج في العصر الامسوى على 55 ، والواقع أن المصادر لا تشير الى شيء من هذا البتة ، والذي يفهم من الروايات أن ما حدث كان محض خلاف فقهي انتهى الى انشتاق مذهبي وسياسي في جماعة الخوارج ، ولم يحدث قط ثمة تعاون مشترك بين هذه الفرق في صراعها مع السدولسة الامسويسة .

عن ظهور نرق الخوارج راجع ، الاسنرائينى : التبصير فى الدين ص 49 ومسا بعدها ، ابن عبد ربه : العقد النريد ج 2 ص 191 وما بعدها ، البياسى : الاعلام بالحروب الواقعة فى صدر الاسلام ج 2 ص 169 ـ مخطوط .

موامه تنظيم الدعوة السرية وبث الدعاة في اطراف العالم الاسلاسي لنشر تعاليم المذهب ، خاذا ما ازداد الانصار عددا وانسوا من انفسهم تدرة على الثورة بادروا بالخروج ،

كانت بلاد المغرب أهم التاليم الاطراف التى الجهت اليها جهود دعاة الخوارج العراقيين (119) فهتى تم ذلك ؟ وأى غرق المذهب قدر لها أن تنتشر في البلاد ؟ .

لا نستطيع أن نحدد في وضوح تاريخ بدء دعوة الخوارج بالمغرب بسبب تضارب الروايات واختلاطها ، فابن حوقل (120) يرجع بداية الدعوة الى معركة النهروان سنة 38 ه ( 658 م ) فيذكر أن « عبد الله بن وهب الراسبي وعبد الله بن أباض لجأ الى جبل نفوسة منسذ وقت انصرافهم عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب بمن سلم معهم من أهل النهروان . واقاموا هذا الجبل دار هجرة » لكن المعروف أن الراسبي قتل في النهروان (121) ، كما أن أبن أباض لم يرد له ذكر بين من نجوا من القتل في المعركة (122) ، الامر الذي يشكك في صحة هذه الرواية ، ليس ببعيد أن يكون بعض من فروا بعد معركة النهروان قد اعتصموا بجبل نفوسة ، لكنهم لم يتركوا هناك أثرا يذكر ، لكن الظهور الحقيقي القرن الأوارج في بلاد المغرب يعود الى أواخر القرن الأول ، وأوائل القرن الأول ، وأوائل القرن الثاني الهجريين (123) .

اما عسن فرق الخسوارج التى انتشرت ببلاد المغسرب ، غانسه قد اختلط امر تحديدها على بعض المحدثين الذين أرخوا للخسوارج فى المغرب ، اذ زعم بعضهم (124) أن البلاد شهدت انتشار فرق الخوارج جميعها ، وتشكك البعض (125) الآخر في وجود فرقتى الاباضية والصفرية

<sup>· 110</sup> ابن خلدون : العبر ج 6 ص 110 ·

<sup>· 68</sup> م المسالك والمسالك ص

<sup>(121)</sup> المسعودي : مروج الذهب ج 2 ص 417 .

<sup>(122)</sup> ننس المصدر والصحينة ، ابن خلدون : العبرج 3 ص 142 ·

<sup>(123)</sup> ابن خلدون : ج 6 ص 110 ، السلاوى : ج 1 ص 123 ، عنان : دولة الاسلام في الاندلس ج 1 ص 116 ،

<sup>(124)</sup> انظـر:

Basset : Recherches sur la religion des Berberes. P. 331,

الطاهر الزاوى : تاريخ النتح العربى في ليبيا من 118 . 118 . 125 انظر : (125) انظر : بير الاندلس من 148 ، ثورات البربر من 154 – 155 . 155 . 154 . ثورات البربر من 154 – 155 .

على أساس « أن مبادىء الفرقتين ليست مما يجذب البربر ، فهما أكثر فرق الخوارج ميلا للمسالمة والتسامح مع المخالفين » ، علما بأن الصغرية من أكثر فرق الخوارج تطرفا ، لا ننكر أنهم اتخذوا موقفا وسطا بين الازارقة المسرفين في التطرف والإباضية المعتدلين (126) لكن ثوراتهم اتسمت بالقسوة والعنف سواء في المشرق أو المغرب ، فلم يكونوا أتل حدة مسن الازارقة في هذه الناحية (127) .

ونعتقد أن من أشرت أليهم من المؤرخين المحدثين أنما تأثروا بقول صاحب كتاب أخبار مجموعة (128) ، « نما بال التحكيم نشا نيهم ورفع المصاحف وحلق الرؤوس اقتداء بالأزارقة وأهل النهروان » . لكسن الذي نؤكده أن الازارقة قضى عليهم نهائيا بعد قتل قائديهما قطرى بن الفجاءة وعبيدة بن هلال سنة 77 ه (696 م) على يد المهلب بن أبى صفرة واختلفوا نهائيا بعدئذ من مسرح السياسة (129) أما النجدات ، نقد نتك عمر بن عبيد الله بن معمر قائد عبد الملك بن مروان بزعيمهم أبى نديك سنة 72 ه عبيد الله بن معمر قائد عبد الملك بن أصحابه بالبحرين ، نقضاعل شانهم بعد ذلك (130) .

معنى هذا أن غرقتين غقط من غسرق الخوارج الكبرى ظهرتا ظهورا واضحا في أحداث بلاد المغرب وهما غرقة الصغرية ، وغرقة الاباضية ، غما تاريخ ظهسور الفرقتين ؟ ؟

ينتسب الخوارج الصغرية الى عبد الله بن الصغار (131) ، وان كانت كتب الغرق (132) ترجع بهذا النسب الى شخص يقال له زياد بن

<sup>(126)</sup> الشهرستانى: الملل والنحل ص 121 ــ 123 ، ذكر جوليان انه اذا كان الازارقة يمثلون اليسار المتطرف في مذهب الخوارج والإباضية اليمين ، غان الصغرية يمثلون اليسار ، بينما يشبه جوتييه الإباضية بالمونشنيك والصغرية بالبولشنيك . انظر : النظر : Histoire de l'Afrique du Nord. P. 329. Les Siecles obscurs. P. 269,

Gautier : Loc. Cit. (127)

مبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ج 2 ص 288 .

<sup>(128)</sup> منحـة 32

<sup>(129)</sup> الطبرى : ج 6 ص 308 ، ابن خلدون : 3 ص 161 ، الاسترائينى : ص 51 ، البغدادى : ص 87 ، تلهوزن : الخوارج والشيعة ص 109 .

<sup>(130)</sup> ابن الاثير : ج 4 ص 140 ، البغدادى : ص 90 .

<sup>(131)</sup> البلاذرى : انساب الاشراف ج 11 ص 83 .

<sup>(132)</sup> انظـر : الـرازى : ص 51 ، الاسفرائينى : ص 52 ، البفـدادى ص 90 .، الشهرستانى : ص 123 ،

الاصفر وأيا ما كان الامر فلا محل لتصديق روايات أخرى ترجع تسميتهم لصفرة وجوههم من كثرة العبادة (133) ، أو لانهم أخرجوا من الديسن صفرا (134) فكثرة العبادة من صفات الخوارج عموما وليست حكرا على الصفرية ، كما أن التفسير الثانى من نسبج فتيه أباضى معاد للصفرية ، ولا صحة للقول الذى ينسبهم الى المهلب بن أبى صفرة (135) أعدى أعداء الخوارج ولا يمكن أن نقبل الروايات التى تنسبهم الى عبد الله بن وهب الراسبى وحرقوص بن زهير أو أبى بلال مرادس (136) ، فلم يكن الخوارج تد أفترقوا بعد إلى فرقهم المعروفة ، بل أطلق عليهم أذ ذاك « المحكمة الأولى » (137) أنما ظهر الصفرية حين خالف عبد الله بن الصفار نافعا بن الازرق حول مسألة التعدة سنة 65 ه ( 684 م ) وهو خلاف فقهى بالدرجة الأولى (138) اتخذوا فيه موقفا وسطا بين الإزارقة المتطرفين والإباضية المعتدلين ، « فلم يكفروا القعدة عن القتال أذا كانوا موافقين في الديسن والاعتقاد » (139) .

والواقع ان عقائد الصفرية تمثل تطورا عمليا ملحوظا في فكر الخوارج وعقائدهم ، اذ تجنح الى التخفيف من غلواء التطرف الذى افضى بحركاتهم الى الفشل من قبل فهم لم يسقطوا الرحم ولم يحكموا بقتل اطفال المشركين وتكفيرهم كالازارقة ، كما نادوا بجواز التقية في القول دون العمل (140) ، وأجاز بعض زعمائهم تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية (141) وقد كفل لهم ذلك معايشة الجماعة الاسلامية بدلا من اشهار عدائهم لها ، الامر الذي اتاح لهم القدرة على الدعوة السرية المنظمة ، وحقق لمذهبهم الانتشار ، لكنهم كانوا أكثر تطرفا من الاباضية في موقفهم من مرتكبي الكبائر ومن ثم من مسئلة « الكفر والايمان » ، فبينما رأى الاباضية انهم موحدون قال الصفرية بتكفيرهم ، (142) وفي ذلك تفسير لنزعة القسوة والعنف التي

<sup>· 216</sup> ابن عبد ربه : المقد الغريد ج 1 ص 216 ·

<sup>(134)</sup> السوق : شرح السؤالات ورقة 114 ، مخطوط ،

<sup>(135)</sup> ابن تغری بردی : ج 1 مص 289 °

<sup>(136)</sup> المبرد : الكامل ج 3 ص 1006 ·

<sup>(137)</sup> البغدادي : صغصة 91 ·

<sup>(138)</sup> لينى ديلانيدا : مادة الصفرية ... دائرة المعارف الاسلامية من 229 ·

<sup>· 123</sup> الشهرستاني : صفحة 123

<sup>(140)</sup> السرازى : صفحة 51 .

<sup>(141)</sup> المرجع السابق صنعة 122 -

<sup>(142)</sup> نفس المصدر من 121 · 121

لازمت سياسة الصفرية في معاملة اعدائهم ٠

وعلى كل حال ــ استفاد الصفرية من اخطاء الازارقة والنجدات ومن كان قبلهم من المحكمة الأولى ، فتريثوا قبل دخولهم معتسرك الحياة السياسية ، فلم نسمع عن حركات لهم قبل ثورة صالح بن مسرح ضد الامويين سنة 76 ه (143) ( 695 م ) · كما امتازت ثوراتهم بالتركيــز على منطقة الموصل والجزيسرة وديار بكر ، واتخذوها مقرا تتجمع فيه قواتهم لتتجه في أعداد كبيرة نحو البصرة والكومة ، وقد سقطت الكومسة نفسها في أيديهم مرتين الأولى أبان ثورة شبيب سنة 77 ه (144) (696 م) والثانية اثناء ثورة بسطام بن يشكر المعروف بشوذب سنة 100 ه (145) ( 718 م ) ، الامر الذي يؤكد أن حركاتهم كانت تهدف الى اقامة دولة للخوارج

ان التطور الجديد في مكر الخوارج الصمرية بتجويز مبدا التقية ، والاتجاه العملي في حركاتهم بالمشرق (146) يؤكد جنوحهم الى اسلوب الدعوة السرية المنظمة في المغرب لا ننكر أن هذه الناحية أكثر وضوحا عند الاباضية بسبب ونرة المادة التاريخية المتعلقة بهم ، لكن تاريخ الصفرية لا يخلو من اشارات تؤكد الاتجاه الذي اشرت اليه ، هذا الاتجاه الذي يتجلى في جهود دعاتهم في نشر مذهبهم ببلاد المغرب ٠

تذكر المصادر الاباضية (147) أن « أول من جاء بطلب مذهب الاباضية ونحن بقيروان المريقية سلمة بن سعيد قال ، قدم علينا من ارض البصرة ومعه عكرمة مولى ابن عباس على بعير ، سلمة يدعو الى مذهب الاباضية وعكرمة يدعو الى مذهب الصفرية » ·

معنى هذا أن القيروان كانت مركز الدعوة في المغرب (148) ، لكننا لا نعرف

<sup>(143)</sup> الطبرى: ج 6 صفحة 215 ،

<sup>(144)</sup> عن حركة شبيب بن يزيد الشيباني انظر : الطبري : ج 6 ص 223 وما بعدها .

<sup>(145)</sup> عن حركة شوذب راجع : الطبرى : ج 6 من 556 وما بعدها .

<sup>(146)</sup> هذه الحركات هي : أورة بهلول بن بشر الشيباني بالموصل سنة 119 ، انظر : ابسن الأثيسر: ج 5 من 77 وما بعدها .

ثورة الصحارى بن شبيب سنة 119 ه ، انظر : الطبرى ج 7 ص 137 وما بعدها ثورة الضحاك بن قيس الشيباني : انظر : ابن قتيبة : آلمعارف مس 412 .  $\cdot$  128 ه ، انظر الطبرى : ج 7 ص 347

ثورة شيبان بن عبد العزيز سنة 129 ه . وهي آخر ثورات الصغرية في العصر الاموى

انظر : الطبرى : ج 7 مس 349 .

<sup>(147)</sup> أبو زكريا : السيرة ورقة 2 ، مخطوط ، الدرجيني : طبقات الاباضية ج 1 ورقة 6

على وجه الدقة متى حضر عكرمة ـ رأس دعاة الصفرية ـ الى افريتية ٠ والراجح أنه وصلها خلال السنوات الخمس الاولى من القرن الثانسي الهجــرى (149) ٠

كان عكرمة هذا من أصل مغربي (150) ، وكان من موالي ابن عباس الفقيه ذائع الصيت وقد اتاح له ذلك مخالطة كبار الفقهاء والمحدثين كأبى هريرة والسيدة عائشة ، نسمع منهم واخذ عنهم حتى اضحى مسن الأعلام الثقاة في الفقه والحديث (151) ثم أخذ بالذهب الصفرى وصار من محول مقهائه · ومن الغريب الا نجد له ذكرا في حركات الصفرية مسى شمال العراق ، وقد يفهم من ذلك أنه مال الى تعاليم الصفريسة في وقت متأخر ، وقد عهد اليه بنشر المذهب في بلاد المغرب بعد اتجاه الخوارج الصغرية الى اتباع اسلوب التنظيم والدعوة ٠

ولا يستفاد من النص السابق أن الصفرية والاباضية التاما في نظام واحد أو أن دعاتهما تلازما في نشر تعاليمهما ، غلم نقف على ما يشير إلى مثل هذا العمل المشترك في الجهود التي قاموا بها بين البربر · بل ان كلا من الجماعتين اختطت لنفسها طريقا خاصا ، ولم تتورعا عن التنافس والصراع الذي انتهى باقتتالهما في بعض الاحيان · كما أن دعاة الفرقسة الاباضية اتجهوا الى الاقاليم الشرقية من بلاد المغرب بينما اتجهت الدعوة الصنورية الى قبائل المغرب الاقصى (152) .

على كل حال نزل عكرمة بالقيروان حيث أمكنه الاتصال برؤسساء القيائل من امثال ميسرة المطغري \_ زعيم مطغرة \_ الذي تلقى العلم على يديه مختفيا ، فقد اشتغل بالسقاية في سوق القيروان حتى لا يكتشف أمره . وعلى الرغم من كونه سيدا لعصبية لها خطرها لم يتورع عن الاشتغال بتلك المهنة اسعانا في التستر والحيطة · وقد تسنى له بذلك أخذ تعاليم المذهب عن عكرمة ، ثم عاد فنشرها بين قومه من بربر مطغرة (153) .

Marcais: La Berberie Musulmane, P. 48.

<sup>(148)</sup> ابن خلدون : ج 7 مس 11 ،

<sup>(149)</sup> العينى : عقد الجمان ج 11 قسم 3 ورقة 46 سـ مخطوط . Fournel; Les Berbers. Vol I. P. 352.

<sup>(150)</sup> نفس المصدر والصحيفة (151) المبرد : الكامل ج 3 من 949 ، العينى : المرجع السابق ورقة 464 ، دبوز : المغرب الكبير ج 2 من 279 ، 100. المغرب الكبير ج 2 من 279 ، 110. (152) ابن خلدون : المبر ج 7 من 11 ·

<sup>(153)</sup> نفس المصدر ج 6 من 118 -

كما اتصل أبو القاسم سمكو بن واسول شيخ مكناسة بعكرمة في القيروان (154) كذلك وليس بالمشرق كما اعتقد البعض (155) . ولازمه حتى موته في سنة 105ه (723م) أو سنة 107ه (725م) حسبما يرجح (156)، وتبحر في اصول المذهب وفروعه حتى وصف بانه من « مشاهير حملسة العلم » (157) ، وبأنه « مقدم الصفرية » (158) بعد وغاة عكر العلم » واستطاع ابو القاسم نشر المذهب بين قومه من مكناسة ، ثم اتجه نحو المناطق الصحراوية الجنوبية لبث الدعوة نيها ، وعمد \_ شانه شان ميسرة ـ الى اتباع اسلوب التستر والتخفى ، مرحل الى واحة تاميللت ـ وهي ملتقي القبائل الرعوية جنوبي المغرب الاقصى ـ وتظاهر بتربية قطعان الماشية وعكف على بث تعاليم المذهب بين الرعاة حتى تحولت خيمته الى مجمع للخوارج الصفرية في تلك النواحي (159) .

ولم يتتصر انتشار المذهب الصفرى على بربر مطغرة ومكناسة 4 ذلك أن بربر برغواطة اعتنقوا هذا المذهب في وقت مبكر على يد طريف ابن شمعون الذي لقى عكرمة بالقيروان كذلك (160) . وإذا كانوا تسد تخلوا عنه بعد ذلك واتبعوا تعاليم صالح بن طريف (161) ، ملا يمكن اغقال دورهم البارز في ثورة الصفرية الكبرى بالمغرب الاقصى التي تزعمها مسيرة المطغري سنة 121 هـ (739 م) .

<sup>(154)</sup> ابن خلدون : ج 6 ص 105 ، ابن زيدان : اتحاف اعلام الناس ج 1 ص 76 ٠ (155) مجهول : نبذ تاريخية من 60 ، القلقشندى : مبح الاعدى ج 5 من 165 ،

<sup>(156)</sup> العينى : عقد الجمان ج 11 قسم 3 ورقة 464 .

<sup>(157)</sup> ابن خلدون : العبر ج 6 ص 105 .

<sup>(158)</sup> الشطيبي : الجمان في اخبار الزمان ورقة 203 ـ مخطوط .

<sup>(159)</sup> البكرى : المفرب من 149 ، ابن خلدون : ج 6 من 130 ، Fournel : Op. Cit. Vol. I. P. 352.

<sup>(160)</sup> ابن خلدون : ج 6 ص 107 . (161) تسكن برغواطة اتليم تامسنا بالمغرب الاتصى واهم مدنه سلا وازمور وانفى واسمفى ، وكان زعيمها طريف بن شمعون من تواد ميسرة ، وقد اختلف في نسبه نيما اذا كان مصموديا أو يهوديا أو يمنيا وعلى كل حال ... مقد خلفه بعد موته ابنه صالح الذي تزندق وشرع دیانة جدیدة ، وأظهر ترانا جدیدا وتسمی « بصالح المؤمنین » ولم یقدر لتعاليمة الانتشار في حياته ، مقد غادر البلاد الى المشرق ، وادعى انه المهدى المنتظر وكان تد أعد ابنه الباس القيام بامر دعوته بعد أن لتنه أسرارها ومتهه بأصولها ، وقد غشت الدعوة في عهد الياس ، وحاول الادارسة القضاء عليها الا انها ظلت تائمة حتى عصر الموحدين . راجع : ابن عذارى : ج 1 س 61 ، ابن خلدون : ج 6 ص 207 ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج 3 ص 118 ، البوعياشي : الريف بعد الفتح الاسلامي ص 15 ، سعد زغلول عبد الحبيد : تاريخ المغرب العربي ص 417 ،

والراجح أن ميسرة كان على صلة وطيدة بطريف بن شمعون « القائم بدعوة الصغرية » (162) في برغواطة تبل تتلده زعاسة الحركة (163) ، غلما قام بثورته آزروه ووقفوا الى جانبه؛ لكنهم ما لبثوا أن انسحبوا من الحركة الصغرية حين نحى ميسرة عن زعامتها ، غانحازوا الى دعوة صالح بسن طــريــف ٠

وانتشر المذهب الصفرى ايضا في زناتة « فقد ضرب بنو يفرن فيه بسهم وانتحلوه » (164) ، كما أقبلت بعض بطونها في المغرب الادنى على اعتناقه وساهمت في حركات الصفرية بعد ذلك بصورة محدودة ٠

ولم يقتصر انتشاره على البربر وحدهم بل تعداهم الى العناصر الاخرى ، نبعض العرب المقيمين بانريقية دانوا بالمذهب الصفرى وقسد تسرب هؤلاء الى المغرب بصحبة الجيوش القادمة من المشرق ، حتبي ذاع عن بعض الولاة اعتناقهم هذا المذهب او على الأقل تعاطفهم منع معتنقيه (165) فقد اتهم يزيد بن أبي مسلم بأنه من الخوارج الصفرية (166)، وان كان لم يستطع الجهر بذلك خومًا وتقية حتى قيل بأنه « يعلسم الحسق ویکتهه » (167) ·

كما انتشر المذهب الصفرى بين جماعات الافارقة ، وهم اصلا مسن البربر الذين اختلطوا بالروم ودخلوا في خدمتهم واعتنقوا ديانتهم او من الاجانب المستوطنين الذين طال وجودهم في بلاد المغرب حتسى اصبحوا أفارقة (168) • وهؤلاء كان لهم نمط خاص في حياتهم باعتبارهم اكتسر تحضرا من سكان البلاد الأصليين وكانت لهم لهجتهم الخاصة التي لا يعرفها غيرهم (169) · وقد أقبلوا على اعتناق الاسلام رغبة منهم في الاحتفاظ بمكانتهم الاجتماعية المرموقة ، لكن الولاة الامويين الاواخر عاملوهم معاملة

\_ 49 \_ (4)

<sup>(162)</sup> ابن خلدون : ج 6 صفحـة 107 .

ديد ص جديد عن 224 ، نص جديد عن 163) Marcais, G : La Berberie Musulmane. P. 48.

<sup>(164)</sup> ابن خلدون : ج 7 مص 11 ،

Masqueray: Chronique d'Abou Zakaria. P. LxxIII

<sup>(165)</sup> ابن الاثير : الكامل ج 5 ص 70 ،

Le Tourneau : Op. Cit. P. 439.

<sup>(166)</sup> المبسرد: الكامل ج 3 مس 949 .

<sup>(167)</sup> ننس المصدر صنصة 968

<sup>(168)</sup> حسن محبود : انتشار الاسلام ج 1 ص 167 .

<sup>(169)</sup> البكسرى : المغرب صفصة 6 .

البربر ، غلما انتشر المذهب الصغرى بين بربر المغرب الاقصى لم يحجم الافارقة عن اعتناقه ، فقد تلقاه زعيمهم عبد الاعلى بن جريج عن عكرمة بالقيروان ثم نشره بين قومه (170) · وحسبنا دليلا على ذلك اشتراك الأغارقة في ثورة مسيرة سنة 121 ه ( 739 م ) وتقليده عبد الأعلى واليا من قبله على طنجة بعد متحها (171) .

والمتدت تعاليم الصفرية كذلك عن طريق أبى القاسم سمكو بسن واسول الى جماعات السودان القاطنين جنوبي الصحراء ، نمن المعروف أن قوافل التجارة بين بلاد المغرب وبلاد السودان كانت نمر عبر واحة تافيللت حيث اقام ابو القاسم واخذ يعمل على نشر المذهب الصفرى ، وكانت جماعات منهم تقطن هذه الواحة وتعمل في التجارة عبر الصحراء . وقد رحب هؤلاء بمبادىء الخوارج لما تنطوى عليه من مساواة دون اعتبار للعنصر او اللون ، ووجد أبو القاسم سمكو فيهم اتباعا مخلصين فالتفوا حوله واعتنقوا مذهبه ٠ واخذت جموعهم تفد وتستقر في اقليم تافللت بصغة دائمة بعد اعناقهم المذهب الصفرى ، وليس ادل على ذلك إنه ما أن شرع الصفرية في اتامة دولتهم بسجلماسة سنة 140 ه (757 م) حتى اختاروا أول ائمتهم من السودان وهو عيسى بن يزيد الاسود (172) ١٠

وهكذا تغلغل المذهب الصفرى في سائر أرجاء المغرب الاقصى وبعض نواحى افريقية والمغرب الادنى بين البربر والعرب والافارقة والسودان على السواء ولعل هذا الانتشار السريع وشموله كانة الاجناس والعناصر الموجودة ببلاد المغرب وتسربه حتى جنوبي افريقية هو الذي حدا بابن خلدون (173) الى القول بأن « الصفرية قد فشنت مقالتها في سائر القبائل بافريقية » « وصار لهم فيها عدد كثير وشوكة قوية » على حد قـول النسويسري (174) ٠

أما المذهب الاباضي فينسب الى عبد الله بن أباض المسرى

Fournel: Op. Cit. Vol. 2. P. 22.

<sup>(170)</sup> السلاوى: ج 1 صنصة 97.

 <sup>171)</sup> ابن عبد الحكم ص 293 ، ابن عدارى : ج 1 ص 52 .

<sup>(172)</sup> البكـرى : المغـرب ص 149 ،

<sup>(173)</sup> المبـر ج 4 من 189 · (174) نهايـة الأرب ج 22 ورتـة 150 ·

التميمى (175) ، وأن كان بعض مؤرخى الاباضية ينكرون ذلك (176) . ويجمع المؤرخون (177) على أن المذهب الاباضى ظهر ــ شانه شـان الصغرية والنجدات والأزارقة ــ سنة 64 ه (683 م) عندما خالف عبد الله أبن أباض نافع بن الازرق في تفكيره القعدة عـن القتال واتخذ بذلك موقفا معتـدلا .

والواقع أن الاعتدال هو السبة الواضحة لعقائد الاباضية ، أذ أنهم يحرمون دماء المسلمين وسبى ذراريهم وغنيمة أموالهم (178) ، كما أنهم اعتبروا دور مخالفيهم دار توحيد الا معسكر السلطان فانسه دار بغى (179) ، وأجازوا مناكحتهم وموارثتهم وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب ، وحرموا قتلهم وسبيهم فى السر غيلة الا بعد نصب القتال وأقامة الحجة (180) ، وقالوا فى مرتكبى الكبائر أنهم موحدون ، وأن كفروا كفر المنعمة لا كفر الملة ، وتوقفوا فى أطفال المشركين وجوزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام ، ولعل طابع الاعتدال فى عقائد الاباضية هذه هو ما جعلهم أقرب فرق الخوارج إلى أهل السنة (181) ،

والملاحظ ان الاباضية ــ كالصفرية ــ بداوا حركاتهم السياسية في وقت متأخر نقد خرج عبد الله بن اباض على مروان بن محمد (182) آخر خلفاء بنى أمية ، فوجه اليه عبد الله بن محمد بن عطية فقاتله بتبالة وهزمه وقتله (183) معنى هذا أن أبن أباض لم يقدم على الثورة على أثر أنفصاله عن نافع بن الازرق سنة 64 ه ( 683 م ) أنما آثر التريث حيست وجد في عصر مروان بن محمد الحافل بالاضطرابات فرصة مواتية للخروج لكن فشله وقتله دفع أتباعه إلى أتباع أسلوب العمل في الكتمان ونشر

<sup>(175)</sup> ابن تتيبة : المعارف من 622 ، ابن رسنة : الاعلاق النفيسة من 217 ، مجبول : قطمة من كتاب في الاديان والغرق ورقة 97 ــ مخطوط .

<sup>(176)</sup> انظر : أبو زكرياً ورقة 8 ، 11 ، 8 انظر : أبو زكرياً ورقة 8 ، 11 ، 8

<sup>(177)</sup> الطبرى : ج 6 من 320 ، البغدادى : من 105 ·

<sup>(178)</sup> السوق : شرح السؤالات ورقة 57 ... مخطوط ، أبو غانم الصغرى : مدونته ، ورقسة 43 ... مخطوط ·

<sup>(179)</sup> البغدادي : صفحـة 106 ،

<sup>(180)</sup> الاسفرائيني: التبصير في الدين ص 28 ،

<sup>- 122</sup> من 122 الملل والنحل من 122 -

<sup>(182)</sup> الرازى: اعتقادات فرق المسلمين من 51 .

<sup>(183)</sup> ننس المصدر والصحينة ، الشهرستاني : ص 121 ·

الدعوة في الاطراف ، في خراسان (184) وجنوبي الجزيرة العربية (185) والمغرب .

وكانت البصرة مركزا للدعوة ، ومنها كان الدعاة ــ الذين عرفوا بحملة العلم ــ يتوجهون الى الأمصار بعد تلقيهم أصول الدعوة على أيدى فقهاء المذهب وشيوخه ، والمعروف أن أنصار المسذهب بالبصرة كانسوا يمارسون مهامهم في طى السرية والكتمان ، فكانت مجالسهم في سراديب تحت الارض ، والمعانا في التخفى « كان يجلس أمام باب السرداب رجل يعمل القفاف وعلى فمه سلسلة يحركها أذا ما رأى شخصا مقبلا لينبه من بالداخل الى التزام الصمت ريثما يمر من يشتبه في أمره » (186) ، وغالبا ما كانت هذه المجالس تقام في بيوت النسوة العجائز منعا للشبهة (187) ، ما كانت هذه المجالس تقام في بيوت النسوة العجائز منعا للشبهة (187) ،

وتطلق المصادر الاباضية على هذه المجالس اسم « الحلقة » (189)·

<sup>(184)</sup> من دعاة الاباضية في خراسان محبوب بن الرحيسل وبشر بسن النير وهاشم بسن عيلان ، واذا كان الغموض يكتنف مصير هؤلاء الدعاة ، مالسذى لا شك نيسه أن جهودهم في نشر الدعوة بخراسان باءت بالنشل ، انظر : اطنيش : بعض تواريخ اهل وادى ميزاب من 115 .

<sup>(185)</sup> كذلك لا نعلم شيئا عن جهود دعاة الإباضية . وكانوا أربعة ... ( أطفيش : الابكان من جهود دعاة الإباضية . وكانوا أربعة ... ( المعرف ابا معرف أبا المعرف المختار بن عوف ... وكان يدعو لاجامة أبى عبد الله بن يحيى الكندى المعرف بطالب الحق ... نجع في جهبته ( المسعودي . : ج 3 من 257 ) . وكان دائب الصلة بجهاعة الاباضية في البصرة الذين أحدوه بالمشورة والنصائح السي جانب الاموال والسلاح ( مجهول : كشف الفهة ورقة 307 مخطوط ) وانتشرت الدعوة لطالسب الحق في عهان ، وخوطب بامير المؤمنين ، ثم دخل صنعاء ودانت له أعمالها ( ابن تعزى بردى : ج 1 من 309 ) .

كما تبكن أبو حبزة من دخول المدينة المنورة سنة 130 ه بعد هرب واليها الاموى الى الشمام ( الطبرى : ج 7 من 394) ، وبطش بمن خالفه من أهلها ( أبن الاثير : ج 5 من 140) ، وخطب على منبر جامعها لطالب الحق ( أنظر نص الخطاب في كتاب العقد المديد لابن عبد ربه من 144 سـ 147) ، وظل بها ثلاثة شهور غادرها بعدها الى بلاد الشمام لكن مروان بن محمد بعث تأنده محمد بن عطية السعدى على رأس جيش للقائه ، وتبكن محمد بن عطية من هزيمة أبى حمزة وتتله في معركة وادى القرى سنة 130 ه ( أبن الاثير : ج 5 ص 146) ، وواصل الجيش الاموى زحفه الى المدينة ، ومنها توجه الى اليهن حيث هزم طالب الحق وتتل الكثيرين من رجاله بناحية الطائف ، وقر بتية الخوارج الى خضر موت حيث تحصنوا بها .

<sup>(</sup> انظر : المسمودى : ج 3 ص 258 ، سرور : الحياة السياسيسة في الدولسة العربية ص 129 ) .

 <sup>124</sup> أبو زكريا : ورتة 5 ، الشباخى : السير مس 124 .

<sup>(187)</sup> الشباخي : ننس المصدر من 108 ، 109 .

<sup>(188)</sup> الدرجيني : طبقات الاباضية ج 1 ورقة 107 ــ مخطوط .

<sup>(189)</sup> من حلقات الإباضية في مصور متاخرة راجع : البرادي : الجواهر المنتقاة ورتــة 106 ـــ 112 ــ مخطوط ،

ولميها يتلقى الاتباع الاصول والفروع والسير (190) والتوحيد والشريعة وآراء الفرق الى جانب علوم اللغة والفلك والرياضيات (191) ، هذا فضلا عن تبصيرهم بغنون الحكم ، واساليب السياسة ، واعدادهم لتقلم المناصب والاضطلاع بأعبائها في مرحلة الظهور (192) · وبعد ذلك يرحلون الى الامصار يدعون للمذهب ثم يشرعون في « المجاهرة بالعمل » (193) اذا ما توافر لهم « ما يوجب به التولية عليهم من العدة والعدد من الــرحــال » (194) ·

ويرجع الفضل في تنظيم اسلوب الدعوة الاباضية الى جابر بن زيد الذي حظى بمنزلة عالية عند الاباضية حتى اعتبره بعضهم (195) اول الائمة · لكن الاجل لم يمتد به ليشهد نجاح جهوده ، مقد تــوفي سنــة 96 هـ (196) ( 725 م )وخلفه أحد تلاميذته ويدعى أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة (197) الذي قيل انه ظل يتلقى العلم اربعين عاما وبعدها نصب نفسه لتعليمه (198) ، ومن هنا كانت شهرته الواسعة بتعمقه في العلوم على اختلافها (199) . فكان ندا لاعلام المعتزلة كواصل بن عطاء ، وكان يحاورهم ويجادلهم (200) · وقد سجن زمن الحجاج ، وافرج عنه بعد موته ليتصدى لتنظيم جماعة الاباضية في البصرة خلفا لجابر بن زيد · وساعده في ذلك كبار اعوانه من المثال أبي نوح ، وأبي مسودود حاجب والربيع بن حبيب (201) وفي عهده ارتفع شأن الدعوة واثبتد ساعدها ، فقد تسنى له جمع الكثير من الاموال وتمكن من شراء الاسلحة ليستعيسن

<sup>(190)</sup> الدرجيني : المرجع السابق ورتــة 3 -

Masqueray: Op. Cit. P. IxL. (191) البرادى : المرجع السابق ورقة 106 ،

<sup>· 124</sup> أبو زكريا : ورتة 6 ، الشماشي : السير ص 124 ·

<sup>(193)</sup> ججهول : كشف الغمة ورقة 307 ــ مخطوط .

<sup>(194)</sup> أبو زكريا : السيرة ورقة 5 .

<sup>(195)</sup> الورجلاني : ج 2 ص 72 ، دبوز : ج 2 ص 138 ، 408 ، على يحيى معمـر : الاباضية صنصة 21 .

<sup>(196)</sup> اخطأ البرادي حين ذكر أنه توفي سنة 193 هـ ، راجع : الجواهر المنتقاة ورتة 79 . Masqueray: Op. Cit. P. 8

<sup>(197)</sup> الدرجيني : ج 1 ورقة 102 ،

<sup>(198)</sup> أطنيش : الامكان ص 113 ٠

<sup>(199)</sup> الشماخي : السير صنحة 83 .

<sup>(200)</sup> الدرجيني : ج 1 ورتــة 105 ·

<sup>(201)</sup> ننس المصدر ورتعة 107 ٠

بها دعاته في الولايات على « اقامة دين الله » (202) ·

وليس من شك في أن بلاد المغرب ظفرت من أبي عبيدة باهتمام كبير (203) ، أذ كانت ميدانا خصبا لنشر المذهب ، فبعث بداعيته سلمة أبن سعيد في بداية القرن الثاني الهجرى لنشر الدعوة الاباضية بين المغاربة . وتجمع مصادر الاباضية (204) على حماس سلمة الشديد في نشر المذهب حتى أنه « كان يتمنى ظهوره يوما واحدا ويموت في آخره » ويبدو أنه اتخذ من بلاد المغرب الادنى ميدانا لنشاطه حيث استطاع أن يكسب أنصارا في اقليم طرابلس وجبل نفوسة (205) ، ولم يمتد به الاجل طويلا أمل مجله أبو عبد الله محمد بن عبد الحميد بن مغيطر الذي تتلمذ على أبسى عبيدة بالبصرة (206) ، واشتهسر « بشسدة الشكيمسة وقسوة العريكة » (207) ، وفي أيامه تم انتشار المذهب بين بربر نفوسة في مستهل القرن الثاني الهجرى (208) . ومنذ ذلك الحين أصبح جبل نفوسة « دار القرن الثاني الهجرى (208) . ومنذ ذلك الحين أصبح جبل نفوسة « دار

وكان رسوخ قدم المذهب الاباضى في جبل نفوسة سببا في انتشاره

<sup>(202)</sup> الشماخى : السير ص 115 · وقد أورد الشماخى مثالا على ذلك نصه أنه « لمساخرج الامام عبد الله بن يحيى وأبو حمزة ، جمع لهما أموالا كثيرة يعينهما بها · وكتب على كل موسر من المسلمين قدر ما يرى ، فما أمتنع عليه أحد · ودعا أبا طاهر سوكان شيخا فاضلا س وقال له : عليك بالنساء وأوساط الناس ، فأنا أكسره أن نكتب عليهم ما لا يحملون · فأنطلق أبو طاهر فيمن انطلق معه من المسلمين الا فلم يأتوا أمرأة ولا رجلا الا وجدوه مسارعا فيما سالوه · · فلم يمس الليل حتى جمع أبو طاهر عشرة آلاف درهم · فأخبروا حاجبا ، فمعر بذلك قتال : أن في الناس لبقية بعد ، فأشترى بتلك الاموال سلاحا فوجهه ، ووجه ما بقسى » · أنظسر : السير صفحة 114 ·

<sup>(203)</sup> بالفت المصادر الاباضية في ايراد كثير من الاحاديث المصطنعة والاتوال المأشورة من كبار الصحابة في المضائل البربر ، وما سيتم على أيديهم من العودة بالاسلام الى اصوله الصحيحة ، وعلى الرغم مما يكتنف هذه الروايات من طابع أسطوري المها دلالاتها على مواتاة المروف بلاد المغرب لنشر دعوة الخوارج ، انظر : أبو زكريا ورتة 2 وما بعدها ، الدرجيني : ج 1 ورتة 7 وما بعدها ،

<sup>(204)</sup> ابو زكريا : ورقة 2 ، الشماخى : السير من 98 ، المسوق : شرح السؤالات ورقسة 147 .

<sup>(205)</sup> الدرجينــئ : ج 1 ورتــة 6 ·

<sup>(206)</sup> الوسياني : سبر أبي الربيع ورقة 80 ـــ مخطوط ، Lewcki : Etudes, Ibadites. P. 39.

<sup>(207)</sup> الشباخي : السير صنصة 144

<sup>(208)</sup> الوسيانى : ورتة 79 ، الدرجينى : ج 2 ورتة 140 ، ابن متديش : نزمة الانظار من 40 ، السلاوى : ج 1 من 123 ، (209) ابن حوتل : المسالك والمالك صفحة 68 ،

بين القبائل الاخرى مثل هوارة ولماية وزناتة وسدارته وزواغة ولواتة (210) أما مطماطة ، غلم تعتنق المذهب الا في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن ابسن رستم (211) ·

على كل حال ـ فان انتشار المذهب الاباضى على هذا النحو بين كثير من قبائل المغربسين الادنى والاوسط كان فى حاجة الى مزيد حسن التبصير بتعاليم المذهب واصوله الفقهية ، وحسب سلمة بن سعيد وابن مغيطر انهما كسبا الانصار وبثا الدعوة بين القبائل ، ولذلك تم اختيار ممثلين عن الجهات التى انتشر فيها المذهب للتوجه الى البصرة لمزيد من الدرس ، فاختير عاصم السدراتى من فرب الاوراس ، وأبو داود القبلى النفزاوى من نفسزاوه جنوبى المريقيسة ، واسماعيل بسن درار من غدامسس جنوبى طرابلس وانضم اليهم عبد الرحمن بن رستم من القيروان (212) ، وتوجه هؤلاء الذين عرفوا « بحملة العلم » الى البصرة حيث خلوا فى صحبة أبى عبيدة مسلم خمس سنوات (213) يتلقون العلم على يديه ويعدون العدة للظهور ويتعلمون أصول الحكم وفنونه ،

وجدير بالذكر أن أبا عبيدة أشار عليهم بأحد أتباعه من العرب ويدعى أبو الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى (214) ليتولى « أمامة الظهور » أذا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا · كما أعد اسماعيل بن درار الغدامسى لتولى القضاء ، فعلمه أصول الفقه والافتاء (215) · وأوصاهم بمداومة الاتصال به واستفتائه فيما يعن لهم من مسائسل وأخباره بنشاطهسم أولا بأول (216) ·

وعاد « حملة العلم » الى المغرب ، وواصلوا جهودهم فى تثبيت دعائم المذهب ولما اشتد ساعدهم عقدوا العزم على اعلان امامة الظهور

Biquet : Histoire de l'Afrique septentrionale. P. 41.

<sup>(210)</sup> ابن خلدون : ج 6 مس 120 ، 121 ،

<sup>(211)</sup> الجربــى : مؤنس الاحبــة صنحــة 46 .

<sup>(212)</sup> أبو زكريا : ورقة 5 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 9 ، الشماخى : السير ص 124 ، المغيش بعض تواريخ أهل وادى ميزاب ص 188 ·

<sup>(213)</sup> نفس المصادر والصحفات ، اطفيدش : كتاب الابكسان من 112 ، دبوز : ج 3 من 119 من 194 ه . فيكون رحيلهم من 194 ه . فيكون رحيلهم المي المبرة حدث سنة 135 ه . انظر : Lewcki : Etudes, P. 27.

<sup>(214)</sup> قيل انه كان من قواد المبند العربى بطرابلس انظر : حسن حسنى عبد الوهاب ورقات عن الحضارة العربية ج 1 ص 425 ·

<sup>(215)</sup> أبو زكرياً: ورقة 5 ، الشماخي : السير ص 124 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 10 .

<sup>(216)</sup> ابن ابى كريبة : رسالة في أحكام الزكاة ورتة 114 \_ مخطوط .

سنة 140 هـ ( 757 م ) ٠

هكذا اصبحت بلاد المغرب معتلا لنشاط الخوارج بعد انتشار المذهب الصفرى بين بربر المغرب الاقصى وبعض نواحى المغرب الاوسط والاباضى في المغربين الادنى والاوسط (217) . وبدأ الخوارج حقبة

(217) من المفيد أن نعرض لنظرية شائعة في تفسير انتشار مذهب الخسوارج في بسلاد المغرب ، تربط بين هذا المذهب وبين نجلة الدوناتية المسيحية ، وهدده النظريسة منسوبة الى المؤرخ جوتييه ، ونقلها عنه سائر مؤرخى المغرب الفرنسيين وبادىء ذى بدء نترر أن جوتييه لم يكن أول من قال بهذه الفكرة ، أنما سبقه اليها أميسل ماسكراى في مقدمته لكتاب السيرة لابي زكريا الذي صدر بالجزائر سنة 1878 م ٠ نهو التائل بسان « الخارجية كالدوناتية تعسد انتساما دينيا وليست زندتسة » وأن « مذهب المخوارج يشترك مع الدوناتية في التعبير عن روح الاستقلال عند البربر » واليه يعزى الفضل في الربط بين مذهب الخوارج في المغرب بشقيه الاباضي المعتدل والصغرى المتطرف وبين الدوناتية المعتدلة والسركونسليونية المتطرفة كذلك (Masqueray : Op. Cit. P. IxVIII, LxxII. انظىسر: وعلى هذه الخطوط نسم جوتييه نظريته تلك التي ضبنها كتابه عسن المفسرب في العصور الوسطى الذى صدر بباريس سنة 1927 . وأهم ملامع هذه النظرية ما يلى : 1 ساشتراك الخوارج والدوناتيين في عديد من الصفات كالصلابة والالتزام الصارم بالصول المعتيدة والتعلرف والزهد والتسليم بالغضاء والغدر والاستشهاد في سبيل 2 ... ينطلق مكر كل من المذهبين من معين واحد هو نزعة التدين الشديدة المطرية 3 \_ أن البربر اعتنتوا مذهب الخوارج \_ كما ذكر ابن خلدون \_ كسلاح يناوئون به الحكام ، وهو نفس ما حدث بالنسبة لاعتناقهم المذهب الدوناتي ، 4 \_ ومن ثم ، فالعامل الديني في كلتي الحركتين امر ثانوي بالقياس الى المفرى المسياسي والاجتماعي الذي يتمثل في تحتيق الديموتراطية كهدف سياسي والعدالة كمطلب اجتمساعسى 5 ــ وینتهی جوتییه ــ کما انتهی ماسکرای ــ الی آن مذهب الخوارج عند البربر المتداد للدوناتية « بعد أن خلعت لبوسها المسيحي لتتشيح بثياب اسلامية » ( راجع (Gautier: Le Siecles obscurs. P. P. 626, 63, 64. وانبرى جمهرة مؤرخى المغرب الفرنسيين للدناع عن هذه النظرية وتصدوا لدعمها . غبروننسال بركز في دعمه على توانق جوهر عقائد الخوارج والدوناتيين مع طبائس البربر وصفاتهم الغطرية (انظر P. 42. ا. Histoire de l'Espagne Musulmane Vol. ا. P. 42. وجورج مارسية يؤكد أن اعتناق البربر للمذهبين وسيلة لا غاية ، مكلاهما « أمسد البربر بالحامز الخلقى لتبرير ثورتهم على الحكام ، وكما هزت الدوناتية وحدة الكنيسة الانريتية ، كانت الخارجية عند البربر نوعا من الهرطقة القومية التي شكلت خطرا على مستقبل الاسلام في بلاد المغرب » ، راجسع .La Berberie Musulmane et l'Orient. P. 140 وفي ننس الاتجاه يمضي مرسيبه ميتول « ان عبارة لا حكم الا لله لها عند الخوارج - وكذلك

(Recherches sur la religion des Berberes. P. 331.

المغزى الاجتماعي للحركتين اذ أنهما « ما قامتا لمجرد خلاف في الرأى حول تفسير

اما باسیه میرکسز علی

الدوناتيين ـ دلالة على اعلان الحرب السياسية » .

للمتيدة ، بل لاشعال حرب اجتماعية تحت رايات دينية

Histoire de Constantine. P. 86

جديدة في تاريخ البلاد حيث عمت الثورات كافة ربوعها ، وهو ما سنفصله في الباب الثانيي .

ــ ويشاركــه جوليــان نفس الــراى نيقــول « ٠٠ وكمــا كــانت الــدوناتيــة وسيلة لوضع حدد لانتهازية الكاثوليسك ، وتحالف الحكام الرومان مع كبـــار الملاك ورجال الدين ، كان مذهب الخوارج في المغرب سلاح البربر في نضال هذه القوى ومظهرا من مظاهر متت الاجانب ، وتعبيرا عن السخط والحقد على السلطة

Histoire de L'Afrique du Nord. P. 328.

ومــن المنيـد أن نعـرف في ايجاز بحركــة الدوناتيـة في بلاد المغــرب ، وتتلخص في أن دونسات Donat استف نوميديسا رفض الاعتراف باختيار سيسيليان استنا لترطاجنة سنة 311 م ، وكان مبعث رنضه أن التساوسة Cicilianus الذين اختاروه لهذا المنصب كانوا من المشكوك في ولائهم للعقيدة بعد اقدامهم على تسليم الكتب الدينية والاواني المتدسة الى السلطة الامبراطورية على اثر اغتيال الامبر اطور ديكوليتيان Diocletien انظر: Diocletien وقد آزرت الكنيسة والسلطات الرومانية سيسيليان ، بينما ناصر البربر ــ وخاصة الطبقات الفقيرة منهم ـ دونات ضد أعدائه

(Bonet : L'Islamisme et le christianisme. P. 59).

ثم حدث انشقاق داخل الحزب الدوناتي ، فظل دونات على رأس المعتدلين بينها تزعم سيركونسليون جناح المتطرفين ونحا بالحركة منحى اجتماعيا فقام بالاغاره على الملاء الاغنياء والاستيلاء عليها تحقيقا لمبدأ العدالة والمساواة ، أنظر : • الماسي: تاريخ الجزائسر ج 1 ص 254 ، Bonet : Op. Cit. P. 60 ، 254 وقد تعرض هؤلاء وأولئك للاضطهاد الشديد طوال القرن الرابع الميلادي ، الامر

الذى جعلهم يقدمون على التعاون مع الواندال لغزو المريقية وتحريرهم من الكنيسة الارثوذكسية والسلطات الرومانية (بونيل : المالك الاسلامية ص 77 (Bonet : loc. cit, 77 ومع تسليمنا بوجاهة نظرية جوتييه الى حد كبير ، نعتقد أنها تنطوى على شيء من المبالغة حين يزعم صاحبها أن مذهب الخوارج امتداد للدوناتية •

وحسبنا أن البربر الذين ناصروا الدوناتية لم يبتد بهم الاجل \_ بداهة \_ للالتفاف حول دعاة المخوارج ، وما حدث لا يعدو أن يكون محض تشابه في ظروف بلاد المغرب السياسية والاجتماعية والدينية التى ظهرت ابانها حركتان متباعدتان لا تمت أى منهما للاخرى بصلة ، غاذا كانت الدوناتية ذات طابع مغربي صرف بمعنى أنها نشات في بلاد المغرب ، ونسجت من واقع ظروفه ، قان مذهب الخوارج ظهر في الشرق الاسلامي ثم وقد الى بلاد المغرب كسائر المذاهب الاسلامية الاخرى الامر الــذي ينغى وجود رباط مكرى مشترك كان ميه مذهب الخوارج متأثرا بعقائد الدوناتية . ومن ناحية اخرى ، مان ما ساقه جوتييه من حجج وقرائن دلل بها على هذه الصلة كصفات الاتدام والزهد والصلابة . . الغ انها هي صفات مميزة للبربر عموما في كل العصور وليست حكرا على معتنتى المذهبين فحسب

وكذلك التقابل بين جناحي المعتدلين وجناحي المنطرفين في كل من المذهبين نجد لـــه مثيلا في سائر المذاهب الدينية والسياسية .

ومع ذلك نظل للمقارنة بين الدوناتية والخارجية في المغرب دلالتها على أن الحركات الدينية أو المذهبية ليست مجرد خلامات عقائدية محسب انما تنطوى على دوامسع اجتماعية يلعب العامل الاقتصادى فيها دورا فعالا ومؤثرا .

## الباب الثاني

ثوراث الخوارج في بلاد المغرب في عصر السولاة انتهينا الى أن مذهب الخوارج بشقيه الصفرى والابساضى انتشر انتشرا واسعا فى بلاد المغرب حتى صار للخوارج « عدد كثير وشوكسة قوية » (1) · وقد سبق أن أوضحنا ما أوصى به رؤساء المذهب فى الشرق دعاتهم فى الغرب « بالظهور » بعد أتمام الدعوة أن استطاعوا إلى ذلك سبيلا · ومرحلة الظهور هذه تعنى « الثورة على أئمة الجور » (2) حسبما تعنيه مبادىء الخوارج وتحض عليه ، وأن اعتبرت تمردا « وتطأولا » (3) فى نظر الخلافة وعمالها فى بلاد المغرب ·

والواقع أن ظروف المغرب كانت مواتية لاندلاع ثورات الخوارج سنة 121 ه ( 739 م ) بعد تفاقم مشاكل البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية أبان ولاية عبيد الله بن الحبحاب ، فعلى الرغم مما عسرف به من دربة ودراية بفنون الحكم والسياسة (4) كانست سياسته في بلاد المغرب « سببا لانتفاض البلاد ووقوع الفتن العظيمة » كما ذكر أبن عذارى (5) ، ففى عهده احتدت الخصومات القبلية بين القيسية واليمنية ، ولما كان قيسيا ، فقد لاقى العرب اليمنية على يديم عنتا واضطهادا شديدا (6) ، وولى على طنجة وما والاها عمر بن عبد الله المرادى ، « فاساء السيرة وتعدى في الصدقات والقسم ، واراد أن يخمس البربر ، وزعم أنهم فيء المسلمين وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله » (7) كما عهد الى

Provencal : Loc. Cit. (273 م 273 ) البغدادي : من 273 م (2)

<sup>(3)</sup> ابن خلدون : العبر ج 6 مس 111 ، (3)

<sup>4)</sup> ذكر الرقيق عن عبد الله بن أبى حسان اليحصبى عن أبيه قال « رأيت عبيد الله بن الحبحاب يوما ينظر فى دفتر العطاء ، ويملى رسالة ، ويامر بحاجات فى ناحية أخرى ، ويأمر فى خلال ذلك بالحكم بين رجلين متنازعين » .
انظر : تاريخ افريقية والمغرب عن 107 .

<sup>(5)</sup> البيان المغرب ج 1 صنصة 52 ،

<sup>(6)</sup> ابن عبد الحكم : صنحـة 293 .

<sup>7)</sup> الرتياق : صنحاة 109 ،

ابنه اسماعيل بولاية السوس الأقصى ، فاستبد بالبربر هناك ، وكثر عبثه بنسائهم ، وجوره على أموالهم (8) . ولا شك أن ابن الحبحاب كان راضيا عن سيرة عماله ، فقد كان عليه أن يفى بوعوده للخليفة هشام بن عبد الملك بارسال المزيد من الاموال والسبايا (9) مما يجلبه هؤلاء العمال ولعل حرصه على ذلك يفسر عهده الى حبيب بن أبى عبيدة بقيادة حملة ضخمة جابت بلاد المغرب حتى اقصاها ، واصابت من السبى والذهب أمرا عظيما ، وبثت الرعب والفزع في تلك الانحاء (10) ،

وقد اتخذ ابن الحبحاب من البربر اداة لخدمة اطماعت خارج بلاد المغرب غرمى بهم فى الحملات التى انفذها الى سردينية وصقلية (11) ، الامر الذى زاد فى كراهيتهم للحكم العربى وتصميمهم على الثورة وقصما على ذلك غياب معظم الجيش العربى الافريقى خارج البلاد فسى الحملة التى قادها حبيب بن أبى عبيدة على صقلية سنة 121 هالحملة التى قادها حبيب بن أبى عبيدة على صقلية سناكم (13) ، وانشغال الخلافة الاموية اذ ذاك بمشاكل الحكم (13)، وبعد بلاد المغرب الاقصى عن مقر الولاية بالقيروان ، لذلك كانت الظروف مواتية تماما لبربر المغرب الاقصى الذين اعتنقوا المذهب الصفرى لاعلان الثورة « والظهور » وهو ما عبر عنه ابن خلدون (14) بقوله « . . ان الخارجية حين رسخت فى البربر عروق من غرائسها تطاول البربر الى الفتك بأمر العرب » .

<sup>(8)</sup> ابن خلدون : العبر ج 6 ص 240 ،

<sup>(9)</sup> ابن عذاری : ج 1 ص 53 ·

<sup>(10)</sup> الرتيــق : صنحــة 108 ،

<sup>(11)</sup> نفس المصدر من 109 ، ابن الاثير : ج 5 من 69 .

<sup>(12)</sup> الرتيق : صنحـة 109 .

<sup>(13)</sup> الحبيدى : جذوة المتبس صفحسة 8 .

<sup>(14)</sup> العبر : ج 6 صفحـة 111 ·

## ثوراث الخوارج الصفرية

انتهينا الى أن المذهب الصغرى انتشر بين قبائل المغرب الاقصى كمطغرة ومكناسة وزناتة وبرغواطة وعنصرى الافارقة والسودان كما المتد نفوذه الى بعض جهات المغربين الادنسى والاوسط — وان كسانت السيادة فيها للهذهب الاباضى عن طريق القبائل البدوية دائمة الترحال مثل هوارة وزناتة ، ونظرا لمواتاة ظروف الخوارج فى المغرب الاقصى لقيام الثورة ، ولغلبة المذهب الصغرى وسيادته بين قبائله ، كان الخسوارج الصغرية سباتين الى تخطى مرحلة الدعوة الى « مرحلة الظهور » واعلان الثورة (15) بينما شغل الاباضية اذ ذاك باتمام نشر المذهب وتفقيسه معتنقيه وارسال بعوثهم الى البصرة للاعداد لمرحلة الثورة ، وعلى ذلك معتنقيه وارسال بعوثهم الى البصرة للاعداد لمرحلة الثورة ، وعلى ذلك فلا محل لتصديق الرواية المتواترة (16) القائلة بانضواء خوارج المغرب أباضية وصفرية تحت لواء ميسرة المطغرى فى ثورة عام 121 ه ، فتلك بلا شلك كانت ثورة صفرية خالصة ،

والروايات تختلف حول اصل ميسرة قائسد الشورة ، متسذهب

<sup>(15)</sup> ينفرد ابن خلدون برواية تنص على اغتيال الخوارج ليزيد بن ابي مسلم سنة 103 هـ والواقع انه قتل نتيجة للخصومات بين التيسية واليمنية وليس على يد الخوارج ، قلم يكونوا قد قاموا بعد بثوراتهم على ولاة القيروان ، انظر : العبر ج 6 صفحة 108 .

<sup>(16)</sup> انظر : اخبار مجموعة صنعة 28 .

بعضها (17) الى انه من اصل عربى وتنسبه الى تبيلة الازد ، بينها تؤكد الأخرى (18) — وهى الارجح — انتهاءه الى تبيلة مطغرة من البربر . كما اختلفت ايضا حول كنيته ، فتيل ميسرة الحقير (19) أو الخفير (20) وقيل الفقير (21) ، ويخيل الينا أن ذلك مسن نسسج خصومه تحقيرا لشانه ، أو لما عرف عن اشتغاله بالسقاية في سوق القيروان (22) ، والذي لا شك فيه أن ميسرة كان سيد قومه وشيخ قبيلته ، فابسن خلدون (23) — العالم بأنساب البربر — يدعسوه « رئيس مطغرة » والسلاوى (24) يصفه بأنه « مقدم الصغرية » ، وما اشتغاله بالسقاية الا بقصد التستر والتمويه على الخصوم حينما كان يتلقى أصول المذهب الصغرى على عركة مولى ابن عباس في القيروان ، ولما تتيحه مهنة السقاية من سهولة الاتصال بالاتباع والانصار دون اثارة لشكوك الخصوم المسقاية من سهولة الاتصال بالاتباع والانصار دون اثارة لشكوك الخصوم المسقاية من سهولة الاتصال بالاتباع والانصار دون اثارة لشكوك الخصوم المسقاية من سهولة الاتصال بالاتباع والانصار دون اثارة لشكوك الخصوم المسقاية من سهولة الاتصال بالاتباع والانصار دون اثارة لشكوك الخصوم المسقاية من سهولة الاتصال بالاتباع والانصار دون اثارة لشكوك الخصوم المسقاية من سهولة الاتصال بالاتباع والانصار دون اثارة لشكوك الخصوم المسقاية من سهولة الاتصال بالاتباع والانصار دون اثارة لشكوك الخصوم المسقاية من سهولة الاتصال بالاتباع والانصار دون اثارة لشكوك الخصوم المستورة ال

وقد سبق التعريف بدور ميسرة في نشر المذهب الصغرى بين تبيلته مطغرة ، ويبدو أن دعاة المذهب في المغرب أجمعوا على زعامته بعد موت عكرمة مولى أبن عباس ، غتخبرنا المراجع أن مكناسة آزرته واشتركت في ثورته (25) ، كما أنضوى الافارقة بزعامة عبد الاعلى بن جريح تحت لوائه (26) ، وكذلك فعلت برغواطة وزعيمها طريف (27) ، وقد أتخسذ ميسرة من أبنه صالح ناصحا ومشيرا (28) ، وهكذا تسنى له توحيد التبائل الصغرية في كافة ربوع المغرب الاقصى تحت زعامته (29) ،

ويخبرنا الطبرى (30) أن ميسرة تزعم وغدا من البربر رحل به الى الشام ليشكو للخليفة هشام بن عبد الملك جور عمالسه ، وأن جوهسر

Gautier: Op. Cit. P. 292

<sup>(17)</sup> ابن تعزی بردی : ج 1 می 289 ، الطاهر الزاوی : تاریخ الفتح العربی لمسیی لیبیسا مضحسة 125 ·

<sup>· 109</sup> ابن عبد الحكم : من 293 ، الرتيق : من 109

<sup>(19)</sup> ابــن عذاری : ج 1 صنحــة 52 ·

<sup>(20)</sup> دبـوز: المفـرب الكبيـر .

<sup>(21)</sup> ابن عبد الحكم : منحة 293

<sup>(22)</sup> ابــن التوطيــة : منتحــة 40

<sup>(23)</sup> العبار ج 6 منحلة 150 ·

<sup>(24)</sup> الاستقصاع 1 سنصة 97

<sup>(25)</sup> ابن خلدون : العبر ج 6 من 130 ،

 $<sup>\</sup>cdot$  52  $\cdot$  1  $\cdot$  1  $\cdot$  1  $\cdot$  1  $\cdot$  1  $\cdot$  293  $\cdot$  1  $\cdot$  1  $\cdot$  1  $\cdot$  26  $\cdot$  1  $\cdot$  1  $\cdot$  27  $\cdot$  1  $\cdot$  29  $\cdot$  1  $\cdot$  20  $\cdot$  1  $\cdot$  20  $\cdot$  20

<sup>(27)</sup> ابن خلدون : المبر ج 6 من 207 ، 375.

<sup>(28)</sup> ابن الخطيب اعمال الإعلام ج 3 ص 181

<sup>(29)</sup> ابن الاثير: ج 5 من 70 ، حسن محبود ، تيام دولة المرابطين من 14 ·

<sup>(30)</sup> تأريخ الرسل والملوك ج 4 من 224 ، علموزن : تاريخ الدولة العربية من 331 .

الشكوى يكمن في حرمانهم من غنائم الحروب التي خاضوها في حمسلات ابن الحبحاب رغم حسن بلائهم ، وحيف عماله بهم بنهب اموالهم وسبى بناتهم . ونعتقد ان الهدف الحقيقي هو الوقوف علسي مسؤولية الخلافة عن سياسة عمالها في المغرب واخذ الحجة عليها تبريرا لقيامهم بالثورة حسبما ينص عليه مبدأ الخوارج في « الثورة على ائمة الجور » (31) وهو ما ذكره الطبري بأن الجماعة ارادت أن تعرف « اعن رأى أمير المؤمنين هذا أم لا » . على كل حال ، حيل بين الوفد وبين لقاء الخليفة ، وادرك ميسرة وجماعته أن الخلافة متواطئة مع عمالها فيما يحدث بالمغرب مسن ظلم وجور ، وعقدوا العزم على الثورة .

بويع ميسرة بالامامة على اثر عودته (32) وزحف بجموع الصفرية الى طنجة ففتحها وقتل عاملها عمر بن عبيد الله المرادى (33) ، وعين عبد الاعلى بن جريج الافريقى واليا عليها (34) ، واتجه بعد ذلك الى السوس فدانت له بعد ان قتل اسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب (35) وتمت له السيطرة على المغرب الاقصى واقتطاعه عن نفوذ القيروان بعد وقائع صغيرة بلغت من الكثرة ما جعل المؤرخون يعزفون عن سردها ، وقد وصفها ابن عذارى (36) بانها « وقائع يطول ذكرها » ، ومما سهل من مهمته ان القبائل الموالية له كفته مئونة افتتاح سائر اجزاء البلاد « فهب على من يليهم ، فقتلوا وطردوا » (37) ، بينما اتجه بنفسه الى مقر الولاية في افريقية (38) ،

وقد بادر ابن الحبحاب بمواجهة خطر الصفرية ، فبعث بما لديه من

<sup>· (31)</sup> البغدادى : صدحة 31)

<sup>(32)</sup> ابن عبد الحكم : ص 293 ، اخبار سجموعة ص 28 .

ورد عند بعض المؤرخين أن البيعة تمت بعد تيام الثورة ، عابن الاثير ذكر أن ميسرة بويع بالامامة بعد الاستيلاء على طنجة وقد أخذ عنه الانصارى روايته ، أما الدكتور مؤنس غذكر أنه بويع بعد انتصاره على جيش خالد الفهرى ، انظر : الكامل ج 5 من من 70 ، المنهل العذب من 59 ، ثورات البربر في المريتية والاندلس من 169 .

<sup>(33)</sup> الرتياق صفحاة 109

<sup>(34)</sup> ابن عداری : ج 2 صنحة 52

<sup>(35)</sup> نفس المصدر والصحيفية ،

<sup>(36)</sup> البيان المغرب ج 1 صنصة 52 .

<sup>(37)</sup> أخبسار مجموعـة صفحـة 29

<sup>(38)</sup> نفس المصدر والصحيفة ،

جند بقيادة خالد بن ابى حبيب الفهرى (39) ليحول دون وصول ميسرة الى القيروان · كما اسرع فى استدعاء حبيب بن ابى عبيدة وجيشه الذى كان قد انفذه الى صقلية (40) وامره بالتوجه فى اثر خالد بن ابى حبيب · وعبر خالد بجيشه وادى شلف ـ وهو نهر بمقربة تاهرت ـ والتقى بميسرة على مقربة من طنجة ، اما جيش صقلية الذى وصل على الاثر مقد رابط عند مجاز النهر (41) ·

واقتتل خالد وميسرة قتالا شديدا ، انصرف بعده ميسرة السى طنجة (42) ، والراجح أنه هزم فى تلك المعركة ، والا فما الداعى لانسحابه ولجوئه الى الدفاع بعد الهجوم (43) ؟ لعل ذلك كسان سببا فى تنحيت عن القيادة واختيار الصفرية خالد بن حميد الزناتى ليحل محله (44) .

على كل حال ـ لجأ خالد الزناتي الى الحيلة ، نقسم جيشه قسمين واجه احدهما جيش خالد الفهرى بينها قام الآخر بحركة التفاف من خلفه ليعوق اتصاله بجيش حبيب بن أبي عبيدة المرابط عند مجاز وادى شلف (45) ، وليحول بين جيش خالمد الفهرى وبين الهسرب . وبذلك وقع جيش الفهرى في « كمين البربر » كما ذكر ابن الاثير (46) وكانت النتيجة أن قضى عليه برمته قضاء مبرما (47) · وقتل في المعركة « حماة العرب وفرسانها وكماتها وابطالها » فسميت من ثم « معركة الاشراف » (48) ·

**(5) —** 65 **—** 

<sup>(39)</sup> ابن عبد الحكم : من 293 ، ابن عذارى : ج 1 من 54 ، أما ابن الآثير فيسميه خالد ابن حبيب الفهرى · انظر : الكامل ج 5 من 69 · وعند السلاوى خالد بن حميد الفهرى انظر : الاستقصا ج 1 من 97 ·

<sup>(40)</sup> الرتيق : صنحية 109

<sup>(41)</sup> ابن عذارى : ج 1 مس 54 ، ابن الاثير : ج 5 مس 69 .

<sup>(42)</sup> نفس المصدرين والصفحتين

<sup>(43)</sup> نخالف بذلك أبن عبد الحكم الذى ذكر أن مسيرة انتصر في هذه المعركة ثم اقصى عن القيالاة التي تولاها عبد الملك بن قطن المحاربي ، ومما ينهض على خطأ تلك الرواية من اسماسها أن عبد الملك بن قطن كان من ولاة الاندلس وليس من ثوار الخوارج انظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص 294 ، ابن عذارى : ج 1 ص 55 .

<sup>(44)</sup> ابن عذارى : ج 1 من 54 ، ابن الاثير ج 5 من 69 .

<sup>(45)</sup> الرقيق: من 110 ، ابن عذاى : ج 1 من 54 .

<sup>(46)</sup> الكاسل ج 5 صنصة 69

<sup>(47)</sup> الرتيق من 111 ، ابن عبد الحكم : من 294 ، ابن عذارى : ج 1 من 54 ، ابن الاثير : ج 5 من 69 .

<sup>(48)</sup> نفس المسادر والصفحات ، النويرى : ج 22 ورقة 15 .

اما حبيب بن أبى عبيدة فقد لاذ بتلمسان حيث علم بتواطؤ واليهسا موسى بن أبى خالد مع الصفرية ، فعاتبه بقطع أطرافه (49) ·

واسفرت هزيمة الاشراف عن تمرد العرب بالقيروان على واليها عبيد الله بن الحبحاب وتنحيته عن الولاية (50) · وصادف ذلك هوى فى نفس الخليفة هشام بن عبد الملك فبعث فى استدعائه ، فقفل اليه فى جمادى الاولى من نعام 123 ه (741 م) (51) ·

وقد غضب الخليفة (52) لما حل بالعرب في موقعة الاشراف ، فبعث جيشا ضخما بقيادة كلثوم بن عياض القشيرى (53) الى المغرب وجعله على ولاية افريقية (54) · كما عهد الى بلج بن بشر بالامر من بعده ، فان قتل تولاه ثعلبة بن سلامة العاملي (55) · وبلغ جيش كلثوم ثلاثين الفا من أهل الشام ومصر — عشرة آلاف من بنسى أمية وعشرون الفسا من بيوتات (56) العرب — فضلا عمن انضم اليسه من المتطوعة وجنسد افريقية وعدتهم اربعين الفا (57) · وامده بالادلاء والمرشدين من أمثال مغيث مولى الوليد بن عبد الملك وهرون القرني لخبرتهما بمسالك المغرب وطبائع البربر (58) · كما أتاح له سلطات واسعة وحرية في العمل بما يتناسب وجسامة ما عهد اليه من مهمة استرداد نفوذ الخلافة « فأباح له الاباحات ووضع له الاطوياء » (59) ·

<sup>(49)</sup> ابن عبد الحكم : صفحة 294 .

<sup>(50)</sup> ابن عذاری : ج 1 صنصة 55 .

<sup>(51)</sup> الرقيق : ص 11 ، ابن عبد الحكم : ص 294 .

<sup>(52)</sup> عبر الخليفة عن غضبه بقوله : « ٠٠ والله لاغضبن لهم غضبة عربية ، ولابعثن لهم جيشا أوله عندهم وآخره عندى ، ثم لا تركت حصن بربرى الا جملت الى جانبه خيمسة تيسى أو يمنى » انظر : الرقيق : ص 111 ،

<sup>(53)</sup> اخبار مجموعة من 30 ، ابن التوطية : من 41 ، ويسميه ابن عبد الحكم كلثوم بن عياض القيسى ، وكذلك ابن القوطية ، أما غلهوزن غيرى انه كلثوم بن عياض القسرى انظر : غتوح مصر والمغرب من 294 ، تاريخ المتتاح الاندلس من 40 ، تاريخ الدولة العربية صفحة 332 .

<sup>:</sup> عبد اليه بالولاية : بن بشير هو الذي عبد اليه بالولاية : History : of the Moorish Empirein Europe. Vol. I. P. 313.

<sup>(55)</sup> اخبار مجموعة ص 30 ، ابن التوطية ص 41 .

<sup>(56)</sup> ابن القوطية : صفحة 41 .

<sup>، 19</sup> من 4 بالتسرى : ج 4 من 19 بالتسلاوى : بالتسلوم : بالتسلوم

<sup>(58)</sup> أخبار مجموعة صنحة 31 .

<sup>(59)</sup> نفس المصدر والصحيفة .

وبالرغم من ذلك كله ، كانت عوامل الضعف في جيش كلثوم تنذر بالغشل والهزيمة ، فقد افتقر الى النظام والالفة بين عناصره من قيسية ويمنية ومتطوعة وأموية (60) ، وكانت قيادته للقيسية (61) ، كما كان قائده طاعنا في السن قليل الهيبة ، في حين كان بلج بن بشر مقدم الخيل صلفا (62) ، فثارت الخصومات القبلية وتصدع الجيش العربي قبل التقائم بالثوار من البربر الصفرية ، واحتدم الصراع بين كلثوم وحبيب ابن أبي عبيدة شبيخ اليمنية بالمغرب ، ولم يتصالحا الا على مضض حين اتوجها لقتال الصغرية (63) بقيادة خالد بن حميد الزناتي (64) عند وادي نهر سبو (65) في موضع يقال له بقدورة (66) ،

غلم يلبث الخلاف ان دب بينهما حول اسلوب القتال ، اذ اعرض كلثوم عن مشورة حبيب بن أبى عبيدة بمقاتلة الصفرية « الرجالة بالرجالة والخيل بالخيل » (67) . كما اهمل بلج بن بشر نصيحة هرون القرنى ومغيث باحتماء الرجالة وراء الخنادق والكراديس في الوقت الذي يلتف فيه الخيالة خلف صفوف الصفرية لمهاجمة قسراهم وذراريهم ، واصر على النزال وجها لوجه استهانة بهم لقلة ما لديهم مسن

<sup>(60)</sup> الباجى المسعودى : الخلاصة النتية ص 14 ·

<sup>(61)</sup> اخبار مجموعة صنحة 36 ·

<sup>(62)</sup> الرتيق من 112 ، ابن عذارى : ج 1 من 56 ، ابن الاثير : ج 5 من 70 ·

<sup>(63)</sup> اشتط كلثوم وبلج سوهما من القيسية سفى معاملة عرب المغرب من اليمنية وزعيمهم اذ ذاك حبيب بن ابى عبيدة ، فقد انف كلثوم النزول بالقيروان ونزل فى بلدة سبيبة على مقربة منها ، وأمر أهل القيروان باخلاء منازلهم لجنده ، فاستجاروا بحبيب بن أبى عبيدة وكان بتلمسان ، فبعث الى كلثوم يامره بالرحيل عن البلاد ، فاعتذر لسه كلثوم عن مسلكه وتوجه اليه بتلمسان ليشتركوا جميعا فى قتال الصفرية ، وهنساك ثارت الخلافات من جديد لصلف بلج واستعلائه فى معاملة حبيب ، وكادت الحسرب أن تنشب بين الطرفين ، وقد ذكر ابن خلدون انهما اقتتلا بالفعل ثم اصطلحا علسى مفسيض ،

انظر : الرقيق : من 112 ؛ ابن عبد الحكم : ص 295 ، ابن خلدون ج 4 ص 189. (64) اختلفت الروايات حول قائد الصغرية آنذاك غابن القوطية ذكر أن القيادة كانت لميسرة وخالد بن حميد معا ، وصاحب أخبار مجموعة ذهب الى أنها كانت لميسرة وحده ، وكذلك ابن عبد الحكم ، لكننا نرجح رواية الرقيق لان ميسرة كان قد نحى عن الزعامة كما سبق أن أشرنا ،

انظر : ابن القوطية : من 41 ، أخبار مجبوعة من 32 ، ابن عبد الحكم : من 29 الرقيق : من 114 ، ابن عذارى : ج 1 من 57 ،

<sup>(65)</sup> ابن عذاری : ج 1 صنصسة 57 ·

<sup>(66)</sup> اخبار مجموعة من 32 ° وقد وردت عن ابن التوطية « نقدرة » . انظر : تاريخ اغتتاح الانسدلس صفحة 41 °

<sup>· 70</sup> ابن عبد الحكم : من 295 ، ابن الاثير : خ 5 من 70 ·

سلاح (68) هذا فى الوقت الذى بلغ فيه حماس الصفرية ذروته ، فبرزوا ، عراة متجردين ليس عليهم الا السراويلات (69) واقتدوا بخوارج المشرق فحلقوا رؤوسهم وتعالت أصواتهم بالتحكيم اذكاء للحماس (70) .

وامر كلثوم بلجا باقتحام صفوف الصفرية بخيله ايمانا بقدرتها على احراز النصر . لكن خاب ظنه حين رماها الصفرية « بالاوضاف » (77) وهي الجلود اليابسة فيها الحجارة (72) . كذلك عمد الصفرية الى « الرمك الصعبة فعلقوا في اذنابها القرب والانطاع اليابسة ، ثم وجهوها نحو عسكر كلثوم » ، فكانت خيله تنفر وتلوذ بالفرار (73) وهكذا شل الصفرية تفوق العرب بما لديهم من خيل وأحبطوا آمالهم في احراز النصر (74) . وعبثا حاول كلثوم اقناع حبيب بن أبي عبيدة بتولى القيادة استنقاذا للموقف ، فقد أبى حبيب لتيقنه من حلول الهزيمة بالعرب (75) . وحاول بلج بن بشر أن يكسر صفوف البربر بخيله مرة أخرى ، ونجح بالفعل ، لكن الصفرية تمكنوا من الالتفات حوله وعزله عن الجيش العربي ثم فتكسوا بغالب خيلسه وفرسانه (76) . واختلط الجيشان في معركة رجالة (77) كان الصفرية فيها اكثر عددا (78) واشد مراسا واستبسالا وحلت الهزيمة بالجيش العربي بعد قتل كلثوم وحبيب بن أبي عبيدة (79) . أما بلج فقد تمكن من الفرار

<sup>(68)</sup> أخبار مجموعـة صفحـة 32

<sup>(69)</sup> ابن عبد الحكم : صفحة 295 .

<sup>(70)</sup> اخبار مجبوعـة : صنحـة 32 .

<sup>(71)</sup> ابن عبـد الحكم : صنحـة 295

<sup>(72)</sup> اخبار مجبوعة صفحة 33

<sup>(73)</sup> نفس المصدر والصحيفة ، وقد ذكر كونديه أن الخيول العربية لم تستطيع الصبود لحرارة الشبس . لحرارة الشبس . History of the dominion of the Arabs in Spain. Vol. I. P. 120.

<sup>(74)</sup> ابن عذّاري : ج 1 مي 57

<sup>(75)</sup> ابن عبد الكم: ص 296

<sup>(76)</sup> ابــن عذاری : ج 1 صنحــة 57

<sup>(77)</sup> نفس المصدر والصحيفسة ،

<sup>(78)</sup> اخبار مجبوعـة صفحـة 32 ٠

<sup>(79)</sup> الحبيدى : جذوة المتبس م 199 .
وقد اخطأ المترى حين زعم أن كلثوما لم يتتل فى المعركة أنما أصيب بجراح ولاذ بالمرب النظر : نفع الطيب ج 4 من 19 .

Scott : Op. Cit. P. 313.

نحو طنجة على رأس عشرة آلاف من جنده (80) . وعادت غلول الجيش المهزوم الى المريقية في نحو عشرة آلاف كذلك . وهكذا أسفرت معركة بقدورة سنة 123 هـ (81) ( 741 م ) عن انتصار الصفرية (82) على جيش كلثوم الذى آل مصيره الى « ثلث مقتول وثلث منهزم وثلث مأسور » على حد قول صاحب الاخبار المجموعة (83) .

تهت للصفرية بعد بقدورة السيطرة على بلاد المغرب الاقصى . وكان من الطبيعى أن يمتد نشاطهم الى المغربين الاوسط والادنى . ولما كسان هدفهم الاستيلاء على القيروان مقر الولاية ، غدت بلاد المريقية واقليم الزاب بوجه خاص ميدانا لنشاطهم .

وتزعم هذه المرحلة عكاشة بن أيوب النفزاوى وعبد الواحد بن يزيد الهوارى (84). وهذا يعنى أن قبيلتى نفزة وهوارة بالمغربين الادنى والاوسط لعبتا دورا أساسيا في هذا الصدد مستعينتان بزناتة . لقد تخلت زنائتة لعبتا كانت قد انتزعت زعامة الثورة من مطغرة عن صدارتها لنشاط الصفرية في المغرب الاوسط ، ولم تسهم بطونها الضاربة بالمغرب الاقصى برئاسة خالد بن حميد في الثورة بالمريقية بعد أن تمت لمه السيطرة على المغرب الاقصى . انها لعبت قبائلها بالمغرب الاوسط دورا قليل الاهمية في هذا الصدد الى جانب قبيلتى نفرة وهوارة ذات النفوذ والغلبة في المريقية.

ومهما كان الامر مقد تولى قيادة ثورات الخوارج الصفرية ابتداء بميسرة شخصيات من البربر بترا وبرانسا ، مهوارة من بطون البرانس(85).

<sup>(80)</sup> حيل بين بلج وبين دخول طنجة فاعتصم بسبتة وتحصن بها . وفثهلت جيوش الصغرية في الظفر به ، فشددوا عليه الحصار واحرةوا الزروع حول المدينة ليموت وجيشه جوعا . فكتب بلج الى والى الاندلس لائذا به ، فتبل بعد أن اشترط عليه تتديسم الرهائن ، ومفادرة الاندلس بعد انقضاء عام يتاتل خلاله الى جانبه في تمع ثورات البربر بالاندلس .

<sup>180</sup> نظر : أخبار مجبوعة من 35 ، ابن خلدون : ج 4 من 95 ، الحبيدى : من 18 ابن عذارى : ج 1 من 18 ، المترى : ننح الطيب ج 4 من 19 ، Scott : Op. Cit. P. 313.

<sup>(81)</sup> أخطأ الطبرى حين ذكر أن الممركة وتعت سنة 121 ه ، انظر : تاريخ الرسل والملوك ج 7 منعــة 191 .

<sup>(82)</sup> ابن القوطية من 41 ، ابن الاثير : ج 5 من 71 ، النويري : ج 22 ورتة 15 .

<sup>(83)</sup> مجهول : أخبار مجموعة من 34 ،

<sup>(84)</sup> ابن عبد الحكم : ص 294 ، ابن الاثير : ج 5 ص 70 ، وقد شدَ ابن خلدون عـن جبهرة المؤرخين حين اعتبر عبد الواحد الهوارى اباضيا ، انظر : العبر ج 6 ص 124 ،

<sup>(85)</sup> ابن خلدون : العبر ج 6 من 139 ، السلاوى : ج 1 من 101 ،

بينما تنتمى زناتة الى البتر (86) وفى تعاونهما معا رغم ما كان بين البتر والبرانس من عداء وصراع ما يدل على تغلب العامل المذهبى على النعرات العصبية والخلافات التبلية التقليدية ، وما يدل ايضا على التعاون والترابط بين حركات الصفرية فى بلاد المغرب .

ففى الوقت الذى زحف فيه كلثوم بجيوشه لمواجهة صفرية المغرب الاقصى . قام عكاشمة وعبد الواحد بالاستيلاء على قابس بعد ضربها بالمجانيق (87) . كما استمد عكاشمة العون من صفرية زناتة بالمغسرب الاوسط ، ونجح بفضلهم في حصار سوق سبرت واقصاء عامل كلثوم عنها (88) . وكان من المتوقع أن يلتقى صفرية هوارة بقيادة عكاشمة وصفرية زناتة تحت زعامة اخيه لمحاصرة القيروان ، لكن المحاولة احبطت حين تمكن صفوان بن مالك عامل طرابلس من تبديد الجيش الزناتي والحيلولة دون انضمامه الى صفرية هوارة (89) . وشجع ذلك مسلمة بن سوادة الذى اسند اليه كلثوم بن عياض قيادة جيش القيروان على الخروج لقتال عكاشمة، لكنه هزم وعاد من حيث أتى (90) . مثار عليه جنده وعقدوا اللواء لسعيد بن بجرة الغساني الذي آثر الاعتصام بالقيراوان (91) ولم يغادروها الا لمهاجمة قابس بالاتفاق مع عامل طرابلس . وفوت عكاشية الفرصة عليهما ٤ فترك قابس ويهم وجهه شطر القيروان بعد خروج سعيد بن بجرة منها 6 لكنه مني بالهزيمة على يد أمير صلاتها عبد الرحمن بن عقبة الغفاري (92)، وقتل كثيرون من رجاله وتفرق من بقى منهم (93)، فهرب بنفسه لائذا بالصحراء سنة 124 ه (94) ( 742 م ) .

وفى الوقت الذى حاول فيه عكاشة وعبد الواحد تنظيم الصفرية فى القليم الزاب والاستعانة بصفرية زناتة بزعامة أبى قرة (95) ، وصل حنظلة

<sup>· 294</sup> من عبد الحكم : ص 86)

<sup>(87)</sup> ننس المصدر: من 294

<sup>(88)</sup> نفس المصدر والصحيفة .

<sup>(89)</sup> نفس المصدر والصحيفة ،

<sup>(90)</sup> ابــن الاثيــر: ج 5 صفحــة 70

 <sup>(91)</sup> ابن عبد الحكم : صنحة 295

<sup>(92)</sup> نفس المصدر : صفحة 298

<sup>(93)</sup> الرقيق : من 114 ، النويرى : ج 22 ورقة 15 .

<sup>(94)</sup> ابـن الاثيـر : ج 5 صنحـة 70 ·

<sup>(95)</sup> الرتيق : ص 115 ، ابن عبد الحكم ص 298 ، وقد آلت اليه زعامة صغرية المخربين الاوسط والاتصى بعد خالد الزناتى . انظر : ابن خلسدون ج 7 صفحت 12 .

ابن صغوان الى القيروان على راس ثلاثين الف مقاتل من قبل الخليفة هشام ابن عبد الملك (96) سنة 124 ه ( 742 م ) وجدير بالذكر ان هشاما أبدى اهتماما فائقا بهذه الحملة لاحساسه بتحرج مركز الخلافة في المغرب وخشيته من اقتطاع الصفرية افريقية بعد نجاحهم في سلخ المغرب الاقصى عن نفوذها، فأشرف بنفسه على تدبير الخطط ، ولم يتوان عن ارسال الامداد (97)

حاول حنظلة المساد جهود عكاشة وعبد الواحد في لم شمل الصفرية ، فبعث برسالة الى صفرية المغرب الاقصى والاوسط يحضهم على التزام الطاعة ويثنى عزمهم عن مؤازرة عكاشة وعبد الواحد (98) . كما باغت عكاشة في اقليم الزاب ، وتمكن قائده عبد الرحمن بن عقبة من هزيمته . وحاول عبد الرحمن معاودة الكرة ، لكن عكاشة ظفر به وقتله في نفس العام (99) . وكذلك كان مصير عامله على طرابلس معاوية بن صفوان الذي بعث اليه يحرضه على البطش بصفرية نفزة (100) ، فتمكنوا مسن

ثم توجه عكاشة الى القيروان عن طريق مجانة ، واستقر على بعد سبتة أميال منها في مكان يعرف بالقرن (101) . كما نجح عبد الواحد الهوارى في تعبئة صفرية تلمسان بقيادة أبى قرة ، وانضم اليه كذلك بعض قبائل الصفرية في المغرب الاقصى (102) ، وزحف بجيشه البالغ ثلاثمائة الف مقاتل الى القيروان وعسكر في مكان يقال له الاصنام (103) ، بعد انتصاره على جيش انفذه حنظلة ليحول دون وصوله اليها (104) ، وهكذا فشلت جهود حنظلة في تفتيت قوى الصفرية (105) ، واضحت القيروان

<sup>(96)</sup> من مظاهر الاهتمام نصيحته لحنظلة بأن يشرع في ضبط أمور المريقية تبل محاولة استرداد بلاد المغرب الاقصى التي اقتطعها الصغرية .

انظـر : اخبـار مجموعـة صفحـة 36 · (97) اخبـار مجمـوعـة ص 36 ·

<sup>(98)</sup> انظر ملحق رتم 2 ٠

<sup>(99)</sup> ابن عبد الحكم : ص 291 ، ابن عذارى : ج 1 ص 62 ·

<sup>(100)</sup> ابن عبد الحكم : ص 300 ·

<sup>(101)</sup> اخبسار مجمسوعسة ص 36

<sup>(102)</sup> ابن عبد الحكم : ص 299 ، ابن عذارى : ج 1 ص 62 ،

<sup>(103)</sup> الرتيق : ص 118 . وتقع على بعد ثلاثة أميالً من القيروان ، ابن الاثير ج 5 ص 71 -

<sup>(104)</sup> الرتياق : صنحة 118 -

<sup>(105)</sup> يذكر الدكتور سعد زغلول عبد الحميد أن انشتاقا وتع بين القائدين الصغريين عكاشة وعبد الواحد بسبب الخلاف حول الرئاسة ، لكننا نرجح أن يكون ما حدث من قبيل احكام الخطط للاطباق على القيروان بمحاصرتها من جهتين في وقت واحد ، انظر : تاريخ المغرب العربي ص 273 ، ابن الاثير : الكامل ج 5 ص 70 .

## في متناول أيديهم .

ولجا حنظلة بعد ذلك الى حفر خندق حول القيروان ، عساه ان يحول دون سقوطها ، كما عمل على تثبيط همة عكاشة ، فكتب اليه « يرغبه ويمنيه » دون (106) جدوى فلم ينتظر حتى يستشير الخليفة في الامر (107)، انما عول على مواجهة الخطر الصفرى توا ، فبذل الاموال والعطايا (108)، وعبا جيشه واحسن تنظيمه (109) ، ونجح في استمالة أهل القيروان على اختلاف طبقاتهم وعناصرهم (110) ، وتمكن من هزيمة عكاشة (111) ، ويذكر ابن الاثير (112) انه كان نصرا خاطفا احرزه حنظلة قبل أن ينهض عبد الواحد لدخول القيروان ، لكن الرقيق (113) يؤكد أن القتال ظل سجالا حتى حلت الهزيمة بالصفرية « وقتل منهم خلق كثير » وأسر عكاشة وقتل سنة 125 ه (114) (743) )

ثم بادر حنظلة بلقاء عبد الواحد ، وانتصر الصغرية في البداية ، لكنهم هزموا بعد ذلك ، وقتل عبد الواحد ونكل بجيشه ، وفرت غلوله الى جلولاء (115) ، وابتهج حنظلة بانتصاره في معركتي القرن والاصنام ، وطير خبره الى الخليفة مزهوا (116) ، والحق أن هاتين المعركتين كانتا نصرا عظيما للخلافة الاموية (117) ، وردا لاعتبارها بعد هزيمتى الاشراف وبتدورة ، وحال هذا النصر بين افريقية وبين السقوط في يد الصفرية ،

<sup>(106)</sup> ابن عبد الحكم : صفحة 299

<sup>(107)</sup> الربيق : من 116 ، ابن عذاري : ج 1 من 73 ،

<sup>(108)</sup> ابن عذارى : نفس المصدر والصحيفة ،

<sup>(109)</sup> ذكر الرقيق انه عبا خبسة آلاف دارع وخبسة آلاف نابل ، وجعل على الطلائع شعيب ابن عثبان ، وعلى الساقة عبرو بن حاتم ، وعلى المينة عبد الرحبن بسن بسالك الشيباني ، انظر : تاريخ المريقية والمغرب ص 119 .

<sup>(110)</sup> استهال حنظلة نقهاء المالكية الذين قاموا بدور التعبئة الروحية والمعنوية للجيش الى جانب اشتراكهم في التتال ، انظر : الرقيق : ص 120 ، المالكي : ج 1 ص 13 و 144 ، كما قام نساء القيروان بدور كبير في حض الرجال على الاستبسال نضلا عن اشتراك بعضهن في التتال كذلك ، انظر : الرقيق : ص 120 ، ابن الاثير ج 5 ص 71 ،

<sup>(111)</sup> الرتيــق : صفحــة 117 ٠

Biquet : Op. Cit. P. 36  $\cdot$  71 س 5 ق ما (112)

<sup>(113)</sup> تاريخ المريتية والمغرب ص 117 \*

<sup>(114)</sup> نفس المصدر من 122 ؛ ابن عبد الحكم : من 299 ؛ ابن عذارى : ج 1 من 63 \*\*

<sup>(115)</sup> ابن عبد الحكم : ص 299 ، ابن عذارى : ج 1 ص 63 .

<sup>(116)</sup> اخبار مجموعة من 36 ، الباجي المسعودي : من 15 .

<sup>(117)</sup> يتضمح ذلك من قول الليث بن سمعد « ما من غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب الى من غزوتى الترن والاصنام » \* أنظر : الرقيق : حس 122 ، أبسن الانيسر : ج 5 صفحسة 71 .

وأكد بنوذ الخلافة في المغرب الاوسط.

لكن النفوذ الاموى في بلاد المغرب ما لبث أن تداعى بضعف الخلافة الاموية على اثر وفاة هشام بن عبد الملك سنة 125 ه ( 743 م ) . ولعل من أبرز الاحداث دلالة على ضعف هيبة الخلافة بالمغرب تغلب عبد الرحمن ابن حبيب بن أبى عبيدة (118) على افريقيسة سنسة 127 ه (745 م ) ، وارغامه حنظلة بن صفوان على مغادرتها ، وتسليسم الخليفسة مروان ابن محمد مضطرا بشرعية ولايته (119) .

والحق أن عبد الرحمن بن حبيب استطاع عن طريق الحيلة (120) والعنف معا قمع حركات الصفرية التي قامت في عهده ، فقضى على ثورة عروة بن الوليد الصدفي بتونس (121) ، كما بدد الائتلاف الصفرى السذى قام بين عبد الله بن سكرديد وثابت بن وريدون الصنهاجي في باجة (122) . لكن أمر الصفرية لم ينقطع من المغرب كما ذهب ابن خلدون (123) ومن أخذ عنه (124) ، بل ازدادت ثوراتهم شدة بعد موت عبد الرحمن بن حبيب . ووجدوا في اشتغال الخلافة العباسية بمشاكلها (125) ، وفي الصراع حول الامارة بين آل بيت عبد الرحمن بن حبيب فرصة مواتية لاستثناف حركاتهم .

ومرة اخرى تزعمت نفزاوة هذه الحركات ، مقد استطاع عاصم بن جميل زعيم ورمجومة (126) ـ وهى من بطون نفزاوة ـ (127) أن يوحد سائر بطون القبيلة ، مانضم اليه رؤساء البطون وأيدوه ، ومنهم عبد الملك

<sup>(118)</sup> اشترك عبد الرحمن بن حبيب مع والده في موقعة بقدورة ، ونزح الى الاندلس ، مع بلج بن بشر وهناك وقع في صراع مع بلج وثعلبة بن سلامة ، علم يطب له المقام خصوصا في وجود ابى الخطار الحسام بن ضرار عامل حنظلة على الاندلس تغادرها الى تونس ، ودعى لنفسه المائفت حوله اليمنية ، ثم دخل التروان بعد انسحاب حنظلة منها سنة 127 ه وظل على ولائه الاسمى لبنى أمية حتى تامت الدولة العباسيسة سنة 132 ه ، فاعلن تبعيته للمنصور ، ثم خلع طاعته واستتل بالامر وظل يمارس نفوذا العيا في ادريقية بمعزل عن الخلالة حتى اغتيل سنة 137 ه على يد أخيه الياس الموذا العالم أخيه الياس المنافقة العباسة المنافقة العباس المنافقة العباسة المنافقة على المنافقة العباس المنافقة المنافقة العباس المنافقة المنافقة

<sup>(119)</sup> ابسن خلسدون : ج 4 ص 190 °

<sup>(120)</sup> ابسن عسداری : ہم 1 ص 65 \*

<sup>(121)</sup> ابن خلدون : المرجع السابق ص 190 .

<sup>(122)</sup> الرتيق : من 126 ، ابن خلاون ج 6 من 111 ·

<sup>(123)</sup> العبار : ج 4 منصلة 190 "

<sup>(124)</sup> انظر : السلاوى : ج 1 ص 105 "

<sup>(125)</sup> ابن وردان : تاریخ الاغالبة ورقة 2 ــ مخطوط .

<sup>(126)</sup> ابن خلدون : ج 6 ص 115 ، تزعم المصادر السنية أنه كان كاهنا مدعيا للنبوة . انظر : ابن الاثير : ج 5 ص 117 ،

<sup>(127)</sup> الرتيق : من 140 ، آبن عذارى : ج 1 ص 80 -

أبن أبى الجعد ويزيد بن سكوم (128) .

وبلغت نفزاوة الصفرية درجة من القوة جعلت عبد الوارث بن حبيب يلجأ اليها لمناصرته ضد ابن أخيه حبيب بن عبد الرحمن (129) . ووجد عاصم ابن جميل في ذلك الفرصة المواتية ، فرحب به ووقف معه في وجه خصومه ، ولم يعبأ بتهديدات حبيب عند ما طلب اليه تسليم عمه والتخلي عن مناصرته . والحق به الهزيمة عند ما عمد الي محاربته (130) .

ويبدو أن عبد الوارث بن حبيب في صراعه مع ابن أخيه أظهر الولاء لابي جعفر المنصور (131) . ولصلته بعاصم بن جميل ، اعتقد أهل القيروان أن عاصما أيضًا من أنصار الخلافة العباسية .

وليس ببعيد أن يكون عاصم بدوره قد أظهر الولاء لبنسى العباس ليكسب أهل القيروان ، والا لما أقدم أهل القيروان على استدعائه بعد أن أخذوا عليه العهود والمواثق والدعاء للمنصور » (132) . وبذلك جذب أعدادا غفيرة منهم ، فانضموا إلى جيشه (133) .

اما حبيب بن عبد الرحمن فقد توجه لملاقاة الصفرية بعد ان استخلف على القيروان قاضيها (134) ، لكن عاصما تمكن هزيمته ففر الى قابس ، واتخذ عاصم طريقه نحو القيروان . وخرجت جماعة القيروانيين بزعامة القاضى ابى كريب للحيلولة دون دخوله المدينة ، لكن زملاءهم فى جيشه اثنوهم عن عزمهم ودعوهم الى طاعته (135) ، فاستجابوا لهم وتركسوا قاضيهم فى جماعة قليلة من الفقهاء أجهز عليهم الصفرية (136) بظاهر القيروان سنة 139 ه (137) ( 756 م ) ودخل الصفرية المدينة واستولوا القيروان سنة 139 ه (137)

<sup>(128)</sup> ذهب ابن خلدون والسلاوى الى أنهها كانا من زعماء الاباضية ، لكن كتب الاباضية خلو من اى اشارة تؤكد ذلك ، بل تصورهما على أنهما من أعداء ابى الخطاب عبد الاعلى بن السمح الاباضى ، انظر : العبر ج 6 ص 115 ، الاستقصاح 1 ص 109 \*

<sup>(129)</sup> الرتيق : من 140 ، ابن عذارى : ج 1 من 80 ، ابن الأثير ج 5 من 117 · ابن خليدون ج 4 منحية 191 ·

<sup>(130)</sup> الرتيق : ننس المصدر والصحينة ، ابن عذارى : ننس المصدر والصحينة .

<sup>(131)</sup> ابسن الاثير : ج 5 ص 117 ·

<sup>(132)</sup> نفس المصدر والصحيفة .

<sup>(133)</sup> الرتيق : ص 140 ، ابن عذارى : ج 1 ص 80 ،

<sup>(134)</sup> المالكسي : ج 1 صفحسة 110 .

<sup>(135)</sup> الرتيق : صنّحة 140 .

<sup>(136)</sup> نفس المصدر والصحيفة ، ابن عذارى : ج 1 ص 81 ، الدباغ : معالم الايمان ج 1 صفحــة 171 .

<sup>(137)</sup> المالكي : ج 1 ص 107 و 110 ·

عليها (138) .

ثم استخلف عاصم على القيروان عبد الملك بن أبى الجعد ليتفسرغ للاحقة حبيب بن عبد الرحمن ، وتمكن من هزيمته عند قابس ، ففر السي الاوراس لائذا بأهله (139) فاقتفى عاصم أثره ، والتحم معه في معركة هزم فيها الصفرية ولقى حاتم حتفه (140) .

وحاول حبيب بن عبد الرحمن استرداد القيروان فزحف اليها بأنصاره ، لكنه هزم وقتله عبد الملك بن أبى الجعد سنة 140 ه (141) ( 757 م ) . وبذلك قضى الصفرية على الفهريين في المغرب وأضحت لهم السيطرة الكاملة « على القيروان وسائر افريقية » (142) .

ويبدو ان الصفرية بعد أن اقتطعوا المغرب الاقصى والاوسط ودانت لهم المريقية والقيروان ، اصبحوا خطرا على بلاد المغرب الادنى التى كانت الغلبة لهيها للمذهب الاباضى ، ولعل ذلك يفسر ما حدث مسن صراع بسين الاباضية والصفرية ، وقيام أبى الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى بالاستيلاء على القيروان واقصاء الصفرية عنها ، وتبدو وجاهة هذا القول اذا ما أدركنا حقيقة اهداف الاباضية فى انشاء دولة لهم ببلاد المغرب بعد نجاح دعوتهم بين بربر المغرب الادنى ، وقد سبق القول بأنهم شرعوا فسى نجاح دعوتهم بين بربر المغرب الادنى ، وقد سبق القول بأنهم شرعوا فسى ذلك على اثر عودة دعاتهم من البصرة سنة 140ه (757م) بعد اجماعهم الرأى مع فقهاء المذهب ومشايخه على ابتداء « امامة الظهور » ، ولما كان نجاح الصغرية يشكل حجر عثرة أمام مشروعاتهم فى قيام دولة اباضية ، أصبح الاحتكاك بين القوتين الخارجيتين أمرا مؤكدا .

<sup>(138)</sup> تبالغ المصادر السنية في وصف غظائع الصغرية بالتيروان غتذكر أنهم « استطوا المحارم وارتكبوا الكبائر ، وسبوا النساء والصبيان » « وربطوا دوابهم في المسجد الجامع » والواتع أن ذلك محض اغتراء ، انظر : الرقيق : ص 140 ، ابن عذارى : ج 1 ص 81 ، ابن الاثير : ج 5 ص 117 وتضيف هذه المصادر أن شيوخ التيروان وفتهائها استصرخوا الخلافة العباسية لتخليصهم من عسف الصغرية وما اصاب البلاد على ايديهم « من ظلم غاش وأمر تبيح » انظر : المالكي : ج 1 ص 102 ، أبو العرب تبيم : طبقات علماء افريقية ص 30 .

<sup>(139)</sup> ابسن خلسدون : ج 4 ص 191

<sup>(140)</sup> الرتيق : ص 141 ، ابن عذارى : ج 1 ص 81 ·

<sup>(141)</sup> نفس المصدرين والصفحتين ، ابن الاثير ، ج 5 ص 117 ، السلاوى ، ج 1 ص 110

<sup>(142)</sup> ابسن خلسدون : ج 6 صنحسة 112 ·

وعلى ذلك ملا محل لتصديق ما تقدمه المصادر السنية والإباضية (143) على السواء من تعليلات غير مقنعة لتبرير خروج ابى الخطاب وحروبه مع الصغرية في القيروان ، اذ تذكر أن أبا الخطاب ما خسرج « الا غضبا للسه ولدينه » (144) استجابة لدعوة أهل القيروان لتخليصهم من عسف الصفرية.

قصارى القول - أن أبا الخطاب بعد أن بايعه أنصاره بالامامة توجه بجيشه نحو قابس محاصرها حتى سقطت ، مترك عليها عاملا من قبله وارتحل لمقاتلة الصغرية بالقيروان (145) ، وبث عبد الملك بن أبى الجعد مصائل من جيشه لتحول دون وصول الاباضية ، لكنها منيت بالهزيمة · خخرج بنفسه على رأس الصفرية والتقى بأبى الخطاب خارج القيروان ، مهزم جيشه وقتل في المعركة (146) . ودخل أبو الخطاب المدينة سنة 141 هـ ( 758 م ) وولى عليها عبد الرحمن بن رستم (147) ، ثم غادرها على وجه السرعة لمواجهة جيوش الخلامة التي انفذها المنصور ، وعين عبد الرحمن ابن رستم عماله على سائر اقاليم المريقية التي خلصوها من الصفرية (148).

ويخيل الينا أن انهزام الصفرية في المريقية ادى الى ارتفاع نجمهم مرة أخرى في بلاد المغرب الاوسط ، حيث نجح أبو قرة الصفرى في تكوين

<sup>(143)</sup> تجمع هذه المصادر على استبداد الصغرية بعرب التيروان وسومهم سوء العسذاب ك وعلى استدعاء القيروانيين أبى الخطاب لتحريرهم من ظلم الصغرية ، وتذكر في ذلك روایات شتی منها:

<sup>1 --</sup> أن رجلا أباضيا دخل القيروان وشاهد بننسه بعض الصنرية يعتدون تسرا على أمرأة في المسجد الجامع ، فاعلم أبا الخطاب بالامر ، فخرج لينتقم منهم لاستباحتهم حرمــة المسجـد ، انظر : الرقيق : ص 141 ــ 142 ، ابن الاثير : ج 5 ص 118، النويري ج 22 ورتــة 16 .

ب ــ أن أبا الخطاب تناتل الصغرية على اثر رسالة من احدى القيروانيات تعلمه نيها أنها أخفت وليدتها في حقرة تحت سرير خشية أن يفسدها الصفرية ، انظر ؛ أبو زكريا : ورقة 7 ، الدرجيني : ج 1 ورتــة 12 .

ج ـ ان احدى نساء القيروان خرجت من المدينة منادية « اغيثوني معاشر المسلمين » وفي رواية أخرى « أغثني يا أبا الخطاب » ، نبد الله في صوتها وسبعه أبو الخطاب هَأَجَابِهَا « لَبِيكَ يَا أَخْتَاهَ » . انظر : أبو زكريا : ورقة 7 .

وهذه الروايات جميعا تميل الى المبالغة والطابع الاسطورى مما يشكك في صحتها ، كذلك قمن المستبعد أن يكون خروج أبى الخطاب سببه دانسع اقتصادى كمسا ذهب الدكتور سمد زغلول عبد الحبيد اعتمادا على تول الشماخي بأن عام 140 ه الــذي خرج فيه أبو الخطاب كان عام جدب ، انظر : الشماخي : السير ص 127 ، سعد زغلول: المغرب العربي صفحة 310 .

<sup>(144)</sup> الشباخي : السير سندـة 127

<sup>(145)</sup> أبو زكريا: السيرة ورقة 8 ، الشماخي : السير ص 128 .

<sup>(146)</sup> نفس المصدر والصفحات ، ابن الاثير ج 5 ص 118 .

امارة مستقلة بنواحى تلمسان ، كما تمكن أبو القاسم سمكو بن واسول من أرساء دعائم دولة بنى مدرار فى سجلماسة على اثر هزيمة الصغرية فى القيروان سنة 140 ه.

انتقل اذن مركز الثقل في نشاط الصفرية من الهريقية الى المفسرب الاوسط بعد تكوين ابو قرة الصفرى المارته الصفرية في تلمسان . والواقع أن الغموض يكتنف أصل أبى قرة ، غمن المؤرخين من يرجع بنسبه الى قبيلة مغيلة ، ومنهم من ينسبهم الى بنى يفرن من زناتة (149) . ويرجع الخلاف الى العرف الشائع عند البربر من انخراط التبائل تحت زعامة اكثرها توة ونغوذا . حقيقة أن بنى يغرن « كانوا أشد توة وأكثر جمعا » ، لكن مغيلة كانت « أشهر بالخارجية من بنى يفرن » (150) · ولما كانت القبيلتان متجاورتين (151) ، فقد حدث اللبسس حسول أصل أبسى قسرة · ومهما كان الامر ، غان أبا قرة تزعم صغرية المغربين الاوسط والاقصى بعد خالد بن حميد الزناتي (152) . واشترك في حصار القيروان الى جانب عبد الواحد الهواري سنة 124 ه ، ثم عاد ادراجه الى تلمسان على اثر هزيمة الاصنام . ويضيف الرقيق (153) أن عبد الرحمن بن حبيب هزمه هزيمة ساحقة سنة 135 ه ( 752 م ) فتت في عضده ، فلم يسهم في حركات صغرية نغزاوة ضد حبيب بن عبد الرحمن ، وتركها تتلقى سوء المصير على يد ابي الخطاب الاباضي سنة 140 ه . ولعل ذلك يفسر مبايعته بالامامة في وقت متأخر سنة 148 ه ( 765 م ) - كما يذكر ابن خلدون (154) - بعد أن انضوى صفرية المغرب الادنى تحت زعامته فضلا عن صفرية الأجزاء الساحلية والغربية من المغرب الأوسط (155) .

<sup>(149)</sup> ذكر ابن خلدون في تاريخه انه « من منيلة ، وهو الاصح في شانه » انظر : العبر ج 6 من 112 . لكنه في موضع آخر يقول « وقد قيل ان أبا قرة من مطماطة وهذا عندى صحيح ، ولذلك أخرت ذكر أخباره التي أخبار بني يغرن من زنانة » · انظر : العبر ج 6 من 125 . ونفس الخلط نجده عند السلاوي حيث ذكره على أنه « أبسا قرة بن دوناس اليغرني » ومرة أخرى يدعوه « أبا قرة المغيلي » . انظر : الاستقصاح 1 منحسة 116 .

<sup>(150)</sup> ابن خلدون : العبر ج 7 مس 12 ·

<sup>(151)</sup> نفس المصدر والصحيفة ،

<sup>(152)</sup> ننس المصدر والصحينة ،

<sup>(153)</sup> تاريخ انريتيسة والمغرب ص 130 ·

<sup>(154)</sup> العبسر ج 6 من 112 ، ج 7 من 12 .

<sup>(155)</sup> نبذ تاريخية ... جمع بروفنسال ص 49 ، محمد الشطيبى : الجمان ورقة 203 .

وفى تلك الاثناء كان محمد بن الاشعث الخزاعى (156) يوطد نفسوذ الخلافة العباسية فى افريقية (157) ، فاستطاع اقصاء الاباضية عن القيروان ، والحق بهم عدة هزائم دانت بعدها بلاد المغسرب وافريقية لسلطانه « واطفأ نار الفتنة فيها » (158) . وبديهى ان يتجه بعد ذلك الى محاولة استرجاع المغربين الاوسط والاقصى ، لذلك عول على انفاذ قائده الاغلب بن سالم التهيمى على راس جيش لمحاربة ابى قرة والصفرية فسى تلمسان سنة 148 ه (159) ( 765 م ) . ويخيل الينا ان اضطراب الجند العربى وثورتهم على ابن الاشعث (160) حالت دون قيام هذا الجيش بما ازمع القيام به ، اذ لا تطالعنا المراجع (161) باخبار عن الصراع مع ابى قرة الا ابان ولاية الاغلب بن سالم فى نفس العام . فقد « بعث اليه المنصور عهده بولاية القيروان . . ثم اضطربت عليه الامور لخروج ابى قرة عليه واشتغساليه بحسربيه » .

على كل حال ـ وجد ابو قرة في ثورات الجند الخلافي في المريقية لمواتية لاعداد قواته للقيام بالثورة واستقاط الحكم العباسي في القيروان (162) وادرك الاغلب خطورة الموقف لمعول على الخروج اليه قبل ان تدهمه جيوش الصفرية في مقر الولاية (163) والتقى الخصمان في اقليم الزاب ، لمآثر أبو قرة الانسحاب ، وقرر الاغلب اقتفاء اثره وضرب معقل قوته في تلمسان (164) وربما تجاوزت مطامحه تلمسان ذاتها ، لمرنى ببصره الى تحرير بلاد المغرب الاقصى كلها حتى طنجة (165) . وكان ذلك سببا في ثورة جنده عليه وانصرالهم عنه ، تلك الثورة التي انتهت بقتله سنة 150 ه (156) ( 767 م ) وقبع أبو قرة في تلمسان (167) يعد العدة لجولة الخرى .

<sup>(156)</sup> اخطأ ابن وردان حين ذكر أن الاشعث بن عتبة الخزاعى هو الذى اضطلع بهده المهمة وليس ابنه الذى أجمعت عليه المصادر ، انظر : تاريخ الاغالبة ص 1 مخطوط ،

<sup>(158)</sup> ابن خلدون : العبر : ج 6 ص 115 ·

<sup>(159)</sup> ابن خلدون : ج 4 ص 192 ، ج 7 ص 12 .

<sup>(160)</sup> انظر : جغرافية المامون ص 184 .

<sup>(161)</sup> ابن الابار: الطة السبراء ج 1 ص 69 ، ابن الاثير: ج 5 ص 217 ·

<sup>(162)</sup> ابين الاثير: نفس المصدر والصحيفة .

<sup>(163)</sup> ابـن عــذاری : ج 1 م 86 .

<sup>(164)</sup> ابـن خلـدون : ج 6 ص 112 ٠

<sup>(165)</sup> ابسن الاثير: ج.5 من 217

<sup>(166)</sup> الباجي المسعودي: الخلاصة النتية ص 18.

<sup>(167)</sup> الســـلاوى : ج 1 صفحــة 116 ·

وفي هذا الوقت كان عمر بن حفص والى القيروان قد رحل الى اقليم الزاب (168) وحصن طبنة باقامة سور حولها (169) ليحول دون هجوم الصفرية على القيروان وليتخذ منها قاعدة للانطلاق الى معقلهم في تلمسان ويبدو ان عمر بن حفص كانت الخلافة قد عهدت اليه بتصفية نشاط الخوارج في المغرب اباضية وصفرية (170) . ولعل ذلك كان سببا في ائتلاف الصفرية والاباضية لاول مرة في بلاد المغرب . فاجتمعوا على محاصرته بطبنة (171) فمن الاباضية اشتركت جيوش ابى حاتم الملزوزى وعبد الرحمن بن رستم والمسور بن هانىء في الحصار (172) ، كما أسمم رؤساء الصفرية كذلك ، فكان جيش ابى قرة أربعين الفا (173) ، ووصل عبد الملك بن سكرديد على راس الفين من صنهاجة (174) فضلا عن صفرية مديونة بزعامة جرير بن مسعود (175) ، وضرب الجميع الحصار حول طنبة وبها عمر بن حفص مسعود (175) ، وضرب الجميع الحصار حول طنبة وبها عمر بن حفص مسعود (175) ، وضرب العرب سنة 153 ه (176) ( 770 ) .

وتجمع المصادر على ان عمر ابن حفص اغرى ابا قرة بالمال لينسحب هو واتباعه عن الصفرية . لكنها تختلف في ذكر التفاصيل ، فبعضها (177) يرجح انه رفض الرشوة وقبلها اخوه الذي ارتحل بالعسكر ، فاضطر ابو قرة للانسحاب ، في حين يقرر البعض (178) الآخر ان عمرا استمال ابا قرة وليس اخاه . بينها نجد رواية ثالثة مؤداها (179) أن ابا قرة قبل الرشوة

<sup>(168)</sup> ابسن عسذاری : ج 1 ص 88 ·

<sup>(169)</sup> ابن الاثير : ج 5 مَ 221 ، السلاوى : ج 1 م 117 .

<sup>(170)</sup> ذكر ابن الاثير أن انتقال عمر بن حنص الى الزاب وتحصينه طبنة كان ومقا لمشورة المنصور. الكامسل ج 5 ص 221 ·

<sup>(171)</sup> الـرتيــق : صنحــة 143

<sup>(172)</sup> ذكر ابن الاثير والنويرى أن عاصم السدراتى الاباضى اشترك فى حصار طبنة على رأس ستة آلاف من الاباضية ، انظر : الكامل ج 5 ص 221 ، نهاية الارب ج 22 ورقة 21 ، وهو قول مردود لان عاصما مات مسموما سنة 140 ه ابان حروب أبى الخطاب مع ورفجومة ، انظر : ابو زكريا : ورقة 8 ، الشماخى : السير ص 128 ،

Fournel: Op. Cit. Vol. I. P. 371. 488 م 1 ج 1 ص 173)

<sup>(174)</sup> أبن الأثير : ج 5 صنصة 221

<sup>(175)</sup> مديونة احدى بطون بنى غاتن من ضريسة البترية ، ومواطنها فى نواحى تلمسان · ابن خلدون : ج 6 صفحة 125 · ولا محل لتصديق رواية ابن خلدون القائلة بتشيع ورفجومة الصفرية لعمر بن حفص

ولا يحل لتصديق روايه ابن حدون الغائلة بنشيع ورهجوبه الصفرية تعبر بن معم وقتالها الى جانبه ، انظر : العبر ج 6 من 115 ·

<sup>(176)</sup> ابسن عسذاری : ج 1 صنحسة 88 ·

<sup>(177)</sup> ابن عذارى : ج 1 ص 89 ، ابن الاثير : ج 5 ص 222 ، النويرى : ج 22 ورتة 21.

<sup>(178)</sup> الرتيق : من 143 ، ابن خلدون : ج 6 من 112 ·

<sup>(179)</sup> ابن خلدون : ننس المصدر والصحينة ، السلاوى : ج 1 ص 117 ·

هو وابنه وارتحل بقومه من الصفرية . وامام هذا الاختلاف نشكك في الرواية من أساسها . والراجح أن يكون انسحاب الصفرية نتيجة اختسلاف مع الاباضية ، أذ أن تعاونهما في بلاد المغرب ليس مالسوفا ، والمعسروف أن الفرتتين الخارجيتين كانتا على خصومة وعداء كثيرا ما وصل الى درجة الصراع والتناحر ، وهذا يفسر قيام أبى حاتم بمحاصرة القيروان (180) من دون الصفرية (181) . بينما عاود أبو قرة قتال الحامية التي تركها عمر بن حفص بطبنة (182) بعد أن غادرها ليحول دون وقسوع القيروان في يسد الاباضية . وفي عودة أبى قرة لمحاربة أتباع عمر بن حفص ما ينفى ما قيل عن قبوله الرشسوة .

على كل حال ــ تسبب الخلاف بين الصفرية والاباضية في فشل حصار طبنة ، ونجح عمر بن حفص في هزيمة عبد الرحمن بسن رستم الاباضي ، كما تمكن قائده المهنا بن المخارق بن غفار الطائي من هزيمة أبى قرة وردع الصفرية (183) . وعاد أبو قرة الى مقره في تلمسان .

ولم تقم للصفرية قائمة بعد ذلك ، غضعف شانهم ، حتى قضى عليهم يزيد بن حاتم الذى قدم الى المغرب سنة 155 ه (622 م) على راس جيش كثيف اوغل به فى نواحى المغربين الاوسط والادنى (184) . كما كان الصراع بين الأدارسة والرستميين حول تلمسان وما حولها من عوامل اختفاء الصفرية من المغرب الاوسط وتحول الكثيرين منهم فى تلك الجهات الى الولاء للادارسة وأتباعهم من آل سليمان ، بينما هاجر جزء كبير ممن بقوا على مذهبهم الى سجلماسة التى اضحت ملاذا للصفرية فى بلاد المغرب .

اما عن صفرية افريقية والمغرب الادنى فقد بطش بهم يزيد بسن حاتم ايضا ، فقمعت حركة ورفجومة سنة 157 ه ( 774 م ) على يد ابنه

<sup>(180)</sup> ابسن خلدون : ج 4 صنحـة 193 ·

<sup>(181)</sup> اختلط الامر على الطبرى المذكر أن أبا قرة اشترك في حصار عمر بن حاص في القيروان ذلك أن حصار القيروان الذي ضربه أبو حاتم الملزوزي حدث سنة 154 ه وليس سنة 153 ه . وقد وقع في هذا الخطأ كثيرون ممن نقلوا عن الطبرى ، انظر : تاريخ الرسل والملسوك ج 8 ص 42 ، السلاوي : ج 1 ص 118 ، العيني : عقد الجمان ج 13 ورقسة 166 .

ويؤكد معظم المؤرخين أن الذين حامروا عبر بن حفص فى القيروان كانوا جبيعا من الاباضية ، انظر الرقيق : ص 143 ، ابن عذارى : + 1 من 89 ، 90 ، ابن خلدون + 20 من 119 ، ابن الاثير : + 5 من 129 ، النويرى : + 22 ورقة 21 ،

<sup>(182)</sup> الرتيق : ص 143 ، ابن خلدون : ج 4 ص 193 ، النويرى : ج 22 ورتة 21 ·

<sup>(183)</sup> السرتياق : منحاة 143 ·

<sup>· 159</sup> نفس المصدر : صفحة 159

المهلب وقائده العلاء بن سعيد (185) . كما غشلت ثورة الصغرية فى بسلاد الزاب التى تزعمها أيوب الهوارى سنة 164 هـ ( 780 م ) بعد أن رماهم يزيد بن حاتم بالمخارق بن غفار الطائى (186) ومن بعده العلاء بن سعيد ، والى العلاء يعزى الفضل فى قمع الثورة وقتل قائدها والتنكيل بالصفرية أينها وجدوا فى افريقية (187) ، حتى أن بربر ورفجومة رأس صفرية افريقية انقرض امرهم وصاروا أوزاعا فى القبائل (188) .

هكذا قدر ليزيد بن حاتم أن يبدد شمل الخوارج الصفرية في المريقية والمغرب الاوسط ، وتمكن الادارسة من تأسيس دولتهم في المغرب الاقصى على حساب نفوذ الصفرية ، وظلت دولة بنى مدرار بسجلماسة موئلا لصفرية بلاد المغرب ومركزا لتجمعهم ، فقد حققت هدفهم في قيام دولة صفريسة خالصة في بلاد المغرب .

<sup>(185)</sup> ننس المصدر ص 161 ، ابن خلدون : ج 6 ص 115 ، السلاوى : ج 1 ص 118 ،

<sup>(186)</sup> ابسن خلدون : ج 4 صفحـة 193 ·

<sup>· 223</sup> الرقيق : ص 162 ، ابن الاثير : ج 5 ص 223 ·

<sup>(188)</sup> ابسن خلسدون : ج 6 ص 115 ·

## ثوراث الخوارج الاباضية

سبق القول بأن المذهب الاباضى غلب على بلاد المغرب الادنى فانتشر بين قبائله وخاصة نفوسة وهوارة . ويبدو أن الخوارج الاباضية لم يكونوا قد تهيئوا بعد لمرحلة الظهور حتى بداية العقد الرابع من القرن الثانسي الهجرى أي حتى قيام ثورة أبي الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري سنة 140 ه ( 757 م ) ، بينما سبق الخوارج الصفرية بزعامة ميسرة المطغرى إلى الظهور سنة 121 ه ( 739 م ) في المغرب الاقصى . ولعل السبب في تأخر ثورات الاباضية يكمن في قرب مواطنهم من القيروان مقسر الامارة ومركز الجند العربي . يضاف الى ذلك قربها النسبي من عاصمة الخلافة الاموية وولاتها في مصر مما يجعل مهمة الخلافة وولاتها في مصر والمغرب في قمع ثورات الصفرية والمغرب الاقصى .

ويبدو ان نجاح حركات الصفرية في المغرب الاقصى اغرى اباضية المغرب الادنى بالتعجيل بالقيام بثورات مماثلة قبل ان يتهيئوا لها او تتوافر الظروف المناسبة التي تساعد على انجاحها . وجدير بالذكر ان المصادر الاباضية تسقط من اعتبارها كل نشاط للاباضية في المغرب سابق على حركة أبى الخطاب عبد الاعلى سنة 140 ه ( 757 م ) فتعتبره أول الائمة ، وتؤرخ لثورته باعتبارها بداية « لمرحلة الظهور » (189) . واذا كانت ثورة

<sup>· 34</sup> مر الورجلاني : الدليل لاهل العتول ج 3 مس 34

ابى الخطاب \_ حقيقة \_ تعد اول ثورة اباضية ذات طابع شامل وشكل منظم ، نقد سبقتها حركات أخرى لم تتمخض عن شيء سيوى أضعاف الحركة الاباضية قبل أن يشتد عودها ، وتأجيل ظهور الاباضية على المسرح السياسي في بلاد المغرب .

كانت هذه الثورات ثلاثا ، قامت اولاها سنسة 126 ه ( 744 م ) بزعامة عبد الله بن مسعود التجيبى الذى تراس بربر هوارة فى منطقة طرابلس متحديا حكم عبد الرحمن بن حبيب ،واخمدت هذه الحركة دون عناء بعد ان قبض اخو عبد الرحمن وعامله على طرابلس على التجيبى « وضرب عنقسه » (190) .

ثم اجتمعت هوارة على اثنين من زعمائها هما عبد الجبار بن قيس المرادى والحارث بن تليد الخضرمى (191) . وزحف الحارث وعبد الجبار الى طرابلس وضربا عليها الحصار حتى استسلم عاملها (192) ، واخذا بثار التجيبي واقتصا من قاتله (193) . وانفذ عبد الرحمن بن حبيب ثلاثة جيوش لاسترداد طرابلس هزمها الاباضية جميعا (194) ، فلجأ الى الحيلة واستمال احد شيوخ هوارة وبعثه «ليستالف الناس ويقطع عن عبد الجبار هوارة » (195) دون جدوى . فعقد العزم على الخروج بنفسه وقاد جيشا لاسترداد طرابلس وصل به حتى قابس ، ثم عاد ادراجه الى القيروان لما علم بتآمر اهلها على خلعه (196) . لكن حادثا مفاجئا افضى الى مقتل الحارث وعبد الجبار سنة 131 ه ( 749 م ) كفى عبد الرحمن بن حبيب مئت ونية قتى الهما .

<sup>· 43</sup> ابن عبد الحكم : من 301 ، ابوراس : مؤنس الاحبة من 43 ·

<sup>(191)</sup> تختلف المصادر حول كيفية اشتراكهما في قيادة الثورة ، فذكر البرادى أنهما « كانا مشتركين في الملك » أما الشماخي فيرى أن أحدهما كان أماما والاخر وزيره ، ويفهم من رواية لابن عبد الحكم — وهي الارجح — أن عبد الجبار كان أمام الصلاة والحارث أمام الحرب ، أنظر : البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة 87 ، الشماخي : السير ص 125 ، أبن عبد الحكم : ص 302 .

 <sup>(192)</sup> ابن عبد الحكم : منحة 301

<sup>(193)</sup> نفس المصدر والصحيفة ،

<sup>(194)</sup> عن تفاصيل هذا الموضوع راجع : ابن عبد الحكم : ص 301 ، 302 ، الرتيق : Masqueray : P. 23. ، 87 ، البرادى : الجواهر ورتة 87 ، .23.

<sup>(195)</sup> ابــن عبــد الحكم : صنحـة 301 .(196) الــرتيــق : صنحـة 128 .

وتختلف المصادر (198) حول دوافع هذا الحادث . والراجح انهما الختلفا حول مسائل فقهية او تنازعا حول الحكم (199) ، فاحتكما الى السيف فقتل كل منهما صاحبه . ومهما كان الأمر فقد تمخض الأمر عن حدوث الشقاق (200) بين جماعة الاباضية بالمفرب على غرار ما كان يحدث بين الخوارج المسارقة . ولم تجد نفعا نصائح فقهاء المذهب بالبصرة بالكف عن ذكر هذه المسالة ، فظلت تشغل اباضية المغرب حتى تولى ابو الخطاب الامامة سنة 140 ه (201) (757 م ) .

اما ثالث تلك الثورات فكانت من نصيب قبيلة نفوسة ، اذ بادر زعيمها اسماعيل بن زياد النفوسى بعد ان « عظم شانه وكبر بيعه » (202) بالاستيلاء على قابس سنة 132 ه ( 751 م ) (203) . فخرج اليه عبد الرحمن بن حبيب وانفذ طلائعهمن الخيالة ليسبر غوره، لكن عامله على طرابلس التحم بنفوسة الاباضية وقتل زعيمها واسر كثيرا من رجالها (204) . واصطحب عبد الرحمن بن حبيب اسرى الاباضية الى طرابلس وذبحهم وامتحن الناس بهم « فكان يؤتى بالاسير من البربر فيأمر من يتهمه بتحريم دمه بقتله » (205) كما عهد الى عامله بطرابلس بتوزيع المغانم التى غنمها من الاباضية على جنده (206) ، واعاد بناء سور المدينة (207) لتحصينها من خطر الاباضية، جنده (206)

<sup>(198)</sup> ذكر بعض المؤرخين انهما اختلفا فاتنتلا ، فتتل كل منهما الاخر ووضع سينه في جسد مساحبه ( ابن عبد الحكم : ص 302 ، البرادى : الجواهر المنتقاة ورقة 87 ) وذكر آخرون أن عبد الرحمن بن حبيب حاربهما فتتلهما ( الرتيق عبد 129 ، ابن الاثير ج 5 عبد 116 ) ، بينما نجد في رواية ثالثة أن عبد الرحمن بن حبيب اغتالهما خفية ، وأومى التتلة بوضع سيف كل منهما في جسد الاخر اثارة للخلاف بين الاباضية ، انظر : التتلة بوضع سيف كل منهما في جسد الاخر اثارة للخلاف بين الاباضية . انظر 17 الدرجيني : ج 1 ورقة 12 ، على يحيى معمر : الاباضية في موكب التاريخ ص 46 ، 47 الدرجيني :

<sup>(199)</sup> الشَمَاخَي : السَيِّر من 125 ، Masqueray : Op. Cit. P. 23. ، 125

<sup>(200)</sup> اختلف الاباضية في تحديد أيهما أخطأ في حق صاحبه ، ولم يلبث الخلاف أن تشعب الى مسائل فتهية وفلسفية جوهرها « هل يدفع الشك اليتين في أم اليتين يدفع الشك في فقال البعض هما على ولايتهما حتى يتبين أمرهما ، بينما رأى البعض الاخر عدم البت في التضية ، فتحول الخلاف الفتهى الى انشتاق سياسى ، ، عن مزيد من التفصيلات راجع : البرادى : الجواهر المنتقاة ورقة 87 ، الشماخيى : السير ص 125 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 11 ظهر ،

<sup>(201)</sup> ابسو زكريسا ، السيرة ورتسة 6 .

<sup>(202)</sup> ابـن عبـد الحكم : منحـة 302

<sup>(203)</sup> أطنيش : الاسكان صنحة 53 ،

<sup>(204)</sup> ابـن عبـد الحكـم: صنحـة 302

<sup>(205)</sup> الرتيــق : صفحــة 128 ،

<sup>(206)</sup> ابـن عبـد الحكم صنحـة 302

<sup>(207)</sup> الرقيق : من 129 ، ابن الاثير : ج 5 من 116 ·

ثم قفل عائدا الى القيروان في نفس العام .

ولا يخامرنا شك في ان جهود ابن حبيب وعماله على طرابلس في قمع حركات الاباضية قد متت في عضدهم .

ويخيل الينا أن هذا هو ما دفع زعماء الاباضية في المغرب الادنى للرحيل الى البصرة للاسترشاد بمشايخ المذهب في الاعداد للثورة المنظمة الشاملة . وقد عادوا الى المغرب بعد أن مكثوا خمس سنوات بصحبة أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة وجماعة شيوخ المذهب وقد تذرعوا بالاساليب والوسائل الكفيلة بانجاح حركتهم . وحسبنا أن أبا عبيدة أشار عليهم باختيار أحد رجال المذهب من عرب المشارقة لزعامتهم لما له من دراية بأحوال المغرب ولحصافته ودربته بأصول السياسة وفنون الحكم (208) . ويبدو أنه أوصى أفراد الوفد المفربي بتعبئة قبائل الاباضية جميعا للاشتراك في الثورة ، فاشترط ضرورة حشد القوى المادية والبشرية للقيام بالثورة (209) كما تخصص بعض أفراد الوفد في مسائل الفقه والشريعة لمواجهة ما يعن لهم من مسائل تتعلق بالثورة ومعاملة الخصوم وادارة الاقاليم التي يتسنى لهم انتزاعها مسن الحكام العسرب (210) واخيرا أوصاهم بموافات بعم بالمورات حركاتهم وضرورة مشاورته فيما يعن لهم من أمور (211) .

وما أن عاد الوفد الى بلاد المغرب سنة 140 ه ( 757 م ) ، حتى بادر اعضاؤه بالاتصال بالقبائل وتهيئتها للقيام بالشورة ، ويذكر أبسو زكريا (212) ان أبا الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى ـ وهو الذى اشار أبو عبيدة بتقلده زعامة الحركة ـ أبدى نشاطا ملحوظا « فـى الكتمان » فاتصل بمشايخ القبائل للتشاور فى اعلان « امامه الظهور » . وقد كلت مساعيه بالنجاح ، فانضم اليه جمهرة الاباضية ، وكسب الكثير

<sup>(208)</sup> الشماخى : السير ص 125 ، يخرج ماسكراى من اختيار عربى لزعامة الحركة : انظر : بأن العامل الدينى حل محل عامل العصبية في اعطاء الحركة طابعها ، انظر : Chronique d'Abou Zakaria. P. 29.

<sup>(209)</sup> الشباخي ننس المصدر صفحة 124 -

<sup>(210)</sup> أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة : رسالة في أحكام الزكاة ورقة 114 ـ مخطوط .

<sup>(211)</sup> انظـر : ملحـق (1) ٠

<sup>(212)</sup> السيرة وأخبار الائمة وربة 6 .

رودد) اليعتوبي : تاريخه ص 118 ، البلاذري : نتوح البلدان ص 275 ·

من الاتباع (213) ، وأجمع رؤساء المذهب على مبايعته بالامامة (214) . وانضوت تبائل نفوسة وهوارة وزناتة وغيرها تحت لوائسه (215) . واستطاع أبو الخطاب مداهمة طرابلس على حين غفلة (216) ، وارغم عاملها عمرو بن عثمان القرشي (217) على مغادرتها واستولى على بيت مالها (218) ، وأمن أهلها (218) .

وباستيلاء الاباضية على طرابلس اشتد ساعدهم ، فاتخذوها قاعدة للمذهب ، وبعثوا الى ابي عبيدة مسلم بالبصرة يعلموه « بظهور الامامة » . ماغتبط لذلك ونصحهم بالتضامن واقتفاء اثر السلف الصالح (220) . وجنح أبو الخطاب الى التوسيع ، غاستولى على جزيرة جربة وجبل دمر سنة 140 هـ (221) ( 757 م ) ، كما ضم قابس في نفس العام (222) ، ودانت بلاد المغرب الادنى بطاعته ، فرنى ببصره صوب افريقية .

ثم كان استيلاء الصفرية على القيروان وخروج ابى الخطاب وصراعه مع الصفرية وهزيمتهم عند رقادة (223) ، ودخول المدينة بعد مقتل عبد الملك بن ابى الجعد مقدم الصفرية ، ونجاح عامله عليها \_ عبد الرحمن ابن رستم ــ في بث نفوذ الاباضية في سائر جهات المربقية (224) ، بعد

<sup>(214)</sup> تذكر المصادر الاباضية أن رؤساء المذهب كانوا يجتمعون في مكان يتال لسه صياد - غربى طرابلس - بحجة اقتسام أرض اختلف التوم عليها ، أو للتأليف بين رجل اختلف مع زوجته ، مداراة لوالى طرابلس . انظر : أبو زكريا : ورقة 6 ، الدرجيني : ج 1 ورتة 11 ، وتصور هذه المصادر أبا الخطاب على أنه لموجىء بعرض الامامة عليه ، لكنه كان في الواقع على علم بأنه سيتقلدها منذ غسادر البصرة مع الوقد المغربي وققا لمشورة أبي. عبيدة مسلم بن أبي كريمة .

انظر : أبو زكريا : ورقة 6 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 11 .

<sup>(215)</sup> **ابـو** زكريـا : ورتـة 7 ·

<sup>(216)</sup> تصور المصادر الاباضية ستوط طرابلس تصويرا روائيا أشبه ما يكون بستوط طروادة ، مذكرت أن الجيش الاباضي اختبأ داخل جواليق يحملها الجمال التسى دخلت المدينة على أنها قائلة تجارية غلما توسطت المدينة ، خرج الرجال شاهرين أسلحتهم صائحين « لا حكم الا لله ولا طاعة الا لابي الخطاب » .

انظر : أبو زكريا : ورقة 7 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 12 .

<sup>(217)</sup> الرتيق : ص 142 ، ابن عذارى : ج 1 ص 74 -

<sup>(218)</sup> ابـو زكـريـا : ورتـة 7 .

<sup>(219)</sup> نفس المصدر والصحيفة ، الدرجيني : ج 1 ورقة 14 .

<sup>(220)</sup> انظـر : ملحـق (1) ٠

<sup>(221)</sup> ابو راس : مؤنس الاحبـة صفحـة 45 -

<sup>(222)</sup> أبو زكريا : ورتة 8 ، الشماخي : السير ص 128 ، الدرجيني : ج 1 ورتة 13 .

<sup>(223)</sup> البكرى: المغرب صفحة 28.

<sup>(224)</sup> أبو زكريا : ورتــة 9 .

مغادرة أبى الخطاب القيروان لمواجهة جيوش الخلافة التى بعثها المنصور لاستنقاذ افريقية (225) .

وقد انفذ المنصور محمد ابن الاشعث الخزاعى عسلى راس جيش زاد عدده عن خمسين الف مقاتل الى بلاد المغرب سنة 142 ه ( 759 م ). ومهما اختلف المؤرخون (226) حول دوافع ارسال هذا الجيش الضخم ، فلا شك أن مهمته الاساسية كانت استرداد نفوذ الخلافة وهيبتها في بلاد المغرب (227) بعد أن أضحت تسمة بين الصفرية والاباضية من الخوارج. ويبدو أن أبن الاشعث هاله أمر الاباضية الذين سيطروا على المفسرب الادنى وافريقية ، فآثر البقاء بمصر ، وأنفذ طلائعه بقيادة أبى الاحوص عمرو أبن الاحوص العجلى (228) إلى المغرب .

وهذا هو ما حدا بأبى الخطاب عبد الاعلى الى مغادرة القيروان على وجه السرعة للقاء أبى الاحوص ، غالتقى به فى مغمداس (229) بناحية سرت (230) وهزمه واحتوى عسكره ، فعاد أبو الاحوص الى مصسر مسدحسورا (231) .

ويخيل الينا أن هذه الهزيمة فتت في عضد ابن الاشعث ، فبعث المنصور اليه يستصرخه التعجيل بالتوجه الى المغرب بنفسه (232) ،

<sup>(225)</sup> ابن عذارى : ج 1 ص 82 ، ابن خلدون : ج 4 ص 191 ، الانصارى : المنهل العندب صفحة 65 .

<sup>(226)</sup> ذكر مؤرخو السنة أن المنصور أنفذ الحملة استجابة لطلب متهاء القيروان لتخليصهم مسن عسف الصغرية .

راجع: المالكى: ج 1 ص 98 ، 102 ، أبو العرب تبيم: ص 30 · بينما ذهب مؤرخو الاباضية الى أن ارسال الحملة كان نتيجة الحاح احد رجال أبى الخطاب — ويدعى جميل السدراتى — بعد أن خرج عليه ورحل الى بغداد .

راجع : أبو زكريا : ورتة 9 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 15 ، الشماخي : ص 131 .

<sup>· 275</sup> البلاذرى : نتوح البلدان ص 275 ·

<sup>(228)</sup> زعم ابن تغرى بردى أن أبا الاحوص أنفذ الى المغرب بن قبل والى مصر حبيد بن قطبة ، وأضاف أن حبيدا خرج بنفسه للقاء أبى الخطاب بعد هزيمة أبى الاحوص مهزمه وقتله ثم عاد الى مصر .

انظر : النجوم الزاهرة ج 1 ص 349 ، والثابت أن أبن الاشعث هو الذي تام بالمهمة أبان ولايسة حميد بن تحطيسة لمصر ،

انظر : ابن عذاری : ج 1 ص 82 .

<sup>(229)</sup> البكرى : من 7 ، ابنَ عذارى ، ج 1 من 82 . (230) البكرى : ننس المصدر والصحيفة ، السلاوى : ج 1 من 114 .

<sup>(231)</sup> ذكرت المصادر الإباضية أن أبا الخطاب كان قد هزم جيشاً آخر لابن الاشعث بتيادة العوام بن عبد العزيز البجلى تبل انتصاره على أبى الاحوص ، انظر الشهاخى : السير صفحة 130 .

<sup>(232)</sup> ابن عذارى : ج 1 ص 83 ، ابن الاثير : ج 5 ص 118 .

وعول ابن الاشعث على الاستعداد الكامل قبل مغادرته مصر ، فحشد فى جيشه من القواد العظام ثمانية وعشرين قائدا (233) من بينهم الاغلب ابن سالم التميمى والمحارب بن هلال الفارسى والمخارق بسن غفسار الطسائسي (234) .

واستعد ابو الخطاب للقاء ابن الاشعث ، فرابط بأرض سرت في سبعين الف (235) من الاباضية . لكن خلافا وقع في معسكره تمخض عن انسحاب اباضية لاعتقادهم بتحيزه الى هصوارة (236) . وبادر ابن الاشعث بالنزول بجيشه على موارد الماء بمكان يقال له تاورغا (237) ، ومنع عسكر أبى الخطاب من ارتياده (238) . فلما نشب القتال دارت الدائرة على الاباضية ، فقتل ابو الخطاب صع آلاف من رجاله (239) ، ونجى منهم نفر قليل لاذوا بالحصون والقلاغ في الجبال (240) . وعول ابن الاشعث على استئصال شافة الاباضية ، فأرسل قائده اسماعيل بن عكرمة الخزاعي الى زويلة وودان فقتل من بها من الاباضية (241) . كما لقى أباضية طرابلس عنتا شديدا من عامله

<sup>(233)</sup> ابن عذارى : ننس المصدر والصحينة .

<sup>(234)</sup> النويـرى : ج 22 ورتــة 19

<sup>(235)</sup> أبو زكريا : ورقة 10 . ويبالغ ابن عذارى حين يذكر أن جيش أبى الخطاب بلغ مائتى ألف مقاتل ، انظر : البيان المغرب : ج 1 ص 82 .

<sup>(236)</sup> ابن عذارى : ج 1 ص 83 ، ابن الاثير : ج 5 ص 118 ، النويرى : ج 22 ، ورقة 19 ، وتذكر المصادر الاباضية أن العامة في جيش أبى الخطاب تخلوا عنه حين تظاهر ابن الاشعث بالانسحاب الى الشرق رغم تحذير أبى الخطاب وتتجاهل تماما ذكر انسحاب أباضية زناتة ، والحق ما ذهبت اليه المصادر السنية في تنسير الانشقاق داخل معسكر الاباضية . يؤكد ذلك ما ورد بالمصادر الاباضية ذاتها من اشتراك ننوسة وهوارة وجريشة في معركة تاورغا الى جانب أبى الخطاب دون أن يرد بينها ذكر لزناتة ،

انظر : أبو زكريا : ورتة 10 ، الدرجينى : ج 2 ورتة 15 ، الشماخــى السير صفحــة 131 ، 132 ،

<sup>(237)</sup> تقع بأرض سرت على مسيرة ثمانية أيام من طرابلس ، الدرجيني : ج 2 ورقة 16 ، (238) أبسو زكسريا : ورقسة 10 ،

<sup>(239)</sup> تقدر المصادر الاباضية عدد التتلى بما يتراوح بين اثنى الف واربعة عشر الف . أبو أما المصادر السنية فتسرف في تقديرها الذي يصل الى أربعين الف . راجع : أبو زكريا : ورقة 10 ، الشماخي : السير عن 132 ، النويري : ج 22 ورقة 19

<sup>(240)</sup> ابو زكريا : ورتة 10 ، الدرجينى : ج 1 ورتة 16 ، Lewcki : Etudes Ibadites. P. 113.

<sup>. 19</sup> ابن عذارى : ج 1 ص 84 ، النويرى : ج 22 ورتة 19

المخارق بن غفار ، فقد اسرف في تقتيلهم وسبى ذراريهم (242) . ولم يسلم أباضية زناتة من بطش ابن الاشعث على الرغم من خروجهم على أبى الخطاب وعدم اشتراكهم في معركة تاورغا ، نقتل زعيمهم أبو هريرة الزناتي في ستة عشر الف من اصحابه (243) وعلى الرغم من هزيمة أحد جيوشه امام اباضية زهانة (244) ، فقد القى الرعب في قلوب اباضية المفرب الادنى ، فهابوه ودانوا له بالطاعة (245) -

وهكذا وضعت معركة تاورغا سنة 144 ه (761 م) نهاية لامامة الظهور التى استمرت اربعة أعوام سيطر الاباضية ابانها على اغريقية والمغرب الادنى ، غلم يتو الاباضية بعدها على الظهور واضطروا الى العمل في تستر وكتمان وهو ما يعرف في اصطلاحهم « بامامة الدفاع » .

تولى امامة الدَّمَاع بعد مقتل أبي الخطاب يعقبوب بسن حبيب المعروف بأبى حاتم الملزوزي (246) سنة 145 هـ ( 762 م ) . ويختلف المؤرخون حول اصله ، فيذكر بعضهم (247) أنه من هوارة ، وقيل حن سدراته (248) ، و في قول ثالث أنه من مغيلة (249) ونحن نرجح الرواية الاولى لان هوارة من اشد قبائل الاباضية قوة واكثرها عددا ومشاركة في ثورات الاباضية . أما سدراتة فكان دورها ضئيلا في الحركة الاباضية بالمغرب ، بينما كانت مغيلة تدين بالمذهب الصغرى ، ومضاربها بنواحي تلمسان اى انها بعيدة عن مسرح نشاط الاباضية في المغرب الادني والمريقية (250) .

على كل حال ــ بويع أبو حاتم بالامامة سنة 145 ه (251) ( 762 م )، وظل مستترا طيلة أربع سنوات قضاها في جمع شمل جماعات الاباضية

<sup>(242)</sup> الشماخي : السير ص 134 ، النويري : ج 22 ورقة 19 .

<sup>(243)</sup> ابن الاثير: ج 5 ص 118 ، ابن عذارى: ج 1 ص 83 ،

<sup>· 134</sup> الشماخسي : السيسر صنحـة 134

<sup>(245)</sup> ابــن الاثيــر : ج 5 صفحة 118 ·

<sup>(246)</sup> أخطأ الدرجينى في تسمية أبي حاتم بيعتوب بن لبيب ، وكذلك البرادي الذي نتل عنه . راجع : طبقات الاباضية ج 1 ورقة 17 ، الجواهر المنتقاة ورقة 88 .

<sup>(247)</sup> الدرجيني : ج 1 ورقة 17 ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة 88 .

<sup>(248)</sup> البلاذري: نتوح البلدان ص 75 -

<sup>(249)</sup> ابن خلدون : ج 6 ص 125 ، برونسال : نبذ تاريخية ص 49 ·

<sup>(250)</sup> والصواب أن يكون من «مليلة » وهي بطن من بطون هوارة راجع : أبو زكريا : ورتــة 12

<sup>(251)</sup> نتل الشماخي عن الدرجيني خطأه في جعل تاريخ مبايعة أبي حاتم بالامامة سنة 154 هـ بدلا من سنة 145 ه ، انظر : طبقات الاباضية ج 1 ورقة 17 ، السير ص 133 .

التى تفرقت على اثر حروب ابن الاشعث . وكان خلالها يرسل الصدقات الى عبد الرحمن بن رستم (252) الذى كان يعد العدة لقيام دولة بنى رستم الاباضية في المغرب الاوسط .

ويبدو انه في سنة 150 هـ (253) ( 767 م ) آنس من نفسه قوة « فأراد الخروج على جند طرابلس وعامل ابي جعفر » (254) .

ويبدو أن عامل طرابلس تنبه لذلك غضرج اليه على رأس جنده وطلب من الاباضية الاذعان لطاعته والدعوة للخليفة العباسى (255) ، غرفضوا ، فانتصر الاباضية ودخلوا طرابلس ، ونعتقد أن الاباضية أمعنوا في البطش بأهل طرابلس من العرب على غير عادتهم ـ تشفيا وانتقاما لما حل بهم من قبل (256) ، وظل أبو حاتم مقيما بطرابلس حتى وصل عمر بن حفص الى افريقية سنة 151 ه ( 768 م ) ،

حاول عمر بن حفص استرداد طرابلس واقصاء الاباضية عنها ، فأنفذ ثلاثة جيوش لهذا الغرض هزمها الاباضية جميعا (257) . كان أولها بقيادة الجنيد بن بشار الازدى ، فدهمه ابو حاتم بقابس وضرب عليه الحصار ، فبعث الجنيد يطلب العون من عمر بن حفص ، فأنفذ اليه خالد ابن يزيد المهلبي على رأس أربعمائة فارس عدا الرجالة ، لكن أبا حاتم هزمه أيضا وحال دون دخوله المدينة ، فعززه عمر بجيش ثالث بقيادة سليمان بن عبادة المهلبي ، طارده الاباضية فعاد من حيث اتى ، وكان عمر قد غادر القيروان اذ ذاك الى طبنة في اقليم الزاب ، فلم يتوان أبو عاتم عن اقتفاء أثر سليمان بن عبادة (258) وضرب الحصار على القيروان

<sup>(252)</sup> أبو زكريا: ورتة 11.

<sup>(253)</sup> بروننسال : نبذ تاريخية ص 49 ، محمد الشطيبي : الجمان ورتة 303 مخطوط .

<sup>(254)</sup> أبو زكريا : ورتـة 11 .

<sup>(255)</sup> الدرجيني : ج 1 ورقة 17 ، الشماخي : السير ص 134 .

<sup>(256)</sup> ينهم ذلك من رواية لابى زكريا يتول فيها أن أبا حاتم لام أصحابه على تعديهم وأمرهم برد ما أخذوه من أسلاب ، وهددهم بالتخلى عن الامامة ما لم يجيبوه ، انظر : السيرة ورتهة 12 .

<sup>(257)</sup> النويسرى : ج 22 ورتسة 21 ·

<sup>(258)</sup> من الملاحظ أن المصادر جميعا تضطرب وتختلط حين تسرد هذه الاحداث ، وقسد أثبتنا ما نعتقد أنه الصواب على هدى تلك الروايات المختلفة ، انظر : أبو زكريا ورقة 12 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 17 ، الشماخى : السير من 134 ، أبن عذارى ج 1 من 88 ، ابسن الاثير : ج 5 ص 221 ، ابسن خلدون : ج 4 ص 193 ،

سنة 153 ه (259) ( 770 م ) .

ثم غادر أبو حاتم القيروان ليسهم في حصار عمر بن حفص بطبنة سنة 153 ه ( 770 م ) ، ذلك الحصار الذي اشترك فيه الاباضية مسع الصفرية جنبا الي جنب لأول مرة . وقد اشترك أيضا عبد الرحمسن ابن رستم ومعه خمسة عشر ألف فارس (260) ، والمسور بن هانيء الزناتي في عشرة آلاف فارس (261) ، فضلا عن جموع الصفرية بقيادة أبي قرة . لكن الحصار لم يستمر طويلا ، فقد حدث نزاع بين الاباضية والصفرية أسفر عن فشله . وآثسر أبو حاتم العودة لحصار القيسروان ، بينما انسحب عبد الرحمن بن رستم برجاله الي تهودة . وهناك لحق به عمر بن حفص وانزل به هزيمة عاد بعدها الي تاهرت مدحورا (262) . أما المسور الزناتي فالراجح أنه لحق بأبي حاتم وانضم اليه في حصار القيروان ، (263).

شدد أبو حاتم الحصار ، وضيق على أهل القيروان بجيشه البالغ مائة وخمسين الفا (264) ، فاشتد الكرب بالمحاصرين ونفذ ما لديهم مسن المؤن والاقوات (265) ، واضطر كثيرون منهم الى الخروج من المدينة والانضمام الى الاباضية (266)

ترك عمر بن حفص طبنة على وجه السرعــة لفك الحصار عـن التيروان ، وخرج الاباضية بأجمهم ليجهزوا عليه قبل قدومه ، لكنه أخذ

<sup>(259)</sup> تخطىء المصادر الاباضية حين تزعم أن أبا حاتم حاصر أبين الاشعث في القيروان وأرغمه هو وجنوده على الرحيل إلى المشرق . قبن المعروب أن أبن الاشعث غادر التيروان سنة 148 ه بعد ثورة الجند الخلافي عليه . وجدير بالذكر أن هذه المصادر تتجاهل ولاية عمر بن حفص المريقية فتسقطها ، ولا تورد شيئًا من ثم عن الصراع بينه وبين الاباضية . راجع : أبو زكريا : ورقة 12 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 18 .

<sup>(260)</sup> ابن خلدون : ج 4 ص 193 ، النويرى : ج 22 ورقة 21 ·

<sup>(261)</sup> ابـن الاثيـر : ج 5 صنعـة 221 ·

<sup>(262)</sup> ابن خلدون : ج 6 ص 112 ذكر الرتيق أن ابن رستم فقد في المعركة ثلاثمائة من رجاله بينما ذكر ابن عذارى أن عدد القتلى بلغ ثلاثة آلاف . راجع : تاريخ افريقية والمغرب ص 143 ، البيان المغرب ج 1 ص 19 .

<sup>(263)</sup> ينهم ذلك من قول ابن الاثير بأن أبا حاتم « كثر جمعه » بعد أن غادر طبنة ، راجع الكامال ج 5 صفحة 222 ،

<sup>(264)</sup> ابن عذاری : ج 1 ص 89 وتبالغ بعض الروایات فتذکر أن جیش أبی حاتم بلغ خبسة وثبانین الف فارس وثلاثبائة وخبسین الف راجل ، راجع : الطبری : ج 8 ص 42 ، البرادی : الجواهر ورقة 88 ، العینی : عقد الجبان ج 13 ورقة 16 .

<sup>(265)</sup> ابن الاثبر: ج 5 منحة 222

<sup>(266)</sup> الرتيق : ص 144 ، النويرى : ج 22 ورتة 21 .

طريقا مغايرا ، فسلك طريق تونس بدلا من الاربس (267) . وبادر بشحن القيروان بالمؤن والاتوات والميرة والرجال وأدوات الحصار (268) . وحفر خندقا على باب أبى الربيع جعل عسكسره من خلفسه مؤثسرا سياسسة السدفساع (269) .

وقد عادت هذه السياسة على ابن حفص بأوخم العواقب ، فلسم يتوان الاباضية عن قتاله ، واضطر للخروج لفك الحصار — الذى فرضه على نفسه — فهزم وارتد الى خندق ابى الربيع معتصما به (270) . وتبعه أبو حاتم حتى جاوز مشارف الخندق ، كما وزع رجاله على سائر ابواب المدينة فمنع المحاصرين داخلها من الخروج ، وظلوا كذلك حتى نفسذت اقواتهم (271) . وزاد الامر سوءا ، اختلاف قواد عمر بن حفص عليه وتقاعسهم عن القيام بمحاولة يائسة لفك الحصار (272) وحين وصله خبر قدوم يزيد بن حاتم لنجدته ، استنكف الانتظار وآثر الموت ، فظلل يقاتل الاباضية حتى قتل (273) في منتصف ذى الحجة من سنة 154 هـ يقاتل الاباضية حتى قتل (273) في منتصف ذى الحجة من سنة 154 هـ (771 م) .

عقد أبو حاتم صلحا (274) مع جميل بن صخر ــ الذى تزعم الجند بعد مقتل أخيه لامه عمر بن حفص (275) ــ ثم دخل القيروان « فأحسرق أبوابها وثلم سورها » (276) واستخلف عليها عاملا من قبله . واتجه الى طرابلس حين علم بهقدم يزيد بن حاتم على رأس جيش من الشرق لكنه أضطر للعودة الى تونس لقيام ثورات الجند العربى على عماله في الزاب ،

<sup>(267)</sup> ابن خلدون : ج 4 ص 193 ، والاربس احدى مدن المريقية تقسع غربسى القيروان بمسيرة ثلاثة أيام ، السلاوى : ج 1 ص 118 °

<sup>(268)</sup> الرقيق : ص 144 ، ابن عذاري : ج 1 ص 89 .

<sup>(269)</sup> النويسرى : ج 22 ورقسة 21 ·

<sup>(270)</sup> الرميق: ص 144 ، النويري ج 22 ورمة 21 .

<sup>(271)</sup> الرتيق: ص 145 ، ابن عذاري: ج 1 ص 90 .

<sup>(272)</sup> الرقيق : نفس المصدر والصحيفة ، النويري : ج 22 ورتة 21 .

<sup>(273)</sup> الرقيق : نفس المصدر ص 146 ، ابن عذارى : ج 1 ص 90 ، وثبة رواية لابن وردان تصور هرب عبر بن حفص الى جبل الاوراس وقتله غدرا أثناء نومه ، راجع : تاريخ الاغالبة ورقة 5 ــ مخطوط .

<sup>(274)</sup> يبدو أن أبا حاتم كان يريد عقد الصلح على وجه السرعة ليتغرغ للقاء جيش يزيد بن حاتم ، ومن ثم اتسم الصلح بالتساهل المغرط مع غريمه ، نقد نص نميه على الايكره أحد من الجند على بيع سلاحه ودوابه وعلى أن كل دم أصابه الجند من البربر نمهو هدر . انظر : الرقيق ص 146 ، النويرى : ج 22 ورقة 22 .

<sup>(275)</sup> ابن الاثير : ج 5 ص 222 ، ابن خلدون : ج 4 ص 193 .

<sup>(276)</sup> الرقيق : ص 147 ، ابن خلدون : ج 4 ص 193 .

فنجح فى تفريق بعضهم (277) ، وعهد الى بعض تواده بمهمة القضاء على البعض الآخر (278) ومضى الى طرابلس لمواجهة يزيد بن حاتم (279) والواقع أن أبا حاتم كان فى موقف لا يحسد عليه ، ففضلا عن ضخامة حملة يزيد بن حاتم وحسن استعدادها (280) دب الخلاف داخل معسكره، فانحازت قبيلة مليلة الهوارية الى يزيد (281) ، وكذلك بعض رجال نفوسة الذين استرشد بهم فى الوقوف على عورات البلاد (282) .

على كل حال التمكنابو حاتم بادىء الآمر من هزيمة طلائلي عيش يزيد التى قادها سالم بن سوادة التميمى (283) عند مغمداس (284) وقتل منها أعدادا غفيرة (285) لكن لحسن بلاء يزيد وقيادته الجيش بنفسه (286) اضطر أبو حاتم الى الاعتصام بجبل نفوسة فى موضع حصين خلف خندق حفرة الاباضية على وجه السرعة (287) غير أن يزيدًا أفسد خطته المتمكن من اجتياز الخندق الالتحات جيوشه بالاباضية المعركة .

<sup>(277)</sup> بدد أبو حاتم شمل جميل بن صخر وجنده عند تونس ، كما أرغم لمخارق بن غفار الطائى على مغادرة القيروان ، انظر : الرقيق ص 148 .

<sup>(278)</sup> بعث أبو حاتم جرير بن مسعود المديوني في اثر عبر بن عثمان الفهري الى أرض كتابة ، لكن جريرا هزم وتتل ، انظر : الشماخي : ص 135 .

<sup>(279)</sup> الرتيق من 159 ، ابن عــذارى : ج 1 من 91 ، ابــن الاثير : ج 5 من 222 ، النــويــرى : ج 22 ورتــة 22 .

<sup>(280)</sup> تجمع المصادر على ضخامة الحملة نتقدر عددها بما يتراوح بين تسعين الف ومائسة وعشرين الف ، نصفهم من الفرسان ، انظر : اليعتوبى : تاريخه ص 120 ، البلاذرى : متوح البلدان ص 275 ، الرقيق : ص 159 ، وابن الاثير : ج 5 ص 222 ، ابن عذارى : ج 1 ص 94 ، ابن خلدون : العبر ج 4 ص 195 ، العبنى : ج 13 ورقة 16 ، الشماخى : السير ص 136 .

<sup>(281)</sup> أبو زكريا: ورقة 12 ، الشماخي : ص 136

<sup>(282)</sup> أبو زكريا: ورقة 13 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 18 .

<sup>(283)</sup> النويرى : ج 22 ورتــة 22 ٠

<sup>(284)</sup> مكان حصين بجبل ننوسة في نواحي طرابلس ، راجع : الرقيــق ص 159 ، ابــن الانيــر : ج 5 ص 222 ،

<sup>(285)</sup> الرقيق : ص 160 ، النويرى : ج 22 ورقة 22 . يعتقد الدكتور سعد زغلول عبد الحميد ان أبا حاتم هزم في تلك المعركة على الرغم من أجماع المؤرخين أباضية وغير أباضية على انتصاره فيها . أنظر : سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى من 329 ، أبن الاثير : ج 5 ص 222 ، النويرى : ج 22 ورقة 22 ، أبو زكريا ورقة 12 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 18 ، الشماخى : السير ص 139 .

<sup>(286)</sup> الرتيــق : صنحــة 160 .

<sup>(287)</sup> نفس المصدر والصحيفة ، ابن الاثير : ج 5 من 223 ، النويرى : ج 22 ورتة 22 .

<sup>(288)</sup> أبو زكريا: ورتة 13 ، الدرجيني : ج 1 ورتة 18 ، النويري : ج 22 ورتة 22 .

كما قتل جمهور عظيم من الاباضية (289) ، بلغ ثـلاثين الفا (290) . واستبدت بيزيد شهوة الثار لعمه عمر بن حفص (291) « فطلب الاباضية في كل سهل وجبل » (292) وبطش بهم . ثم استعمل احد عمالـه على طرابلس ونهض الى القيروان سنة 155 هـ (293) ( 772 م ) .

والحق ـ أن تلك الضربة الماحقة التي الحقها يزيد بن حاتم بالاباضية تعد نهاية لنشماط الخوارج الاباضية في صورته الشاملة المنظمة حقيقة أن حركاتهم لم تحبط بصورة نهائية في عهد يزيد ، لكنها كانت تفتقر الى التنظيم. والشمول ، ومن ثم لم يجد امراء آل المهلب في المريقية عناء في قمعها وردعها ، فثورة هوارة بزعامة أبي يحيى بن قرياس سنة 156 ه ( 773 م ) بنواحى طرابلس انتهت بكارثة لاباضية هوارة على يد عبد الله بن السمط الكندى الذي قتل أبا يحيى وعامة أصحابه (294) . وحسبنا أننا لم نسمع عن أي نشاط للاباضية طوال حكم يزيد بن حاتم الله المتد حتى علم 170 ه ( 786 م ) ، ولذلك حق لابن عذارى (295) ان يقــول « تهدنت أفريقية ليزيد بن حاتم ». واذا كان يزيد بن حاتم قد قضى على ثورات الاباضية في شبكلها الشيامل المنظم ، مان خليفته داود بن حاتم تمكن من « حصيد شوكتهم » (296) ، ففي عهده ثارت قبيلة نفزة الاباضية بجبال باجة بزعامة صالح بن نصير (297) ، ونجح في هزيمة قوات داود ، لكن سليمان بن الصمة احد رجال داود تمكن من هزيمته (298) . كما حارب سليمان نفرة في معركة أخرى بشتنبارية (299) لم يقم لها قائمة من بعدها (300) . كما أحبطت ثورة اباضية هوارة سنة 180 ه ( 796 م ) بزعامة عياض بن

<sup>(289)</sup> اليمتسوبسي : تاريخه ص 12 .

<sup>(290)</sup> ابن خلدون : العبر ج 4 ص 193 ، ويبالغ النويرى فيذكر أن القتلى من معسكر يزيد كانوا ثلاثة فقط والصحيح ما رواه الرقيق من أن عددهم بلغ « ثلاثة رهط » انظر : النويرى نهاية الارب ج 22 ، الرقيق : تاريخ افريقية والمغرب ص 160 .

<sup>(291)</sup> الرقيق : صفحة 159 .

<sup>(192)</sup> نفس المصدر والصحيفة ، ابن عذارى : ج 1 ص 194 ، ابن الأثير  $\pm$  5 ص 223 . (293) نفس المصادر والصفحات .

<sup>. 4</sup> م 1 م 194 ابن عذارى : ج 1 م 94 ، ابن الاثير : ج 5 م 4 .

<sup>(295)</sup> البيان المفرب ج 1 صنحـة 94 .

<sup>(296)</sup> ابن خلدون : المبرج 6 ص 113 ، السلاوى : ج 1 ص 120 .

<sup>(297)</sup> ابن خلدون : العبر ج 6 ص 115 ، النويرى : ج 22 ورقة 23 .

<sup>(298)</sup> الرقيق: ص 169 ، النويرى: ج 22 ورقة 23 .

<sup>(299)</sup> احدى كور الاربس بالمريقية ، راجع الرميق ص 169 .

<sup>(300)</sup> الرتيق : ص 169 ، ابن عذارى : ج 1 ص 99 ، ابن خلدون : ج 6 ص 113 ، النويرى : ج 22 ورتــة 23 .

وهب الهوارى (301) . اما اباضية نفوسة نقد استكانوا وغلبوا على أمرهم بعد غشل حركة أبى حاتم . وقبل ذلك كان اباضية زناتة قد بطش بهم ابن الاشعث سنة 144 ه ( 760 م ) .

وهكذا تصدعت حركات الاباضية في المغرب الادنى واغريقية ، بينما نجح عبد الرحمن بن رستم بمؤازرة اباضية المغرب الاوسط في تأسيس دولة بتاهرت سنة 161 ه ( 1977 م ) ، تلك الدولة التي امتد نفوذها غيما بعد لتضم اباضية المغرب جميعا بعد أن دانوا بالولاء والتبعية لائمتها ، واقامت دليلا عمليا على نجاح ثورات الاباضية في تحقيق مراميها في تكوين دولة اباضية بالمغرب .

<sup>(301)</sup> ابن الاثي : ج 5 من 46 ، ابن خلدون : العبر ج 4 من 195 ، ابن تعزى بسردى : ج 2 صفحة 90 .

## نتائج ثورات الفوارج في بلاد المغرب

نخلص من هذا العرض لثورات الخوارج ــ صفرية واباضية ـ في بلاد المغرب بعدة نتائج منها أن هذه الثورات كانت تتأثر ــ أن ضعفا وأن تتوة ــ بموقف الخلافة في الشرق أموية وعباسية ، واهتمامها بشؤون بلاد المغرب أو انصرافها عنها . وحسبنا أن اندلاع ثورات الخوارج في المغرب واكب اضطراب الخلافة الاموية وانشغالها بالخصومات القبلية والصراعات حول السلطة بين أفراد البيت الاموى (302) . وازدادت هذه الثورات تأججا وغلبت على بلاد المغرب جميعا بعد موت هشام بن عبد الملك سنة «فوتع الاضطراب بافريقية » (304) وطرق الخلل . . لخفوت صوت الخلافة بالمشرق (305) . ويكفى أن عبد الرحمن بن حبيب اغتصب حكم الخلافة بالمشرق (305) . ويكفى أن عبد الرحمن بن حبيب اغتصب حكم المغريقية له ولآله من بعده ، ففى غيبة الخلافة وعمالها آنذاك بلغت ثورات الخوارج أوجها حتى غدت القيروان ذاتها ميدانا للصراع بين الاباضية والصفرية ، وهو ما يعبر عنه ابن خلدون بقوله (306) « . . واعضل والصفرية ، وهو ما يعبر عنه ابن خلدون بقوله (306) « . . واعضل

<sup>(302)</sup> الحميدى : جذوة المقتبس ص 8 ، الضبى ، بغية الملتمس ص 14 .

<sup>(303)</sup> اخبار مجسوعـة ص 36

<sup>(304)</sup> الحميدى : المرجع السابق ص 8 ·

<sup>(305)</sup> الباجي المسعودي : الخلاصة النقية ص 15 .

<sup>(306)</sup> العبـر : ج 6 صفحـة 11 ·

امر الخارجية ورؤسها » . ولم يكن ذلك الا « لانشغال بنى أمية عسن قاصيـة الثفـور » (307) ·

ومن الطبيعى أن تتفاقم ثورات الخوارج ويزداد خطرها بقيام الدولة العباسية التي اهتمت في عهد السفاح بأمور المشرق أكثر من اهتمامها بأمور المغرب (308) ، غانتقال العاصمة من دمشق الى بغداد وسبع الهوة بين بلاد المغرب ومقر الخلافة (309) ، ومن ثم خرج عن طاعته « ما بين تاهرت وطبنة الى بلاد السودان وجميع مملكة الاندلس (310) .

وقد تغم الموقف تماما في خلافة المنصور ، فكانت سياسته قائمة على اساس الاحتفاظ بالمغرب وعدم التفريط فيه (311) ، فاختار ولاته من خاصته الاكفاء « من ذوى الرأى الاصيل والخطر الجليل » (312) ، كابن الاشمعث وعمر بن حفص ويزيد بن حاتم ، كما انفق المال بسخاء في اعداد حملاته على المغرب مع ما عرف عنه من بخل وشمع (313) . وتغلب على مشكلة طول المسافة وبعد الشقة بين بغداد والمغرب بأن عهد الى ولاته بمصر بمسؤوليات اعداد الجيوش وقيادتها (314) . واقتفى الرشيد نفس السياسة من الاهتمام بأمور المغرب (315) . فقد حرص على اختيار ولاته من ذوى « الخداع والدهاء والغدر » (316) . كما كان على صلـة دائمة بهؤلاء الولاة ، وكثيرا ما ساهم في رسم سياساتهم ووضع خططهم في محاربة الخوارج (317) . فاستطاع أن يحتفظ بافريقية بعد أن كادت تسقط في أيديهم (318) .

هذا وقد تأثرت ثورات الخوارج بشخصية الولاة وسياساتهم وما

<sup>(307)</sup> المترى : ننح الطيب ج 1 صنصة 222

<sup>(308)</sup> عن الطابع الشرقي للخلانة العباسية واهمال السفاح لشؤون المغرب انظر : محبود اسماعيل: الاغالبة ، سياستهم الخارجية ص 1 ، 2 ·

<sup>(309)</sup> عن الطريق البرية بين بغداد وبلاد الغسرب انظر : قدامة بن جعفسر : الخراج منحـة 220 <u>- 225</u>

<sup>(310)</sup> السيوطى : تاريخ الخلفاء من 258 ·

<sup>(311)</sup> ابن الاثير : ج 5 مس 221 ·

<sup>(312)</sup> الرقيق : ص 151 ، ابن عذارى : ج 1 ص 98 ·

<sup>(313)</sup> البلاذرى : متوح البلدان ص 275 ، ابن تغرى بردى : ج 2 ص 20

<sup>(314)</sup> ابن تفری بردی : ج 2 ص 23

<sup>(315)</sup> ابـن الاثيـر : ج 5 ص 221 ·

<sup>(316)</sup> ابن طباطبا: النخرى في الاداب السلطانية من 127

<sup>(317)</sup> ابن الابار : الحلة السيراء ج 2 ، ص 358 . (318) ابن الاثير ج 5 ص 221 ، 42. (318) Mercier : Histoire de l'Afrique. P. 142. Muir: The Caliphate. P. 461.

هم عليه من قوة أو ضعف ، وما لسياساتهم من آثار في جمع شمل الجند أو بعثرتك . فقد أدى نشوب الصراع القبلى بسين القيسيسة واليمنية (319) إلى ما حل بجيش كلثوم بن عياض القشيرى من كارثة على يد الصفرية في موقعة بقدورة سنة 123 ه ( 740 م ) . وأثبتت تلك الموقعة أن الخوارج كانوا يفيدون من انقسام الجند العربى ، وهي حقيقة يؤكدها سقوط القيروان واستيلاء الصفرية عليها ثم الاباضية بسبب الخلافات بين المراد الاسرة المهرية (320) .

وكانت ثورات الخوارج تزداد تأججا ونجاها هين كان الولاة يشعلون عنها بانتاذ حملاتهم خارج المغرب فكان الخوارج يجدون في غياب الجند العربي فرصة مواتية لتعبئة الجهود واعلان الثورة . وحسبنا أن أولى ثورات الخوارج التي تزعمها ميسرة تامت في الوقت الذي كانت فيه جيوش ابن الحبحاب تغزو في صقلية (321) . كما اندلعت هذه الثورات بصورة شاملة حيث « استشرى داء البربر واعضل أمر الخارجية » (322) في وقت انشعال جيوش ابن حبيب بغزو سردينية وصقلية (323) . وقد استطاع ابن الاشعث بفضل كفايته العسكرية (324) أن يضعف الخوارج وأن ابن الاشعث بفضل كفايته العسكرية (324) أن يضعف الخوارج وأن لكن لم يقدر له النجاح في القضاء نهائيا على ثوراتهم بسبب تسورة الجند العربي عليه وطرده من الولاية (328) ، وكان القتل من نصيب الاغلب بن العربي عليه وطرده من الولاية (328) . وكان القتل من نصيب الاغلب بن سالم لعقده العزم على استئصال شافة الخوارج ومهاجمتهم في معاقلهم بتلمسان والمغرب الاقصى ، فقد ثار عليه جنده وقتلوه سنة 148 هـ (329) بتلمسان والمغرب الاقصى ، فقد ثار عليه جنده وقتلوه سنة 148 هـ (329) بتلمسان والمغرب الاقصى ، فقد ثار عليه جنده وقتلوه سنة قرة الصفرى .

كما ارتبطت هزائم الخوارج بكفاءة الولاة واستقرار احوال الجنسد الخلافى ، ولا يخفى ما بلغه عمر بن حفص من شجاعة ودهاء وحسن

Biquet: Op. Cit. P. 42

<sup>(319)</sup> ابسن عبد الحكم : صنحـة 295

<sup>(320)</sup> ابسن خلسدون : العبسر ج 3 ص 190 .

<sup>(321)</sup> الرقيسق : صنحــة 109 .

<sup>(322)</sup> ابسن خلسدون : ج 6 صفحسة 111 .

<sup>(323)</sup> ابـن الاثيـر : ج 5 صنحـة 116 ·

<sup>(324)</sup> الطبرى: ج 7 صنحـة 459 ،

<sup>(325)</sup> ابـن الاثيـر : ج 5 منصـة 118 ·

<sup>(326)</sup> البكرى : ص 7 ، السلاوى : ج 1 ص 115 .

<sup>(327)</sup> ابن عذارى : ج 1 ص 88 ، السلاوى : ج 1 ص 115 .

<sup>(328)</sup> ابن الاثير : ج 5 ص 119 ، السلاوى : ج 1 ص 115 .

بصيرة ، ولعل في رحيله عن القيروان وتحصينه طبنة ما ينم عن ادراك واع لمكمن الخطر في نشاط الخوارج واغلاته من حصار خوارج المغرب أباضية وصفرية أضاف الكثير الى قدراته الفذة وفي نهايته البطولية وموته وهسو يقاتل الخوارج وحيدا ما جعل المؤرخين يطلقون عليه بحق بحق لا هزار مرد » (330) . كما استطاع يزيد بن حاتم ان يتصدى لثورات الخوارج ، وبفضل كفايته ومقدرته « سكن الناس في افريقية » (331) . المدوء في عهد خلفه روح بن حاتم (332) . ثم قدم هرثمة بن اعين الى افريقية سنة 179 ه ( 795 م ) ليقضى على ما بقى للخوارج فن رمق ، واعاد الحياة الآمنة الى بلاد المغرب (333) .

من ناحية اخرى ـ استفاد الخوارج من اخطاء عمال الخلافة بالمغرب ، وكانوا يتخيرون الوقت للخروج اعتمادا على تلك الاخطاء . فقد خرج ميسرة في الوقت الذي كان فيه جيش ابن الحبحباب في صقلية ، كما المتدت ثورات الخوارج وانتشرت ابان الازمات التي أصابت الخلافة في الشرق او اثناء الفتن القبلية بين الجند العربي قيسية ويمنية كالخصومة التي وقعت بين حبيب بن أبي عبيدة اليمني وبينكلثوم بن عياض القيسي ، أو الصراع بين الجند العربي في المريقية وبين العناصر الفارسية والخراسانية في عهد ابن الاشعث والاغلب بن سالم . يضاف الى ذلك الصراع حول الولاية بين عبد الرحمن بن حبيب وبين حنظلة بن صفوان ، ثم الصراع الدموى بين عبد الرحمن بن حبيب وبين حنظلة بن صفوان ، ثم الصراع الدموى الشرنا اليها .

كما تميزت حركات الخوارج في المغرب بالشمول وسعة الانتشار . وذلك بفضل الثورة الاولى التي قادها ميسرة المطغري سنسة 121 ه ( 739 م ) ، فقد كانت نموذجا اقتفاه ثوار المغرب الاوسط والادني من الصفرية والاباضية على السواء (334) . وجدير بالذكر أن هذا الطابع المنظم لحركات الخوارج ساعد على انتشارها في سائر ربوع المغرب في

<sup>(329)</sup> ابن خلدون : ج 6 ص 112 ، السلاوى : ج 1 ص 116 ، Muir : Op. Cit. P. 481.

<sup>(330)</sup> وتعنى بالفارسية « الف رجل » كتابة على شجاعته النادرة ·

<sup>(331)</sup> ابـن الاثيـر : ج 5 ص 4 · 4

Biquet : Op. Cit. P. 44 ، 194 من ج 5 من 194 ، 194 ، 194 ابن خلدون : ج 5 من 194

ركوري : ج 1 ص 89 ، السلاوي : ج 1 ص 121 ·

<sup>(334)</sup> حسن محمود : تيام دولة المرابطين ص 14 ·

وقعت واحد ، نما أن تظهر الثورة في ناحية حتى يمتد أثرها الى ما عداها من أقاليم المغرب نتجتاح البلاد من مشرقها الى مغربها (335) .

كما اشتهر الخوارج في حروبهم بالشجاعة والاستبسال شانهم في ذلك شان الخوارج في الشرق « فكانوا يحلقون الرءوس وترتفع أصواتهم بالتحكيم » (336) اذكاء للحماس الذي عوضهم عن نقص السلاح .

لقد كان العرب يعتمدون في خططهم على الفرسان بينها كانت جيوش الخوارج في الغالب من الرجالة ، ومع ذلك ابتكر الخوارج من الوسائل ما كانوا يرهبون بها خيل العرب وفرسانهم ، فيوقفون تقدمهم برميها « بالاوضاف (337) وهي الجلود اليابسة فيها الحجارة » (338) . كمانوا يعتمدون الى « الرمك الصعبة فيعلقون في اذنابها القرب والانطاع اليابسة ويوجهونها نحو الخيل فتنفر » (339) .

والى جانب الحماس والشجاعة تميزت ثوراتهم في كثير من الاحيان بالتنظيم المحكم الدقيق . وحسبنا ان انتصارات ميسرة جاعت نتيجة اعداد وتخطيط ، فكانت جيوشه تهاجم معاقل العرب في وقت واحد (340) ، كما نجح خلفه خالد بن حميد الزناتي في تطويق الجيش العربي رغم ضخامته وايقاعه في « كمين البربر » (341) ، وحصار القيروان من ناحيتين من قبل عكاشة النفزاوي وعبد الواحد الهواري في محاولة للاطباق عليها (342) كان نتيجة تدبير محكم بين القائدين الصفريين ، ولم يحل دون نجاحهما الا مطنة حنظلة بن صفوان لخطتهما وافسادها ، ومن اسباب نجاح عاصم بن جميل في الاستيلاء على القيروان براعته في ايهام اهلها بأنه يوالى الخليفة المنصور (343) ، وكان انسحاب أبو قرة الصفري امام جيوش الاغلب ابن سالم تخطيطا ذكيا لجره الى اقاصى المغرب في بلاد كان سكانها من

<sup>(335)</sup> مجهول : اخبار مجموعة من 29 ، ابن عذاري ج 1 من 88 ،

<sup>(336)</sup> اخبار مجسوعة صفصة 32

<sup>(337)</sup> ابن عبد الحكم صنصة 295

<sup>(338)</sup> اخبار مجموعة صنصة 33 ٠

<sup>(339)</sup> نفس الممسدر والصحيفة ،

<sup>(340)</sup> أخبار مجموعة ، صفحة 29

<sup>(341)</sup> ابسن الاثير : ج 5 منصة 69 · . (342) ننس المسدر : صنصة 70 ·

<sup>· 117</sup> نفس المصدر : منحة 117

الخوارج الصفرية حتى يضمسن القضاء عليها جميعا (344) . وتفيض المصادر الاباضية بالكثير عن خطط الاباضية في اعداد الجيوش ومباغتة الخصوم اعتمادا على وسائل التمويه والخداع . ومن أمثلة ذلك سياسة أبى الخطاب عبد الاعلى بن السمح في اعداد جيوشه خارج طرابلس ثم دخوله المدينة وجنوده « مستترين في جواليق يحملها الجمال » والاستيلاء عنيها في غفلة من أهلها (345) على غرار ما هو مشهور عن حرب طروادة. الا أن أبا الخطاب ذاته كان ضحية حيلة دبرها أبن الاشعث تمكن بواسطتها من هزيمة الاباضية ، على الرغم مما تسوقه المصادر الاباضية من حجج تدلل بها على فطنة القائد الاباضي لحيلة أبن الاشعث (346) .

وغضلا عن ذلك فقد اتسمت حركات الخوارج في المغرب بالاصرار المستميت على البقاء رغم ما حل بهم من نكبات وخاصة في عهدى المنصور والرشيد ، وحسبنا في هذا الصدد مذابح ابن الاشعث في الاباضية ، وما لاقاه الاباضية والصفرية على السواء في المجازر التي قام بها يزيد بسن حاتم وعماله .

حقيقة أن هذه الضربات أوهنت حركات الخوارج وفتت في عضدها ، لكنها لم تقض عليها قضاء تاما ، فكان الخوارج عقب تلك المحن يدابون على اعادة التنظيم ولم الشمل سرا بزعامة من سموه « بامام الدفاع » (347) فاذا ما أنسوا من أنفسهم قوة عاودوا الخروج وأعلنوا الثورة على الولاة ، وهذا يفسر استمرار هذه الثورات قرابة نصف قرن ، فلم تخب نارها حتى حققت أهدافها وقامت للخوارج دول ببلاد المغرب ذات طابع استقلالي قومسي .

ويتضح هذا الطابع القومى بشكل ظاهر فى قيادة ثورات الخوارج فبالستثناء أبى الخطاب المعافرى الذىكان من اصلعربى تصدرت ثورات الخوارج قيادات من البربر بترا وبرانس ، فميسرة من مطفرة ، وخالد بن حميد الزناتى من زناتة ، وعكاشمة بن أيوب من نفزاوة ، وعبد الواحد

 <sup>(344)</sup> ابـن خلـدون : ج 6 صفحـة 112

<sup>(345)</sup> أبو زكريا : ورتة 7 ·

<sup>(346)</sup> نفس المصدر ورتة 10 ، الشماخي : السير ص 132 ·

<sup>(347)</sup> الشماخسي : صفحة 133

الهوارى من هوارة ، وعاصم بن جميل من ورنجومة ، وأبو قرة من مغيلة وكلهم من زعماء الصفرية . أما زعماء الاباضية ، نقد كان عبد الله بن مسعود التجيبى من هوارة ، وكذلك كان الحارث وعبد الجبار ، ومن نفوسة تولى اسماعيل بن زياد ، وكان أبو حاتم الملزوزى من هوارة . ولا شك أن تصدر هذه الزعامات لثورات الخوارج في بلاد المغرب تعبير حى عسن شخصية المغرب الاسلامى المستقلة وتجسيد لدوره الاسلامى بعد اعتناق البربر مبادىء الخوارج .

هذا ، ولم تسلم حركات الخوارج من نقائص وسلبيات ، ولعل أهمها أنه لم يكن هناك ثمة تعاون بين غرقتى الصفرية والاباضية ، وهي آفة موروثة عن خوارج المشرق . ولا نعتقد أنها كانت في المغرب من جراء التجمعات القبلية التي اعتمد عليها كل مريق ، ذلك أن المذهبين الاباضي والصفرى انتشرا بين البربر واعتنقت بعض بطون القبيلة الواحدة المذهب الصفرى في حين اعتنق بعضها الآخر المذهب الاباضي كما هو الحال بالنسبة لزناتة وهوارة . انما كان عدم التعاون مرده الى الخلاف الجوهرى بين عقائد كلتى الفرقتين وهو خلاف يحول دون التقائهما فلم يكن قدوم داعيتى الفرقتين الى المفرب على ظهر بعير واحد يعنى تعاونا مشتركا أو توحيدا للجهود كما توهم البعض \_ وخاصة ابن خلدون \_ ممن خلطوا بين نشاط الاباضية والصفرية في المغرب ، بل اتخذت الفرقتان اتجاها صغايرا ، فبينما اتجه الاباضية الى الاقاليم الشرقية من بلاد المفرب ، يمم الصفرية وجههم شيطر الاجزاء الوسيطي والقصوي منه . واذا كانت بطون زناتة المنتشرة في سائر جهات المغرب قسمة بين الفرقتين ، فلم يقدر لها أن تكون همزة الوحسل بينهما ، بل لا نبالغ اذا قلنا أن أباضية زناتة كانوا معول هدم في حركات الإباضية ، وحسبنا دورهم المخرب في ثورة أبي الخطاب المعافري (348) . وليس من شك في أن ما حدث من صراع بين الاباضية والصفرية على القيروان سنة 140 ه ( 757 م ) كان مسن أهم اسباب اضعافهما ووقوعهما لقمة سائغة لجيوش ابن الاشعث فرقة بعد أخرى . وما يروى عن تعاون بينهما في حصار عمر بن حفص بطبنة سنة 153 هـ ( 770 م ) أمر مشكوك في صحته .

ومن عيوب خوارج المغرب أيضا ما حدث من خلافات وانشقاقسات

 $<sup>\</sup>cdot$  83 ابسن عنداری : ج 1 منصة (348)

داخل كل من الفرقتين ، ويخيل الينا انها كانت من ميراث المشاحنات القبلية التقليدية التى عرفها تاريخ المغرب فمثلا نعتقد أن الخلاف على ميسرة واقصائه عن زعامة الصفرية وتولية خالد بن حميد الزناتى بدلا منه ، كان محاولة من زناتة لتزعم الحركة ، واقصاء مطغرة عن مركز الصدارة كان بسبب تلك النزعة الزناتية (349) . ومن المؤكد أن برغواطة اعتزلت النشاط الصفرى واتخذت عقائدها طابع التطرف مسن جراء ما حلل بحليفها ميسرة المطغرى من اهمال ونكران (350) . وكذلك كان شأن الاباضية ، حركة أبى الخطاب عبد الاعلى بن السمح وتخليها عنه في وقت عصيب حركة أبى الخطاب عبد الاعلى بن السمح وتخليها عنه في وقت عصيب لاسباب قبلية كامنة في التنافس بينها وبين هوارة . كما تخلى بعض رجال نفوسة (351) ومليلة (352) عن أبى حاتم الملزوزى وانضموا الى يزيد بن نفوسة ، فأدى ذلك الى هزيمة الاباضية سنة 154 ه ( 770 م ) .

ويعاب على خوارج المغرب كذلك سطحية الفهم لمبادىء المذهب ، واسرافهم في تطبيق تعاليمه . لقد حضت مبادىء الخوارج على الثورة على ائمة الجور (353) ، لكن خوارج المغرب اعلنوا الثورة في كثير من الاحيان على الحكام العرب بغض النظر عن تعديهم وظلمهم أو عدلهم ونزاهتهم ، فلا شك أن بلاد المغرب حكمها ولاة مستنيرون دابوا على الاصلاح من أمثال عمر بن حفص ويزيد بن حاتم ، لكن ثورات الخوارج استهدفت الحكسم العربي عموما ، فلم يسلم هؤلاء الولاة من خطر الخوارج . كما أسرف الصفرية بوجه خاص في استخدام العنف والقسوة فكانوا يقتلون الاطفال ويسبسون النساء انطلاقا مسن تطرف المذهب الصفري في معاملة الخصوم .

وآنة ثورات الخوارج عموما في المغرب عدم اتصالها وتنسيقها مع حركاتهم في الشرق ، ولو أحكم مثل هذا الاتصال لكانت نتائجها أكثر نجاحا ، ولما قدر للخلافة أن تصفى نشاط خوارج الشرق بمثل السهولة التسى

<sup>(349)</sup> اليعتوبي : البلدان : صنحة 359 ·

<sup>(350)</sup> عبيد الله بن صالح : نص جديد ص 224 ،

Marcais : La Berberie Musulmane. P. 48.

<sup>(351)</sup> أبو زكريا : ورقة 13 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 18 ،

<sup>(352)</sup> أبو زكريا : ورقة 12 ، الشماخي : السير ص 136 ·

<sup>(353)</sup> البغدادي : الغرق بين الغرق 273 ·

تمت بها (354) .

ومع ذلك كانت لثورات الخوارج آثار واضحة فى تاريخ المغرب ، ذلك أن هذه الثورات احتوت سائر قبائل البربر بترا وبرانس ، ولم تكن حكرا على قبيلة زناتة كما يذهب جوتييه الذى نظر الى ثورات الخوارج على انها ثورات زناتة دون سواها ، الامر الذى جعلنا نقف عند رايه هذا محاولين أن نناقشه متبينين ما غيه من خطأ أو اسراف .

يقول جوتييه « ما هي مراكز الثورات ؟ وما هي القبيلة التي رفعت العلم الذي تركه كسيلة والكاهنة منكسا ، لقد اختلف المؤرخون العرب كعادتهم حول هذا الامر وان أجمع معظمهم في اقتضاب على ذلك الشيء الواضح للعيان ، على زناتة . لقد قامت الثورة بادىء الامر في طنجة ، وما لبثت ان وصلت الاندلس على التو . . ثم انتشرت على طول الطريق من طنجة الى القيروان . . انتهت الثورة الاولى بمعركة الاشراف على وادى شلف ، والثانية على وادى سبو والثالثة في القرن على مشارف القيروان ، اما الرابعة فقد وقعت في الشرق بنواحي طرابلس . . وهذا يعنى الاحداث البارزة في الفترة ما بين عامى 743 ، 752 م ( 125 ، 135 ه ) تركزت حول طرابلس وتونس وتلمسان . أما تلك التي وقعت في عامى لورفجومة الصفرية . وقد تمثل رد الفعل العربي في حملة ابن الاشعث الذي هزم الخوارج في سرت واسترد القيروان لكنه اخفق في اقصاء الخوارج عن تلمسان التي كانت مركزا لحركة ابي قرة اليفرني سنة الخوارج عن تلمسان التي كانت مركزا لحركة ابي قرة اليفرني سنة

ثم استرد الخوارج طرابلس مرة أخرى ، ونصبوا الحصار حول التيروان ، ويجمع المؤرخون على حصارهم طبنة سنة 770 م ( 153 ه ) ثم القيروان حيث صرع عمر بن حفص سنة 771 م ( 154 ه ) أثناء الحصار،

<sup>(354)</sup> من اهم حركات الاباضية في الشرق والمعاصرة لثوراتهم في المغرب حركة ابي حمزة وطالب الحق باليمن وحضر موت ، وقد تم القضاء عليها سنة 134 ه وكذلك حركة الجلندي بعمان التي قمعت في نفس العام ، انظر ابن الاثير ج 5 ص 145 ، 169 وما حركات الصفرية غاشهرها ثورة شيبان الحروري بالموصل التي اخمدت سنة 130 ه ابن الاثير : ج 5 ص 132 و وحركة شيبان بن عبد العزيز سنة 134 ه ، وقد قتل على يد الجلندي الاباضي حين لجأ اليه هربا مسن العباسيين : انظر ابن الاثير : ج 5 ص 139 وحركة ملبد بن حرملة الصفري سنة 137 ه ، وقد قتل في عهد المنصور سنة 138 ه ، وقد قتل في عهد المنصور سنة 138 ه ، والم دراجع : ابن الاثير :

وتمثل رد الفعل العربى فى حملة يزيد بن حاتم وجهوده غربى القيروان فى الاربس وطبنة والزاب . وبعد ذلك حلت فترة سلام امتدت بين عامسى 771 ، 778 م ( 154 ، 170 ه ) . وعلى ذلك فان ثورات الخوارج قد شعفات النصف الاخير من القرن الثامن الميلادى . .

فما هو اذن الميدان الذى دارت فيه تلك الاحداث التاريخية ؟ لقد دارت في طنجة ووادى سبو وتلمسان ووادى شلف وهدنة وجنوب تونس وطرابلس ، وكلها تقع في سلسلة السهول والهضاب العالية التى تقطنها زناتة . لقد كانت روح زناتة اذن هى الدافع وراء هذه الاحداث . وليكن معلوما أن هذا الزلزال العظيم الذى اجتاح بلاد المغرب كان يحركه — ضمن عوامل اخرى — عامل مغربى خالص ظهر على الاتل في الثورات الاولى التي تنامت في طنجة . ويجب الا يغيب عن البال أن حركات الخوارج انطوت على عناصر تنتمى الى عالم الليفانت ( يقصد الفدرس والخراسانيين والعرب ) . . وعلى الرغم من اسهام بعض القبائل كصنهاجة وكتامة في ثورات الخوارج ، فمما لا شبك فيه أن الزعامة في هذه الحركات كانت دائما لزناتة . . وعلى ذلك نسلم بداهة بأن ثورات الخوارج في المغرب ما هى الا ثورة زناتة ، وأن الدور الذى لعبته في هذا الصدد هو أولى أدوارها على مسرح التاريخ المغربي » (355) .

ويخيل الينا أن مكمن الخطأ في رأى جوتييه هو نظرته الى المناطق التى شهدت المعارك الكبرى بين الخوارج والعرب على أنها مواطن قبيلة زناتة دون أن يفطن الى أمرين : أولهما ، أن مواطن القبائل البدوية لمح تكن ثابتة ثبوتا قاطعا ، فهى دائمة الترحال والانتقال بقطعانها وراء المراعى ومواطن الكلا . وثانيهما ، أن قبيلة زناتة كانت منتشرة في بلاد المغرب من أدناها الى أقصاها مختلطة بغيرها من القبائل ، فمواطنها كما يتول أبسن خلدون (356) « في سائر مواطن البربر بافريقية والمغرب ، فمنهم ببلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الاقصى ، ومنهم قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحي افريقية وبجبل أوراس ، والاكثر منهم بالمغرب الاوسط، ومنهم بالمغرب الاقصى أمم أخرى » . فالمعارك الكبرى أذن لم تقصع في مواطن زناتة وحدها أنما في « سائر مواطن البربر » .

Gautier : Les Siecles obscurs du Maghreb. P.P. 264 - 269. : داجستي (355)

<sup>(356)</sup> العبسر: ج 7 منصة 2 ·

ثم أن جوتيبه بنى رايه على اساس أن المؤرخين العرب القدامسى ذكروا أن زناتة وحدها تزعمت ثورات الخوارج وساعدت على قيامها والحقيقة أننا لم نجد مؤرخا واحدا يشير الى مثل هذا الامر البتة . بل نجد عندهم من الاشارات ما يدلل على عكس ذلك ، غابن خلدون (351) مثلا يتول عن ثورات الخوارج في عهد عبد الرحمن بن حبيب « . . فاستشرى داء البربسر ، واعضل أمر الخارجيسة ورؤسها ، فانتفضوا من أطسراف البقاع ، وتواثبوا على الامر بكل ما كان داعين الى بدعتهم ، وتولى كبر ذلك يومئذ صنهاجة » .

ويكفى أن نشير الى ثورات الخوارج لنبين هذا الاسراف فى القول . فأولى الثورات فى بلاد المغرب سنة 121 ه ( 739 م ) قامت بزعامة مطغرة أول الامر ، ثم تصدت زناتة بعد ذلك لقيادتها حين أقصى ميسرة وحل خالد ابن حميد الزناتي محله فى زعامة الثورة . واذا كانت زناتة قد برزت فى هذه الحركة فذلك لا يعنى أنها كانت وقفا عليها ، بل ساهمت فيها قبائل المغرب الاقصى برمتها ، وهذا يفسر قول ابن الاثير (358) بأنها « شملت المسلمين والكفار » .

واذا كانت زناتة قد تزعمت هذه الشورة في مرحلتها الاخيرة فان صوتها قد خفت بعد ذلك ، ثم عادت الى الظهور في حركة أبى قرة الصفرى . أما الثورة الصفرية الثانية التى تزعمها عكاشة بن أيوب النفزاوى وعبد الواحد الهوارى سنة 124 ه ( 742 م ) فقد لعبت هوارة ونفزة (359) دور الصدارة فيها ، واشتركت فيها زناتة كحليف لعبد الواحد الهوارى (360) . أما ثالث ثورات الصفرية التى مكنت الصفرية من القيروان سنة 139 ه أما ثالث ثورات الصفرية التى اكتاف قبيلة نفزة بصفة عامة ورفجومة بصفة خاصة (361 م ) ، فقد قامت على اكتاف قبيلة نفزة بصفة عامة ورفجومة بصفة خاصة (361) ولم نسمع عن صوت لزناتة في ثورات الصفرية في اقليم الزاب ، فقد كانت مقصورة على قبيلتى نفزة وهوارة (362) .

ولم يكن لزناتة دور يذكر في ثورات الاباضية ، نقد كانت الزعامة

<sup>(357)</sup> العبـر ج 6 صفحـة 111

<sup>(358)</sup> الكامل ج 5 منصة 70 .

<sup>(359)</sup> ابن عبد الحكم : ص 294 ، ابن الاثير : ج 5 ص 70 .

<sup>(360)</sup> ابن عبد الحكم: ننس المصدر والتيبة ·

<sup>(361)</sup> الرقيق : ص 140 ، ابن عذارى : ج 1 ص 80 .

<sup>(362)</sup> ابن خلدون : ج 2 ص 193 .

غيها لهوارة (363) . فحركة عبد الله بن مسعود التجيبى سنة 126 هـ ( 744 م ) وثورة الحارث وعبد الجبار التى استمرت حتى عام 131 هـ ( 749 م ) كانتا حكرا على اباضية هوارة فى أحواز طرابلس (364) . بينما تزعمت نفوسة الحركة التالية بزعامة اسماعيل بن زياد النفوسى سنسة 132 هـ (750 م ) (365) . ولا نجد لزناتة ذكرا الا فى حركة أبى المخطاب المعافرى سنة 140 هـ ( 757 م ) وهى حركة كانت هوارة مركز ثقلها بينما لعبت زناتة فيها دورا غير مشرف (366) . وثورة الاباضية العظمى التى تام بها أبو حاتم الملزوزى كانت ثورة هوارة أيضا ، وكان أبو حاتم نفسه من مليلة وهى بطن من بطونها (367) ، وظلت هوارة وحدها تأدة للحركات الاباضية التسى قسامت فى سنتسى 156 هـ (368) (773 م ) و (368 هـ (180 م ) (368 م ) و (370 م ) و (370 م ) و (370 م ) و داود بسن حاتم (370) .

قصارى القول ـ أن زناتة أسهمت في ثورات الخوارج الصفريسة مع غيرها من القبائل ، وكانت القيادة في هذه الثورات متداولة بين مطغرة وزناتة ونفزة وهوارة ومغيلة على التوالى ، بينما يعتبر اسهامها في حركات الاباضية ضئيلا للغاية ، فقد تصدرت هوارة دون منازع هذه الحركات من البداية حتى النهاية .

ومهما يكن من امر فقد اسفرت ثورات الفوارج عن قيام دولتين ببلاد المغرب احداهما للصفرية سنة 140 ه ( 757 م ) ومركزها سجلماسة والاخرى للاباضية وعاصمتها تاهرت سنة 161 ه ( 778 م ) ، وكذلك كان قيام دولة الاغالبة في افريقية سنة 184 ه ( 800 م ) بمثابة رد الفعل العربي لقيام دول من البربر ، فقد حرص الرشيد على ضمان استمرار نفوذ الخلافة في افريقية حتى ولو كان هذا النفوذ اسميا ، ومن ثم فقد أقر قيام الامارة الاغلبية لتحول دون زوال هذا النفوذ ولتقف حاجزا أمام خطر الدولسة الادريسية العلوية والدولتين الخارجيتين المدرارية والرستمية .

<sup>(363)</sup> ننس المصدر ج 6 ص 144

<sup>(364)</sup> ابن عبد الحكم : ص 301 ، 302

<sup>(365)</sup> ننس المصدر ص 302 ٠

<sup>(366)</sup> ابن عــذارى : ج 1 ص 83 ٠

<sup>(367)</sup> أبسو زكسريا : ورتسة 12

<sup>(368)</sup> ابسن عسذاری : ج 1 ص 94 ۰

<sup>(369)</sup> ابسن الاثيسر: ج 5 ص 46

<sup>(370)</sup> ابن خلدون : ج 6 ص 110 ، النويرى : ج 22 ورقة 23 .

# الباب الثالث

دول الخوارج في بلاد المغرب

كلت ثورات الخوارج الصفرية بالنجاح في المغرب الاقصى على يد ميسرة وخليفته خالد بن حميد الزناتي ، كما نجح الخوارج الاباضية فسى بسط نفوذهم على المغرب الادنى بعد قيام « امامة الظهور » على يد ابى الخطاب المعافري سنة 139 ه ( 756 م ) . غير أن نشاط الخوارج لازمه النفشل حين رنوا بأبصارهم صوب افريقية لسببين رئيسيين ، اولهما : التنافس بين الصفرية والاباضية على امتلاك القيروان واندلاع الحسرب بينهما سنة 140 ه ( 757 م ) ، الامر الذي اضعفهما معا ، فوقعوا لقمة سائغة لجيوش ابن الاشعث سنة 141 ه ( 758 م ) . وتسبب هذا التنافس أيضا في فشلهم في حصار عمر بن حفص بطبنة سنة 153 ه ( 770 م ) ، وأسفر اختلافهم عن تنكيل يزيد بن حاتم بهم جماعة في اثر اخرى سنسة و155 ه ( 772 م ) .

وثانيهما : صحوة الخلافة العباسية وحرصها على دعم نفوذها فى افريقية بانفاذ الحملات المتتابعة التى عهد بقيادتها الى قواد اكفاء من أمثال ابن الاشمعث والاغلب بن سالم وعمر بن حفص ويزيد بن حاتم .

ولذلك استحال استمرار نشاط الخوارج في الهريقية وخاصة بعد قيام حكم آل المهلب الاقوياء في القيروان وعدم توانيهم عن ملاحقة حركاتهم ومناهضتها . عندئذ اتخذت حركات الخوارج طابعا عمليا (1) ، فعزفوا عن مناطق النفوذ العربي نهائيا واتجهوا الى المناطق الصحراوية النائية بالمغربين الاقصى والاوسط حيث عول الصفرية على اقامة دولة في جنوبي المغرب الاقصى معقل الخوارج الصفرية كانت سجلماسة عاصمة لها . بينما آثر الاباضية اقامة دولتهم بالمغرب الاوسط حيث تضرب كثير من القبائل التي تدين بالمذهب الاباضي مثل زناتة ولماية وهوارة ولواتة وسدراتــة

Marcais, G: La Berberie Musulmane. P. 141. (1)

وغيرها (2) . واتخذوا من مدينة تاهرت عاصمة لها .

والواقع ان ظهور دولتى الخوارج يمثل نقلة هامة فى تاريخ الخوارج وتاريسخ المفرب عملى السواء ، فقصد توجست دعوتهم فى بسلاد المفرب بتحقيدة اهدافهما فى اقامة دولية خارجية (3) بعد ان فشلوا فى تحقيق ذلك بالمشرق واتاح ذلك لهم ان ينعموا بالاستقرار السياسى بعد حروب استمرت ما يقرب من نصف قرن من الزمان ، ومن ناحية أخرى فان قيام دولتى الخوارج كان بمثابة تعبير من روح القومية والاستقلال عند المفاربة ، فضلا عن الآثار الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى شهدتها بلاد المغرب وهو ما سندرسه فيمسا بعدد مفصلا .

<sup>(2)</sup> التناوسي : صنحة 4 ،

<sup>(3)</sup> ابـو زكـريـا: ورتـة 13 ·

## دولة بني مدرار الصفرية

## أ ـ قيام دولة بني مدرار

كان الخوارج الصفرية سباقين الى انشاء دولتهم في سجلماسة سنة 140 ه (757 م) ، كما كانت لهم الاسبقية من قبل في المبادرة بالثورة سنة 121 ه (739 م) ، غير ان المؤرخين الغربيين (4) درجوا على التقليل من شأن هذه الدولة فاعتبروها مجرد دويلة لا يعتد بدورها في تاريخ بلاد المغرب . ويخيل الينا أن الباعث على ذلك يكمن في أمرين أساسيين ، أولهما : أن دولة بنى مدرار كانت دولة داخلية صحراوية لم تسهم بدور مباشر في التيارات السياسية العالمية للعالمية المعاصرة لها على سبيل المثال و واقتصر نشاطها على المشاركة في حركة التجارة عبر الصحراء شمسالا وجنوبا .

وثانيهما: ندرة المعلومات عن هذه الدولة بدرجة جعلت المؤرخين يحجمون عن التاريخ لها ، فظل تاريخها يلفه الغموض والابهام (5) .

وعلى كل حال ـ استطاع الخوارج الصفريـة في سنـة 140 هـ ( 757 م ) ان يستنفذوا من اضطراب الاحوال في المريقية ويقيموا دولتهم

Gautier : Op. Cit. P. 292, Biquet : Op. Cit. P. 47 : انظـر : (4)

<sup>(5)</sup> انظر المقديدة .

فى سجلماسة على وادى ملوية (6) ، فعمال الخلافة فى المغرب شعلوا Tiذاك عن الاقاليم الغربية والجنوبية بتدعيم نفوذها فى المغرب الادنى والمريقية (7) ، فوجد الصفرية فى ذلك فرصة مواتية لتأسيس دولتهم فى مامن من نقمة الخلافة وعمالها .

وينم اختيارهم اقليم تاغيللت باقصى الصحراء الكبرى عن حكمة وذكاء ، ذلك أن هذا الاقليم النائى من بلاد المغرب يمثل نهاية العمران من ناحية الجنوب والغرب (8) والطريق اليه غاية فى الوعورة أذ يمتد خلال متاهات من القفار والرمال ، ولذلك فهو فى حماية طبيعية أتاحت لبربر مكناسة أن يتخذوا من قصبته سجلماسة (9) عاصمة لهم .

ومكناسة هى العصبية التى ارتكزت عليها دولة بنى مدرار (10) وليست زناتة أو نفوسة (11) ، ومواطنها على وادى ملوية (12) — حيث تقع سجلهاسة فى أعلاه — هذا الوادى يصب فى البحر المتوسط ، وكذلك تقطن بعض بطونها فى نواحى تازا وتسول بالمغرب الاقصى (13) ، وبربر مكناسة من البتر وبطونهم كثيرة منها « صولات وبوحات وبنو ورفلاس وقيصارة وورقطنة وورصطف » (14) وكلهم من سكان الصحراء (15) ،

واسهمت عناصر اخرى غير مكناسة في قيام الدولة ، ولعل من ابرزها بربر صنهاجة وزويلة وزناتة وزنسوج السودان واهل الربض الاندلسيين ، ويفهم هذا من قول اليعقوبي (16) بأن عناصر شتى استقرت

<sup>(6)</sup> البكتري صنحـة 149 ، Mercier : Histoire de l'Afrique Septentrionale. Vol. I. P. 243.

Bel: Op. Cit. P. 95. ، 73 منصة 1 (7)

<sup>(8)</sup> البكرى: ص 148 ، الاستبصار ص 200 ، القلقشندى: ج 5 ص 163 · 8)

<sup>(9)</sup> الاصطخرى: المسالك والممالك من 34 ، Marcais, G: La Berberie Musulmane. P. 143.

كولين : مادة سجلماسة \_ دائرة المعارف الاسلامية من 298 . Gautier : Op. Cit. P. 292. Bel : Op. Cit. P. 167. ، 129

<sup>(11)</sup> انظر : ابن الخطيب : أعمال الاعلام ج 3 ص 137 ؛ عبد الرحمن بن زيدان : اتحاف اعلام الناس ج 1 ص 62 ، مؤنس : ثورات البربر ص 187 ·

الدار على المحمد المحم

<sup>(14)</sup> ابن خلدون : نفس المصدر والصحيفة .

<sup>(15)</sup> ننس المصدر والصحينة.

<sup>· 359</sup> البلدان : صنحة 359

في سجلماسة ، مقبائل صنهاجة اللثام من مسومة ولمتونة كانت تضرب في أحواز سجلماسة على طول المفازة بينها وبين غانة السودانية (17) ويبدو أنهم كانوا من الكثرة بالمدينة حتى أن البكري وصف سكانها بأنهم « كانسوا يلتزمون النقاب» (18) . ونعلم أن عنصر السودان اسهم في قيام دولة بني مدرار، فكانت جماعات منهم تقيم باقليم تافيللت بعد اعتناقهم المذهب الصفرى على يد أبى القاسم سمكو بن واسول (19) . وحسبنا أن أول من تولى الامامة في الدولة كان سودانيا يدعى عيسى بن يزيد الاسود .

وكان اشتغال بربر زويلة \_ ومسواطنهم جنوبسى سجلماسة \_ بالوساطة التجارية ومرافقه القوافل عبر المفاوز ما بين سجلماسة وبلاد السودان سببا في اعتناقهم المذهب الصفرى ومشاركتهم صفرية تافيللت في انشاء دولة بني مدرار (20) .

وعلى الرغم من استبعاد الرواية القائلة بتأسيس ربض الاندلس مدينة سجلماسة وأن أول أئمة الدولة كان منهم (21) ، فلا شك في انهم قاموا بدور واضح في تدعيم الدولة بعد نزول اعداد غفيرة منهم بسجلماسة واعتناقهم المذهب الصفرى (22) ، وخاصة فيما يتعلق بالنواحي المهنيسة والعمرانية.

على أن الفضل يعزى الى مكناسة في جمع شمل هذه العناصر جميعا في نظام سياسي واحد بعد ان كانت تضرب في اقليم تافيللت دونما صلة أو رباط يجمعها (23) ، فتمكن زعيمها أبو القاسم سمكو بن واسول من تجميعها حول المذهب الصفرى وضمها في كيان واحد . ويعزى دور مكناسة القيادى هذا الى اسبقيتها في اعتناق المذهب الصفرى ، فقد وصلها فسى وقت مبكر اذ تلقاه المكناسيون « عن ائمتهم ورؤسهم من المغرب » (24) فكان زعيمهم ابو القاسم سمكو على صلة بعكرمة منذ وصوله الى القيروان، وهو من اشمهر دعاة الصفرية في بلاد المغرب على الاطلاق . وبعد نشره

<sup>(17)</sup> مجهول : الاستبصار ص 201 ، حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص 231 .

<sup>(18)</sup> المغسرب صنحسة 148 .

<sup>(19)</sup> نفسه : صفحة 149 .

<sup>(20)</sup> الاصطخرى : ص 34 ، الاستبصار ص 201 ، المتدسى : احسن التقاسيم ص 231 ،

<sup>(21)</sup> ابــن خلــدون : ج 4 صفحــة 126 . (22) أبو العرب تهيم : طبقات علماء انريقية ص 80 .

<sup>(23)</sup> النفوسى : الازهار الرياضية ج 2 من 93 . (24) ابن خلدون : ج 6 ص 130 ، .92 . Gautier : Op. Cit. P. 292.

المذهب بين مومه من مكناسة ، عكف على بثه بين سكان القليم تانيللت ، وهذا يخالف قول صاحب الأزهار الرياضية (25) بأن المذهب الصفرى انتقل الى مكناسة عن طريق أهل تانيلات في وقت متأخر أثناء شروعهم في اقامة دولة بنى مدرار . اذ الثابت ان بربر مكناسة وزعيمهم ابى القاسم سمكو اشتركوا في ثورة ميسرة المطغرى سنة 121 هـ (26) ( 739 م ) .

ولم نقف على دور لابى القاسم في ثورات الصفرية بعد ميسرة ، ويبدو أن سيطرة زناتة على الحركة ، وتولى من هم اقل منه مكانة وسابقة في المذهب زعامتها ، جعله يعزف عن المشاركة فيها ، أو لعله زهد في اسلوب الثورة وآثر الانقطاع لنشر المذهب في الاصقاع الجنوبية تمهيدا لانشاء دولة للصفرية هناك ، فتوجه الى تافيللت حيث تضرب جماعات من السودان وبعض بطون صنهاجة وهم غالبية سكانها (27) . وجدير بالذكر أن هذه الجماعات « كانوا أهل بادية وحواضر وحراثات » (28) 6 فكانوا يعملون بالرعى والزراعة (29) الى جانب التجارة (30) كما عرفوا بالتدين وحب العلم والرغبة في طلبه الى جانب شدة البأس والنجدة وقوة العربكة ، « فهم أهل علم وسلاح » (31) . لذلك وجد فيهم أبو القاسم سمكو \_ الملقب بمدرار (32) - ضالته المنشودة ، فكانوا أعونا له على أنشاء الدولة التي نسبت اليه .

نزل ابو القاسم ارض تافيلك سنة 138 ه (33) ( 755 م ) واشتغل

<sup>(25)</sup> النفسوسي : صفحـة 93

Gautier : Op. Cit. P. 292. ، 130 ص 6 ج ابن خلاون ج 6 مس (26)

منحـة 359 ، (27) اليعقوبسى: البلدان

<sup>(28)</sup> اسماعيل حامد ( جامع ) : نبذة في تاريخ الصحراء القصوى ص 7

<sup>(29)</sup> ئ**ن**سە : **صن**حة **3** 

<sup>(30)</sup> مجهدول : الاستبصار صفحة 200

<sup>(31)</sup> اسماعيل حامد : المرجع السابق ص 7

<sup>(32)</sup> نرجح أن مدرارا كان لقب أبى القاسم كما يذهب أبن الخطيب ، وليس أسم جده كما اعتقد ابن عذاری ، أو اسمه هو حسبما ذكر صاحب كتاب الاستبصار ونجد في رواية اخرى لابن الخطيب خلطا بين شخص ابى القاسم سمكو وبين عيسى بن يزيد ، مينسب دور أبى القاسم الى عيسى ولا يورد للاول ذكراً ، أما البكرى فينسب الفضل في قيام الدولة المدرارية الى جهود أبى القاسم لكنه بشير الى لقبه · وجدير بالذكر أن رواية البكرى عن دولة بنى مدرار أصح الروايات واكثرها صدقا ؛ وقد أخذ بها كبار الدارسين مثل غورنل ومرسيية ، أنظر : أبن الخطيب : أعمال الاعلام ج 3 ص 138 ، 140 ، ابن عذارى : ج 1 ص 215 ، الاستبصار ص 201 ، البكرى : ص 149 ، Mercier : Histoire de l'Afrique : P. 243.

Fournel: Op. Cit. Vol. I. P. 352.

<sup>(33)</sup> ابن الخطيب : اعبال الاعلام ج 3 ص 138 ·

بالرعى واخذ يتصل بغيره من الرعاة الذين كانوا ينتجعون بقطعانهم موضع سجلماسة ، ويعلمهم اصول المذهب الصفرى (34) ، واصبحت خيمة ابى القاسم بمثابة مجمع يلتقى به انصاره (35) . ولما اشتد ساعده وكثر أتباعه نصبوا خيامهم الى جواره (36) ويذهب بعض المؤرخين (37) الى ان ابا القاسم شرع في اعلان قيام دولته سنة 140 ه ( 757 م ) لما بلغ عدد أنصاره أربعين رجلا ، « فعندئذ بايع بالامامة عيسى بن يزيد الاسود وحمل قومه من مكناسة على طاعته » .

على كل حال \_ كانت مبايعة عيسى بن يزيد الاسود بالامامة (38) وهو من موالى العرب (39) \_ وانصياع صفرية مكناسة لبيعته بعد ان حملهم أبو القاسم على الاعتراف بامامته (40) ، تطبيقا عمليا لرأى الخوارج في الامامة ولما كان عيسى بن يزيد الاسود لا يرقى الى منزلة أبى القاسم سمكو من حيث السابقة في المذهب أو الافضلية في العلم ، فان اختياره

<sup>(34)</sup> لا اعتبار لما يقال عن أن أبا القاسم كان أبانسيا ( الازهار الرياضية ج 2 ص 93 ) أو أنه كان أباضيا صفريا كما ذهب أبن خلدون ( العبر ج 6 ص 130 ) ، فنحن نعلم أن أبا القاسم كان من دعاة عكرمة مولى أبن عباس و « مقدم الصفرية » انظر : بروفنسال : نبذ تاريخية ص 48 ، الشطيبي : الجمان ورقة 203 ·

Fournel: Op. Cit. Vol. I. P. 352. ، 130 م 6 ج السن خلسدون على المام (35)

<sup>(36)</sup> البكرى : ص 149 ، ابن خلدون : ج 6 ص 130 .

<sup>(37)</sup> نفس المصدرين والصفحتين ، ابن عذارى : ج 1 ص 215 ، الاستبصار حس 201 ، Fournel : Op. Cit. Vol. I. P. 352.

<sup>(38)</sup> النفسوسي : صفحسة 93 .

<sup>(39)</sup> ابسن خلسدون : ج 6 صفحة 130 .

<sup>(40)</sup> ينفى هذا ما ذهب اليه بل من التفاف بربر مكناسة حول عيسى بسن يزيد ومبايعته طائعين مختارين . La religion Musulmane. P. 176. والواقع أن النضل يعزى الى أبى القاسم سمكو في تقديم عيسى بن يزيد ، ولعل ذلك كان سببا نيما درجت عليه بعض الروايات من الخلط بينهما ، اذ تذهب الى أن الذى تولى الامامة شخصا اسود يدعى مدرارا ، وتزعم أنه كان حدادا قدم من الاندلس بعد موقعة الربض ، انظر :البكرى : من 149 ، الاستبصار ص 201 ،

Fournel: Op. Cit. Vol. I. P. 523.

ومن المعروف أن أهل الربض رحلوا عن ترطبة سنة 198 ه بينها تامت دولة مدرار سنة 140 ه ، انظر : ابن خلدون ج 4 ص 126 ، Fournel : Op. Cit. Vol. I. P. 523.

ومع ما تنطوى عليه تلك الرواية من أخطاء غلا شك في أهبية مغزاها لما تبرزه من نزوح أعداد غفيرة مسن الاندلسيين بعد حادث الربض الشهير السي سجلماسة ، واستيطانهم بها سعلي غرار ما فعلوه بغاس سواسهامهم في عمارتها واشتغسالهم بالحرف والصناعات كالحدادة وأعمال البناء وغيرها ، انظر : ابن خلدون : ج 3 مفحة Condé : Op. Cit. P. 262. ، 126 مفحة المغرب العربي صفحة 405 ) .

للامامة يدل على نقل وزن عنصر السودان ورجحانه على سائر العناصر الصفرية باقليم تافيللت . ومما يؤكد ذلك أن غالبية بربر مكناسة لم يكونوا قد انتقلوا بعد من مواطنهم الاولى ليستقروا في اقليم تافيللت ، غلم يحدث هذا الا بعد اختطاط سجلماسة ، يؤيد ذلك قول ابن خلدون (42) « . . وبعد أن اختطوا سجلماسة سنة 140 ه دخل سائر مكناسة من اهل تلك الناحيسة في دينهم » .

أجمع الصفرية أذن على مبايعة عيسى بن يزيد بالأمامة (43) سنة 140 ه (757 م) . وفي نفس السنة شرعوا في اختطاط سجلماسة (44) لتكون حاضرة للدولة (45) . وقد أصبحت سجلماسة مركزا للامارة (46) وقدرا للمذهب الصفري .

وقد حرص الصفرية على انشاء هذه العاصمة في مكان حصين ، فاقاموها في « موسطة الصحراء » (47) جنوبي تلمسان بعشرة مراحل ، وفي موضع التقاء فرعى نهر ملوية (48) . وأسس الصفرية حصنا في وسط المدينة أسموه العسكر ، كما أسسوا المسجد الجامع ودار الامارة (49) . ثم أقبل الناس على بناء دورهم حول الحصن (50) ، فاتسع العمران جتى جاوزت المدينة فرعى نهر ملوية (51) . وقد أسهم في بنائها معماريو الاندلس

<sup>(41)</sup> العبر ج 6 ص 130 ، النفوسي : ص 93 .

<sup>(42)</sup> العبر ج 6 ص 130 ، النفوسي : ص 93 .

<sup>(43)</sup> لم يرد بالمصادر ذكر تقلد أمراء بنى مدرار الخلافة أو الامامة باعتبارهم رؤساء روحيين وسياسيين كما يفهم من لقب الامام أو الخليفة ، ونعتقد أن سبسب ذلك يمكسن في أن تواريخ الصغرية لم تصل الينا ، وكل ما وصلنا عنهم مستمد من المصادر المعادية لهم ،، عن ألقاب الامامة والخلافة ، انظر : حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ص 60 .

<sup>(44)</sup> الثابت أن مدينة سجلماسة استحدثها بنو مدرار ولم يكن لها وجود من قبل على عكس ما قيل من أن الاسكندر ذو الترنين أسسها لتكون موطنا للعجزة والمرضى من جنوده ، فتلك رواية أسطورية ، وما ذكره الحسن الوزان من أن أحد تواد الرومان أسسها باسم Sigillm mese عتب احدى انتصاراته ، انظر : كولين : مسادة سجلماسسة سدائرة المعارف الاسلامية سرع 298 .

<sup>(45)</sup> المتدسى : صفصة 219 .

<sup>(46)</sup> كان يتبع سجلماسة عدد من الحصون والمنازل والترى كدرعة وتدانتوست واثر ايلا وحصون النحاسين وهلال وغيرها ، انظر : اليعتوبي : البلدان ص 359 ، المتدسى : صفحة 219 ،

<sup>· 357</sup> منحـة 357 المعجب صنحـة

Fournel: Op. Cit. Vol. I. P. 351. (48) ابن خلدون : ج 6 ص 129

<sup>(49)</sup> المتدسى : منعسة 231 ·

<sup>(50)</sup> الاستبصار : صنحة 201 ·

<sup>(51)</sup> الادريسسى : صنحـة 60 ،

غضلًا عن اليهود الذين استقروا بها لاستغلال التبر (52) . كها أسس سورها سنة 208 ه ( 823 م ) في عهد اليسع بن أبي القاسم ، وبه من الأبواب اثنتي عشر بابا (53) . « منها الباب القبلي والباب الغربي وباب غدير الجزارين وباب زناتة » (54) . ويصف ابن حومل (55) ـ الذك زارها في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ــ أبنيتها بأنها « شاهقة كأبنيــة الكوفة » . لأنها بنيت بالصخر فبقيت قائمة عدة قرون حتى وصفها ابن مقديش (56) بأنها « مسنة » .

ولما كانت سجلماسة محصورة بين فرعى نهر ملوية ، فقد توفرت لها المياه ، لهذا عمل عيسى بن يزيد على تنظيم الافادة منها ، فشبق القنوات « وصرف الى كل ناحية قدرها من مائة » واستكثر من غرس النخيل (57) . وهذا يعنى أن تأسيس سجلماسة ارتبط به تحول في حياة السكان مسن الرعى والبداوة الى الزراعة والاستقرار (58) ، ولا غسرو نقسد غسدت سجلماسة مدينة النخيسل والاعنساب والفاكهسة (59) . وقد أفساض الجغرافيون (60) والرحالة في وصف غروسها التي غطت مساحة قدرها اربعين ميلا ، والى جانب الفاكهة تنوعت المحاصيل « حسب زروع مصر في الفلاحة » (61) مما حدا بالادريسي (62) الى أن يصف المدينة بأنها « كثيرة الخضر والنبات » ، ويفضل هذه المنتجات المتعددة قدر لها أن تلعب دورا تجاريا هاما في بلاد المغرب (63) والسودان حتى أضحى سكانها « سراة مياسير يباينون سائر أهل المغرب بالمخبر والمنظر » (64) .

ولا شك في أن هذا الازدهار الاقتصادي الذي واكب انشياء سجلماسة

<sup>(52)</sup> الاستبصار صنحـة 202 ،

<sup>(53)</sup> نفس المصدر : صفحصة 201

<sup>(54)</sup> التـدسي : منحـة 231 ،

<sup>(55)</sup> المسالك والمسالك . صنحسة 65 .

<sup>(56)</sup> نزهة الانظار صفحة 11 .

<sup>(57)</sup> ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج 3 ص 139 . Juliene : Op. Cit. P. 339. . 201 : صنحـة 58)

<sup>(59)</sup> البكـرى: صنحـة 148 ،

<sup>(60)</sup> انظر : البكرى ص 148 ، ابن حوال : ص 65 ، التلتثندى : ج 5 ص 164 .

<sup>(61)</sup> ابن حوقل : ص 65 ، سمید بن مقدیش : ص 10 .

<sup>(62)</sup> صنسة المغسرب ' صنصة 60 -

<sup>(6.3)</sup> نفس المسدر والمحيفة .

 <sup>(64)</sup> ابن حوتل : حس 65 ، التلتشندى : ج 5 مس 164 ،

ساعد على تدعيم دولة بنى مدرار ، فقد غدت قبلة للخوارج الصفرية فى بلاد المغرب بأسره ، وقصدها جموع الصفرية من كل صوب لائذين هربا من انتقام ولاة بنى العباس من آل المهلب ، وكان لذلك أثره فى تقوية الكيان السياسى لدولة كانت تعانى من نقص فى السكان (65) ، كما أدت هذه الهجرات بدورها الى نتائج سياسية غاية فى الأهمية فى التطور السياسى لدولة بنى مدرار ، اذ هجرت بقية بطون مكناسة مواطنها الأصلية ، واستقرت بالمدينة الجديدة ، وغدت أكثر العصبيات واقواها ، واهلها ذلك للزعامة السياسية والتطلع لمنصب الامامة .

ثم انتقلت الامامة بالفعل الى أبى القاسم سمكو ، حين سخط صفرية مكناسة على الامام عيسى بن يزيد ونحوه ، وولوا زعيمهم أبا القاسم سمكو مكانه . وما يسوقه المؤرخون من أسباب في هذا الصدد تتسسم بالابهام وتفتقر الى التحديد ، اذ ذكر بعضهم (66) «أنهم نقموا عليه كثيرا في أحواله»

وثمة راى ثالث ساته البكرى (68) . حيث قال أن « أبا الخطاب قال يوما لاصحابه في مجلس عيسى ، السودان كلهم سراق حتى هذا ، وأشار على عيسى . فأخذوه وشدوه وثاقا الى شجرة في راس جبل وتركوه كذلك حتى قتله البعوض » . كما يذهب أبن الخطيب (69) إلى أن الصفرية بعد قتل عيسى بن يزيد به « ولو على أنفسهم أبا الخطاب الصفرى » . ويرجح الدكتور سعد زغلول عبدا لحميد (70) أن يكون أبو حاتم الاباضى أو عبد الرحمن بن رستم هو الذى أمر صفرية سجلماسة بعزل أمامهم وقتله .

ولحق \_ ان البكرى ومن اخذ عنه قد جانبهم التوفيق . وليس ادل على ذلك من أن مقتل عيسى بن يزيد حدث سنة 155 ه ( 772 م ) (71) أي بعد أن ظل أماما لمدة خمسة عشر عاما (72) ، بينما قتل أبو الخطاب المعافرى سنة 144 ه ( 761 م ) في معركة تاورغا . كما أن المصادر الاباضية \_ على وفرتها \_ لم تشر الى مثل هذا الامر ، غلم يكن من المالوف تدخل

<sup>(65)</sup> البكرى: من 149 ، ابن عذارى: ج 1 من 215 ، مجهول: الاستبصار من 201 .

<sup>(66)</sup> ابن خلدون : ج 6 ص 130 ، الاستبصار : ص 112 .

<sup>(67)</sup> ابن عذارى : ج 1 ص 215 ، ابن الاثير : ج 6 ص 3 ·

<sup>(68)</sup> المغـرب منحـة 149

<sup>(69)</sup> أعسال الأعسلام ج 3 صفحة 139 .

<sup>(70)</sup> تاريخ المغرب العربي صنحة 401 .

<sup>· 112</sup> ابن الآثير : ج 6 ص 3 ، التلقشندى : ج 5 ص 165 ، السلاوى : ج 1 ص 112 ·

<sup>(72)</sup> البكسرى : صنحـة 148 ·

الاباضية والصفرية بالمغرب في شؤون بعضها البعض (73) ، الامر الذي يشكك في هذه الرواية من اساسها .

ومع ذلك يستفاد منها ان عيسى بن يزيد انحرف عن خط المذهب ، واسرف في تطبيقه واشتط في احكامه . كما ان نقمة الصفرية عليه وتعذيبه وقتله بطريقة قاسية تنم عن تطرف الخوارج الصفرية وميلهم الى العنف (74) لكن الذى نؤكده ان الدافع الاساسى للثورة عليه هو ازدياد قوة مكناسة بعد قدوم بطونها من مواطنها الاصلية الى سجلماسة ، وتطلعها السي الحكم والسلطة .

على كل حال ـ Tلت الامامة الى ابى القاسم سمكو ، وظلت مسن بعده حكرا على صفرية مكناسة التى اختصت باختيار الائمة من آل بيت أبى القاسم واخذ البيعـة لهم مسن جمهسور الصفريسة في سجلماسسة وتوابعها (75).

وعكف ابو القاسم طيلة امامته ( 155 ـ 168 ه ) (76) ( 774 ـ 784 م ) على ارساء قواعد دولته ، عازفا عن المشاركة في ثورات الصفرية في العصر العباسي الاول ، ولعل هذا يفسر قول ابن خلدون (77) ومن اخذ عنه (78) ان ابا القاسم « خطب في عمله للمنصور والمهدى مسن بنسي العباس » . والواقع ان ابا القاسم لم يسهم في حركات الصفرية الاخيرة لا لكونه تابعا للخلافة العباسية ـ كما يذهب ابن خلدون ـ ولكن لاحساسه بعدم جدوى هذه الحركات التي اتخذت شكل ثورات غير منظمة ولانشعاله من ناحية أخرى بمشاكل دولته الجديدة . وليس ببعيد أن يكون قد أضطر أمام هذه المشاكل الى مسالمة الولاة العباسيين في المغرب ومن المحتمل أن يكون قد وعدهم بتبعية اسمية ليضمن سلامة دولته التسي لم تكسن قسد

<sup>(73)</sup> انظر: بنو مدرار والرستميين .

<sup>(74)</sup> الشهرستاني : ص 121 ، Cit. P. 299. ( 121

<sup>75)</sup> ابن عذاری : ج 1 ص 215 ، ابن خلدون : ج 6 ص 130 ، Fournel : Op. Cit. Vol. I. P. 553, Bel : Op. Cit. P. 167.

<sup>(76)</sup> ابن عنداری: ج 1 صنعة 215 ·

<sup>(77)</sup> العبار ج 6 صنعاة 130 ·

<sup>(78)</sup> السلاوى: ج 1 منصة 112 ٠

استقرت بعد ، وأن كان من الراجع أن دولة بنى مدرار تمتعت باستقلال سياسى تام عن سلطة الخلافة وعمالها .

وهكذا ــ استطاع ابو القاسم سمكو بن واسول المكناسى « مقدم الصفرية » (79) بالمغرب الاقصى تحقيق اهداف الخوارج الصفرية باقامة دولة لهم فى بلاد المغرب توارثها بنوه من بعده .

<sup>(79)</sup> يخلط ابن خلدون بين الاباضية والصغرية ، غيذكر أن أبا التاسم كان « أباضيا صغريا »، وهو تول سبق تخطئت لان أن أنهسة بنسى مدرار جميعا كانوا مسن الخوارج الصغرية ، انظر : العبر ج 6 ص 130 . وعن خطأ ابن خلدون انظر : ابن عزم : نقط العروس ص 76 ، كولين : دائرة المعارف الاسلامية س مادة سجلماسة ص 289 .

## ب ـ سياسة بني مدرار الداخلية

تأثرت سياسة بنى مدرار الداخلية ـ بدرجـة كبيرة ـ بعـاملين اساسيين ، العامل العنصرى والدينى ، فتعيين الامراء وعزلهم ، وقيام النورات والفتن ، واحتدام المنازعات بين افراد البيت المدرارى ، واتساع الدولة وتقلصها ، وقوتها وضعفها ، كل ذلك كان مرتبطا اشد الارتباط بالصراع القبلى او الخلاف المذهبى .

وقد تمثل العامل العنصرى القبلى فى تباين الكيان الاجتماعي فسى سجلماسة واختلاف عناصر سكانها ما بين بربر وسودان واندلسيين ، فضلا عما هو معروف من انقسام البربر الى بتر وبرانس ، ولئن كسان المذهب الصفرى اطارا جمع هذه العناصر جميعا وخفف من حدة النعرات العنصرية والتناحر القبلى داخل الدولة المدرارية ، الا اننا لا نعدم وجسود اقليات دينية لعبت دورا واضحا فى احداث الدولة . كان هناك اليهود الذين هيمنوا على مصائر البلاد الاقتصادية باحتكارهم استغلال مناجم الذهب والفضة فى درعة (80) ، والمعتزلة « الذين كانوا يبعثون بزكاة أموالهم الى رئيسهم بتاهرت يصرفها حيث شاء » (81) ، كما وجد بسجلماسة اقلية من الخوارج الاباضية كان لها دورها البسارز فى تطور الاحوال السياسية داخل دولة بنى مدرار (82) ،

والحق أن المصادر لا تمدنا بمعلومات وغيرة عن السياسة الداخلية (83) ، ومع ذلك يمكن القول بأن الصراع العنصرى ظهر واضحا

<sup>(80)</sup> الاستبصار صنحة 202

<sup>(81)</sup> البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة 93 - مخطوط .

<sup>(82)</sup> النفوسى : ج 2 صفحــة 94 .

<sup>(83)</sup> انظر : المتدالة .

فى الاحداث المتعلقة بقيام الدولة . هنعام أن تقليد عيسى بن يزيد الاسود المامة الصغرية كان مرتبطا بتفسوق عنصر السودان على سائسر العناصر الاخرى القاطنة باقليم تافيللت . كما كانت هجرة مكناسة الى هذا الاقليم سببا فى سيطرتها على مصائر الدولة واحتكارها الامامة وتفوقها على سائر العناصر والقبائل الاخرى التى اختفى صوتها تماما فيما حدث من صراع على الامامة بين افراد بنى مدرار المكناسيين .

اما العامل المذهبي فيظهر بوضوح في نشاط الاباضية بسجلماسة ، ومما يؤكد دورهم في تاريخها السياسي ما درج عليه بعض المؤرخين من الخلط بين ائمتهم وبين امراء سجلماسة الصفريين ، واعتبار بعضهم بعض امراء آل مدرار من الاباضية . فابن الخطيب (84) يذهب الى أن الصفرية بعد قتلهم عيسى بن يزيد الاسود « ولوا عليهم أبا الخطاب الصفرى » الذي احتضن أبا القاسم سمكو وعقد له الامر من بعده . وقد سبق أن فندنا تلك الرواية واثبتنا أن أبا القاسم سمكو المكناسي تولى الامامة على أثر مقتل عيسى بن يزيد سنة 155 ه ( 772 م ) واحتفظ بها حتى وفاته في سنة عيسى بن يزيد سنة 784 م ) .

ولم نقف على دور للاباضية في عهد الياس بن ابى القاسم الملقب بأبى الوزير (86) ، ذلك لان المصادر لا تمدنا بأية اخبار عن احوال الدولة في عهده المذى امتد حتى عام 174 ه (87) ( 790 م ) . ويبدو أنه كان خاملا فاتر الهمة مما جعل الصفرية ينقمون عليه حكمه « فانتفضوا عليه وخلعوه وولوا مكانه اخاه اليسع » كما يذهب ابن خلدون (88) ولا يبعد أن يكون احوه دبر أمر خلعه واقصائه ليظفر بالامارة لنفسه حسبما ذكره البكرى (89)

<sup>(84)</sup> أعهال الأعالم ج 3 صفحاة 141 ·

<sup>(85)</sup> ذكر ابن الخطيب \_ خطأ \_ أن وناة أبى القاسم سمكو حدثت سنة 199 ه ، راجع : اعبال الاعلام ج 3 صنعة 142 .

<sup>(86)</sup> البكرى : ص 149 ، ابن عذارى : ج 1 ص 215 ، ابن الخطيب : ج 3 ص 140 ، وفي روايـة اخرى لتب بـ « الوزيـر » ، انظر : ابـن خلـدون : ج 6 ص 130 ، الســـلاوى : ج 1 صفحـة 112 ،

<sup>(87)</sup> البكرى : ص 150 ، التلتشندى : ج 5 ص 165 ، وهذه الرواية أكثر ثقة من غيرها التى تضطرب في تحديد مدة حكمه وسنة خلعه ، فابن عذارى يذكر أنه خلع سنة 170 ه ، وابن خلدون يجعل ذلك سنة 194 ه ، أما ابن الخطيب فيتول بأن أمارته لم تتجاوز سنة أشهر خلع بعدها ، أنظر : البيان المفرب ج 1 ص 215 ، العبر ج 6 ص 130 ، أعمال الاعلام ج 3 ص 142 .

<sup>(88)</sup> العبار ج 6 صنحاة 130 ·

<sup>(89)</sup> المغــرب صنحـة 150 ·

ومع ذلك نعتقد أن غتن الاباضية قد تفاقمت في عهده ، وهذا يفهم من جهود خليفته اليسع بن أبيى القاسم الملقب بأبيى المنصور (90) ( 174 — 4 208 م ). في تمعها . فقد طمعوا في تقلد الامارة بعد الستقلالهم بنواحي درعة الشهيرة بمعادنها (92) . غير أن اليسع عمد الى تعبئة الجند والانصار (93) الى أن تسنى له أعداد جيش قوى تمكن به من أخماد الفتنة « وظفر بمن عانده » (94) .

ويبدو انه اسرف في البطش بخصومه حتى وصف بانه « كان جبارا عنيدا ، فظا غليظا » (95) . لقد قضى على الفتنة في مهدها ، وأظهر مذهب الصفرية (96) بعد أن « قاتل عليه » (97) في حروب انتصر فيها جميعا حتى قيل بأنه « دوخ المغرب » (98) . وأسفرت هذه الحروب عن مد نفوذ الدولة حتى درعة ، وفرض الخمس على ما يستخرج بها من معادن (99).

ويبدو أن هذه الحروب الطويلة التى خاضها أحدثت أضرارا بسجلماسة وتخريبا بعمائرها وسورها ، ولعل جموع الاباضية بالمدينة لعبوا دورا في هذا الصدد . وهذا ما يرجحه اقدام أبى المنصور اليسع على اخلاء المدينة واعادة تخطيطها ، فتخبرنا المراجع (100) أنه أمر التبائل

<sup>(90)</sup> ابن خلدون : ج 6 ص 130 ، التلتشندى : ج 5 ص 165 ، وقد لقبه البكرى « بابى المنتصر » وكذلك ابن عذارى ، انظر : المغرب ص 149 والبيان المغرب ج 1 ص 215 ، ومما بؤكد خطأ تلك الرواية ما ذكره البكرى في مكان آخر بأنه لقب « بابى المنصور » ، انظر : المغرب ص 150 ، أما لقب « ابى المنتصر » مقد كنى به ابنه غيما بعد ،

<sup>(91)</sup> أجمع المؤرخون على وناة أبى المنصور اليسع سنة 208 ه. أنظر: البكرى: ص 149 ، ابن عذارى: ج 1 ص 210 ، ابن خلدون: ج 6 ص 131 ، ابن الخطيب: ج 3 ص 143 ، ابن الخطيب: ج 5 ص 145 ، التلقشندى: ج 5 ص 165 ، لكنهم اختلفوا فى تقدير سنى حكمه ، نابن عذارى يذكر أنه ظل أميرا ثمانية وثلاثين عاما ، وابن خلدون يذكر أنه قضى فى الحكم أربعة عشر عاما ، وابن الخطيب يحدد مدة حكمه بثمانية أعوام ، وسبب هذا الاختلاف يرجع الى اختلاقهم حول تاريخ تقده الامارة ، نابن عذارى يجعله سنة 170 ه وابن خلدون يحدد بسنة 170 ه وابن الخطيب يذكر أنه تولى الاساره سنسة 200 ه ، والصحيح ما ذكره البكرى من أنه تولى الامارة سنة 174 ه وظل بها أربعة وثلاثين عاما ، انظر: نفسى المصادر والصفحات ،

<sup>(92)</sup> ابن النتيه : مختصر كتاب البلدان ص 80 .

<sup>(93)</sup> النفوسي : ج 2 صفحة 94 ،

<sup>(94)</sup> البكرى: صنصة 150 ،

<sup>(95)</sup> نفس المصدر والصحيفة ، ابن الخطيب : ج 3 ص 142 .

<sup>(96)</sup> ابن عذاری : ج 1 ص 215 ، ابن خلدون : ج 6 ص 130 .

<sup>(97)</sup> البكرى : ص 150 ، ابن خلدون : ج 6 ص 130 .

<sup>(98)</sup> ابــن خلــدون : ج 6 صفحــة 130 ٠

<sup>(99)</sup> البكرى : ص 150 ، ابن الخطيب : ج 3 ص 142 .

<sup>(100)</sup> التلتشندى : ج 5 ص 165 ، النفوسى : ج 2 ص 94 .

بهبارحة سجلماسة وسكنى الصحراء . ثم أعاد بناء مسجدها الجامسع واختط بها المصانع والقصور حتى استردت بهاءها وزينتها (101) وشرع في تحصينها ببناء سور جديد أنفق فيه أموالا طائلسة بذلها حسن مالسه الخاص (102) . وقد بنى أسفله بالحجارة وأعلاه بالطوب (103) وجعل به اثنتى عشر بابا صنع معظمها من الحديد (104) . ولما انتهى من أتمام تعمير سجلماسة ، أعاد تقسيم خططها بين القبائل بما يكفل له الهيمنة على سائر أجزائها والسيادة على كافة سكانها (105) . بذلك استطاع أبسو المنصور اليسع أن يحقق أهدافه وأصبح لا ينازعه في الامامة منازع . ومن هنا يمكن اعتبار حكمه عصر الازدهار والاستقرار في تاريخ دولة بنى مدرار.

يؤكد ذلك تطلع جيرانه من بنى رستم الاباضية الى كسب وده ليأمنوا جانبه من ناحية ، وليضمنوا الاستقرار والامن لاخوانهم فى المذهب بسجلماسة من ناحية اخرى ، يفسر ذلك تزويج عبد الرحمن بن رستم احدى بناته لاحد ابناء أبى المنصور اليسع ويدعى مدرار الربط الدولتين الخارجيتين بصلة المصاهرة (106) . وقد أثمرت تلك المصاهرة ، فاستكان الاباضية بسجلماسة لحكم أبى المنصور ودانوا بطاعته حتى وفاته سنة 208 ه (823 م ) .

لكن ثوراتهم اندلعت من جديد في عهد مدرار بن ابى المنصور اليسع الذي خلف أباه وتلقب بالمنتصر (107) ، اذ ما لبث الصراع بين الاباضية والصفرية في سجلماسة أن وجد طريقه الى البيت المدراري .

وتجمع المصادر (108) على أن المنتصر مدرارا كان له ولدين يدعى كل منهما ميمونا ، أحدهما من زوجته الرستمية والآخر من زوجة أخرى تدعى

 <sup>112</sup> ابن خلدون : ج 6 ص 130 - 131 ، السلاوى : ج 1 ص 112

<sup>· 143</sup> من عذارى : ج 1 من 216 ، ابن الخطيب ج 3 من 143 ·

<sup>(103)</sup> ابن عذارى : ننس المصدر والصحيفة .

<sup>(104)</sup> البكري : صنعة 148 ·

<sup>(105)</sup> نفس المصدر والصحيفة ، السلاوى : ج 1 ص 112 .

Bel: Op. Cit. P. 168. ، 94 ص 2 ج 1 النفوسى : ج 2 ص 106)

<sup>(107)</sup> ابن عذارى : ج 1 ص 216 ، التلقشندى : ج 1 ص 165 ،

 $<sup>\</sup>cdot$  216 البكرى : ص $\overline{050}$  ، ابن عذارى : ج 1 ص

بقية فعرف ابنها بميميون بن بقية (109) . وتضيف ان المنتصر كان يؤثر ابن الرستمية على اخيه حتى انه عهد اليه بولاية عهده (110) . وكان ذلك بداهة انتصارا لاباضية سجلماسة ، فازر صفريتها ميمون بن بقية ، ودخل الطرفان في صراع استمر ثلاثة اعوام ( 221 — 224 ه ) (111) ( 838 — 838 م ) كان المنتصر ابانها سليب الارادة . ثم اقدم المنتصر على خرق تقاليد الامامة فخلع نفسه وولى ابن الرستمية مكانه بعد طرده ابن بقية من سجلماسة (112) . واغضب هذا التصرف شيوخ الصفرية بالمدينة لانتهاكه تعاليم المذهب من ناحية ، ولخوفهم من وقوع البلاد تحت سيادة الاباضية (113) من ناحية اخرى ، فصمموا على خلع ابن الرستمية ، وتم لهم ما ارادوا . ويذكر النفوسي (114) ان ذلك تم بتحريض من ميمون بن لهم ما ارادوا . ويذكر النفوسي (114) ان ذلك تم بتحريض من ميمون بن واكتفى بطرد اخيه ابن الرستمية الى درعــة (115) ، فاعــادوا ابــاه واكتفى بطرد اخيه ابن الرستمية الى درعــة (115) ، فاعــادوا ابــاه مدرارا للامامــة (116) .

لكن المنتصر ما لبث ان بعث في طلب ابنه ابن الرستهية من درعة ليوليه الحكم مرة أخرى ، وعندئذ أرغمه الصغرية على التنحى وبايعوا ميمون بن بقية سنة 224 هـ (117) ( 838 م ) ولقبوه بالأمير (118) . وبادر ميمون الأمير بطرد أبيه من سجلماسة الى بعض القرى (119) ، غظل بها حتى وفاته سنة 253 هـ ( 867 م ) (120) .

<sup>(109)</sup> ثبة تحريف ببعض المراجع في اسمى زوجتى المنتصر ، نبن المعروف أن الرستميسة تدعى « أروى » والاخرى تسمى « بقية » لكن ابسن الخطيب يطلسق على الاولى « هنسو » والثانيسة « تقيسة » كما نجد عنسد ابن خلدون والسلاوى تحريفا لكلمة « بقية » الى « بغى » والصواب ما ذكره البكرى وابن عذارى ، أنظر : اعمسالا الاعلام ج 3 ص 112 ، السلاوى : ج 1 ص 112 ،

<sup>(110)</sup> النفوسي : صفحـة 295 ·

<sup>(111)</sup> ابـن عــذاری : ج 1 صفحــة 216 ·

<sup>(112)</sup> البكرى : ص 150 ، ابن عذارى : ج 1 ص 216 ،

<sup>(113)</sup> النفوسي : صفحة 95 -

<sup>· 95</sup> الازهار الرياضية : ج 2 صفحة 95

<sup>(115)</sup> ابسن خلسدون : ج 6 صغصة 131 ·

<sup>(116)</sup> البكرى : ص 150 ، ابن عذارى : ج 1 ص 215 ، التلتشندى : ج 5 ص 165 ،

<sup>(117)</sup> البكرى : صفحة 150 ٠

<sup>(118)</sup> ابن خلدون : ج 6 ص 131 ، السلاوى : ج 1 ص 112 ،

<sup>(119)</sup> ابسن عسذاری : ج 1 صفحسة 139 .

<sup>(120)</sup> ابن خلدون : ج 6 ص 131 ، التلقشندي : ج 5 ص 166 ،

وبقى ميمون أميرا حتى توفى سنة 263 ه (121) ( 877 م ) . ولا نعلم شيئا من أخباره الا ما ذكره ابن خلدون (122) من أنه كان مستبدا في حكمه وكان مخبطرا إلى ذلك ليواجه فتن الاباضية ومؤامراتهم . ويبدو أن جمهورهم هجر سجلماسة إلى درعة لاستجماع قواهم ومناصرة ميمون الامير ابن الرستمية على الظفر بالامارة ، وهذا ما حدا بمحمد بن ميمون الامير أن يقتفى أثرهم ويناهض حركاتهم ، أذ يخبرنا ابن الخطيب (123) بأنه « غبرا وطهر بلاد القبلة » . ويبدو أنه استأصل شأفة الاباضية في هذه الاصقاع ، فلم نسمع عن حركات لهم طوال حكمه وقد تسوفى سنة الاصقاع ، فلم نسمع عن حركات لهم طوال حكمه وقد تسوفى سنة تخلصت من مشاكلها الداخلية وحققت الامن والهدوء في سائر ربوعها ، فانصرفت الى التوسع خارج حدودها وقد اضطلع بتلك المهمة خليفة الامير محمد بن ميمون ويدعى اليسع بن ميمون بن مدرار بن اليسع بن أبسى القاسم (125) الملقب بالمنتصر (126) .

وبديهى ان يتطلع اليسع الى ضم صفرية مطفرة لدولته ويوحد صفرية المغرب الاقصى تحت لوائه ، وجدير بالذكر ان مطغرة اذ ذاك كانت تحت حكم الادارسة الذين اسرفوا في اضطهاد الصفرية داخل دولتهم ، ومسن المحتمل ان يكون شيوخها قد اتصلوا بالعاهل المدرارى لتحريرهم باعتباره امام الصفرية ببلاد المغرب ، ويذكر ابن الخطيب (127) أن اليسع المنتصر عقد العزم على الاضطلاع بتلك المهمة ، غشرع في تجنيد الجيوش لهذا الغرض، ولم يثنه عن عزمه سوى مداهمة الخطر الشيعى سجلماسة نفسها .

غنى عهده وقعت حادثة الغزو الشيعى لسجلماسة التى انتهت بقتل اليسمع وسقوط الدولة المدرارية سنة 297 ه ( 911 م ) وهو ما سنفصله في اليساب الرابسع .

وهكذا \_\_ لعبت الخلافات العنصرية والقبلية والمذهبية دورا موجها في سياسة دولة بنى مدرار الداخلية .

<sup>· 216</sup> البكرى : من 150 ، ابن عذارى : ج 1 من 216 ·

<sup>· 131</sup> العبسر : ج 6 صفحــة 131

<sup>(123)</sup> اعبال الاعالم : ج 3 صنحة 144

<sup>(124)</sup> نفس المسدر صفحة 145

 $<sup>\</sup>cdot$  216 البكرى من 150 ، ابن عذارى : ج 1 من 125)

<sup>(126)</sup> ابسن عسداری : ج 1 صنصة 216

 <sup>145</sup> اعمال الاعالم : ج 3 منحة 145

### ج ـ علاقات بني مدرار الخارجية

كانت دولة بنى مدرار دولة داخلية صحراوية ، فلم تسهم بدور كبير في احداث عصرها ، بل انصرف هم امرائها الى الحفاظ على استقلالها السياسى ، ومذهبها الدينى ، ومصالحها الاقتصادية . لكنها مع ذلك لم تكن بمناى عن التيارات السياسية في العالم الاسلامى عموما وفي بسلاد المغرب بوجه خاص ، فكان على امرائها ان يتخذوا موقفا — ان وديا وان عدائيا — حيال القوى الاسلامية الكبرى او ما يدور في فلكها من السدول الصغرى ببلاد المغرب . حقيقة ان دورهم كان سلبيا على وجه العموم ، ونادرا ما بادروا بالخروج عن دائرة العزلة السياسية التى فرضتها طبيعة بلادهم الجغرافية ، ومع ذلك يمكن ان نشير الى علاقساتهم السياسيسة بطابعها الودى او العدائى ، وبجوانبها السلبية او الايجابية مع كافة القوى بطابعها الودى او العدائى ، وبجوانبها السلبية او الايجابية مع كافة القوى وبلاد السودان (128) .

على كل حال ـ كانت سياسة بنى مدرار الخارجية تسير في اتجاهين بارزين ، عاقات عدائية تجاه الخلافة العباسية ودولة الاغالبسة ودولسة الادارسة ، ثم علاقات ودية مع بنى رستم والامويين بالاندلس .

#### ا ـ العلاقات العدائيـة:

#### 1) بنو مدرار والعباسيون:

اتخذت علاقات بنى مدرار بالخلافة العباسية وعمالها في المغسرب

طابعا عدائيا ، حقيقة أن هذا العداء لم يصل الى درجة قيام الحروب بين اثمة سجلماسة وأمراء القيروان ، فقد شغل كل منهم بمشاكله الذاتية عن مناجزه خصومه ، وحالت الظروف السياسية والعوامل الجغرافية دون تناحرهم ، فانصرف هم الخلافة وعمالها الى الاحتفاظ بافريتية واستطوا التاصى بلاد المغرب من حسابهم بعد ان انسلخت تماما عن نفوذهم . كمسا آثر الأمراء المدراريون حياة الهدوء والموادعة داخل بلادهم النائية بعد ما تعرضت له حركات الخوارج على ايدى ولاة بنى العباس منذ ولاية محمد ابن الاشعث حتى عهد هرثمة بن اعين ، ومن ثم قنع العباسيون باستخلاص افريقية وحمايتها من اخطار الخوارج ، كما زهد امراء سجلماسة فسى مناجزة ولاة القيروان ، ولم يكلفوا انفسهم مشقة اعداد الجيوش بسجلماسة في اقصى الجنوب لخوض حروب غير مامونة العواقب في اقصى الشمال ، وانصرفوا لمواجهة المشاكل الداخلية في دولتهم ، غضلا عسن الاهتمسام بمصالحهم التجارية كوسطاء في حركة التجارة عبر الصحراء شرقا وشمالا وجنسوبا .

وقد ادى هذا الى ان بعض المؤرخين اعتبروا امراء سجلماسة عمالا العباسيين بسبب عزوف الطرفين عن محاربة بعضهما البعض ، فيذكر مرسييه (129) ان « بنى مدرار كانوا يعترفون بالتبعية للعباسيين » امسافورنل (130) فيقرر « ان امراء سجلماسة كانوا يدعون لبنى العباس » . وكذلك بل (131) فانه يقول « وليس غريبا ان يدخل امراء سجلماسة فى علاقات التبعية للعباسيين رويدا رويدا » . وربما كان بروفنسال (132) اكثر انصافا فى قوله « كان المدراريون فى كثير من فترات حكمهم يتبعون بغداد اسميا » . ويخيل الينا أن هؤلاء المؤرخين قد اعتمدوا على نصين بغداد اسميا » . ويخيل الينا أن هؤلاء المؤرخين قد اعتمدوا على نصين عند ابن خلدون ، ذكر فى أحدهما (133) أن أبا القاسم سمكو بن واسول « خطب فى عمله للمنصور والمهدى من بنى العباس » ، وفى الآخر (134) أن « الشاكر لله أعلن ولاءه لبنى العباس عندما قام بحركته ضد الفاطميين » .

(129)

(9)

Histoire de Constantine P. 92.

Les Berberes. Vol. 2. P. 22. (130)

La religion musulmane. Vol. I. P. 168. (131)

Histoire de l'Espagne Musulmane. Vol. I. P. 249. (132)

<sup>(133)</sup> العبر ج 6 من 130 ، السلاوي : ج 1 من 112 ،

<sup>· 131</sup> نفس المسدر مندسة 131

أمير سجلماسة أودع عبيد الله المهدى السجن على اثر رسالة من الخليفة العباسي يأمره فيها بالقبض عليه .

واذا صح ما ذكره ابن خلدون من خطبة ابى القاسم سمكو للمنصور والمهدى في سجلماسة ، فانه قد فعل ذلك خوفا من عمال الخلافة في المغرب من امثال يزيد بن حاتم وخلفائه ممن عرفوا بالقسوة والبطش في ملاحقسة حركات الخوارج ، واقدام ابى القاسم على هذا العمل يدخل في اطلار « مبدأ التقية » الذي تجيزه تعاليم المذهب الصفرى (135) تحاشيا لاخطار محدقة بدولته وهي لم تزل في المهد .

أما مناداة الشاكر لله بالدعوة لبنى العباس ، فمن المعتقد أنها كانت لهدف سياسى هو تأليب أهل السنة ببلاد المغرب ضد الفاطميين الشيعة ، وهو ما فعله أبو يزيد مخلد بن كيداد في ثورته على الفاطميين .

وحسبنا أن الشاكر لله ضرب العملة باسمه ـ من دون الخليفة العباسى (136) ـ كما لقب نفسه « أمير المؤمنين » (137) ، بما يؤكد صدق قول القلقشندي (138) « فدعا لنفسه مموها بالدعاء لبني العباس ».

اما عن الرواية المتواترة عن حبس اليسع بسن مسدرار للمهسدى بسجلماسة وفقا لمشيئة الخليفة العباسى فالمعتقد انها مشوبسة بالخلط والاضطراب الامر الذى يشكك في صحتها . يقول ابسن خلسدون (139) « . . ولحق عبيد الله الشيعى وابنه ابو القاسم بسجلماسة لعهده ، وأوعز المعتضد اليه في شأنهما سوكان على طاعته سفاستراب بهما وحبسهما » بينما يذكر في مقدمته (140) أن « المعتضد أوعز الى الاغالبة أمراء أفريقية بالقيروان وبنى مدرار بسجلماسة بأخذ الآفاق عليهما ( المهدى وابنه ) واذكاء العيون في طلبهما ، فعثر اليسع صاحب سجلماسة من آل مدرار على خفى مكانهما ببلدة واعتقلهما مرضاة للخليفة » . وفي رواية ثالثة (141)

<sup>(135)</sup> انظر الرازى : اعتقادات مرق المسلمين والمشركين ص 51 .

Lavoix : Catalogue des monnaies musulmane, P. 402. : انظر (136)

<sup>(137)</sup> صبح الاعشى : ج 5 ص 167 ،

Lane-Poole: Catalogue of the collection of Arabic coins. P. 328.

<sup>(138)</sup> تنس المصدر والصحينة .

<sup>(139)</sup> العبـر : ج 6 صنحــة 131 ·

<sup>(140)</sup> متدمـة ابن خلـدون : ج 1 صفحـة 240 ٠

<sup>(141)</sup> العبـر : ج 3 صفحـة 363 ·

يقول ابن خلدون « وذهب عبيد الله الى سجلماسة وبها اليسع بن مدرار فأكرمه ثم جاء كتاب زيادة الله ، ويقال كتال كتاب المكتفى بأنه المهدى الذى داعيه فى كتامة فحيسه » .

ولا يمكن أن تكون هذه الروايات المضطربة ذريعة للقول بأن العلاقات كانت ودية بين بنى مدرار وبين العباس كما ذهب بل (142) . والاكثر غرابة أن يقال أن « أمير سجلماسة كان سنيا » (143) .

ومكمن الاضطراب في روايات ابن خلدون قوله في اولى رواياته ان الخليفة المعتضد هو الذى اوحى الى ابن مدرار بالقبض على المهدى ، بينما يذكر في روايته الثالثة ان ابن مدرار استجاب لطلب الخليفة المكتفى وليس المعتضد ، فضلا عن ذلك فان هذه الروايات لا تحدد ما اذا كان الخليفة العباسى ام الامير الاغلبى هو الذى بعث بكتبه ليستحث اليسع بن مدرار القبض على المهدى ، ومهما كان الامر فان عبيد الله المهدى كان معروفا لدى امير سجلماسة الذى كان يجله ويكرمه (144) ، وكان المهدى يغدق الهدايا والصلات على حكام البلاد الذى مر بها او اقام فيها ، « فمنهم من المه يعرفه واكرمه لذلك ، ومنهم من عرفه وترك التعرض له لما كان منسه اليه ، ومنم من عرفه وقدره » (145) ، ولم ينكر المهدى نسبه وانه « يدعو اليه الرضى من آل محمد » حين سأله ابن مدرار ، بل كتم عنه صلته بداعيته ابى عبد الله الشيعى ونفى معرفته له (146) .

ويخيل الينا أن أبن مدرار حين قبض عليه وحبسه لم يقصد بذلك « مرضاة الخليفة » أو لانه « كان على طاعته » كما ذهب أبن خلدون ، بل اقدم على ذلك حين علم « بأنه هو الذي يدعو الى بيعته أبو عبد الله الشبيعي بافريقية » (147) ، الذي كان خطرا على سائر دول المغسرب هددها بالزوال (148) ، وقد نمى ذلك الى علمه « من جهات كثيرة » (149)

La religion musulmane en Berberie. P. 156. : انظــر (142)

<sup>(143)</sup> انظر : حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص 54 ·

<sup>(144)</sup> شرح الاخبار من 31 ، ابن الأثير : ج 8 من 13 ، ابن الأثير : ج 8 من 13 ، Fournel : Op. Cit. Vol. 2. P. 70, Mamour : Op. Cit. P. 107.

<sup>(145)</sup> شـرح الاخبسار : صفحـة 32

<sup>(146)</sup> نفس المصدر والصحيفة .

<sup>· 272</sup> ابن خلكان : ونيات الاعيان ج 1 ص 272 ·

<sup>· 32</sup> مسرح الأخسار : منصة 32

<sup>(149)</sup> نفس آلمسدر والصحيفة ٠

وليس عن طريق الخلافة العباسية وحدها .

قصارى القول أن واقعة المهدى بسجلماسة لا تدل على تبعية آل مدرار لبنى العباس بقدر ما تدل على خوف الامير المدرارى على دولت من الخطر الشيعى الجديد . فالقول بتبعية الاسرة المدرارية للخلافة العباسية أمر يتعارض والظروف السياسية التى قامت فيها دولة بنى مدرار ، كما لا يستقيم مع طابعها الدينى المذهبى المتطرف ، وواقع صلاتها السياسية بالقوى المعادية لبنى العباس .

فقيام دولة بنى مدرار بسجلماسة كان على حساب النفوذ العباسي في بلاد المغرب ، فاقتطع هذا الجزء نهائيا عن سلطان الخلافة ، واستقل به أمراء بني مدرار « عن ولاة القيروان والعرب » (150) « وخلعوا طاعة الخلفاء » (151) . ولما كانت دولة بنى مدرار بمثابة مجمع للحوارج الصفرية اساسا ، فقد غلب عليها الطابع الديني المذهبي ، وجدير بالذكر أن مذهب الخوارج عموما لا يعترف بامامة بنى العباس باعتبارهم مغتصبين الخلافة « وكلهم يجب الخروج عليهم ومقاتلتهم وعزلهم ان امكن او قتلهم » (152)، واذ لم يكن بمقدور صفرية المغرب الاقدام على ذلك ، فلا أقل من مناصبتهم العداء وانكار شرعية امامتهم . وليس من المقبول أن يدين صفرية سجلماسة لبنى العباس في الوقت الذي كان اخوانهم في المذهب يعانون من سطوة الخلافة بالشرق ، ففي السنوات 162 هـ ، 169 هـ ، 171 هـ ، 178 هـ ( 779 ، 786 ، 788 ، 895 م ) عمد العباسيون الى استئصال شانسة الخوارج الصفرية في منسرين وارض الموصل والجزيرة وارض السواد ، خابادوا جموعهم وتتلوا زعماءهم وبطشوا بجيوشهم (153) ، واستمرت تلك السياسة طوال القرن الثالث الهجرى حتى ضعفت شوكة الخوارج الصفرية في الشرق الاسلامي (154) . ولا غرابة بعد ذلك اذ اضمر أمراء بنى مدرار بسجلماسة العداء للخلافة العباسية وعمالها في المغرب واقدموا على مشايعة الد اعدائها وهم بنو امية بالاندلس .

<sup>(150)</sup> ابن خلدون : ج 6 ص 130 ، السلاوى : ج 1 ص 112 ، كولن : مادة سجلماسة بدائرة المعارف الاسلامية : ص 289 ·

<sup>· 164)</sup> التلتشندي : ج 5 منصة 164

<sup>(152)</sup> البغدادى : الغرق بين الغرق : من 273 ، أحبد أمين : ضحى الأسلام ج 3 من 337) Bel : Op. Cit. P. 168.

<sup>(153)</sup> انظر: ابن الاثير: ج 6 ص 162 ، 169 ، 171 ، 178 .

<sup>(154)</sup> نفس المصدر : ج 7 من 61 ، 67 ، 74 ، 75 ، 119 ، 155 ، 156 ، 157 ، 156

#### 2 ــ بنسو مسدرار والإغاليسة :

من الطبيعى أن تكون علاقات الاغالبة ببنى مدرار امتدادا لعلاقات بغداد بسجلماسة ، غدولة الاغالبة التى قامت باغريتيسة سنسة 184 هـ ( 800 م ) كانت تدين بالولاء السياسى والتبعية الاسمية للخلافة العباسية على الرغم مما تمتعت به من استقلال ذاتى ، وحسبنا أنها كانت تمثل البقية الباقية لنفوذ الخلافة في بلاد المغرب وقاعدتها لاسترداد سلطانها المفقود في هذه الجهات . ولا غرو فقد سمح الرشيد بقيام هذه الدولة حرصا منه على استمرار نفوذه في اغريقية من ناحية واسترداد هذا النفوذ في الاجزاء التي انسلخت عنه من ناحية أخرى لو استطاع الاغالبة الى ذلك سبيلا (155) . ومن ثم عادى الاغالبة أعداء الخلافة في المغرب ومنهم بنو مدرار .

لكن الذي لا شك فيه أن هذا العداء لم يبلغ حد التناحر والصراع بين الدولتين، فانصرف الاغالبة عن مشاكل المغرب لتحتيق اهدافهم التوسعية في حوض البحر المتوسط . وربما كان وجودهم وسط حشد من الاعداء (156) دافعا لهم على تولية الظهر للقارة والاتجاه الى البحر ، وبديهى أن يخفف هذا الاتجاه من حدة عدائهم لبنى مدرار وخاصة أن الاخيرين كانوا بعيدين عن متناول خصومهم ،حيث قامت الدولة الرستمية حائلا بين الطرفين (157) وتعرضت بذلك للاحتكاك مع الاغالبة .

واذا كانت دولة بنى مدرار قد سلمت من مناجـزة أمـراء القيروان وتطاولهم ، فذلك لا يعنى انتفاء عداوتهم ، أو بمعنى آخـر لم بكن عـدم قيام الحروب بين سجلماسة والقيروان دليلا على الود المتبادل كما ذهب فورنل (158) . والحقيقة أن كلا من الطرفين لم يعبأ بالآخر طالما لم يكن بوسعه أن يسير الجيوش لقتاله ، ومن ثم اتخذت عداوتهما طابع الاغفـال وعـدم الاكتـراث .

ومن الخطأ أن يفسر ذلك على أنه استكانة من جانب بنى مدرار

Vonderhey den : Op. Cit. P. 8. ، 37 ص : الاصطفرى : ص 37)

<sup>(156)</sup> كانت دولة الاغالبة محاطة بعديد من التبائل المعادية سياسيا ومذهبيا ، وهدذه التبائل هي بنو يفرن الصغرية وأوربة الادريسية ، ولماية ونفوسة الاباضية الوهبية ، وهوارة النكارية ، وزواغة الخلفية ، وكتامة الشيعية الاسماعيلية ، انظر : Masqueray : Op. Cit. P. 195.

<sup>(157)</sup> انظـر الفـريطـة ،

Les Berberes Vol. 2. P. 22. : راجع (158)

وقناعة منهم بالتبعية للاغالبة ، مقد ذهب ابن أبى دينسار (159) الى أن « اليسع بن مدرار كان يحكم سجلماسة لبنى الاغلب » . ويخيل الينا انه استنتج هذا القول من حادثة القبض على عبيد الله المهدى بسجلماسة على اثر رسالة بعثها الامير زيادة الله بن الاغلب وفقا لرواية بعض المصادر (160) أو أرمقها برسالة أخرى للخليفة العباسى في رواية أخرى (161) . وقسد سبق أن ذكرنا أن الامير المدرارى أقدم على سبون المهدى اتقاء للخطسر الشيعى الذي هدد دولته ، لقد كان قبض اليسع على المهدى وسجنه بسجلماسة من قبيل التوافق غير المتصود بين اهداف الخلافة والامارة وبين مصالح الاسرة المدرارية التى تهددها خطر الشيعة ، ولا يعنى هذا الحدث وجود أدنى نفوذ للاغالبة على أمراء بنى مدرار .

لقد كان الخلاف السياسى والمذهبى بين الامارتين الاغلبية والمدرارية يحول دون ادنى تقارب بينهما ، ولا غرو فقد هادن بنو مدرار جيرانهم الرستميين كيما يتفرغوا لمواجهة الاغالبة عدوهم المشترك . كما التقوا بالموى الاندلس للوقوف الهام اطماع الاغالبة في المغرب والحيلولية دون تسربهم الى ما وراء حدود افريقية . ولعل من اهم ما يبرز اسباب الجفوة والعداء بين المدراريين والاغالبة ما تعرض له الخوارج الصفرية من بطش واضطهاد في القيروان ، فقد كان اعتناق المذهب الصفرى تهمة تصم صاحبها بالمروق والعصيان والزندقة (162) . وعلى الرغم مما يقال (163) عين تسامح الاغالبة مع اهل المذاهب الاخرى بالقيروان ، فقد تعرض الصغرية تسمامح الاغالبة مع اهل المذاهب الاخرى بالقيروان ، فقد تعرض الصغرية مدوجه خاص \_ لاضطهاد شديد \_ بعد ولاية سحنون قضاء القيروان \_ فقد حظر عليهم الاجتماع والصلاة في المسجد الجامع (164) ، وبعدت حلقاتهم (165) ، كما منعوا من تعليم الصبيان وتاديبهم (166) ، وتعرض من خالف ذلك لمزيد من البطش والتعنيف (167) .

<sup>(159)</sup> المؤنس في أخبار الهريقية وتونس ص 49.

<sup>(160)</sup> انظر شرح الاخبار ـ ملحق (1) ص 32 من كتاب :

Ivanova: Ismaili tradition.., Mamour: Op. Cit. P. 107.

<sup>(161)</sup> المتتاح الدعـوة . ص 43 ، ابن خلدون : ج 3 م 363 ، المتريــزى : اتعــاظ الحنفا ص 84 ، الخطط : ج 1 ص 350 .

<sup>(162)</sup> أبو العرب تميم : طبقات علماء المريقية : ص 80 .

<sup>(163)</sup> انظر : حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية ج 1 م 58 .

<sup>(164)</sup> أبو العرب تميم : المرجع السمابق ص 102 .

<sup>· 276</sup> المالكي : رياض النفوس ج 1 ص 276 ·

<sup>(166)</sup> الدباغ : معالم الايمان ، ج 2 ص 55 .

<sup>(167)</sup> ابسو العسرب تبيم صفحة 102 .

كل ذلك قمين بأن يذكى العداء بين بنى مدرار والاغالبة ، وينفىى بشكل قاطع أى قول بوجود علاقات ودية بينهما ، كما يدحض الزعم القائل بتبعية أمراء سجلماسة لبنى الأغلب .

#### 3 - بنو مدرار والادارسة:

تحفل المراجع بكثير من القرائن والشواهد (168) التى تؤكد طابسع العداء الصارخ بين بنى مدرار والأدارسة ، فقسد قامت دولة الأدارسسة بالمغرب الاقصى سنة 172 ه ( 789 م ) على حساب نفوذ الخوارج الصفرية، اذ نعلم أنهم اقتطعوا هذه الجهات عن نفوذ الخلافة وولاتها بالقيروان منذ ثورة ميسرة سنة 121 ه ( 739 م ) . فلما نجح ادريس الأول في اقامة دولته ، ذوى شأن الصفرية فيها وتعرضوا للبطش والاضطهاد من جانب آل ادريس ، وزاد هذا العداء (169) حدة بسبب الخلاف المذهبي، فالادارسة من الشبيعة الزيدية ، وبنو مدرار من الخوارج الصفرية ، ولا يخفى العداء التقليدي بين الشبيعة والخوارج .

لا ننكر وجود حاجر جبلى يفصل بين الدولتين ، وأن الطبيعة الجبلية في المغرب الأقصى شكلت نوعا من الحماية لكلتى الدولتين (170) الى حد كبير ، لكن ذلك لم يكن عائقا دون امكانية غزو احداها للاخرى . فثمة طريق ممهد يبدا من « فاس الى صفرو فقلعة مهدى فتادلة فوادى شعب الصفا » ثم يمر عبر الجبل الكبير الى الجنوب حيث توجد سجلماسة (171) . وكانت القوافل ترتاد هذا الطريق فتخرج « من باب الغوارة بفاس الى مدينة سجلماسة » (172) حيث تتوافر الزروع والمياه في اقليم أغمات الموجود على يساره (173) ، بل لا يخالجنا شك فيما ذهب اليه جورج

<sup>(168)</sup> ذهب بعض الدارسين الى صعوبة تتبع علاقسات بنى مسدرار بالادارسسة بسبب ندرة المعلومات ، انظر : حسن عبد العواد : دولة الادارسة ص 250 ك Basset : Op. Cit. P. 333.

<sup>(169)</sup> أخطأ البعض حين انتهى الى أن « حسن الجوار كان العلانة السائدة بين دولــة الادارســة ودولــة سجلمــاســة » . انظر : حسن عبد العواد : دولة الادارسـة صنحــة 253 .

<sup>(170)</sup> ابن نضل الله العهرى : مسالك الابصار ج 5 تسم 2 ورقة 17 ــ مخطوط .

<sup>(171)</sup> الادريسي : صفحـة 76 ·

<sup>(172)</sup> ابـن أبـي زرع : صفحـة 53

<sup>· 65</sup> ابـن حـوتـل : صفحـة 65

مارسيه (174) بأن « ادريس الاول وخلفائه كانوا عازمين على استئصال شمأفة صفرية تافيلالت » . ويخيل الينا أنهم عزفوا عن تحقيق ذلك بسبب صراعهم الحاد مع الاغالبة الذين نجحوا في اثارة القلاقل وحيك المؤامرات في وجه أئمة فاس ، فاغتالوا ادريس الاول (175) والثاني (176) ومولاهما (177) راشد والبوا وزراءهم وكبار دولتهم عليهم ، واستمالوا بعضهم الى جانبهم (178) . كذلك كان ضعف الدولة بعد موت ادريس الثاني ونشوب الخلافات بين افراد الاسرة الادريسية (179) من أسباب تقاعس الادارسة عن غزو سجلماسة ، واكتفائهم بتصفية نفوذ الصفرية داخل دولتهم ، فضلا عن استقطاع بعض أطراف الدولة المدرارية .

اما عن بنى مدرار ، فلم يكن بوسعهم — امام مشاكلهم الداخلية — الشروع فى تدبير غزو بلاد الادارسة خاصة فى عهدى ادريس الاول والثانى . وحين اتيح لهم القيام بهذا الدور فى عهد اليسع بن مدرار ، دهمه الخطر الفاطمى الذى قضى على بنى مدرار والادارسة معا . لكن بنى مدرار لم يعدموا وسائل الكيد والدس لجيرانهم ، واثارة القلاقل فى دولتهم عن طريق صنائعهم من الصفرية فى الدولة الادريسية .

وقد اتخذ هذا العداء السياسى بين فاس وسجلماسة مظاهر من الفعل ورد الفعل ، كان الادارسة يمسكون فيها بزمام المبادرة ، بينما لاذ بنو مدرار ازائها بالصمت حينا وتصدوا لمواجهتها حينا آخر .

وتجلت مظاهر العداء فيما قام به ادريس الاول من حملات لاستئصال شائمة صفرية تلمسان من بنى يفرن الزناتيين (180) بعد أن بايعته القبائل الصفرية الاخرى قسرا ، ومن بينها بعض بطون مكناسة (181) .

ففى منتصف رجب من عام 173 ه ( 790 م ) توجه ادريس على

La Berberie Musulmane et l'orient. P. 124. (174)

 $<sup>\</sup>cdot$  81 من ابن ابی دینار : المؤنس : من 99 ، اطنیش : الامکان من 175)

<sup>(176)</sup> ابن الابار: الطلة السيراء ص 200 ·

<sup>(177)</sup> ابــن خلـدون : ج 4 صنعــة 13 .

<sup>(178)</sup> النويرى: ج 22 ورتة 28 ·

<sup>(179)</sup> البكسرى : منحسة 123 ·

<sup>(180)</sup> اطنيش : الامكنان ، صفحة 57

<sup>(181)</sup> ابن خلدون ج 4 من 12 ، محمد على السنوسى : الدرر السنية : من 44 ،

رأس حملة الى تلمسان وأخضع أهلها دون عناء (182) ، وظل متيما بها حتى عام 174 ه ( 791 م ) ليوطد نفوذه فيها . ثم اسند حكمها الى أخيه سليمان (183) ، وعاد الى وليلى . وهكذا قدر له الاستيلاء على كل معاتل الصغرية في بلاد المغرب الاقصى فيما عدا سجلماسة . غير أن اغتياله المفاجىء شجع صفرية تلمسان على الانتفاض ، وظلوا خارجين على الادارسة حتى عام 197 ه ( 813 م ) حين عول ادريس الثاني على اعادتهم الى طاعته ، فأعد الحملة التي جهزها « لمحو آثار دعوة الخوارج الصغرية » (184) في تلك السنة واستمر يحاربهم طيلة ثلاث سنوات (185) الى أن ادعنوا لطاعته (186) .

ولم يستطع صفرية سجلماسة مديد العون لاخوانهم بتلمسان واستنقاذهم من ضربات الادارسة ، ويعزى ذلك الى استحالة الاتصال بين سجلماسة وتلمسان الا عبر اراضى الدولة الادريسية ، فكان الطريق اليها يمر بدرعة واغمات وتادلا وفاس ومنها الى تلمسان (187) .

وعول خلفاء ادريس الثانى على اقتطاع الاجزاء المجاورة لدولتهم والتابعة لبنى مدرار ، فتمكن عبد الله بن ادريس ــ الذى تولى اغمات والسوس الاقصى وبلاد نفيس ــ من مد نفوذه على صنهاجة اللثام الضاربة حول سجلماسة واستولى على بعض الحصون التابعة لبنى مدرار (188) . كما اقتطع يحيى بن ادريس بلدة تامدلت ــ قرب درعة ــ وهدد بحرمان بنى مدرار من مناجم درعة الغنية بالذهب والفضة (189) .

وتمثل رد الفعل من جانب بنى مدرار في تحريض الصفرية في فاس

<sup>(182)</sup> ابن أبي زرع القرطاس : ص 22 ، Fournel : Op. Cit. Vol. I P. 475.

<sup>(183)</sup> نفس المصدر والصحيفة ،

<sup>(184)</sup> ابن خليدون : ج 4 ص 13 ، عبيد الرحمين بين زييدان : اتصاف اعسلام النياس : ج 2 ص 19 ·

<sup>(185)</sup> ابسن أبسى زرع : من 69 ، ابسن الخطيب : أعبسال الاعسلام ج 3 ص 198 ، السنوسى : الدرر السنية ، ص 59 ،

Masqueray Op. Cit. P. 172. (186) المغيش : الامكان : من 57

<sup>(187)</sup> الادريسي : صفحسة 81 ٠

<sup>(188)</sup> اليعقوبي : البلدان من 359 ، حسن محبود : قيام دولة المرابطين من 71 .

<sup>(189)</sup> اليعتسوبسى : نفس المصدر والصحيفة .

على الثورة ضد الامير على بن عمر بن ادريس . وبالفعل نجح أحد صنائعهم ويدعى عبد الرزاق الصفرى في لم شمل صفرية مديونة وغياثة ومكناسة وغیرهم ، واستولی علی مدینة صفروی ـ جنوبی فاس ـ وبایعه كافة الصفرية في نواحيها ، ثم اتجه بجموعه الى فاس وهزم على بن عمر ابن ادريس الذي مر لائذا بقبيلة اوربة ، وتمكن عبد الرزاق من دخسول العاصمة ، وخطب له على منابر عدوة الاندلسيين . لكن حركته لم تستمر طويلا ، فقد استدعى أهل عدوة القرويين يحيى بن القاسم بسن ادريس المعروف بالعدام وبايعوه بالامامة . وتمكن العدام من طرد عبد الرزاق الصفرى من عدوة الاندلسيين ، وظل يقاتل الصفرية في عدة وقائع حتى فل شوكتهم وقتل زعيمهم سنة 293 ه ( 907 م (190) ) وندن نرجح ما ذهب اليه جورج مارسيه (191) من أن حركة عبد الرزاق الصفرى هذه كانت من تدبير بني مدرار في سجلماسة ، ومما يرجح ذلك قيامها في المناطق المجاورة للامارة المدرارية وامتدادها الى الشمال حتى وصلت الى قصية دولية الادارسة .

ولعل ما احدثته تلك الحركة من تصدع في دولة الادارسة ، وما وصلت اليه دولة بني مدرار من قوة واستقرار على عهد اليسع بن مدرار هو ما جعل الأمير المدراري يعد العدة لبسط نفوذه على اخوانه في المذهب المقيمين داخل الدولة الادريسية . فعول على تجهيز جيش يغزو به دولة الادارسة لتحقيق هذه الغاية ، لكن جهوده في هذا الصدد لم تتم بسبب تعرض بلاده للخطر الشيعي (192) . . وهكذا غلب طابع العداء على العلاقات السياسية بين سجلماسة وغاس .

#### ب ــ العسلاقسات الوديسة:

#### 1) بنو مدرار والرستميون:

(191)

اتخذت علاقات بنى مدرار ببنى رستم طابعا وديا ، تمثل في سياسة حسن الجوار التي حرص كل منهم على مراعاتها . ومن ثم انعدمت الحروب

<sup>(190)</sup> انظر : البكرى : ڝ 125 ، ابن أبي زرع : ص 112 ــ 115 ، ابن خلدون : ج 4 ص 15 ، ابن الخطيب : ج 3 ص 208 ــ 209 ، السلاوى : ج 1 ص 162 164 ، سلفاتور كوسا : تواريخ مدينة ماس ص 6 ، Masqueray: Op. Cit. P. 172. La Berberie Musulmane. P. 126.

<sup>(192)</sup> ابن الخطيب : أعمال الاعلام : ج 3 ص 145 ·

بينها على الرغم مما كان بين الصفرية والاباضية من تنافر وصل الى درجة الصراع ابان ثورات الخوارج في بلاد المغرب.

وفى تقديرى أن هذا التقارب مرتبط بالظروف السياسية القاسيسة التى واجهتها حركات الخوارج فى المغرب على اثر الحملات الضخمة التى عكف بنو العباس على انفاذها لقمع ثورات الخوارج فى المغرب ابتداء بحملة ابن الاشعث سنة 141 ه ( 758 م ) ، تلك الظروف الصعبة التى احدثت تحولا عمليا فى سياسة الخوارج فى المغرب حيث لجأوا الى اقاصى الجنوب ، واقاموا دولتين متجاورتين احداهما للصغرية فى سجلماسة سنة 140 ه ( 757 م ) والاخرى فى تاهرت للخوارج الاباضية سنة 162 ه ( 777 م ) .

فوحدة الظروف السياسية المتهثلة في العداء لبنى العباس وعمالهم بالتيروان وكذلك الادارسة ومصادقة اموى الاندلس ، ووحدة الظروف الجغرافية والتشابه في نمط الحياة القائمة على البداوة واختلاط القبائل وانتقالها بين الدولتين المتجاورتين ، فضلا عن وحدة المصير ، كل ذلك حدا بنسى مسدرار وبنسى رستم الى الموادعة وتحاشى الشقاق والخلاف وكل ما يوجب الخصومة والعداء (193) . لكن الثابت أن العلاقة بينهما لم تتعد مجرد تجنب الخصومة والعداء ، فلم تتطور الى مرحلة التحالف أو حتى التعاون المشترك بسبب الخلاف المذهبي والعداء التقليدي بين الصفرية والاباضية في المغرب وعمدت الدولتان الى تجنب الحروب وتحاشى التدخل والاباضية في المغرب . وعمدت الدولتان الى تجنب الحروب وتحاشى التدخل أمراء بنى مدرار ، أو تلك التي حدثت بين صفرية تاهرت وبين أئمتها (194)، فقد صم حكام كل دولة آذانهم عما تعرض له اخوانهم في المذهب داخل الدولة الاخرى حرصا على السلام .

فالمعروف أن عدة آلاف من الاباضية أقاموا بدولة بنى مدرار (195) ، وقد مبقت الاشارة الى دورهم فى مناهضة أمراء بنى مدرار ، وطمعهم فى السلطة ، وما قام به أمراء سجلماسة من قمع حركاتهم والبطش بهم . وحسبنا أنهم كانوا موالين لرؤسائهم من مشايخ المذهب بتاهرت أكثر من ولائهم للدولة التى كانوا يعيشون فى كنفها ، فقد درجوا على ارسال زكاة

<sup>(193)</sup> النفسوسي : ج 2 صفحـة 94 .

<sup>(194)</sup> ابن الصغير : صفحة 52 ،

<sup>(195)</sup> النفسوسي : ج 2 صفحــة 94 .

أموالهم الى مشايخهم بتاهرت ليصرفوها حيث شاؤا (196) . ولا مراء فى ان مشكلة الاتلية الاباضية فى دولة بنى مدرار كانت أهم المشاكل التى وأجهها أمراء سجلماسة على الاطلاق .

كذلك لم تخل تاهرت من وجود اقلية من الخوارج الصفريسة لهسا وزنها (197). وقد استقرت غالبيتهم في حصن « تالغمت » المشرف على المدينة (198) وبديهي أن يسهموا في احداث الدولة الداخلية ويقفوا موقف المعارضة من ائمة تاهرت . فيخبرنا ابن الصفير (199) انهم لعبوا دورا بارزا في الثورة على ابى حاتم يوسف بن محمد ، حيث انضموا لاهل تاهرت من غير الاباضية ضد الامامة الرستمية .

وقد حرص حكام سجلماسة وتاهرت على تحاشى التدخل في هذه الفتن . فأحجموا عن اذكائها او تشجيعها ، ولولا تغاضيهم عنها ؛ « لكانت الحروب بينهم متوالية والفتن متتابعة » ع حيث يطلب كل فريدق منهم الانضمام الى امام مذهبه ويظهر التظلم حقا او باطلا من مخالفة في المذهب الحاكم عليه » (200) بل بادر بعضهم الى توثيق اواصر الود بين الدولتين عن طريق المصاهرة ، فطلب اليسع بن ابى القاسم سمكوا من عبد الرحمن ابن رستم تزويج ابنه مدرارا من أروى ابنة عبد الرحمن (201) مؤملا تعضيد حكمه في سجلماسة بجيرانه الرستميين وقبل الامام الرستمى « رغم اعتراض المعترضين والمنكرين » مستهدفا توثيق علائق الوداد بين الملكتين فلا يطرقه منهم طارق سوء ، ولا يأتيه من قبلهم ما يكدر راحته او يوجب له خلفا او خللا في داخليته (202) » .

وعلى الرغم من تصور هذه المصاهرة عن تحقيق اهدائها في ايجاد حل لمسكلة الاقليات المذهبية داخل الدولتين ، الا انها ادت الى حرص المدراريين والرستميين « على تحقيق التضامن والوئام بين دولتي الخوارج »

<sup>(196)</sup> ابن الصغير : ص 46 ، البرادى : الجواهر المنتقاة ورقة 93 \_ مخطوط ،

<sup>(197)</sup> النفـوسى : ج 2 صنصـة 94 · (198) نفس المصـدر : صفحـة 69 ·

<sup>(198)</sup> على المصدر ، صفحة 60 . (199) تاريخ الائمة الرستميين ص 51 ، 52 .

<sup>(200)</sup> النفسوسي : صفحية 94 .

<sup>(201)</sup> ابسن خلسدون : ج 6 صنعية 131 ،

Provencal : Op. Cit. P. 249, Bel : Op. Cit. P. 168.

، 94 منصبة 2 منصبة (102)

\_ كما ذهب جوتييه (203) \_ واحجام كل منهما عن التدخل في الامسور الداخلية فقد مارس حكام كل من الدولتين سيادة كاملة على سائر الاقليات المذهبية داخل دولتهم « من الاباضية والصفرية والواصلية » (204) جميعا، ولم يتساعوا من وجود صلات بين هذه الاقليات وبين شيوخها سواء فسى تاهرت او سجلماسة (205).

#### 2 \_ بنو مدرار وأمويو الاندلس:

لم يحل الاختلاف المذهبى بين بنى مدرار واموى الاندلس ، ولا البعد الجغرافي بين سجلماسة وقرطبة دون وجود صلات ودية بينهما ، فقد جمعهما العداء المشترك للخلافة العباسية والاغالبة والادارسة . وقد سبق ان وقفنا على أسباب الجفوة بين سجلماسة وبغداد والقيروان وفاس .

ولا يخفى العداء التقليدى بين قرطبة وبغداد ، فحسبنا أن قيام الدولة الاموية بالاندلس تم على حساب النفوذ العباسى هناك ، ولما كان الإغالبة على ولاء لبنى العباس (207) ، فقد ورثوا عداوتهم لاموى الاندلس ، وازداد هذا العداء حدة بسبب التنافس البحرى بينهما فى وسط وغرب البحر المتوسط . بل أن نجاح الإغالبة فى هذا التنافس البحرى وتهديدهم النفوذ الأموى فى جزر البليار كان من العوامل التى دفعت عبد الرحمن الثانى ( 206 – 238 ه ) (208) ( 201 – 853 م ) الى توثيق صلاته مع امارات المغرب . وأذا كانت الامارة الاموية فى قرطبة قد اخفقت فى توطيد صلاتها بالادارسة (209) ، الا أنها نجحت فى أقامة علاقات طيبة فى توطيد صلاتها بالادارسة (209) ، الا أنها نجحت فى أقامة علاقات طيبة الامارة الاندلسية . ذلك أن المصالح السياسية سمت على الاختسلاف المذهبى بين بنى مدرار الصفرية وبنى أمية السنة ، كما أن وحدة المصير المنابت على الاحقاد القديمة بين الخوارج والامويين . ولم تحل شعة البعد

Les Siecles obscurs. P. 293. : انظـر (203)

<sup>(204)</sup> ابن خُلدون : ج 6 مس 121 ، البرادى : الجواهر ورقة 93 ، اطنيش : الامكان مس 57 ، ياتوت : معجم البلدان ج 3 مس 815 ،

<sup>(205)</sup> الشباهـي : السير صنحـة 223 ، 224 ·

<sup>(206)</sup> النـويـرى : ج 22 ورتـة 26 ، 27

<sup>(207)</sup> ننس المسدر والورتات .

<sup>(207)</sup> تسل بمصر وتوريد (208) . 493 بين عبد ربه : المتد الغريد : ج 4 ص 493 . Scott : Op. Cit. Vol. I. P. 456. (209) ابن عذارى : ج 2 ص 106 ،

بينهما دون امكانية الاتصال ، حقيقة لم يكن لبني مدرار موانيء على ساحل البحر المتوسط (210) ، لكنهم لم يعدموا وجود منافذ على ساحل الاطلنطي كانت على صلة دائمة بموانىء الاندلس كاشبيلية وشاطبة ( 211 ) . ومن ثم فليس من المستفرب أن تحفل مدن الاندلس في ذلك الحين بعناصر صفرية من سجلماسة (212) كما غصت سجلماسة بالكثيرين من أهل الاندلس (213).

والواقع ان المؤرخين لا يقدمون معلومات وفيرة تساعد على تتبع هذه الصلات الودية قبل عهد الامير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ( 238 \_ 273 هـ) (214) ( 853 \_ 898 م ) ، لكنه من الراجح انها ترجع الى عهد عبدالرحمن الداخل ( 138 ـ 172 هـ ) (215) ( 755 ـ 788 م ) المعاصر لامراء بني مدرار الاوائل والذي استقل بالاندلس في ظروف مماثلة لتلك التي اقام فيها بنو مدرار دولتهم بالمغرب ، ونعتقد أن نجاحه في ذلك شبع بني مدرار على الاقدام على اقامة حكمهم المستقل بسجلماسة .

ويبدو أن هذه العلاقات الودية قد تكدرت أواخر عهد الحكم بن هشام ( 180 ــ 206 هـ ) ( 797 ــ 821 م ) على اثر ثورة الربض بقرطبة ونزوح اعداد غفيرة منهم الى سجلماسية (216) . لكن الجفوة لم تدم طويلا فسرعان ما استعادت العلاقات طابعها الودى في عهد الخليفة عبد الرحمن الثاني الذي وثق صلاته ببني مدرار ، وخاصة بعد استفحال الخطر الاغلبي في البحر المتوسط . ومن المحتمل أن يكون ميمون بن مدرار الملقب بالأمير قد آزر صديقه الاموى عبد الرحمن الثاني في مواجهة القحط الذي حل ببلاد الاندلس سنة 232 ه ( 847 م ) ، فبعث اليه ما توافر لديه مسن الحنطة والسكر والتمر (217) ، وازدادت صلات الود في عهد الامير محمد ابن عبد الرحمن بن الحكم الذي اتسم عصره بالاستقرار السياسي (218)

<sup>(210)</sup> اليعتسوبسي : البلسدان صفحسة 359 .

<sup>(211)</sup> الحميرى : صنة جزيرة الاندلس : ص 21 ، ابن الدلائـــى : نصوص بن الاندلس صنحــة 18 ، 19 ، 19 ، 248. . Provencal : Op. Cit. P. 248.

ج 2 ص 418 ، ابن الفرضى : تاريخ العلماء والرواة (212) ابن بشكوال : الصلة ج 1 صفحـة 123 -

<sup>(213)</sup> ابسن خلسدون : ج 4 صفحــة 126

<sup>(214)</sup> ابن عبد ربه : ج 4 منصة 493 . (215) نفس المصدر : صفصة 488 .

<sup>(216)</sup> ابسن خلسدون : ج 4 صفحسة 126 .

<sup>(217)</sup> جغرانية المامون ورقة 197 ، التلتشندي : ج 5 ص 164 ، Conde : Op. Cit. Vol. J. P. 291.

<sup>(218)</sup> ابن عبد ربه : ج 4 ص 494 ·

فى الوقت الذى نعم فيه امراء سجلماسة بالامن والهدوء فى عهد ميمون الامير واليسع المنتصر ، حتى ادى ذلك الى أن يعتبر المؤرخون الامير الاندلسى صاحب سيادة فعلية على امراء سجلماسة . يقول ابن عسدارى (219) « . . وكان الامير محمد مأمولا محبوبا فى جميع البلدان ، وكان محمد بسن الملح صاحب تاهرت لا يقدم ولا يؤخر فى أموره ومعضلاته الا عن رايه وأمره ، وكذلك بنو مدرار بسجلماسة » ، كما يضيف ابسن الخطيب (220) « . . وخدمته ملوك البلاد المغربية واعترفت بطاعته بتاهسرت وسجلماسة » ، ولا شك أن هذا القول ينطوى على مبالغة لا سند لها من الواقع ، غليس ثمة ما يشكك فى الاستقلال التام الذى تمتعت به دولتى بنى مدرار وبنى رستم .

كان من البديهى ان تتوطد صلات المودة والصداقة هذه وتزداد رسوخا بظهور الخطر الشيعى في بلاد المغرب وتطلعهم الى الاندلس اذ اهتسم أمويو الاندلس بمتابعة اخبار الدعوة الفاطمية عن طريق أصدقائهم فسى سجلماسة وتاهرت ،وخاصة بعد الانتصارات المتوالية التى احرزها داعيتهم أبو عبد الله الشيعى على دولة الاغالبة (221) . ولا شك ان بنى مدرار ارتاعوا بدورهم لهذا الخطر ، ومن المحتمل أن يكونوا تد بذلسوا جهودا للاشتراك مع أموى الاندلس في مجابهته . لكن هذه الجهود لم تسفر عن شيء ، فقد سقطت دولة بنى مدرار سنة 297 ه ( 909 م ) في يد الشيعة دون أن يحرك أمير الاندلس ساكنا ، ولم تقم قرطبة بجهود لمناوءة الفاطميين في المغرب الا في عهد عبد الرحمن الناصر (222) . وهكذا لم تتمخض صلات الود والصداقة بين سجلماسة وقرطبة عن نتائج سياسية ذات بال .

والخلاصة ان علاقات بنى مدرار الخارجية تأثرت بظروفها السياسية ومصالحها الاقتصادية وطبيعتها الجغرافية ومذهبها الديني .

<sup>(219)</sup> البيسان المغسرب ج 1 صفحة 116 ·

<sup>(220)</sup> أعبال الاعسلام ج 2 صفصة 22

<sup>(221)</sup> ابن عذارى : ج 1 ص 150 ، محمود مكى : التشيع في الاندلس ص 111 .

<sup>(221)</sup> ابن عدارى . ج 1 ص 170 ، مجهود على ، المسلع في المداس سن 171 . (222) عول الناصر على مناهضة الفاطميين في بلاد المغرب لشغلهم عسن الننكير في غسزو الاندلس واستطاع بالفعل أن يستدوذ على بعض معاقل العدوة كسبته وطنجة ولعل حرص الحكم المستنصر من بعده على معرفة طبيعة بالاد المفسرب واحسوال سكانها كان تمهيدا لمد نفوذه فيها واقصاء الفاطميين عنها ، انظر : مجهول : اخبار مجموعة ص 155 ، الضبى : بغية الملتمس ص 131 .

# دول بني رستم الاباضية

## أ .. قيام دولة بني رستم

يرتبط تيام دولة بنى رستم بمؤسسها عبد الرحمن بن رستم الفارسى الاباضى ، فاليه يعزى الفضل فى تأسيس دولة للخوارج الاباضية كان حكمها فى أسرته من بعده ، وليس غريبا أن يرضخ بربر المغرب الاوسط لزعامة أمام من غير البربر ، فأن كافة الدول التى قامت ببلاد المغرب حتى قيسام الدولة الفاطمية اعتمدت على شخصيات من غير البربر تمتعت بمنزلة دينية خاصة (223) فى معظم الاحيان .

وغنى عن الذكر ان المصادر جميعا تتفق على انتماء عبد الرحمن بن رستم الى الفرس ، وتجمع على نسبته لطبقة الحكام الاكاسرة ، لكنها تختلف في التفاصيل ، غابن خلدون (224) يذكر انه « من ولد رستم امير الفرس بالقادسية » والبكرى (225) ينسبه الى « سابور ذى الاكتاف الملك

<sup>(223)</sup> ينطبق هذا القول على دول بنى مدرار وبنى رستم والادارسة والاغالبة والفاطميين وكذلك المسارة برغواطلة .

<sup>(224)</sup> المبرج 6 من 121 · وهي رواية خاطئة لان رستم هذا تتل سنة 16 ه ، وتوفى عبد الرهبن سنة 168 ه فيكون قد عمر اكثر بن بائة وخبسين عاما .

<sup>(225)</sup> المغرب: سندة 67

الفارنسى » ، بينما ترجح تواريخ الخوارج (226) صلته « بكسرى انـو شروان ملك الفرس » ،

وتضطرب تواريخ الاباضية حين تتحدث عن نشأة عبد الرحمن وتورد من الروايات ما يشير الى أن أمر المغرب سيؤول الى الفسرس (227) ، وتصور رستم والد عبد الرحمن على أنه كان يدرك هذه النبوءة التى سوف تتحقق على يد ذريته ، فانتقل الى العراق ومنها الى مكة على أمل الرحيل الى المغرب لتحقيق نبوءته ، ورواية أبن عذارى (228) عن نشأة رستم وابنه عبد الرحمن بالحجاز أكثر قبولا ، فهو يذكر أن بهراما والد رستم كان من موالى عثمان بن عفان ، ولما مات رستم والد عبد الرحمن تزوجت أمه من أحد الحجاج المغاربة الذي اصطحبه معهما الى بلاد المغسرب . والراجح أن وصول عبد الرحمن الى المغرب حدث في أواخر القرن الاول الهجرى (229) ، فنعلم أنه كان شابا يافعا عند ما قدم سلمة بن سعيد يدعو للمذهب الاباضى في بلاد المغرب ، ويخبرنا الشماخى (230) عن لقاء عبد الرحمن بسلمة وشغفه بتعاليمه « وتعلق قوله بقلبه » .

ثم توجه عبد الرحمن بن رستم الى البصرة وانضم الى اخوانه المغاربة في حلقة ابى عبيدة مسلم بن ابى كريمة سنة 135 ه ( 752 م ) كحيث قضى خمس سنوات في حضرته يتلقى اصول المذهب وغروعه ويعد مع اخوانه « حملة العلم المغاربة » مع مشايخ المذهب في البصرة لاقامة « امامة الظهور » عقب عودتهم الى بلاد المغرب .

ولما عادت بعثة المغاربة الى المغرب سنة 140 ه (757 م) وتولسى أبو الخطاب المعافرى الامامة ، اختار عبد الرحمن بن رستم قاضيا على طرابلس (231) . وعند ما أقصى أبو الخطاب الصفرية عن القسيروان ودخلها سنة 141 ه (758 م) تولى عبد الرحمن بن رستم حكمها نيابسة

<sup>(226)</sup> أبو زكريا : ورقة 5 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 9 ، الشماغي : السير ص 138 ·

<sup>(227)</sup> تنيض هذه المصادر بذكر احاديث منتحلة ومأثورات عن كبار الصحابة ــ مشكوك نيها ــ تبين فضائل الفرس وعظيم شمائلهم وفضلهم على الاسلام ، وتنبىء عن تيامهم باعادته الى سيرته الاولى ، عن طريق اتامة دولة لهم فى بلاد المغرب ، انظر : أبو زكريا : ورتــة 2 ، 5 ، الدرجينــى : ج 1 ورتــة 9

<sup>(228)</sup> البيان المغرب : ج 1 ص 277 -

<sup>(229)</sup> ينفي هذا ما تاله ابن خلدون من أن عبد الرحمن قدم الى افريقية « مع طوالع الفتح » انظـر : العبـر : ج 6 من 121 ·

<sup>(230)</sup> السيسر : صفحسة 123 ·

<sup>(231)</sup> النفوسي : ج 2 صفحة 84 ٠

عنه (232) في حين توجه أبو الخطاب لملاقاة جيوش ابن الاشعث ، فكان عبد الرحمن لذلك « خليفته على افريقية » (233) .

وقد خرج عبد الرحمن بجيش القيروان لنجدة امامه حين دهمته جيوش ابن الاشعث ، لكنه توقف عند قابس عند ما وصلته أنباء قتلسه وهزيمة جيوشه ، واضطر للعودة الى القيروان لثورة أهل قابس عليه ، لكنه اسرع بمبارحتها عند ما علم بثورة اهلها على نائبه فيها (234) . وتخطىء تواريخ الاباضية (235) حين تزعم أن عبد الرحمين بين حبيب استولى على القيروان اذ ذاك وانه ظفر بابن رستم وهم بقتله لولا شنفاعة بعض القيروانيين فيه ، فأطلقه ابن حبيب على أن يغادر القيروان توا ، لان هذه الاحداث وقعت سنة 144 ه ( 761 م ) بينما قتل عبد الرحمن ابن حبيب سنة 137 ه (236) ( 754 م ) ، وانتهى حكم اسرته بمقتل ابنه حبيب على ايدى الصفرية سنة 140 هـ (237) ( 757 م ) ٠

والمعتول ان يكون عبد الرحمن قد نزل القيروان في محاولة لجمع شمل الاباضية فيها ، ثم اسرع بمغادرتها لثورة اهلها على الاباضية من ناحية ولوصول ابن الاشعث وجيوشه اليها من ناحية أخرى (238) .

وبديهي أن يتجه عبد الرحمن الى المغرب الاوسط لائذا بالقبائك الاباضية هناك . وكانت رحلته هذه شاقة وعسيرة ، اذ آثر المسير فسى الطريق الجنوبي المار بقسطيلية ـ وهو طريق وعر وطويل ـ الى أن وصل الى جبل سونجج (239) ناتخذ منه ملاذا لمناعته (240) . ثم أخذت جموع الاباضية تفد اليه ، فقصده شيوخ المذهب ورؤسائه من طرابلس وما جاورها (241) ، كما توجه اليه علماء الاباضية واعلامهم من سائر

<sup>(232)</sup> ابن عذاری : ج 1 مس 277 ، ابن خلدون : ج 6 مس 111 ·

<sup>(233)</sup> البكسرى: منحسة 68 ،

<sup>(234)</sup> أبو زكريا: ورتـة 10 ، النفوسى: ص 2 ٠

<sup>(235)</sup> ابو زكريا: ورتة 10 ، الدرجينى : ج 1 ورتة 16 ، النفوسى : مس 2 ٠

<sup>(236)</sup> الـرتيــق : صنحــة 124 .

<sup>(237)</sup> ننس المصدر : ص 141 ، ابن عذارى : ج 1 ص 81 ،

<sup>(238)</sup> ابسن عسذاری : ج 1 صفحة 277

<sup>(239)</sup> ذكر النفوسى أن هذا الجبل مجهول الموقع ، ويعتقد دبوز أنه هــو نفس الجبسل المعروف بسوننيف الكائن بين مدينتي سلالة والسوفر ، انظر : الازهار الرياضية ج 2 من 3 ، المغرب الكبير ، ج 3 من 256 · (240) أبسو زكسريسا : ورتسة 11 ·

Gautier: Op. Cit. P. 301. ، المصدر والمستينة (241)

القاليم المغرب (242) . وعول عبد الرحمن على جمع شمل أتباع المذهب بهدف استرداد نفوذه ، ولعل هذا ما حدا بمحمد ابن الاشبعث الى اقتفاء اثره بقصد القضاء عليه قبل استفحال خطره . فتحصن عبد الرحمن بالجبل وخندق على نفسه (243) . وضرب ابن الاشبعث وجيشه الحصار على ابن رستم ورجاله دون طائل ، فاضطر للعودة من حيث أتى بعد أن حل الوباء بجيشه ، وافنى كثيرين من رجاله (244) ، فضلا عن خوفه من تمرد اهل القبروان عليه ولما يكن قد وطد فيها سلطانه بعد (245) .

وبرحيل ابن الاشعث اتيح لابن رستم ومن معه من شيوخ المذهب واعلامه الاتصال باباضية المغرب الاوسط ، فغادر سوفجج الى تاهرت القديمة ، وكانت تنزل حولها قبائل من هوارة ولواتة ومكناسة ومزاتة ولماية واغلبها أباضية (246) ، وقد أحسن ابن رستم الاختيار لنزوله في اقليم عامر بالخوارج الاباضية (247) . وبديهي أن ترحب هذه القبائل بمقدمه وخاصة اباضية لماية « لقديم حلف بينه وبينهم » (248) أيام كان نائبا لابى الخطاب على انريقية ، نام يعتمد ابن رستم اذن - كما زعم جوتييه (249) ـ على تبيلة زناتة .

على كل حال ــ اثمرت اتصالات ابن رستم بأباضية المغرب الاوسط ، فآزروه في حصار عمر بن حفص بطبنة سنة 151 ه ( 768 م ) ، وكانت هزيمتهم في تهودة في نفس العام سببا في اقتناعهم بضرورة تأسيس دولة تلم شمل اباضية المغرب ، وانشاء مدينة تكون قصبة للدولة ومركزا للمذهب.

وقد تريث الاباضية في اختيار موضع مدينتهم ، وحرصوا على اقامتها « في مكان جيد الهواء ، كثير المياه ، خصب الارض ، قابل للعمارة ، مامون من العدو » (250) . وطفق الرواد يجوبون اطراف الاقليم بحثا عن

<sup>(242)</sup> النفسوسي : مستحسة 3 ،

<sup>(243)</sup> نفس المسدر والصحيفة ،

<sup>(244)</sup> أبو زكريا ، ورقسة 11 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 17 .

<sup>(245)</sup> النفوسي : صفصة 3 -

<sup>(246)</sup> نئس المسدر : من 4 4

Mercier : Histoire de l'établissement des Arabes ... P. 79.

<sup>(247)</sup> ابن خلاون : ج 6 من 121 ، مارسیسه : مادة بنسی رستم - دانسرة المسارف الاسسلامیسة  $^{\prime}$  مفصة 92 .

<sup>(248)</sup> ابن خلدون : نفس المصدر والصحيفة .

Les Siecles obscurs. P. 312. : انظر (249)

<sup>(250)</sup> النفيوسي : مستحسة 6 ،

الموضع المختار ، وأجمعت آراؤهم على استحسان موضع تاهرت (251) . وكان هذا الموضع في مكان مسطح مرتفع (252) ، فهو ملائم ليكون مكانا لعاصمة « المثال هؤلاء السكان الجبليين » (253) ، فضلا عن ملاءمته للرعى ، فهو بمثابة « منتجع صيفى للقبائل الرعوية في شمالي الصحراء » (254) ، هذا بالاضافة لوتوعيه « في قلب ديار الاباضية ومنازلهم » (255) ، « ووقوعه بين نهر يأتي من الجنوب يسمى مينة وآخر ينبع من عيون ويشق مجراه الى أن يصب في وادى شلف » (256) . فهذا المكان اذن غيضة بين ثلاثة انهار (257) ، توجه انظارها نحو الداخل وتولى ظهرها للبحر الذي تبعد عنه بمسيرة ثلاث مراحل (258) .

ولهذه الميزات الفريدة ساوم الاباضية سكان موضع تاهرت من بربر صنهاجة (259) على بيعه غأبوا ، لكنهم سلموه اليهم على أن يستصلحوه ويكون لهم نصيب من خراجه . ثم أخذ الاباضية في تأسيس المدنية ، فشرعوا في أزالة الآجام وحرق الاشجار تمهيدا لاختطاطها (260) . وقد استعانوا بالاموال التي كانت ترد اليهم من أباضية طرابلس في اختطاط المدينة وتعميرها (261) . ثم بادروا باختطاط تاهرت سنة 161 هـ (262) المدينة وتعميرها (161) . ثم بادروا باختطاط تاهرت سنة 161 هـ (263) في المكان الذي خصصوه لصلاتهم عند ما كانوا يزيلون الاشجار ويمهدون في المكان الذي خصصوه لصلاتهم عند ما كانوا يزيلون الاشجار ويمهدون الارض (264) . وتلسى ذلك بناء المصور والبيسوت (265) والاسواق

<sup>(251)</sup> أبو زكريا : ورقة 13 ، الشماخى : السير : ص 139 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 9 . (252) الشماخيي : صفحية 146 ،

Bernard : Op. Cit. P. 134. (253)

Faroughy: Apersian dunasty in noth Africa P. 14. (254) Ibid. P. 12 (255)

<sup>(256)</sup> البكرى : ص 66 ، 67 ، ابن خلدون : ج 6 ص 121 .

<sup>(257)</sup> ابن عــذارى : ج 1 صفحــة 277 ·

<sup>(258)</sup> اليعتوبي ، البلدان : ص 358 ، سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي - ص 375 ·

<sup>(259)</sup> البكسرى : صنحـة 68 ،

<sup>(260)</sup> أبسو زكريا : ورتسة 13 ،

<sup>(261)</sup> نفس المصدر ورقعة 11 ،

<sup>(262)</sup> ابن عذارى : ج 1 مص 277 . وهى رواية اكثر دقة من رواية ابن خلدون ومن أخذ عنه حيث يجعل تأسيس تأهرت سنة 144 ه ، انظـر : العبـر ، ج 6 مص 121 ، الســـلاوى : ج 1 مص 115 ،

<sup>(263)</sup> ابسن عسداری : ج 1 صنصة 277

<sup>(264)</sup> أبو زكريا : ورقة 13 ، الشماخي : السير ص 139 ، الننوسي : ص 8 .

<sup>(265)</sup> الدرجيني : ج 1 ورقة 19 ، الشماخي : السير ص 139 .

والحمامات والفنادق (266) . ويبدو أن نزاعا نشب بين الاباضية وبين بربر صنهاجة آنذاك ، فيخبرنا البكرى (267) « انهم كانوا يبنون النهار ، فاذا جن الليل وأصبحوا ، وجدوا بنيانهم قد تهدم » . والراجح أن الاباضية ردعوهم بالقوة وأجلوهم عن المكان برمته حتى قال أبن رستم « هذا بلد لا يفارقه سفك دم ولا حرب أبدا » (268) . وبديهى أن يهتموا بتحصين المدينة وحمايتها ، فأقاموا سورا حولها (269) جعلوا له أبوابا أربعة (270)، وأصبحت المدينة الجديدة في مأمن من أعدائها ، ولا غرو فقد أطلق عليها « معسكر عبد الرحمن بن رستم (271) وقيل « المعسكر المبارك » (272). وأضحت تاهرت على أثر ذلك حاضرة للدولة ، وقصبة لعديد من المدن والقرى والقلاع والحصون التابعة لها (273) .

بادر رؤساء الاباضية ومشايخهم باختيار امام بعد اختطاط تاهسرت حتى تستكمل دولتهم طابعها السياسي وتبلغ امامتهم « مرحلة الظهور » . والواقع ان ثمة خلاف بين المؤرخين حول توقيت مبايعة ابن رستم بالامامة ، وهذا الخلاف يدور حول ما اذا كانت المبايعة قد تمت على اثر مقتل ابسى الخطاب ونزول عبد الرحمن بن رستم على اباضية المغرب الاوسط ، او ان ذلك لم يحدث الا بعد اختطاط تاهرت يقول البكرى (274) « بعد أن هرب عبد الرحمن بأهله وما خف من ماله وترك القيروان اجتمعت اليه الاباضية واتفقوا على تقديمه » . ويقول ابن خلدون (275) « لحق عبد الرحمن بن رستم بأباضية المغرب الاوسط من البرابرة ونزل على لماية . . فاجتمعوا اليه وبايعوه بالخلافة » . أما النفوسي (276) فيذهب الى « أن علماء المذهب بعد انشاء المدينة تداولوا وقالوا : قد علم ما حل بنا من الشتات والافتراق بعد انشاء المدينة تداولوا وقالوا : قد علم ما حل بنا من الشتات والافتراق

<sup>(266)</sup> البكرى : صفحـة 68 ،

<sup>(267)</sup> المفرب ، صفحـة 67 ،

<sup>(268)</sup> ننس المدر صنحة 68

<sup>(269)</sup> النفوسي صفحة 8 ٠

<sup>(270)</sup> هي : باب الصبا وباب المنازل وباب الاندلس وباب المطاحن ، راجع البكرى : من 66 ،

<sup>(271)</sup> ننس المسدر : منحة 68

<sup>(272)</sup> أبو زكريا : ورقة 14 ، الدرجينى : ج 1 ورتة 21 ، ياتوت : ج 1 مس 816 . (272) من هذه المدن والتلاع يممه وتاغليه وهزارة ومنداس وسوق ابراهيم وجبل تجان وشلف والبطحة والزيتونة والخضراء وتنس وتامزيت ولمكان وغيرها . انظر : المتدسى : احسن التقاسيم على 219 .

<sup>(274)</sup> المفرب صفحـة 68 ،

<sup>(275)</sup> العبسر ج 6 صنصة 121 ·

<sup>(276)</sup> الازهار الرياضية ج 3 ص 83 ،

بعد وماة امامينا (يتصد أبا الخطاب وأبا حاتم) ومبارحتنا طرابلس ، وهد أجمعنا على اختيار مكان غيرها يليق بمنصب الامامة ويكون ملجا للاسلام واذا رزتنا بهذا المكان وتم تحصينه على حسب المرام وجب نصعبه المام (277) »

وفي تقديري أن عبد الرحمن بن رستم بويع بالامامة مرتين : الاولى على اثر موت ابى الخطاب سنة 144 ه ( 761 م ) ونزوله على اباضيـــة المغرب الاوسط . والثانية سنة 162 ه ( 779 م ) بعد تأسيس تاهرت -كانت مبايعته الاولى على أنه « أمام دفاع » نظراً لما تعرض له الاباضية من بطش على يد جيوش ابن الاشمعث ولا ينفي هذا ما حدث من مبايعة أماضية طرابلس لابي حاتم الملزوزي في ذات الوقت بالمالمة الدفاع (278) ك ففقه الاباضية يجوز وجود امامين في وقت واحد « اذا وجد بينهما عدو يخشى باسته ، او لبعد المسافة » (279) ، فلا غرابة في وجسود المامين للاباضية احدهما في المغرب الادنى والآخر في المغرب الاوسط وفي ضويع ذلك يمكن تفسير ارسال ابي حاتم الاموال لابن رستم لتكون له عونا على بدء « امامة الظهور » (280) . فلما استتب الأمر لاباضية المغرب الاوسط بعد انشاء تاهرت وتحصينها سنة 161 ه ( 778 م ) ، لم يكن هناك ا يحول دون تجديدهم مبايعة عبد الرحمن بن رستم « لامامة الظهور » سنفة 162 ه ( 779 م ) وخاصة بعد نزوح كثير من أباضية المغرب الادنى الي تاهرت ليعيشوا في كنف الامامة الجديدة بعد مقتل ابي حاتم الملزوزي « امام الدفاع في طرابلس » (281) .

اجمع مشايخ الاباضية اذن على اختيار عبد الرحمن (282) « لدينه وسابقته ومكانه وغير ذلك من حميد الصفات » (283) وحسبه انه كسان

<sup>(277)</sup> وقد اختلطت آراء المحدثين لهذا السبب وتضاربت مذكروا أن المبايعة تبت تبل انشاء المدينة ، ثم ذكروا في مواضع أخرى أنها حدثت بعد تأسيسها ، انظر : سعد زغلول عبد الحبيد : تاريخ المغرب العربي من 380 ، 380 ، السيد عبد العزير سالم : المغرب الكبير من 542 ، 545 .

<sup>(278)</sup> البرادى : الجواهر المنتقاة ورقة 88 .

<sup>(279)</sup> أطنيش: الاحكان من 107 ، 108

<sup>(280)</sup> أبسو زكسريسا : ورتسة 11 ·

<sup>(281)</sup> نفس المصدر ورقة 13 ، انظر : مقدمة تاريخ ابن الصغير (281)

<sup>(282)</sup> نفس المصدر والصحيفة ؛ النفوسي : ص 83 .

<sup>(283)</sup> الدرجينى : ج 1 ورتة 19 ، وقد راعى الإباضية الشروط المتعارف عليها في اختيسال الاثبة وهى « العلم والعدالة والكفاية وسلابة الحواس والاعضاء » دون اشتراط الاثبة وهى « العلم والعدالة الكفاية وسلابة الخواس والاعضاء » دون اشتراط الاثبة الأصل القرشي كما هو شأن اهل السنة ، انظر : ابن خلدون ، المقدمة ج 2 مى 522.

« أحد حملة العلم الخمسة » الى المغرب ، وعامل ابى الخطساب علسى المريقية (284) فضلا عن أنه « ليس له من قبيلة تمنعه اذا تغير أو تبدل » (285) ، ومن ثم ارتضته القبائل لتتحاشى تسلط احداها عليها اذا ما حظى رئيسها بالامامة (286) .

وقبل عبد الرحمن بن رستم الامامة سنة 162 هـ (287) ( 779 م ) « على سنة الله ورسوله و آثار الخلفاء الراشدين » (288) بعد ان عاهده رؤساء المذهب « على الطاعة نيما وانق الحق وطابقه » (289) ، وأصبح أول أثمة الدولة الرستمية التي اشتقت اسمها من اسمه .

وشرع عبد الرحمن بعد بيعته في العمل على توطيد حكمه وارساء دعائم دولته ، ومواجهة المشاكل المصاحبة لقيام الدول سواء فيما يتعلق بسياستها الخارجية أو الداخلية وجدير بالذكر انه كرس جهوده لمواجهة الاعباء الداخلية ملتزما سياسة المهادنة في الخارج ، فقد حرص على موادعة عمال بنى العباس في افريقية (290) — كما اصهر الى اليسع بن أبى القاسم رغبة في مسالمة بنى مدرار (291) .

ولما اطمأن الى سلامة دولته من الاخطار الخارجية شرع فى ارساء دعائمها . وكان عليه أن يبسط نفوذه على سائر القبائل داخل حدودها ويستكمل انشاء عاصمتها ويرسى نظمها فى الحكم والادارة .

والواقع أنه كان بحاجة الى الاموال ليستعين بها على مواجهة تلك المهام مضلا عن تعبئة الجند وشراء الاسلحة واسترضاء الاتباع (292) ويخيل الينا أنه استعمان باباضيمة المشرق في همذا الصدد ، وبديهمي أن يخفوا لغونه وشد أزره لتحقيق آمالهم في اقامة دولة أباضية كبرى (293).

<sup>(284)</sup> الدرجينيي : ج 1 ورتية 19 .

<sup>(285)</sup> ابن الصغير: من 6 ، أبو زكريا: ورقة 9 ، الشماخي : السير من 140 ، Masqueray : Op. Cit P. 58, Faroughy : Op. Cit. P. 139.

<sup>(286)</sup> ابن الصغير: ص 9 ٠

<sup>(287)</sup> ليس صحيحًا ما أورده بعض مؤرخى الاباضية من رفض عبد الرحمن بن رستم الامامة سنة 140 ه قبل أن تعرض على أبى الخطاب المعافرى ، انظر : الشماخى : السعي ص 140 ، الدرجينى : ج 1 ورقعة 19 .

<sup>(288)</sup> الشماخي : السير ص 140 ، الدرجيني : ج 1 ورقعة 19 .

<sup>(289)</sup> ابن الصغير: ص 9 ، الننوسي ص 84 .

<sup>(290)</sup> النفوسى : صفحة 93 ٠

<sup>(291)</sup> نفس المصدر والصحيفة .

<sup>(292)</sup> النسوسي : صنصة 86 ،

<sup>(293)</sup> ابسن الصغير : ص 10 ·

فبادروا بانفاذ بعثه محملة بالاموال الى تاهرت (294) وتفيض مصادر الاباضية (295) بمزيد من التفصيلات حول بعثة المشارقة في تاهرت ، واعجابهم بحكم الامام عبد الرحمن وما هو عليه من زهد وعدل وورع وتسليمهم الاموال له ، وحرصه على استثمارة اهل الرأى في كيفية توزيعها وانفاتها ، وتلبيته مشورتهم بأن تنفق في ثلاثة أوجه « ثلثا في الكراع وثلثا في السلاح وثلثا توزع في نقراء المسلمين وضعفائهم » ·

واستطاع عبد الرحن بهذه الاموال تسليح رجاله من الاباضية ، وتمكن بفضلهم من بسط سيادة الدولة على سائر قبائل البربر الضاربة داخل حدودها ، وانضوت كافة الجماعات داخل تاهرت وخارجها تحت لواء المذهب الاباضي في شكل ائتلاف شمل البربر وما عداهم من العناصر الاخسري (296) ،

وفضلا عن ذلك فقد اولى عبد الرحمن النواحي الاقتصادية والعمرانية اهتماما كبيرا ، وتذكر المصادر جهوده في غرس البساتين وشق القنوات واقامة المطاحن عليها (297) . كما زاد في تعمير تاهرت واقهام الفنادق والمبانى الخاصة للتجار ورتب الاسواق ونسقها ، ونظم الاحتساب عليها ، فقصدها التجار من سائر ارجاء العالم الاسلامي وخاصة من مارس والعراق · والقيروان وسحلماسة (298) فضلا عن بلاد السودان (299) . وقد اسمهم هذا الازدهار الاقتصادي في تدعيم الدولة الرستمية ، وليس ادل على انتعاش أحوال الامامة في ذلك الحين من رفض عبد الرحمن معونة أخرى بعثها اليه أباضية المشرق (300) ، الذين ابتهجوا لاستقرار الامامة واشتداد ساعدها فاعترفوا بها « ووصلوا الامام بكتبهم ووصاياهم » (301) .

<sup>(294)</sup> يذكر فروخى أن هذه الاموال بعثها خوارج فارس والبحرين ، بينما تروى المصادر الإباضية أنها من لدن خوارج البصرة ، وليس من المستبعد أن يكون أباضية مارس والبحرين تد بعنوا بهذه الاموال الى البصرة حيث يوجد مشايخ المذهب الذين أرسلوها بدورهم الى بلاد المغرب ، انظر : أبو زكريا : ورقة 14 ، Faroughy: Op. Cit. P. 14.

<sup>(295)</sup> انظر : أبو زكريا : ورقة 14 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 20 ، الشماخي : السير ص 140، 141 ، الننوسي : ص 86 ، 87 ·

<sup>(296)</sup> ابسن الصغير : ص 12 ، النغوسي : ص 88 ، Smith: The Ibadites. P. 279.

<sup>(297)</sup> نفس المصادر والصفحات ،

<sup>(298)</sup> ابـن الصغيـر : منحـة 16 ، 14. (298) ابـن الصغيـر : من 13 ، 13 ، 13 نفس المصـدر : من 13 ، 13 ، 14.

<sup>(300)</sup> نفس المصدر من 14 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 21 · Julien : Op. Cit. P. 333. ، (87 من 301)

وعكف عبد الرحمن على تنظيم دولته وتوطيد سلطانه ، ولا شبك انه استفاد من عبقرية الفرس في الحكم والادارة ، ومع ذلك فقد غلب الطابع الدينى المذهبي على ما اتخذه من اجراءات في هذا الصدد فكانت نظم الادارة والقضاء والشرطة والاحتساب وادارة بيت المال ونظم الجباية والصدقات كلها تسير وفقا لتعاليم المذهب الاباضي (302) ، مع مراعاة ظروف السكان باعتبار غالبيتهم من البدو الرحل (303) .

وبذلك استطاع ابن رستم أن يرسى قواعد الدولة ويضع نظمها الادارية (304) والمالية (305) ويكسبها « رونق الملك » (306) وحسبه نخاها قدرته على التصدى للمشاكل الداخلية والخارجية الكثيرة التي واجهته ، فبفضل سياسته في مهادنة القيروان وسجلماسة ، وبفضل قدرته على ايلاف العناصر والعصبيات المختلفة داخل الدولة « لم ينقم عليه احد في خصومة ولا حكومة » (307) « ولم يكن على يديه افتراق » (308) .

ولكى يضمن استمرار الاستقرار لدولته اوصى قبل وماته (309) بتعيين مجلس شورى يختار امام الدولة من بين أعضائه .

وهكذا نجح عبد الرحمن بن رستم في اقامة دولة أباضية في تاهرت وتتويج ثورات الخوارج الاباضية في بلاد المغرب بتأسيس أسرة حاكمة ضمت معظم أقاليم المغربين الادنى والاوسط ، ظل أئمتها يتنابون حكمها قرابة قرن وربع قرن من الزمان .

<sup>(302)</sup> ابسن الصغير : صنصة 16

<sup>(303)</sup> جهول : الاستبصار : صفحة 179 ، 4 (303)

<sup>(304)</sup> اليعقوبسي : البلدان : صفحة 149 .

<sup>(305)</sup> ابين الصغير : صنحة 16

<sup>(306)</sup> النفسوسي : صفحسة 90 .

<sup>(307)</sup> الشباخي : صنعة 140 .

<sup>(308)</sup> أبسو زكسريسا : ورتسة 14 .

<sup>(309)</sup> اختلف المؤرخون في تحديد سنة وفاته ، هذكر بعضهم أنه توفي بعد سنتين من امامته اى سنة 164 ه انظر : اطفيش : بعض تواريخ اهل وادى ميزاب : ص 101 . بينما ذكر ابن عذارى أنه مات سنة 168 ه انظر : البيان المغرب ج 1 ص 277 ، والراجح ما أورده النفوسي من أن وفاته وتعت سنسة 171 ه انظر : الازهسار الرياضيسة : ج 2 صفحسة 99 .

### ب \_ سياسة بني رستم الداخلية

اضطربت احوال الدولة الرستمية بعد عبد الرحمن بسن رسالمات بالفتن السياسية والانشقاقات المذهبية والصراع العنصر حدا بالمؤرخ جوليان (310) الى القول بأن تاريخ تاهرت لم يكسن سلسلة من القلاتل والخلافات الداخلية . والواقع أن تلك الظاهرة اكثر بروزا ووضوحا في الدولة الرستهية أكثر منها في أية دولة أخرى دول المغرب المعاصرة لها . حقيقة أن هذه الاضطرابات رغم كثرتها لالى سقوط الاسرة الحاكمة في تاهرت لكنها على كل حال فتت في عدواوهنت من نفوذها في كثير من اقاليمها وخاصة الاجزاء الشرقية منها لم تمارس عليها سوى مجرد تبيعة اسمية ، بل كثيرا ما انسلخ عن تاهرت بعض هذه الجهات مثل جبل نفوسة ونفزاوة وجربة وطرابلس و ونعتقد أن هذه الإضطرابات يرجع بعضها الى أسباب فقهية مذ

ونعتقد أن هذه الاضطرابات يرجع بعضها إلى أسباب غقهية مذ بينما يعزى بعضها الآخر إلى عوامل عنصرية أو قبلية أو طائفية . و ان معظم القلاقل الداخلية في عهد الائمة الثلاثة الاول اتخذت في أا لاعم طابع الانشقاق المذهبي في حين وضح الطابع العنصري القبلي سائر الحركات التي قامت في عهد الامامين الرابع والخامس ، بينما عهدي الامامين الاخيرين بالصراع على الحكم بين أفراد البيت الرست غهدي الامامين الاخيرين بالصراع على الحكم بين أفراد البيت الرست مضلا عن ظهور الطوائف المذهبية غير الاباضية كعامل جديد في الصراعات ، ولم تخل هذه الاضطرابات السياسية ... في كثير من الاحيال من وجود مؤثرات خارجية ، وعلى ذلك يمكن التميين بين أدوار ثا واضحة في مسار التطور السياسي الداخلي لدولة بني رستم ، كان الدور

re de l'Afrique Septentrionale. P. P. 335, 36.

غيها ــ ويشمل عهدى عبد الوهاب بن رستم وابنه أغلح ــ يمثل سطوة الامامة وقوتها ، وقدرتها على احباط كاغة الحركات المناوئة ذات الطابع المذهبى سواء بالقوة كما غمل الامام عبد الوهاب او عن طريق السياسة كما غمل أغلح بن عبد الوهاب .

اما الدور الثانى ، فيشمل عهدى ابى بكر بن افلح واخيه ابى اليقظان محمد ، وهو يمثل الصراع العنصرى والقبلى ، وفيه خفت صوت الامامة ووهنت قوتها ، ونجحت بعض العناصر في اغتصاب السلطة في تاهرت ، ولم يستردها البيت الرستمى الا بتعضيد عناصر اخرى . ولم يحل دون سقوط الامامة سوى ضعف العصبيات من جراء الصراع بينها ، واسلوب الملايئة والموازنة الذى اتبعه أبو اليقظان محمد في موقفه من هذه العصبيات.

ويتسم الدور الاخير من الحكم الرستمى ـ ويشمل امامتى ابى حاتم يوسف بن محمد واليقظان بن أبى اليقظان ـ بتداعى الامامة واضمحلالها وتحكم عامة تاهرت في تعيين الائمة وعزلهم ، وطمع الطوائف والفرق غير الاباضية في تقلدها انهاء للحكم الرستمى الاباضى ، وانفصام الصلة بين عاصمة الدولة واقاليمها الشرقية ، كما زادت الحالة سوءا بتفاقم الخلافات داخل البيت الرستمى وتدبيرهم المؤامرات والاغتيالات ضد بعضهم البعض لتسنم الحكم . وقد تضافرت هذه العوامل جميعا على سقوط دولة بنى رستم سنة 297 ه ( 909 م ) .

وفيها يلى تفصيل دراسة هذه الاطوار الثلاثة في سياسة بنى رستم السداخليسة .

الدور الاول ( 171 - 258 هـ ) ( 788 - 873 م ) .

### الانشقاقات الذهبية:

تم اختيار عبد الرحمن بن رستم للامامة سنة 162 ه ( 779 م ) وفقا لمبايعة أهل الحل والعقد واجماع كافة مشايخ القبائل ، كما كانت سياسته الادارية والمالية تقوم على المساواة وعدم التعصب لعصبية دون سواهما وبالاجمال كانت امامته متمشية مع تعاليم المذهب الاباضي، الامر الذي هيا لحكمه الثبات والاستقرار على أن الخروج عن هذه السياسة في عهد ابنه عبد الوهاب ( 171 – 208 ه ) ( 884 – 824 م ) وحنيده أغلج ( 208 – 258 ه ) ( 887 – 873 م ) سبب الاضطرابات والقلائل التي حفل بها حكميهما

فقد تحولت الامامة عن مبدد الاختيار الى فكرة التنصيب بالتوريث (311) كما ظهرت سياسة الميل لعناصر دون سواها وتمكينها من الاستئثار بمراكز الدولة ووظائفها ، مما شكل خروجا عن تعاليم المذهب الاباضى ، وتمزقا للوثاق الذى ربط بين عناصر وعصبيات شتى ، ونجم عن ذلك انفراط العقد الذى جمع هذه القوى جميعا لتبرز حزازاتها في شكل حركات وثورات على الائمة اتخذت في اغلبها طابع الانشقاق المندهبي (312) .

وكانت اولى هذه الثورات واخطرها حركة يزيد بن هندين وجماعته التى عرفت « بالنكار » (313) . وتكمن الدوافع الاساسية لثورة ابن هندين في رفض امامة عبد الوهاب لعدم اعترافه بجماعة المشورة — التى اقترح ابن هندين استرشاد الامام برأيها (314) — ولان جماعة المذهب لم يجمعوا على امامته لذلك (315) ، ولان في جماعة الاباضية من يبز عبد الوهاب علما (316) ، ومن ثم يصبح مغتصبا للامامة يضاف الى ذلك نقمته على سياسة عبد الوهاب الادارية ومحاباته لبعض العناصر والقبائل واختصاصهم بمناصب الدولة دون غيرهم (317) ، وبالذات نفوسة (318) والعجم (319).

وقد نجح ابن فندين في استمالة العديد من الانصار (320) ، ونحى بهم خارج المدينة حيث تأهبوا لقتال عبد الوهاب وجماعته (321) ، ويبدو أن القتال نشب بين الجماعتين بالفعل ، وأن الدائرة دارت على عبد

<sup>(311)</sup> ابن الصغير : صفحة 16 ، 20

<sup>(312)</sup> انظر : ابن الصغير : المقدسة : صفصة 6 .

<sup>(313)</sup> انظر: السوقى: شرح السؤالات ورقة 99 ، 115 مخطوط وعرفوا أيضا «بالنجوية» لانهم اكثروا الاجتماع والنجوى ، كما اطلق عليهم اعداؤهم اسماء أخرى ، نعرنوا « بالشعبية » لادخالهم الشعب والفرقة في المذهب ، وقيل « الشغبية » لاحداثهم الشغب ، كما دعوا « بالنكاث » لنكثهم بيعة عبد الوهاب ، انظر : أبو زكريا : ورقة 16 ، الدرجيني : ج 1 ورتسة 23 .

<sup>· 102</sup> الدرجيني : ج 1 ورقة 22 ، النفوسي : ص 102 ·

<sup>(315)</sup> ابن الصغير : ص 18 · والاجهاع من شروط صحة الامامة عند نتهاء الاباضية ، كما هو الحال عند أهل السنة · انظر : الشهاخي : شرح متدمة أصول الغته ورتـة 64 ... مخطوط ، الماوردي : الاحكام السلطانية ص 5 ·

<sup>(316)</sup> ابسو زکسریسا : ورتسة 15 ·

<sup>(317)</sup> الشباخسي : السير : صنحـة 146 ·

<sup>(318)</sup> ابن الصغير : صفحة 22

<sup>(319)</sup> النفسوسي : صفحة 114 ٠

<sup>(320)</sup> الدرجينــى : ج 1 ورتــة 22 ·

<sup>(321)</sup> عرف أنصار عبد الوهاب « بالوهبية » كما يذهب ابن الصغير وليس كما يعتقد البرادى بانهم ينسبون الى عبد الله بن وهب الراسبي ، انظر : سيرة الائمة الرستميين من 16 ، الجواهر المنتقة ورتسة 89 .

الوهاب ، يفهم هذا من رواية للنفوسى (322) يقول فيها « أن الامام اضطر الى طلب الهدنة ووضع أوزار الحرب حقنا للدماء الى أن يكتبوا لاخوانهم المشارقة بايضاح القضية » . وقبول ابن فندين مبدأ تحكيم فقهاء المذهب في الشرق في قضية الامامة (323) ، مما يؤكد ايمانه بعدالة موقفه وشرعيته، ومما يدحض دعوى المصادر الاباضية في أنه شار لاسباب شخصية صرفة (324) .

على كل حال \_ يذهب مؤرخو الاباضية الى ان شيوخ المذهب فسى مصر \_ وعلى راسهم شعيب بن المعرف \_ افتوا في صالح عبد الوهاب فقالوا « الامامة تامة والشرط باطل » (325) . وكذلك جماعة فقهاء المذهب في مكة ورئيسهم الربيع بن حبيب (326) الذين بعثوا جوابهم (327) الى عبد الوهاب وابن فندين حيث افتوا « بأن الامامة صحيحة والشرط باطل » وانه « يجوز تولية رجل من المسلمين اذا كان فيهم من هو اعلم منه » (328) .

ويخيل الينا أن فتوى المشارقة كانت في صالح ابن فندين بدليل وصول فقهاء مصر ورئيسهم شعيب بن المعرف وانضمامهم الى ابن فندين في الثورة على عبد الوهاب (320) ، ثم ورود عبارة عند الشماخي (330) توضح أن « المشارقة عابوا على عبد الوهاب اشياء وامروه أن يرجع عنها » وكذلك ضعف الرواية الاباضية الوهبية التي تصور تريث الربيع واخوانه في اصدار فتواهم ريثما يجتهدوا (331) ويتباحثوا في مسألة تعد من بديهيات الفقه

الازهار الرياضية : ج 2 ص 106 · 106

<sup>(323)</sup> أبو زكريا : ورقة 15 ، الشماخي : السير ص 146 ·

<sup>(324)</sup> تزعم هذه المصادر أن أبن عندين قام بالثورة لأن الأمام عبد الوهاب لم يختره لتولسى أحد المناصب العامة « التي اختص بها أهل العلم والبصيرة في الدين » . انظر : أبو زكريا : ورقة 15 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 22 ·

<sup>· 147</sup> الشهاخسي : السير : منحة 147

<sup>(326)</sup> تقد الربيع زعامة المذهب في الشرق بعد موت أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة . وقد عرف بتعمقه في الاصول والفروع وتبحره في مسائل الاسامة والولاية والبراءة وفقا للقرآن والسنة . انظر : الدرجينى : ج 1 ورقة 116 . الورجلانى : الدليل لاهل المقول : ج 2 ص 75 .

<sup>(327)</sup> انظر : الملحق راسم (4) ·

<sup>(328)</sup> من المعروف أن الشريعة الاسلامية تجيز امامة المفضول اذا لم يكن مقصرا في شروط الامامة مع وجود الافضل ، وكذلك يجوز الفقه الاباضي امامة المفضول اذا كان على شيء « من التناعة والفضل » . انظر : الماوردي : ص 8 ، أبو زكريا : ورقة 16 .

<sup>(329)</sup> الدرجيني : ج 1 ورتــة 16 ·

<sup>(330)</sup> السيسر: صفحـة 147

<sup>(331)</sup> أبو زكريا : ورقة 15 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 22 ، النفوسي : ص 106 ·

الاباضى . ومهما كان الامر فان ما تذكره المصادر الاباضية (332) من أن شعيب بن المعرف « خرج من مصر في نفر من اصحابه بغير مشورة من مسايخ مصر طمعا في الامارة » أمر مبالغ فيه ،والاقرب للتصديق أنه توجه لنصح عبد الوهاب وانهاء الخلاف في تاهرت ، فلما لم يجبه انضم الى ابسن فنديسن وخرجت جموع النكار الى الجبال المحيطة بتاهرت واستقروا في كدية عرفت « بكدية النكار » . أما الرواية المتواترة (333) التي توردها هذه المصادر عن تدبير النكار مؤامرة اغتيال عبد الوهاب فهي ذات طابع اسطوري بحت ، كما أن أسلوب الاغتيال كان مرفوضا عند الخوارج (334) .

على كل حال ـ تاهب الطرفان للقتال فكان النكار « يدخلون المدينة ويخرجون منها بالسلاح » (335) كما « امر الامام رعيته واصحابه بامساك السلاح » (336) وانتهز النكار فرصة غياب عبد الوهاب عن تاهرت وبادروا بمهاجمتها والاستيلاء عليها ، ولما كانت المدينة محصنة ومسورة ، فقد أغلق الوهبية ابوابها ، ونجح الهلح بن عبد الوهاب (337) بمن معه فى صدهم ، ثم تتبعهم وهزمهم وقتل ابن فندين وكثيرا مسن النكسار ، ولادت فلولهم بالجبال واستقروا فى كديتهم . اما شعيب بن المعرف فقد هرب الى طرابلس ، واخذ يؤلب اباضيتها على الامامة فى تاهرت (338) .

ونشك أيضا فيما يروى من اغتيال النكار ميمون بن عبد الوهاب

<sup>(332)</sup> انظر : ابو زكريا : ورقة 16 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 23 ، الشماخي : السير من 147 ، النفوسي : من 108 ·

<sup>(333)</sup> عن هذه الرواية الآسطورية انظر : ابو زكريا : ورقة 16 ، 17 الشماخي السير : ص 103 — 103 ·

<sup>(334)</sup> الثابت أن مبادىء الخوارج تذكر هذا الاسلوب وتحض على المواجهة العانية للخصوم كما يتضح من مبادىء الاستعراض والامر بالمعروف والنهى عن المذكر ، واعلام الخصوم واخذ الحجة عليهم قبل قتالهم ، الخ ، ونلخظ أن الخوارج في حروبهم للشرق في المشرق أو في المغرب للسائدي المنابديء وخاصة الاباضية منهم حتى بلغت مثاليتهم حد عدم تتبع المدبر وتحريم نهب الخصوم ، الخ ، وما حدث من تدبيل اغتيال على بن أبى طالب كان حادثا فريدا له دوافعه الخاصة ، انظر السوفي : شرح السؤالات ورقة 57 ، الاسفرائيي : التبصير في الدين : ص 28 ،

<sup>· 148</sup> الشهاخي : السير : صنعة 148

<sup>(336)</sup> الدرجينسي : ج 1 ورتسة 24 ·

<sup>(337)</sup> تحفل المصادر الإباضية بتصص روائية عن شجاعة الملح واستبساله في الزود عن الدينة ، انظر : ابو زكريا : ورقة 18 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 25 ، النفوسي : صفحة 111 ــ 121 .

<sup>(338)</sup> ننس المصادر والصفحات ، وجدير بالذكر أن اختلاف القباء الاباضية حول موتف شعيب وانتسامهم بين مؤيد ومعارض مما يبرز الطابع المذهبى للحركسة ، وهذا شان خلافات الخوارج في الشرق أيضا ، عن هذه الخلافات انظر : الشماخسى : السيسر : صفحسة 151 ،

وتمثيلهم بجثته (339) ، نهذا الاسلوب غير مالوف عند الخوارج عمسوما \_ كما سبق القول \_ ولو صح قول البكرى (340) أن ميمونا هذا كان ابنا لعبد الرحمن بن رستم وليس لعبد الوهاب ، لبطلت تلك الرواية مسن اساسها . واغلب الظن أن مؤرخي الاباضية الوهبية اصطنعوها لتبرير حملة عود الوهاب على النكار بقصد استئصال شأفتهم ، ومهما يكن من أمر ، فقد الملح عبد الوهاب في هزيمتهم وقتل منهم أعدادا غفيرة (341) . لكنه لم يقض عليهم نهائيا ، فظلوا معتصمين بكديتهم في جبال تاهرت ثهم ظهروا على المسرح السياسي بعد ذلك في ثورة بربر سدراته ومزاته الذين انكروا امامة عبد الوهاب .

وكان من الطبيعي أن تتصل الفلول الباقية من النكار ـ بعد أن وهنت شوكتهم (342) ـ بقبائلهم المقيمة خارج تاهرت ليعاونوهم في محاولة الخروج على الامام عبد الوهاب (343) ، وكانت غالبيتهم تنتمي الى قبيلتي سدراته ومزاته الضاربتين على جانبي حدود الدولة الاغلبية في اقليهم الزاب (344) . ولا يخامرنا شبك في تحريض الاغالبة لهم على اثارة العراقيل في تاهريت ، على كل حال ، فقد قدموا الى ذويهم بكدية النكار (345) وانضموا اليهم في معارضة امامة عبد الوهاب (346) واعتصموا معهم بكدية النكار « خارج تاهرت » (347) . وأحسى عبد الوهاب بخطرهم ، هدهمهم واطبق عليهم بانصاره وقتل منهم خلقا كثيرا « الا مسن شسد وولى » (348) ، لائذا بمواطنهم الاولى . ويبدو أن هذه الهزيمة فتتت في عضدهم ، وأوهنت شوكتهم ، غلم تتم لهم بعدها قومة طوال عهد الدولة الرستمية (349) ، وتمكن عبد الوهاب بذلك من قمع حركة « الانشقاق الاباضى الاول » (350) المعروف بثورة النكار .

<sup>(339)</sup> انظر : أبو زكريا : ورقة 18 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 25 ،

<sup>(340)</sup> المفرب صفحية 67 ·

<sup>(341)</sup> تسرف المصادر الاباضية في تقدير عدد التتلى نتذكر أن عدد من تسمى منهم باسم هرون ــ اتل الاسماء ــ بلغ ثلاثمائة ، انظر : الدرجيني : ج 1 ورقة 25 .

<sup>(342)</sup> الشمساخسي : السيسر تصفحسة 154

<sup>(343)</sup> ابــن الصنيّــر : صنحــة 20 · (344) الننــوسي : صنحــة 129 ·

<sup>· 20</sup> ابـن الصغيـر : صغصـة 20

<sup>· 131</sup> النفوسي : صفحة 130 - 131

<sup>· 20</sup> ابـن الصنيـر : صنعـة 20

<sup>(348)</sup> ننس المصدر والصحينة ،

<sup>(349)</sup> نفس المسدر والصحيفة .

<sup>(350)</sup> نفس المصدر والصحيفة ، النفوسي : ص 133

ومما لا شك فيه أن حركات النكار رغم اخمادها ، شجعت على قيام ثورات أخرى على الحكم الرستمى ، وصدق النفوسى (351) أذ قال بأن الامامة « أضحت مرمى لسهام الطاعنين والظاعنين » وجدير بالذكر أن هذه الثورات ظلت طوال عهدى عبد الوهاب وأفلح ذات طابع مذهبى فى الغالب ، سواء ما قام به جمهور الاباضية وتمخض عن انشقاقات داخل المذهب ، أو ما قامت به الطوائف المذهبية الاخرى كالواصلية على وجله التحديد .

نقد تشبجع الواصلية الضاربون في كنف الدولة الرستمية ، وهبوا لمناوءة الامامة الاباضية في تاهرت اعتقادا منهم بخروج عبد الوهاب على الشريعة واغتصابه الامامة قسرا . ولو صح ذلك ، غالراجح أنهم تذرعوا بهذه الدعوى اخفاء لمطامعهم في الانسلاخ عن الحكم الاباضي وانتهاز غرصة انشىغال عبد الوهاب بثورات النكار (352) لتحقيق هذه المطامع . وليس من المستبعد ان يكون « عزمهم في الخروج من حكم الامام » (353) تمهيدا للانضمام لاخوانهم بدولة الادارسة ، فتذكر المصادر أن حركتهم لم تقتصر على واصلية الدولة الرستمية فحسب ، بل ضمت كافة عناصرهم « من كل أوب » (354) . حيث تجمعوا خارج تاهرت لقتال الاباضية (355) . وهذا امر طبيعي اذا ما ادركنا سياسة عبد الوهاب القائمة على التعصب والمحاباة وقد اذكى هذا التنافر بين الواصلية والامامة الرستمية عوامل مذهبيسة وقبلية ، اذ لا يخفى العداء التقليدي بين الخوارج والمعتزلة ـ أو الواصلية \_ الناجم عن الخلاف الفكرى بينهما (356) ، وحسبنا ما كان يحدث من مساحلات ومعارك جدلية بين اقطاب الاباضية في الشرق وبين واصل بن عطاء راس الواصلية (357) كما زاد التشاحن القبلي من غلواء هذا العداء، همن المعروف ان قبيلة لواتة الاباضية كانت على عداء مرير لبعض بطون

<sup>· 20</sup> الازهار الرياضية ج 2 مس 20

<sup>(35ُ2ُ)</sup> أَبِلُو زِكْلِرِيْلًا : ورِثِلَةً 19 .

<sup>(353)</sup> النفسوسي : صنصة 117 ·

<sup>(354)</sup> الدرجينــى : ج 1 ورتــة 26 · (355) اطينش : بعض تواريخ اهل وادى ميزاب ص 38 ·

<sup>(356)</sup> على الرغم من التقارب بين عكر المعتزلة والخوارج في مسألة الوعد والوعيد ، عمناك كثير من التضايا التي اختلفوا حولها اختلاعا جوهريا ، كمسألة مرتكبي الكبائر ، والرأى في اصحاب صفين وغيرها ، . انظر : الشهرستاني : من 50 -- 52 .

<sup>(357)</sup> الدرجينسي : ج 1 ورتــة 105 ،

زناتة الواصلية ، بل يذهب مسكراى (358) الى أن هذه البطون الزناتية لم تعتنق مذهب الواصلية الانكاية في لواتة التي دانت بالمذهب الاباضي .

ومهما كان الامر - فقد كان الواصلية يشكلون اقلية لها وزنها عدتها ثلاثين الفا يسكنون الخيام ويضربون خارج تاهرت (359). هذا فضلا عمن اقمام منهم ببلدة ايزرج - قرب تاهرت عاصمة الرستميين (360) ، ولكون غالبيتهم من زناتة فقد نجحوا في اثارة كثير من بطونها ضد عبد الوهاب(361).

واجتمع الثوار من الواصلية خارج تاهرت وهددوا بالقضاء على الإمامية الرستمية حول عام 195 ه ( 811 م ) (362) .

وقد جرت بين الطرفين مساجلات كلامية ، تلتها معارك حربية كان الظفر فيها الواصلية (363) . واضطر عبد الوهاب لعقد هدنة مع خصومه ، في الوقت الذي بعث فيه الى اتباعه بجبل نفوسة طالبا المدد (364) . وتسرف المصادر (365) الاباضية في ذكر روايات مبالغ فيها عن القدرات الخارقة التي تميز بها النفوسيون سواء في فنون الحرب او في اساليب الجدل والمناظرات كما تبالغ في وصف اللقاء بين الاباضية والواصلية والانتصار الذي احرزه الامام في ساحة الجدل وفي ميدان القتال (366) . والراجح ان عبد الوهاب استطاع بمساعدة نفوسة هزيمة الواصلية وتفريق جمعهم ، اذ لم نقف لهم بعد على حركات طوال عهد الدولة الرستمية ،

Chronique d'Abou Zakaria. P. 120. : انظـر : 358)

<sup>(359)</sup> البكرى : ص 67 ، ابن خلدون : ج 6 ص 121 ·

<sup>(360)</sup> اليعتوبسي : البلدان مندسة 80 .

Lewcki : Etudes Ibadites. P. 29. ، 16 ورتـة 16 ، 16 الدرجينــي : ج 1 ورتــة

<sup>(362)</sup> هذا التاريخ تقريبي ، اعتمادا على ما هو معروف من أن الامام على اثر حروبه مع الواصلية توجه الى جبل نفوسة حيث ضرب الحصار حول طرابلس في العام التالى Lewcki : Melanges Berberes. P. 269.

<sup>(363)</sup> يغهم هذا من اشارة للشماخي تقول أن عبد الوهاب « كان زاهدا في سفك الدماء » ، ومن طلبه المون من جبل نفوسة ، ومما ذكره أبو زكريا عن الفتى المعتزلي الذي تتلك كل من بارزه من الاباضية : انظر : السير ص 154 ، السيرة ورتة 19 .

<sup>(364)</sup> تذكر الرواية الاباضية أن أهل الجبل بعثوا الى الامام أربعة أشخاص نقط كل واحد منهم بمتام مائة « أحدهم للمناظرة ، والاخر لتنسير الترآن ، والثالث للمبارزة ، والرابع للمحاجاة في المسائل النقهية » وهي رواية غير مقبولة أنظر : أبو زكريا : ورقة 19 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 26 ، الشماخسي : السيسر : ص 155 ، النفوسي : ص 155 ، النفوسي . ص 195 ،

<sup>(365)</sup> نفس المسادر والصفحات .

<sup>(366)</sup> انظر : أبو زكريا : ورقة 22 ، الدرجيني : ورقة 28 ·

وهو ما عناه الشماخى (367) بقوله « فوضعت الحرب أوزارها ، ودخل المعتزلة في طاعة الامام » .

على أن حركة تمرد أخرى أمّل خطرا وأجهت عبد الوهاب ، مامت بها بعد بطون قبيلة هوارة الضاربة جنوبي تاهرت (368) . ونحن نخالف ابن الصغير (369) رايه في اعتبار هذه الحركة ثاني الانشقاقات الاباضية؛ ذلك ان الانشقاق الثاني حدث عند ظهور فرقة الخلفية الى جانب الوهبية والنكار وحسبنا أن تمرد هوارة كان خلوا من أي حافز مذهبي ، ولم يحدث نتيجة خلاف فقهى حول قضية عامة وانما وقع كرد فعل لتنافس بين الامام عبد الوهاب وبين زعيم الاوس - وهي بطن من بطون هوارة - حول الزواج من احدى بنات شيخ قبيلة لواتة (370) النازلة جنوبي تاهرت على وادي ميناس(371) مقد أزمع زعيم الاوس (372) مصاهرة شيخ لواتة ، لكن عبد الوهاب حال دون ذلك بأن تزوج اللواتية ــ فارتحل زعيم الاوس بجموعه مسن هوارة عن مضاربهم ونزلوا بمكان يبعد عن تاهرت بعشرة اميال عرف «بوادي هوارة » ، ومن هناك طفقوا يغيرون على اتباع عبد الوهاب وانصاره ، الامر الذي جعله يستمين بأحلامه من نفوسة وغيرها ويعد جيشا قوامه الف مارس عدا حشود هائلة من الرجالة (373) ، وباغت عبد الوهاب خصومه على غرة ، ودارت معركة طاحنة عند نهر اسلان قتل فيها الكثير من الجانبين ، وانتهت بهزيمة الثوار وفرار فلولهم الى جبل ينجان (374) .

وكانت آخر الثورات التى واجهت حكم عبد الوهاب حركة خلف بن السمح فى شرقى الدولة الرستمية ، وهى التسى اسفسرت عسن ثسانى الانشىقاقات الاباضية اذ ما كاد عبد الوهاب يفرغ من مواجهة الحركات والثورات التى اندلعت فى تاهرت وما حولها حتى داهمته فى آخر عهده

<sup>(367)</sup> السيسر صنحة 157

<sup>(368)</sup> البكسرى : سنصة 67 ،

<sup>(369)</sup> سيرة الائبة الرستبين صفحة 20

<sup>(370)</sup> ابن الصغير : صنحة 20

<sup>(371)</sup> ابسن خلسدون : ج 6 مستحسة 117

<sup>(372)</sup> ويعرلون أيضا ببني مصالة أو مسالة ، انظر : أبن الصغير : ص 20 ،

<sup>(373)</sup> النفوسي : صفحة 134 ،

<sup>(374)</sup> ابن السغير : ص 22 ، ويوجد هذا الجبل في منطقة جرداء على مقربة من البحر المتوسط ، انظر : اليعقوبي : البلدان ، ص 356 ·

ة فى منطقة طرابلس وجبل نفوسة (375) التابعة للامامة (3 ) ساتخذت طابعا دينيا واستفحل خطر الحركة واقتطعت الدولة الرستمية الشرقية خلال السنوات الاخيرة من حكم ردحا طويلا من عهد ابنه الملح .

لف بن السمح زعيم الانشقاق الاباضى الثانى سليل بيت المذهب الاباضى في بلاد المغرب ، فهو حفيد ابى الخطاب ، السمح « أول ائمة الظهور » ، وابوه السمح بن ابسى الامام (377) عبد الوهاب وساعده الايمن ، وعامله على لذلك اكتسب آل ابى الخطاب منزلة كبيرة بين اباضية المغرب هذا اقدامهم على مبايعة خلف بن السمح بالولاية على اثر سمح بن ابى الخطاب (378) ، ويخيل الينا أن الامام عبد على نفوذه في هذه النواحى من جراء قيام حكم وراثى فيها ، ابى الخطاب ما استباحه هو واسرته من الخروج على مبدا بدا الوراثة في الحكم ، ومن ثم لم يقر شرعية ولاية خلف بن بدا الوراثة في الحكم ، ومن تم لم يقر شرعية ولاية خلف بن ، كما ضرب صفحا عن توسلات أباضية الجبل لابقائه واليا (380) .

سة من اوسع قبائل البربر واكثرها انتشارا ، نمن بطونها بنو زمور وبنو ماطوسة وتضرب شعوبها في احواز طرابلس وجبل نفوسة حتى مشارف و وان كان الجبل هو معتلهم الاصلى ، ويبلغ طوله من الشرق الى الغرب لتة أيام وارتفاعه نحو ثلاثة أيام ، وهو عامر بالمدن والقلاع والقرى والضياع . واهم مدنه شروس ومسيف وجادو .

Basset. Les sancturs du Djebel .. P. 426, Despois : Op. Cit. • 75 م على يحيى معمر : الإباضية م 75 ، على يحيى معمر : الإباضية

: ورقة 25 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 31 ، النفوسي : ص 151 ·

يسا: نفس المصدر والصحيفة .

سدر والصحيفة .

على أن غالبية الاباضية في هذه النواحسي أصروا على موقفهم ، واعلنوا خروجهم على امامة عبد الوهاب ، وبايعوا خلف بسن السمسح بالامامة (381) محتجين بجواز ازدواج الامامة ما وجد عدو يفصل بين اتباع المذهب ، أو لصعوبة الاتصال وطول المساغة بينهم وبين تاهرت (382) لكن وجد بين اباضية الجبل من تمسك بامامة عبد الوهاب ، وتسذهب مصادر الاباضية (383) الى أن غالبتهم كانوا من جماعة المشايخ والفقهاء ، فبعث اليهم عبد الوهاب رسالة امتدح فيها موتفهم (384) وولى عليهم احدهم ويدعى أبا عبيدة عبد الحبيد الجناوني (385) . ومن ثم حدث انشقاق سياسي اتخذ صبغة فقهية مذهبية ، وجوهسر الخلاف كمسن في امرين : اولهما مدى حقوق الرعية في تعيين عمالها ،والآخر شرعية وجود. المامين في وقت واحد . وفي تقديرنا أن تعاليم المذهب الاباضي ترجح رأى خلف واصحابه (386) ، ولعل ذلك يفسر انضمام غالبية اهل الجبل اليه ، ومهما كان الامر ، فقد احتد الخلاف بين الحزبين وطرحت القضية برمتها على فقهاء المنذهب بالشرق للافتهاء فيهها (387) ، وتذكر المحادر الاباضية (388) - كعادتها - أنهم أفتوا في صالح الامام وخطأوا موقف خلف واتساعه .

وايا ما كانت الفتوى ، فقد نجح خلف فى الاستحواذ على معظم أنحاء الجبل دون أن يحرك عامل عبد الوهاب ساكنا أو أن يخف الامام لمواجهته بنفسه ، ويخيل الينا أن عبد الوهاب وعامله حين أعوزتهما القدرة على ردع الثوار لجآ الى الجيل ، فأتبع عبد الوهاب اسلوب التجسس (389)

<sup>(381)</sup> نفس المصدر والصحيفة ،

<sup>(382)</sup> أطغيش : الامكان : ص 107 ، 108

 <sup>(383)</sup> انظر : أبو زكريا : ورقة 25 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 31 ، النفوسى : ص 151 .
 (384) انظــر : ملحــق رقــم (3) .

<sup>(385)</sup> ابو زكريا : ورتة 25 ، الدرجيني : ج 1 ورتــة 31 .

<sup>(386)</sup> ثهة رواية لابى الربيع الوسيائي تقول ان أحد مشايخ نفوسة مهن تلقوا العلم على الامام عبد الوهاب اخذ عنه مبدأ حق الرعية في اختيار ولاتها ، انظر : الوسيائي : سير ابى الربيع ورتة 79 س مخطوط ، وقد أنتى الربيع بن حبيب بجواز تعدد الائهة بقوله « لا بأس باجتهاع أمامين أو أئمة في زمان واحد اذا نمصل بينهم سلاطين لا تطاق أو قوم لا يطاقون ، أو حال بعد المسائمة » ، انظر : أطفيش : الامكان ص 107 ، 108

رو عوم د يصدون ، بو سن بعد المسلم » ، الحراب المسلم ، المرق بعد الربيع (387) بعثوا بذلك كتابا الى أبى سليان محبوب بن الرحيل شيخ أباضية الشرق بعد الربيع ابن حبيب ، انظر : الشماخي : السير : ص 181 .

<sup>(388)</sup> ابو زکریا : ورتة 25 ، الندوسی : ص 151 .

<sup>(389)</sup> يفهم ذلك من رواية للنغوسى تقول ان أمخصا يدعى عمرو بن يانس كان يندس بين الصحاب خلف « ويكاتب الامام بكل ما يسمعه » ، انظلل : الازهسار الرياضيسة ع 2 صفحلة 155 ،

للايقاع بين خلف واتباعه ، كما بعث الى المبرزين من أنصار خلف يستميلهم ويمنيهم بالاموال والضياع (390) . لكن ذلك لم يجد فتيلا .

ومات الامام عبد الوهاب (391) ومعظم اجزاء الدولة الشرقية في حوزة خلف بن السمع (392) . واستمرت حركة خلف وتفاتم خطرها خلال نحو عشرين عاما من حكم أغلح بن عبد الوهاب ، فيخبرنا أبو زكريا (393) انه حتى عام 221 هـ ( 836 م ) كان خلف لا يزال يعمل على اقصاء ابي عبيدة عبد الحميد ، الذي أقره الملح على ولايته على المناطق التي في حوزته . ويعتقد لويسكى (394) أن خلفا كان يسمى لضم كافة الاقاليم التى كانت في نطاق حكم جده ابى الخطاب . وقد تمكن بالفعل من مد نفوذه حتى بلدة تيمتى وما وراءها شرقا (395) منتهزا تقاعس أفلح عن مساعدة عامله الكهل الذي آثر العافية (396) . وضمن خلف بذلك السيطرة على الاراضي الخصبة والمراعى الغنية فضلا عمن بها من الاباضية ، فقد دخلوا في « رايه وبدعته » على حد قول ابى زكريا (397) . وتصور المسادر الاباضية (398) قيام خلف بالاغارات المتواصلة على أملاك أبى عبيدة بقصد السلب والنهب ، وأن الاخير نجح في ردعها . لكننا نشك في ذلك اذا علمنا من هذه المصادر ذاتها أن أبا عبيدة كان يستجدى مسالمة خلف

Etudes Ibadites. P. 115

<sup>990)</sup> الوسياني : سير أبى الربيع ورقية 30 · (391) اختلف المؤرخون في تحديد سنة وغاة عبد الوهاب كشانهم في تحديد تواريخ سنى حكم سائر ائمة بنى رستم مابن عذارى يذكر أن عبد الوهاب حكم عشرين عاما ابتداء من سنة 180 ه التي مات فيها والده ، فيكون تاريخ وفاته تبعا لذلك سنة 200 ه . بينما يحدد النفوسي هذا التاريخ بسنة 190 ه على أساس أنه استمر في الحكم تسمة عشر علما ابتداء من سنة 171 ه . ولا ندرى كيف توصل جورج مارسية الى تحديد عام 208 ه كتاريخ لوفاة عبد الوهاب ، وان كنا نرجح صحة هذا التاريخ على أساس مسا ذكره ابن حيآن عن ايفاد عبد الوهاب قبل موته سفارة من أبنائه الى الاندلس سنة 207 ه ، انظر : البيان المغرب : ج 1 ص 278 ، الازهار الرياضية : ج 2 ص 163 ، مادة بنى رستم بدائرة المعارف الاسلامية : ص 93 ،

Provencal: Op. Cit. P. 244.

<sup>(392)</sup> على الرغم من تضعضع نفوذ الامامة على اقاليمها الشرقية في أخريات عهد عبد الوهاب ، مان نفوذه ظلَّ قائما على بقية أجزاء دولته ، حيث دان له عماله بالطاعة في نواحي قسطالية وزنزقة ودمر وزواغة وجربة وقفصة ونفزاوة وقنطرارة فضلا عن تاهرت ونواحيها ، انظر : الشماخي : السير ص 161 ، النفوسي : ص 165 ·

<sup>(393)</sup> السيارة : ورقاة 28 ·

<sup>(395)</sup> النفوسي : صفحـة 167 ·

<sup>(396)</sup> ابو زكريا: ورقة 26 ، الدرجيني: ج 1 ورقة 32 ،

<sup>(397)</sup> السيرة ورتة 26 ·

<sup>(398)</sup> ننس المصدر ورقة 27 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 33 ، الشماخي : السير ، ص 184 والنناوسي :صفحة 167 ٠

وموادعته (399) وأن خلفا خيره بين انكار امامة عبد الوهاب والدعسوة له وبين قتاله (400) . ومن المؤكد أن أبا عبيدة لم يستجب لدعوته ، فقد اجتاح خلف بجموعه (401) أراضى خصمه سنة 221 ه (402) ( 836 م ) والتقى بأبى عبيدة ورجاله (403) عند سفح الجبل في معركة يذكر مؤرخو الاباضية (404) أنها انتهت بهزيمة خلف وانسحابه الى تمتى ، فلم تقم له قائمة بعدها الى « أن مات بزيغه » . ولكننا نعلم أن حروبا وقعت بين خلف وبين أيوب بن العباس \_ خليفة أبى عبيدة \_ هزم فيها خلف عند فاغيس \_ قرب تمتى (405) \_ الامر الذى يشكك في رواياتهم .

ويخيل الينا أن خلفا ظل يتمتع بنفوذ في معظم جهات طرابلس وجبل نفوسة حتى وفاته ، وأن أنصاره من نفوسة وزواغة الذين عرفوا « بالخلفية » ظلوا موالين لابنه المعروف بالطيب حتى أواخر عهد الدولة الرستمية .

وكانت هذه الاتاليم الشرقية ايضا مرتعا لحركة اخرى مناوئة للامامة في تاهرت تزعمها فرج بن نصر المعروف بنفاث ، واسفرت عن ثالث الانشقاقات في الجماعة الاباضية (406) .

كان الانشقاق الاول نتيجة خلافات فقهية حول مسائل الامامة وسياسة عبد الوهاب في تعيين عماله ، وكان الانشقاق الثاني بسبب قضية تعدد الائمة وحق الرعية في اختيار عمالها ، اما الخلاف الثالث فكان من جراء الاخلال بشرعية الامامة واهدار رسومها (407) على يد الملح بن عبد الوهاب ، فضلا عن سياسته « في استعمال العمال والسعاة لجباية الحقوق

<sup>(399)</sup> بعث أبو عبيدة رسالة الى خلف يتول فيها « واذا نزعت يا خلف يدك عن الطاعة فكن في حيزك واكون في حيزى ودع الحرب » انظر : نفس المصادر والصفحات .

<sup>(400)</sup> نفس المصادر والصنصات ،

<sup>(401)</sup> ذكر الدرجينى انها بلغت اربعة آلاف بينها تجمع المصادر الاباضية الاخرى على أن عدتها أربعين الغا . انظر : الدرجينى : ج 1 ورتة 33 ، أبو زكريا : ورتة 27 ، الشماخى : السير : ص 168 ، النفوسى : ص 168 .

<sup>(402)</sup> شد الدرجيني عن اجماع مؤرخي الإباضية ، تذكر أن التتال حدث سنة 211 هـ . انظر طبقات الإباضية : ج 1 ورتة 34 ، أبو زكريا : ورتة 280 ، النفوسي : ص 173

<sup>(403)</sup> تقدر مصادر الإباضية جيش آبى عبيدة بما يتراوح بين ثلاثمائة وسبعمائة رجل · انظر : نفس المصادر والصفحات ·

<sup>(404)</sup> أبو زكريا : ورقة 29 ، الشماخي : السير ص 187 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 34.

<sup>(405)</sup> النفوسى : صنعة 175 · (406) أبو زكريا : ورقة 28 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 34 ·

<sup>(407)</sup> الدرجينسي : ج 1 ورنسة 35 ·

الشرعية ومطالب بيت المال من الرعية » (408) .

وعلى الرغم مما تورده المصادر الاباضية (409) من تفسير لحركة نفاث باعتباره مارقا على الامامة لاسباب ودوافع ذاتية ، فان ذلك لا ينفى قط كون نفاث ثائرا صاحب آراء واجتهادات فى المذهب الاباضي (410) وداعية (411) لانقاذ الامامة الاباضية مما تردت فيه من امتهان على عهد ائمة بنى رستم ، فقد آلت الامامة الى افلح بن عبد الوهاب توا بعد وفاة ابيه سنة 308 ه ( 823 م ) ، مما يؤكد استقرار مبدا الوراثة واختفاء مبدا الاختيار فى الحكم الرستمى ، وكان مثل هذا الانتهاك لتعاليم المذهب كفيلا باثارة عالسم فقيه مثل فسرج بن نصر « السذى أعطى فى العلسم منزلسة عظيمة ، والفقه والفهم » (412) ، ومن ثم عسول على الخروج على امامة أفلح ، واتخذ من قريته المجاورة لقنطرارة مركزا لدعوته وانصاره ، ولقيت دعوته اقبالا كبيرا بين اباضية نفوسة وزواغسة (413) ، وعبثا حاول عامل قنطرارة اقناعهم بالعدول عن آراء نفاث والالتزام بطاعسة الامسام (414) .

فقد وجدوا في « النفائية » مبررا لتظلمهم من دفع الاموال والجبايات والرسوم التي كان يحصلها عمال الامام (415) · كذلك ام تفلسح تحذيرات الفلح لعماله بأخذ رعاياهم بالشدة وتجنيبهم الدخول في طاعة نفاث (416). فيبدو أن هؤلاء الرعايا اعلنوا الثورة على عمالهم فبعث الامام اليهم متلطفا واعدا اياهم باجابة مطالبهم في تغيير من يشاءون من هؤلاء العمال (417).

<sup>(408)</sup> النفوسي : صفحة 195 .

<sup>(409)</sup> تصور هذه المصادر خروج نفاث لتفضيل الابهام أنلح سعد بن أبى يونس عليه وتعيينه عاملا على قنطرارة . انظر أبو زكريا : ورقة 29 ، الشماخى : السير : ص 195 . والدرجينى : ج 1 ورقة 35 ، النفوسى : ص 197 .

Lewcki: Melanges Berberes .. P. 270. (410)

<sup>(411)</sup> ذكر الوسياني أنه سمى بنفاث « لانه ينفث في الاسماع بدعته » انظر : سير أبسى الربيسع : ورتسة 10 ·

<sup>(412)</sup> أبو زكريا: ورتة 30 ، الدرجيني : ج 1 ورتة 35 .

 $<sup>\</sup>cdot$  220 الدباغ : معالم الايمان : ج 1 ص 220 (413)

<sup>(414)</sup> أبو زكريا : ورقة 29 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 36 .

<sup>(415)</sup> النفوسي : صنصة 195 ٠

<sup>(416)</sup> انظر : نص رسالة الملح لعماله في هذا الصدد عند النفوسي ، الازهار الرياضية : ج 2 من 214 - 218 ،

<sup>(417)</sup> جاء في رسالة أغلج الى رعيته ما يلى : « . . ومن عاب أحدا من عمالنا بخصلة من الخصال ، أو أنكر عليه شيئا غلير فع ذلك الينا ، فنكون نحن الذين يغيرون . . » النفودي : صفحة 203 .

كما أرسل الى نفسات يأمسره بالكف عسن دعوته وحببه فى العسودة الى الطساعسة (418) ·

· ونعتقد أن سياسة التودد والملاينة هذه قد أثمرت في تثبيط عزيمة نفاث ، وتصدى الكثيرين من مشايخ نفوسة لمناهضته (419) ، وانصراف معظم أتباعه عنه . فتخبرنا المصادر أن نفاثا آثر الرحيل الى الشرق حيث نزل بغداد وانكب على دراسة كتب المذهب ونسخ ما تسنى له نسخه منها ، فلما عاد وجد أنصاره قد وهنوا وتفرقوا (420) ، وأن كنا نشك فيما زعمته من أنه « تأب ورجع عن مسائله التى خالف فيها » (421) بدليل وجود كثيرين ممن اعتنقوا آراءه حتى أواخر القرن الخامس الهجرى (422) .

واذا كانت الانشقاقات المذهبية قد تفشت في الاجزاء الشرقية من الدولة الرستمية ، فان خطرا جديدا ظهر في آخر حكم أفلح هدد قلب الدولة ذاته ، ونعنى به صراع العصبيات العنصرية والقبلية . لكن أفلح استطاع بذكائه وحذقه السياسي (423) تجنيب الامامة في عهده شر هذا الخطر ، واتبع في ذلك وسائل شتى تدل على براعته في الحكم والسياسة الى جانب ما اتصف به من شجاعة نادرة (424) .

ومن هذه الوسائل تخليه عن مبدا المركزية في الحكم ـ وهو مبدأ تكرهه القبائل البدوية كثيرا ـ وعاد الى مبدأ الشورى ، فكان يأخذ برأى مشايخ القبائل ورؤسائها في تعيين ولاته وعناله ضاربا صفحا عن

<sup>(418)</sup> النفوسى : صفحة 204 .

<sup>(419)</sup> ثبة مثل أورده الدرجينى يدلل به على دور نفوسة فى مقاومة حركة نفاش ، جاء على لسان أحد المشايخ ويدعى أبو مهاصر ، قال « تنبح جروة أبى مهاصر لئلا يأكل الذئب الغنم ، وقد كاد يأكلها ، حتى أتت سلاق ويغوا . . هرب الذئب فآمنت الغنم ، يعنى بالجروة نفسه ، وبالذيب نفاث بن نصر ، وبالغنم نفوسة ، وبالسلاق مهديا وعمروسا ( من مشايخ الجبل ) وهما من منزل يقال له ويغوا ، ويعنى يأكل الذيب الغنم ، استحواذ نفاث على أهل الجبل . . » انظر : طبقات الاباضية : ج 1 ورقة 134 وعلى الرغم من تشكيك البرادى فى صحة هذا المثل \_ لان الشيخ مهدى النفوسى قتل أثناء حصار الامام عبد الوهاب بطرابلس سنة 196 ه ... فلا شك أن له دلالته على مدى نفوذ نفاث وامتداد دعوته ، فضلا عن دور نفوسة فى مطاردته حتى هرب الى الشرق وانصرف عنه معظم أتباعه . انظر : الجواهر المنتقاة " ورقة 106 .

<sup>(420)</sup> أبو زكريا : ورقة 31 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 37 .

<sup>(421)</sup> النفوسى: صفحة 210 .

Lewcki : Melanges Berberes. P. 270. : نظــر (422)

<sup>(423)</sup> النفسوسي : صنحسة 183 ، Motylinski : Op. Cit. P. 6.

<sup>(424)</sup> تنيض تواريخ الإباضية بقصص وبطولات نادرة تام بها أنلح في حربه مع النكار وبربر هوارة في حياة والده ، انظر : الدرجيني : ج 1 ورتة 25 ،

أعتر أضات آل بيته في هذا الصدد (425) . وفضلا عن ذلك فقد فسرض رقابة دائبة على هؤلاء العمال والولاة حتى لا يتمادون في ارهاق الرعية بالمغارم والجبايات ، والزمهم بمراعاة تعاليم المذهب في سياستهم المالية ، ثم أتاح لهم مزيدا من السلطات داخل عمالاتهم (426) ، غضمن بذلك أقرار العدالة مع لا مركزية الحكم وهو الاسلوب الامثل في دولة يشكل البدو غالب سكانها . كما عول أغلج على استمالة القبائل اليه (427) ، وتخبرنا المراجع (428) عن حرصه على اتخاذ تراجمة يجيدون لغة البربر . وأغلح في احداث نوع من التوازن بين هذه القبائل جنبه مشقة الدخول في صراع معها . واتبع في ذلك شعتى ضروب الحيل ، فقد أخذ بالمبدأ المشهور « فرق تسد » (429) « فأرشى ما بين كل تبيلة ومجاورها » (430) ، « وألقى موجبات التخالف بين كل مقدم وأتباعه وبث الجواسيس بين شعوب تلك القبائل بطرق سياسية وتدبيرات باطنية كفته مئونة القتال » (431) .

لهذا اتسم عهد أغلج بالهدوء والاستقرار السياسي (432) ، وحظى بحب الاباضية وأعجابهم (433) « فألقى بيده يمينا وشمالا ، وتمكن فيى امامته واطردت له الامور » (434) ، ولم يبق في أيامه منازع ، ولا أجمع جهاته الاطائع (435) . واعتبر مارسيه (436) عهد أفلح العصر الذهبي للدولة الرستمية ، اذ بعد موته في سنة 258 هـ (437) ( 873 م ) ضعفت هــذه الدولــة .

```
· 25 ابـن الصغيـر : صفحـة 25
```

<sup>(426)</sup> النفوسي : صفحــة 188 ·

Motylinski : Op. Cit. P. 6. (427) نفس المصدر : صفحة 68 ،

<sup>(428)</sup> انظر : ابن الصغير : ص 27 ، النفوسي : ص 68 ·

ص 94 ، (429) مارسيه : مادة بنى رستم ــ دائرة المعارف الاسلامية Faroughy: Op. Cit. P. 15.

<sup>· 27</sup> ابن الصغير : منحة 27

<sup>(431)</sup> النفوسى : صفحــة 183

<sup>· 27</sup> ابن الصغير : صنحة 27

<sup>(433)</sup> نفس المصدر : صفحة 25 ·

<sup>· 187</sup> أبو زكريا : ورقة 29 ، الشماخي : السير · ص 187 ·

<sup>(435)</sup> الدرجيني : ج 1 ورتــة 34 ·

<sup>(436)</sup> انظر : مادة بني رستم ــ دائرة المعارف الاسلامية ص 94 ،

<sup>(437)</sup> ذكر أبو زكريا أن أغلج ظل في الامامة ستين عاماً ، بينما يقول ابن الصغير أنه حكم خمسين علما ، ونحن نرجح رواية ابن الصغير ، ومن ثم تكون وغاته سنة 258 هـ على أساس توليه الإمامة سنة 208 ه كما سبق التول ، وعلى ذلك نقد أخطأ النفوسي حين ذهب الى أن أغلج مات سنة 240 ه ، انظر : أبو زكريا : ورقة 31 ، ابسن الصغير : ص 25 ، النغوسي : ص 221 -

وهكذا ــ أتسمت هذه المرحلة من تاريخ بنى رستم بكثرة الثورات والفتن التى تلونت فى غالبها بالطابع المذهبى واتخذت شكل الانشقاقات المذهبية فى كيان الجماعة الاباضية . لكن هذه الثورات وان تمخضت عن انسلاخ بعض البقاع الشرقية عن سلطان الامامة فى قاهرت ، الا انها لم تشكل خطرا على سلامة الدولة ذاتها ، وبفضل سياسة العنف والشدة التى اتبعها عبد الوهاب ، وبفضل دهاء الملح وحذقه السيساسى تخطت الدولة الرستمية هذه الاخطار لتواجه مرحلة عصيبة فى تطورها السياسى .

الدور الثاني ( 258 ــ 281 هـ ) ( 788 ــ 895 م )

#### الصراع القبلي والعنصرى:

قلنا أن الطابع الدينى غلب على المرحلة السابقة ، غشكل أحداثها ولونها بمسحة مذهبية واضحة وسبق القول أيضا أن قيام الدولة الرستمية كان على أساس مذهبى حيث اجتمع الإباضية من شتى العناصر والقبائل في المغرب في كنف الامامة الرستمية وليس على أساس عصبية قائمة بذاتها ، ومن ثم كان المذهب الاباضى هو الرابطة الوحيدة التي جمعت بين هذه العصبيات المختلفة ، وبالضرورة فان انتهاك تعاليم المذهب وتحول الامامة الى ملك ، قد قضى على هذا الرباط الوثيق السذى جمسع هسذه العصبيات وفجر ما بينها من حزازات عصبية قبلية ونعرات عنصرية .

وقد بدت بوادر التناحر القبلى العنصرى داخل الدولة الرستهية في عهد عبد الوهاب الذى تمكن من فض ائتلاف قبيلتى هوارة ولواتة ، ومحق تمرد هوارة حين ازمعت العصيان . كما ان افلح بن عبد الوهاب أخر من اندلاع هذا الصراع حينا بفضل حسن سياسته ، لكنه اسهم من ناحية اخرى بسياسته القائمة على التفرقة بين القبائل في اذكاء النزعات القبلية والعصرية التي بقيت في الصدور الى أن « اخترمته المنية » (438) شم تفجرت بعد وفاته في شكل حروب دامية انهكت هذه العصبيات من ناحية وضعضعت نفوذ الائمة وهيبة الإمامة من ناحية اخرى .

فقد ضمت الدولة الرستمية قبائل متعددة من البربر كهوارة ونفوسة ومزاتة ولواتة وسدراتة ولماية ، فضلا عن عناصر مختلفة من الفسرس والعرب والجند الافريقي . وقد ساعدت فترة السلام الطويلة التي نعمت

<sup>(438)</sup> ابسن الصغير: ص 27 ، محمد بن تاويت ، دولة الرستميين . ص 122 ،

بها تاهرت أبان حكم ألملح بن عبد الوهاب على احداث تحول خطير في الحوال هذه العناصر والقوى المختلفة .

فالقبائل البدوية كلواتة وهوارة ومزاتة جنح معظمها الى الاقامـة حول تاهرت وآثرت حياة الاستقرار والاشتغال بالزراعة والتجارة حيث جنت منها أرباحا طائلة « فاتخذت العين والخيول ، ونالها من الكبر ما نال اهل المدينة » (439) اما نفوسة التى أقامت بعض بطونها في العدوة فقد نالت حظوة الائمة وآثروها بالوظائف العامة « فكانت تلى عقد تقديم القضاة وبيوت الاموال وانكار المنكر في الاسواق والاحتساب على الفساق » (440).

وبلغت العناصر الفارسية في الدولة الرستمية شأوا كبيرا لكون الائمة من أصل فارسى ، فأوكلوا اليهم قيادة الجيوش وأسمى المناصب ، فضلا عن سيطرتهم على النواحى التجارية والثقافية (441) ، فأقاموا القصور والمنازل حول تاهرت « وشكلوا دولة داخل الدولة الرستمية » على حد قول فروخى (442) .

كما وقدت على تاهرت جموع من العرب والجند الافريتى بعد فشل شوراتهم على الامراء الاغالبة (443) ، فأقبلوا على سكنى تاهرت هربا من بطش هؤلاء الامراء من ناحية ، وطمعا فى الثراء عن طريق الاشتفال بالتجارة التى ازدهرت فى عاصمة الرستميين من ناحية اخرى . ثم هناك قوة أخرى كانت ممثلة فى أجناد الائمة من أفراد البيت الرستمى الذيب عرفوا « بالرستمية » (444) فضلا عن اتباع السمح بن أبى الخطاب الذين انشقوا على خلف بن السمح وهربوا الى تاهرت ودخلوا فى خدمة بنسى رستم ، وعرفوا لذلك « بالسمحية » (445) .

ويمكن تقسيم هذه القوى جميعا الى قسم موالى للامامة الرستمية، ويشمل نفوسة والفرس والرستمية والسمحية والآخر مناوىء لها يضسم

<sup>· 27</sup> ابـن الصغيـر : صغحـة 27

<sup>(440)</sup> ننس المسدر والصحينة .

<sup>(443)</sup> النفوسي : صنحـة 231 · (444) ابـن الصفيـر : صنحـة 27 ·

<sup>(445)</sup> نتل جورج مارسيه عن ابن الصغير تحريف كلمة « السمحية » الى « المسيحية » فقال بوجود عناصر مسيحية في تاهرت وقنت الى جانب بنى رستم . انظر : ابن الصغير : من 36 ، مارسيه : مادة بنى رستم ــ دائرة المعارف الاسلامية ــ ص 94 .

العرب والجند الانمريتي مضلا عن بعض القبائل الضاربة حول تاهرت ، وان تأرجحت بعض هذه القوى بين الولاء والعداء لبني رستم احيانا .

تأججت نار الصراع القبلى والعنصرى على اثر وفاة الملح بن عبد الوهاب فبادرت نفوسة بتنصيب ابنه أبى بكر اماما رغم اعتراض فقهاء المذهب (446) ، على خلاف ما أورده النفوسى (447) بأن أهمل الحمل والعقد من سائر القبائل والعصبيات هم الذين قاموا ببيعته ومما زاد الطين بلة أن أبا بكر بن أله لم يكن جريئا قويا كجده عبد الوهاب ولا داهية حصيفا كأبيه ألها ح ، بل كمان غمرا لين العريكة شغوفا بالآداب والتواريخ (448) ، ميالا ألى الترف والملذات ، زاهدا في الادارة والحكم (449) ويبدو أنه حاول الاستعانة باحدى القوى الموجودة بتاهرت من دون نفوسة التي كانت تهقتها بقية العناصر الاخرى ، فوطد صلاته بالجند والعرب وصاهر زعيمهم محمد بن عرفة وسلم اليه مقاليد الدولة ، وركن الى الدعة والخمول واستبد ابن عرفة بتصريف شؤون الامامة من دون الامام «حتى كانت الامارة بالاسم لابي بكر وبالحقيقة لمحمد من عرفة " ، (450) .

ونظرا للعداء التقليدى بين كافة العناصر بتاهرت وبين العرب فقد خسر أبو بكر ولاءها جميعا باستثناء بعض بطون هوارة التى ارزته فسى حين استاء بعضها الآخر من سياسته وغادروا المدينة واحوازها الى مواطنهم الاولى .

وبديهى أن ينقم الرستمية عليه سياسته وينضموا لنفوسة التسى ساءها خذلانه اياها بعد أن أوصلته للامامة ، كما ساءها ارتماؤه في أحضان الجند والعرب (451) أما الفرس فقد آثروا الحياد والتريث ولكنهم كانوا على أهبة الاستعداد لاغتصاب الامامة كلما سنحت الفرص (452) . وفي

<sup>(446)</sup> احتج الشيخ عبد العزيز بن الاوز ــ المعروف بتعمقه في الفقه الاباضي ــ على ذلك مخاطبا نفوسة بقوله « الله سائلكم معاشر نفوسة ، اذا مات واحد جعلتم مكانه تخر ، ولم تجعلوا الامر للمسلمين وتردوه اليهم فيختارون من هو اتتى وأرضى » . انظر : ابن الصغير : ص 31 ، 47 .

<sup>· 222</sup> منحـة : ج 2 منحـة · 222

<sup>(448)</sup> ابسن الصغيس : صنصة 31 .

<sup>(449)</sup> نفس المصدر: منحة 32

<sup>(450)</sup> ننس المصدر: صنصة 31.

 <sup>(451)</sup> ننس المصدر : ص 32 ، الننوسى : ص 224 .
 (452) ننس المصدر : صنحة 32 .

تلك الظـروف وصل ابـو اليقظان محمد بن الهاح ـ اخ الامـام - الى تاهرت (453) وعهد اليه أبو بكر ببعض مسؤوليات الادارة والقضاء ، مسيرها على أحسن ما يكون ، حتى « حمد له الشراة ذلك » (454) .

واضمر أبو اليقظان حقدا على ابن عرفة وحزبه ، وساءه استبداده وتسلطه ، وشاركه في ذلك نفوسة والرستمية ، فحرض اخاه على اغتيال ابن عرفة سرا (455) وتم له ما أراد (456) ، ويحاول مؤرخو الإباضية انكار تدبير هذا الحادث ونفى قيام الامام بتنفيذه ، دفاعا عسن آل البيت الرستمي . غأبو زكريا (457) والدرجيني (458) اكتفيا بالاشارة الى أن الناس فوجئوا بابن عرفة قتيلا دون ادنى اشارة الى ظروف مقتله ، أما النفوسى (459) فيبرىء ابا اليقظان من تهمة التحريض على قتل ابن عرفة، وينسبها الى احد نصحاء الامام . لكن هذه الروايات جميعا تضعف امام رواية ابن الصغير المالكي الذي يؤكد ان ابا اليقظان دبر الحادث . وأن أبا بكر نفذه . على كل حال ـ تمخض الحادث عن نوع من الفوضى السياسية عمت تاهرت ، وتحفزت سائر القوى للخروج من هذه الفوضى ظافرة بالامامة ، ودخل بعضها مع البعض الآخر في ائتلافات وتحالفات للافادة من الظروف . فقد هب العرب والجند مطالبين بثأر زعيمهم ابن عرفة ، وانضوا تحت لواء احدهم ويدعى محمود بن الوليلي (460) . كما وتنت الرستمية الى جانب الامام ابى بكر (461) . أما الفرس فقبعوا في قصورهم خارج المدينة يدبرون امر الاستيلاء عليها (462) . بينما لاذت قبائل البربر خارج تاهرت بالصمت مترقبة نتائج الصراع .

نشب القتال بين الجند والعرب من ناحية وبين الامام والرستمية من ناحية اخرى ، وقتل من الطرفين خلق كثير (463) . فاغتنم الفرس الفرصة

<sup>(453)</sup> كان أبو اليتظان أسيرا في بغداد ، أذ تبض عليه عمال العباسيين وهو في طريقه لاداء غريضة الحج ثم أغرج عنه وعاد الى تاهرت ، انظر : ابن الصغير : ص 31 •

<sup>(454)</sup> ابسن الصغير : صنحة 32

<sup>(455)</sup> نفس المصدر: صفحة 33

 $<sup>\</sup>cdot$  36 - 34 من تفصيل اغتيال ابن عرفة  $\cdot$  انظر : ابن الصغير : من 34 من تفصيل

<sup>(457)</sup> السيرة · ورتسة 31 ·

<sup>(458)</sup> طبقات الاباضية ج 1 ورقة 37 · (459) الازهار الرياضية . ج 2 مس 226 · 227 ·

<sup>· 230</sup> ابسن الصغير : من 36 ، النفوسي : من 230

<sup>(461)</sup> ابـن الصغيـر : صنحـة 36 ·

<sup>(462)</sup> نفس المسدر : منحسة 37

<sup>· 231</sup> ابن الصغير: ص 37 ، النفوسي: ص 231 ·

وحاولوا الاستيلاء على تاهرت . عندئذ تضامن الرستمية مع الجند والعرب وتصدوا لقتال الفرس واسروا منهم اعدادا غفيرة (464) . ثم انسحب الامام والرستمية من حلبة الصراع ، والحق الجند والعرب بالفرس عد هزائم واضرموا النيران في منازلهم . وخشى أبو اليقظان ونفوسة من خطر الجند والعرب فانضموا للفرس « وصارت كلمتهم وكلمة العجم واحدة » (465) .

واحتدم القتال بين الفريقين وتبادلا النصر والهزيمة الى ان اسفر الصراع عن انتصار الجند والعرب . وارغم ابو اليقظان وحلفاؤه على مغادرة المدينة ، فنزل الفرس بموضع يقال له تنابغيلت ـ على بعد مرحلتين من تاهرت ـ كما اعتصمت نفوسة بحصنها خارج المدينة ويعرف « بقلعا نفوسة » ، أما أبو اليقظان فلاذ بالرستمية بموضع يسمى اسكيدال جنوبي تاهرت (466) . وصفت المدينة للجند والعرب بعد أن اعتزل أبو بكر الإماما « وانسلخ منها » (467) ولحق أتباعه من الرستمية والسمحية بأبسى اليقظان سنة 260 ه (468) ( 874 م ) .

لكن الجند والعرب لم ينعموا طويلا بالسيطرة على زمام الامور في تاهرت ، فقد اقصاهم عنها بربر هوارة ، وآلت اليهم السلطة فيها طوال شمان سنوات . ونحن نعلم أن بربر هوارة كانوا قد تمردوا على حكم الاماه عبد الوهاب ، وأنه بطش بهم فتفرقت جموعهم ورحل معظمهم الى جبل ينجان ، وعاد الباقون الى مضاربهم جنوبى تاهرت كما نعلم أن فريقا من هؤلاء آزر أبا بكر بن أفلح في بداية أمامته بينها آثر فريق آخر اللحاق بجبل ينجان . ثم كان ما جرى من صراع بين سائر القوى في تاهرت ، وظفر الجند والعرب في النهاية بالسيطرة على زمام الموقف فيها . وأدى هذا الصرائ الذى استمر عامين (469) الى اضعاف اطرافه جميعا ، فوجدت هوارة الفرصة مواتية للسيطرة على تاهرت ، وقد غادرت جموع هوارة مضاربه

<sup>. 232</sup> نفس المصدر والصحيفة ، نفس المصدر : ص 232 .

<sup>(465)</sup> نفس المصدر: ص 38 ، نفس المصدر والصحيفة .

<sup>(466)</sup> ابن الصغي: ص 39 ، النفوسي: ص 235

<sup>(467)</sup> الدرجینی : ج 1 ورقة 37 والمصادر الاباضیة لا تذکر شیئا عن مصیر ابی بکر بر انتاج بعد اعتزاله الامامة ، بینما یذکر ابن عذاری آن اهل تاهرت اعاده الی المدید خیث ظل بها حتی وفاته والراجح آنه عاد الی تاهرت بعودة آخیه آبی الیتظان محم الذی تولی الامامة من بعده ، انظر : ابن عذاری : البیان المغرب : ج 1 ص 278

<sup>(468)</sup> ابسن الصغير : صنحة 39 .

<sup>(469)</sup> النفسوسي : صفحـة 236 .

بجبل ينجان بزعامة شيخهم محمد بن مسالة (470) واقتحموا تاهرت دون عناء ، ونصبوا ابن مسالة اميرا عليهم (471) ، وظل ابن مسالة « يدبسر شؤونها ويدير احوالها على حسب ما يراه » (472) وتخبرنا المراجع (473) ان حكمه اتسم بالهدوء والاستقرار

لكن النعرات القبلية ما لبثت ان تجددت داخل تاهرت ، فوقع خلاف بين هوارة ولواتة انتهى بطرد اللواتيين خارجها ونزولهم بحصنهم القريب من اسكيدال حيث اقام ابو اليقظان والرستمية (474) . ثم حدث ائتلاف بين لواتة وابى اليقظان ، فأجمعت على بيعته بالامامة سنة 261 هـ (875 م ) ، ثم بادرت غالبية القبائل ببيعته ايضا وانكرت حكم ابن مسالة (475) وحاول أبو اليقظان دخول تاهرت عنوة دون جدوى وتكررت محاولاته طيلة سنوات سبع ، لم يفز فيها بطائل ، فبعث يستمد العون من جبل نفوسة ، فأمدوه ، واستطاع دخول المدينة دون قتال سنة 268 هـ جعد ان امن اهلها على ارواحهم وأموالهم (476) .

وكان على الامام ابى اليقظان ان ينهج سياسة الاعتدال وتهدئسة المخواطر بعد ما عانته البلاد من حروب اهلية شاملة ، وقد نجح فى ذلك انى ابعد الحدود بفضل ورعه وتقاه (477) وحرصه على مراعاة تعساليم المذهب فى احكامه ، ولا غرو فقد عرف بتفقهه فى المذهب وبتواليفه فى اصوله وفروعه والرد على مخالفيه (478) .

وقد حرص أبو اليقظان على اجتناب سياسة التعصب وايثار بعض القبائل والعناصر بمناصب الدولة دون البعض الآخر . وعلى الرغم مسن مساعدة نفوسة ومعاونتها له على دخول تاهرت ، قلل مما كانت تتمتع به من امتيازات في عهود اسلافه ، فحرمها من تولى القضاء وأبقى لها ادارة

<sup>(470)</sup> يعتقد ماسكراى أن ابن مسالة كان أباضيا نكاريا الكن المصادر لا تؤيد هذا الرأى ، فالنفوسى يصفه بأنه « أباضى المذهب » ومن المعروف أن مؤرخى الإباضية يعتبرون غرقة النكار مارقة على جماعة المذهب من الوهبية ، انظر : الازهار الرياضية Chronique d'abou Zakaria. P. 195. . . 236

<sup>(471)</sup> النفوسى : صفحة 236 -

<sup>(472)</sup> نفس المصدر والصحيفة .

<sup>(473)</sup> ابن الصغير : ص 39 ، النفوسي : ص 236

<sup>(474)</sup> نفس المصدرين والصفحتين ٠

را 17) ابن الصغير: ص 40 ، النوسي : ص 238 ·

<sup>(476)</sup> نفس المصدرين والصفحتين ،

<sup>(477)</sup> ابسن الصغيسر : صنحسة 44 .

<sup>(478)</sup> أبو زكريا: ورقة 31 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 36 ، 37 .

بيت المال (479) والحسبة ، واتخذ ابو اليقظان مجلسا للمشورة يضمم شيوخ القبائل ووجهاء كافة العناصر المقيمة بتاهرت (480) ، ولم يأنف من مخالطة رعاياه والجلوس اليهم لبحث شكواهم (481) . كما تسامح مع اتباع المذاهب والفرق الاخرى من الكوفيين والصفرية والمعتزلة والمالكية، واباح لهم الصلاة في المساجد جميعا فيما عدا المسجد الجامع (482) ويحدثنا ابن الصغير (483) ان شيوخ هذه الفرق كانوا يدخلون في محاورات ومناظرات مع فقهاء الاباضية في جو مفعم بالحرية والتسامح . واختار عماله ممن عرفوا بالورع والتقوى ، وزودهم بنصائحه وتوجيهاته وامرهم بقراءة نداء وجهه الى رعاياه ، حضهم فيه على اجتناب الفرقة واتباع سنة السلف الصالح (484) .

لذلك ، استقامت له الامور حتى شبهه النفوسى (485) بجده عبد الرحمن بن رستم ، كما روى عنه ابن الصغير (486) اقوالا وافعالا جعلت حكمه يحوز رضى كافة العناصر على اختلافها « فلم ينقم عليه احد شيئا مما ولى من افعاله ما خلا اولاده فانهم ربما خرجوا عن السواجب مسن افعالهم » (487).

والواقع أن أبن الصغير يكشف عن ظاهرة خطيرة بدأت بوادرها في

<sup>(479)</sup> ابن الصغير : ص 41 وبرغم ذلك المتتنت نفوسة بحكمه ، لمكان شيوخها يلازمون مجالسه ويقفون بباب داره يهللون ويكبرون من أول الليل حتى الفجر ، انظر : ابن الصغير : ص 47 ، أبو زكريا : ورقة 31 ، البرادى : الجواهر المنتقاة ورقعة 33 ، النفوسى : مصفحة 245 .

<sup>(480)</sup> ابن الصغير : ص 44 ، البرادي : الجواهر المنتقاة ورقة 91 .

<sup>(481)</sup> ابـن الصنيـر : صنحـة 44 .

<sup>(482)</sup> نفس المصدر: صفحة 42 .

<sup>(483)</sup> نفس المصدر : ص 44 ، 45 ، البرادي : الجواهر المنتتاة ورتة 92 .

<sup>(484)</sup> انظر: ملحق رتم (5) .

<sup>(485)</sup> الازهار الرياضية: ج 2 ص 240 .

<sup>(486)</sup> يزخر تاريخ ابن الصغير بعديد بن القصص والروايات الدالة على عدل ابى اليقظان ونزاهته ، وحرصه على أبوال الدولة ، اشبه با تكون بتلك التى نسجت حول عبر ابن الخطاب وعبر بن عبد العزيز ، انظر : سيرة الائمة الرستميين : ص 48 ــ 49 .

<sup>(487)</sup> نفس المصدر السابق : ص 48 ، وثبة من القصص التي وردت عند ابن الصغير تصور اقدام ابنائه وخدامه وحراسه على اغتصاب الاموال وهتك الاعراض ، انظر : سيرة الائمة الرستيين . ص 42 ... 45 ،

آخر عهد ابى اليقظان وتناقمت بعد موته (488) لتودى بالدولة الرستمية ، وهي مناسد البلاط الرستمي ، وتنشى الخلاف الاسرى ، والتناحر على الحكم ، وما صحب ذلك كله من ستوط هيبة الامامة واضمحلال المذهب الاباضى ، وظهور الطوائف المذهبية المخالفة للاباضية ودورها في توجيسه أحداث العصر الرستمي الاخير .

الدور الثالث ( 281 ــ 297 هـ ) ( 895 ــ 909 م )

### النزاع الاسرى وفتن الطوائف غير الاباضية

المضى التناحر التبلى والصراع العنصرى الى اضعاف شوكة ـ سائر العصبيات ، كما ادى الى انهيار هيبة الائمة وانتهاك مكانة الامامة ، حيث اصبح تنصيب الائمة وعزلهم لعبة في ايدى عامة المدينة وغوغائها ،كما برز نفوذ البلاط ونفوذ نساء الاسرة الرستمية كعامل موجه لاحداث هذه الحتبة.

ووجدت الطوائف الدينية والمذهبية في تلك الظروف فرصة سانحة « لتبييت خبر الاباضية » (489) واغتصاب الحكم في تاهرت ، فعمدت الى التدخل في النزاع بين افراد البيت الرستمي واذكاء الخصومة بين المتنازعين منهم على منصب الامامة تمهيدا للوثوب عليها . والراجح ان هذه الطوائف تواطأت مع توى خارجية كالعباسيين والاغالبة والادارسة والشيعة الفواطم لاسقاط الحكم الرستمي .

مقد كانت تاهرت وما حولها موطنا لكثيرين من معتنقى المذاهب والفرق غير الاباضية . مكانت القلية لها وزنها من الخوارج الصفرية تعيش في كنف الدولة الرستمية ولهم حصن خاص بهم يسمى « تالغمت » بضواحي المعترب خارج تاهرت متوثبة تاهيرت (490) . كما كانت جموع المعتزلة تضرب خارج تاهرت متوثبة للانتقام لما حل بها على يد عبد الوهاب بن رستم . ويشير ابن الصغير (491)

\_ 177 \_

<sup>(488)</sup> توفى أبو اليقظان محمد سنة 281 ه ابن الصغير : من 49 ، ابن عذارى : ج 1 من 278 ، البرادى : الجواهر المنقاة ورقة 93 ، مارسيه : مادة بنى رستم سد دائرة الممارف الاسلامية من 93 ، ولما كان تد تولى الامامة سنة 261 ه حسبما ذكرنا سلفا ، فتكون مدة حكمه عشرين عاما ، وليست سبما وعشرين كما ذكر ابن عذارى ، أو أربعين عاما حسبما ذهب أبو زكريا ومن أخذ عنه ، انظر : البيان المغرب عدارى ، أبو زكريا : ورقة 31 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 37 ، البرادى : الجواهر المنتساة ورقة 91 .

<sup>(489)</sup> أبسن الصغيسر : منصبة 51 · (490) التنسوسي : منصبة 94 ·

<sup>(491)</sup> سيرة الانبة الرستبين : منعمة 51 ،

الى وجود كثير من الكونيين والمالكية في تاهرت ذاتها ، في حين يذكر أبسو زكريا (492) أن المذهب الشبيعي كان له أنصار في عاصمة الرستميين .

وقد ارتفع شأن هذه الطوائف والفرق في تاهرت في اواخر العصر الرستمى بسبب ضعف العصبيات القبلية والعنصرية من جراء الصراع بينها ، وبسبب سياسة التسامح التي اتبعها ابو اليقظان محمد في اواخر سنى حكمه مع اتباع هذه المذاهب والفرق ، وحسبنا على ذلك دليلا ان خطب على بن ابي طالب كانت تتلى على منابر تاهرت (493) فلا مشاحة بعد ذلك اذا ما وجدنا هذه الطوائف والفرق غير الاباضية فضلا عن الشيع الاباضية المعادية للبيت الرستمي حتامر على اسقاط حكم الرستميين بعد وفاة ابي اليقظان محمد وتولية ابنه ابي حاتم يوسف سنسة 281 ه (895 م)

والواقع أن تنصيب أبى حاتم ينم عما وصلت اليه الإمامة الاباضية من تدهور ومهانة ، فقد اختصه أبوه قبل وفاته بولاية عهده تحت تأثير زوجته غزالة (494) ، وبعد موت أبى اليقظان « بادر العوام والفتيان دون القبائل » بمبايعته « فكبروا حوله وحملوه على الايدى والاعنساق حتى أوصلوه الى داره ، ثم أرسلوا إلى القبائل فبايعته » (495) ، وأثار ذلك استياء الرستمية فحاولوا ـ دون جدوى ـ الحفاظ على هيبة الامامة بحجب الامام ومنعه من مخالطة العوام « التى أرادت الدنو اليه في كل الاوقات على ما كانت تعرف قبل أمارته » (496) ، ولهذا رحل يعقبوب ابن أفلح ـ عم أبى حاتم ـ عن تاهرت ونزل عند زواغة «الخلفية» (497)»

وشبجع ذلك على تداخل الكونيين وغيرهم من الطوائف المذهبية فى الامر وتوسيع شقة الخلاف بين الامام والرستمية وبين عوام المدينة (498) حتى اندلعت الحرب فى تاهرت من جديد (499) . والواقسع أن مؤرخسى

<sup>(492)</sup> السيرة واخبسار الائبة ورقة 36 ،

<sup>(493)</sup> ابسن الصغيس : صغصة 42 ،

<sup>(494)</sup> ننس المصدر: صنعة 50 .

<sup>(495)</sup> نفس المصدر والصحيفة ، النفوسي : من 265 ، .. 7. Op. Cit. P. 7. النفوسي المصدر والصحيفة ، النفوسي

<sup>(496)</sup> ابسن السغيسر: صنحة 50 .

<sup>(497)</sup> النفوسي : صنحـة 266 ٠

<sup>· 51</sup> ابسن الصغيسر : منصة 51 ·

<sup>(499)</sup> ابسن عسداری : ج 1 صنعسة 278 -

الاباضية (500)يتغاضون عنذكر هذه المهازل التي تردت فيها امامةأبي حاتم، فصوروه وقد « اطردت له الامور ، ولم ينقم عليه احد من رعيته في حكم ولا فعل » لكن ابن الصغير المالكي الذي عاصر تلك الفترة وعاين احداثها كشف لنا عما حاول هؤلاء المؤرخون اخفاءه . فيذكر أن مشايخ الكوفيين — على وجه الخصوص نجحوا في تأليب العامة على أبي حاتم — ودبروا مع زعمائهم امر اغتياله . وتنبه أبو حاتم لما دبر له ، فطرد هؤلاء الزعماء خارج تاهرت لكن المشايخ انضموا للعامة وثاروا على أبي حاتم وطردوه ومن معه من الرستمية فضلا عن انصاره من نفوسة والعجم واعادوا زعماءهم السي المدينة .

وعول ابو حاتم على تاليب القبائل ضد أهل المدينة ، وبذل الأموال لهذا الغرض ولجأ الى قبائل صنهاجة من غير الأباضية . وقدر له أن يحشد جموعا غفيرة من لواتة وصنهاجة والعجم فضلا عن نفوسة والرستمية زحف بهم الى المدينة وضرب عليها الحصار في ثلاثة مواضع (502) . وكاد المحاصرون أن يستسلموا لابى حاتم ويعترفوا بامامته لولا اصراره على تسليم زعماء العامة وشيوخ الفرق ، فرفضوا واستأنفوا القتال ، وبعثوا في استدعاء يعتوب بن أفلح من زواغة ، فأقبل ، وبايعوه بالأمامة سنة في استدعاء يعتوب بن أفلح من زواغة ، فأقبل ، وبايعوه بالأمامة سنة 282 هـ (503) ( 896 م ) .

وفت ذلك في عضد أبي حاتم ، وفارقت لوات وانضمت لعهم يعقوب (504) لكن ذلك لم يمنعه من معاودة الهجوم على تاهرت ، فهزم وفارقه العجم كذلك (505) . ثم عقدت هدنة بين الطرفين بفضل مساعمي شيخ مزاتة (506) تمكن أبو حاتم خلالها من استمالة كثيرين مسن زعماء المدينة عن طريق الاموال والهبات . فعقدوا العزم على بيعته ، ولما علم يعقوب بن أفلح بذلك غادر المدينة بمن معه من شيوخ الطوائف وتوجه الى

<sup>(500)</sup> انظر : أبو زكريا : ورقة 32 ، الدرجيني ج 1 ورقة 37 ، الشماخي : السيسر صنحية 262 ·

<sup>(501)</sup> ابــن الصغير : من 51 ، النفوسي : من 268 ·

<sup>(502)</sup> نئس المصدر: ص 52 ، نفس المصدر: ص 270

<sup>(503)</sup> ابـن المغيـر: منحـة 53

<sup>· 272 ،</sup> نفس المصدر والصحيفة ، النفوسي : من 271 ، 272 .

<sup>(505)</sup> نفس المصدر والصحيفة ، نفس المصدر . من 272 ·

رون المعروف أن مزاتة كانت تعتنق المذهب الاباضي ، وأن كان اعتناقها أياه سطحيا انظر البعقوبي : البلدان ص 344 .

زواغة (507) بعد أن مكث في الحكم أربعة أعوام (508) . ودخل أبو حاتم تاهرت سنة 286 ه ( 900 م ) في حماية زعماء عامتها (509) .

ونعتقد ان ابا حاتم لم يكن بوسعه استرداد نفوذه الحقيقى على المدينة بعد عودته اليها بفضل زعماء العامة فيها · وبديهى أن ينعكس نفوذ اهل تاهرت على ما اتخذه من اجراءات عقب تقلده الامامة · فلم يكن بمقدوره الا أن يصدر عفوا عاما على سائر اهلها (510) ، وقد كان الى عهد قريب يشترط على زعمائهم والاقتصاص منهم حتى يفك الحصار الذى ضربه على تاهرت · كما أعوزته القدرة على البت في سياسة الدولة بمفرده ، فقد شماركه فيها مشايخ المدينة « أباضية وغير أباضية » (511) ولم تعدم مناصب الدولة حكرا على نفوسة والعجم ، بل برزت عناصر جديدة لمنتول مثل ذلك من قبل (512) وتحولت السلطة الحقيقية في تاهرت الى هؤلاء العمال ، فكان صاحبا الشرطة «يأخذا بالتهمة ،ويضربا على الظنة» (513)، العمال ، فكان صاحبا الشرطة سوى الاسم .

ويبدو أن يعتوب بن أغلج ومن هرب معه من مشايخ الكوغيين كانوا من وراء حركة الطيب بن خلف بن السمح في شرقى الدولة الرستمية ، ذلك أن يعقوبا غادر تاهرت ونزل على زواغة باحواز طرابلس سنة 286 هـ ( 900 م ) كما أن زواغة كانت لا تزال على ولائها لتعاليم خلف بن السمح ، والتفت حول أبنه الطيب بعد وفاته ، ولما كانت مضاربها مجاورة لمنازل نفوسة الموالية للاسرة الرستمية ، فقد كان الاحتكاك بينهما أمرا لا محيد عنه ، والواقع أن معلوماتنا في هذا الصدد مستمدة من المصادر الاباضية التى تصور حركة الطيب وزواغة على أنها تمرد من جانب زواغة لخروجها

<sup>(507)</sup> ابن الصغير: ص 56 ، النفوسي: ص 275 .

<sup>(508)</sup> ابسن عسداری : ج 1 ص 278 ٠

<sup>(509)</sup> ابن الصغير : صغصة 56 .

<sup>(510)</sup> امتدح الشاعر بكر بن حماد التاهرتي أبا حاتم راجيا عنوه في تصيدة منها:

مقلست جنائسي يوسسف بسن محمد قطسال علسي الليسل وهنو تصيسر
أبسا حاتسم ما كان ما كسان بغضه ولكسن أتست بعسد الامسور أمسسور
وأكسرم عنسو يؤشر النساس أمسره أذا مسا عنسي الانسسان وهو قديسر
انظسر النفسوسي : صنحة 276 ،

<sup>(511)</sup> ابن الصغير: ص 56 ، البرادي : الجواهر المنتاة ورتة 103 .

<sup>(512)</sup> نستشف ذلك من اسمى عبد الله بن أبى الشيخ الذى ولى القضاء وأبراهيم بسن مسكين الذى ولى الشرطة ويخيل الينا أنهما كانا من العرب المالكية والاحتاف . انظر : أبن الصغير : حس 56 ، الشماخى : السير ص 263 .

<sup>(513)</sup> ابن الصغير : من 56 ، الشماخي : السير . من 263 البسرادي : الجواهسر المنتساة ، ورتسة 103 ،

على زعامة نفوسة (514) . ومع ذلك فالراجح أن يعتوب بن أفلح كان من وراء هذه الحركة مستهدفا اثارة القلاقل في وجه أبى حاتم ، فليس من محض الصدف أن يثور الزواغيون في هذا الوقت بعينه .

على كل حال ـ تحفل تواريخ الاباضية (515) بذكر انتصارات الياس ابن منصور على الطيب وانصاره من الخلفية الذين ولوا الادبار لائذين بجزيرة جربة وسيوف النفوسيين تجهز على غلولهم (516) وتشير هذه المصادر (517) الى أن الطيب اعتصم بقصر أحد شيوخها ممن كانوا على مذهب خلف ، وأن الياس بن منصور رشاه بالمال غسلمه اليه بدون قتال وعاد به الى الجبل حيث « عاد الى مذهب أهل الحق » وقضى على حركته .

ونعتقد أن السمحية من زواغة ويعقوب بن أغلج لم يركنوا للدعة بعض القبض على الطيب بن خلف وسجنه بجبل نفوسة على يد الياس بن منصور عامل الجبل من قبل أبى حاتم ، فقد كانوا على صلة بأفراد البيت الرستمى المناوئين لامامة أبى حاتم ، واشتركوا معهم فى تدبير مؤامرة اغتياله ، وكان الشيخ الزواغى ، السمحى أبو الخطاب وسيل بن سنتين همزة الوصل بين يعقوب بن اغلج والمتآمرين من البيت الرستمى (518) حتى تمت المؤامرة بنجاح، وقتل أبو حاتم يوسف على يد أبناء أخيه سنة 294 هـ (906 م) (519) .

وآلت الامامة الى احدهم ويدعى اليقظان بن أبى اليقظان محمد . ولا نعرف عن أخباره شيئا لعزوف الاباضية عن ذكر امامته باعتباره مغتصبا لها (520) . والراجح أن عهده أتسم بالقلاقل والفتن سواء من جانب الطوائف الدينية غير الاباضية التى كانت تطمح فى الامامة دون أن تنالها له و من جانب أبناء أبى حاتم يوسف وأتباعهم للاخذ بثأر أبيهم . وهذا يفهم

 $<sup>\</sup>cdot$  38 ، النبوسى : ص 38 ، الدرجينى : ج 1 ورتة 38 ، النبوسى : ص 38 .

<sup>· (515)</sup> نفس المسادر والصفصات ،

لا غرابة نيما حدث من تتبع النفوسيين نلول زواغة والاجهاز عليهم ، علما بأن تعاليم المذهب الإباضي تحرم تتبع المدبر والاجهاز على الجرحي . انظر : الورجلاني : الدليل لاهل المتول ج 3 من 54 . ذلك لان هذه التعاليم الإباضية تشترط في الفار المدبر أن يكون بدون مأوى يلوذ به ، نان كان له مأوى جاز تتبعه وتتل حريمه ، انظر : Motylinski : l'Aqida des Abadites. P. 512.

ولما كان للهاربين من زواغة مأوى في جزيرة جربة ، استحل النفوسيون الاجهاز على المساولهم ،

<sup>(517)</sup> أبسو زكريسا : ورقة 33 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 39 ، النفوسي : ص 279 ،

<sup>(518)</sup> النفوسي : صنحـة 291 ·

<sup>· 278</sup> ایسن عسذاری : ج 1 صنعسة 278 ·

<sup>(520)</sup> السوق : شرح السؤالات ورتسة 99 ،

من رواية لابى زكريا (521) تقول بأن بنت أبى حاتم وأخيها توجها ألى أبى عبد الله الشيعى ودعوه لدخول تأهرت والانتقام من قتلة أبيهما ، وأن المالكية والواصلية والشيعة والصغرية « شكوا اليه أمارة الغرس » .

مهما كسان الامسر ، وضع الغزو الشيعى لتاهرت سنة 297 هـ ( 909 م ) حدا لامامة اليتظان بن أبى اليتظان ونهاية للدولة الرستميسة برمتها .

وهكذا ـ كان تاريخ بنى رستم سلسلة من التلاتل والاضطرابات الداخلية ، اتخذت شكل الانشسقاق المذهبى ، والصراع القبلى والعنصرى والطائفى .

<sup>· 36</sup> السيسرة ورتسة 36

### ج ـ علاقات بني رستم الخارجية

تأثرت سياسة بنى رستم الخارجية بوضع دولتهم الجغرافي ومذهبها الدينى وظروفها السياسية ومصالحها الاقتصادية فقد كانت دولة صحراوية داخلية ، ولهذا لم نسمع عن نشاط بحرى لبنى رستم ولم يسهموا فسى حركة الفتوح التي احتكرها جيرانهم الاغالبة في الحوض الاوسط من البحر المتوسط . وقد حتم الوضع الجغرافي للدولة الرستمية وتشابك حدودها مع دول الاغالبة والادارسة وبنى مدرار ، أن تدخل في علاقات مع هذه الدول على الرغم من جنوح ائمتها الى العزلة والانصراف الى مواجهة مشاكلهم الداخلية . لقد مرضت رابطة الجوار على بنى رستم أن يحددوا علاقاتهم بأمراء القيروان العباسيين ومن بعدهم الاغالبة السنة والادارسة العلويين وبنى مدرار الصفرية ، ان عداء وان ودا ، وقد تأثرت هــذه العلاقـات بجانبيها الودى والعدائي ــ الى حد كبير ــ بمذهب الدولة الديني ، غلما كان بنو رستم من الخوارج الاباضية فقد عادوا الحكم السنى بالقيروان والعلوى بفاس ، وهادنوا خوارج سجلماسة الصفرية . كما دعمت الظروف السياسية التى عاشتها الدولة الرستمية سياسة العداء للقيروان وفاس وسياسة المهادنة لسجلماسة ، فقد قامت الدولة على انقاض نفوذ الخلافة العباسية في المغرب الاوسط ، وعجز عمال الخلافة في القيروان عن الحيلولة دون قيامها ، لهذا كان على الاغالبة - عمال بنى العباس -ان يضطلعوا بتنفيذ مُشبئة الخلافة في مناهضتها . واذا كانت دولة الادارسة قد قامت في المغرب الاقصى على حساب نفوذ الخوارج ، فلم يكن هناك مناص من عداء أئمة تاهرت لائمة غاس لاقتطاعهم بعض الاجزاء الشمالية الغربية من الدولة الرستمية . وقد اجتمعت الدولتان الرستمية والمدرارية على عداء القيروان وغاس ، ولهذا حرص حكامهما على الالتزام بسياسة حسن

الجوار ازاء بعضهم البعض . ولما كان أمويو الاندلس يعادون العباسيين والاغالبة والادارسة ، فقد عقد بنو رستم معهم أواصر الصداقة والود . كما أوثقوا صلاتهم بأباضية المشرق لما جمعهم من وحدة المذهب الدينى والمصير السياسى ، والحقيقة أن الرستميين انصرفوا لتوطيد صلاتهم بالجنوب مدفوعين بمصالحهم التجارية ، وساعد على ذلك ما كفلته الظروف الجغرافية من حماية طبيعية لقلب دولتهم ، فلم يناجزوا أعداءهم الا بمسا تقتضيه ضرورة الدفاع ، بل أحيانا كانوا يغضون الطرف عن أطماع جيرانهم في أطراف الدولة ، فلم يحركوا ساكنا حين ضم الادارسة تلمسان وما حولها وسلخوها عن نفوذ تاهرت .

وقد كانت كافة حروبهم مع جيرانهم للدفاع فقط باستثناء مرة واحدة اتخذوا فيهاموقف الهجوم، لما حاصر عبد الوهاب بن رستمطرابلس سنة 196ه (812 م) . كما لم تتعد صلاتهم الودية اكثر من تبادل السفارات والهدايا ولم تصل فقط لدرجة التحالف او التعاون لمواجهة العدو المشترك . وعلى ذلك يمكن القول بأن سياسة بنى رستم الخارجية تامت في جوهرها على ذلك يمكن القول بأن سياسة بنى رستم الخارجية تامت في جوهرها على تحساشى الاخطسار والتزام الدفاع ، وكانت اميل الى السلم منها السى العدوان . ومع ذلك يمكن تقسيم هذه العلاقات الى شقين ، عدائية وودية ، فعلاقات بنى رستم بالعباسيين والإغالبة والادارسة كانت ذات طابع عدائى. أما علاقاتهم مع بنى مدرار وبنى امية بالاندلس واباضية الشرق ، فقد اتسمت بالطابع الودى .

#### ا \_ العالقات العدائية :

#### 1 - بنسو رستم والعباسيسون:

لا يخفى ما كان بين بنى رستم وبنى العباس من خلاف مذهبى وعداء سياسى ، فقد تأصل هذا العداء مذ عمد العباسيون الى مناهضة حركات الخوارج — ومنهم الاباضية — فى الشرق ، والغرب على السواء . وحسبنا ان ما حل باباضية المغرب من كوارث انما تم على أيدى ولاة المنصور والرشيد بالقيروان منذ ولاية ابن الاشعث ومن تلاه من امراء الاسرة المهلبية ، وقد لجا عبد الرحمن بن رستم الى جوف الصحراء حيث اسس دولته هربا من هؤلاء الولاة واتقاء لبطشهم .

والواقع أن أباضية المغرب وجدوا في دولة بني رستم ملاذا حصينا

من خطر ولاة القيروان ، غلم يقدر لاى منهم أجتياح اراضى الدولة الرستمية بعد غشل محمد بن الاشعث في حصار عبد الرحمن بن رستم ومن معمه من الاباضية بجبل سوغج سنة 145 ه ( 762 م ) بل حاول ابن رستم وجماعته الانتقام لما حل بالاباضية من بطش جيوش ابن الاشعث ، غضرج على راس خمسة عشر الف من رجاله لحصار عمر بن حفص بطبنة سنة 154 ه ( 771 م ) مع سائر أباضية المغرب وصفريته ، لكنه عاد مدحورا بعد هزيمته عند تهودة أمام جيش عمير بن معمر بن عيسى السعدى قائد عمر بن حفص (522) .

وبسبب هذه الهزيمة ، وما لحق أباضية المغرب الادنى من بطش يزيد بن حاتم (523) ، آثر عبد الرحمن بن رستم الانصراف الى تأسيس دولته دون أن يمضى فى مناجزة ولاة القيروان . فبعث الى روح بن حاتم طالبا مهادنته حتى يتفرغ لمواجهة الاعباء التى واكبت قيام دولته ويبدو أن الخلافة العباسية آنذاك تطلعت الى دعم نفوذها فى افريقية ، وغضت الطرف سالى حين سعن بسط سلطانها على بلاد المغرب الاوسط والاقصى، فقبل واليها على القيروان موادعة عبد الرحمن بن رستم (524) .

ومن الطبيعى أن تظل هذه السياسة قائمة في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن لما حفل به حكمه من قلاقل وثورات في الوقت الذي جنح فيه روح بن حاتم إلى السلم لتقدم العمر به . وقد اختلف المؤرخون في تحديد أي من الطرفين بادر بطلب الموادعة ، فمنهم (525) من يشير إلى أن عبد الوهاب بن رستم هو الذي طلب من روح تجديد الهدنة ، ومنهم (526) من يذكر أن روحا طلب الموادعة . وأن عبد الوهاب أجابه إلى ما أراد . وقد غرج جوتييه (527) من الرواية الأولى بأن آراء القيروان استطوا مسن اعتبارهم استرداد نفوذهم على المغرب الاوسط فتفاضوا عن مناوءة الدولة الرستمية . بينها استخلص فورنل (528) من الرواية الثانية أن الدولسة الرستمية أصبحت قادرة على الوقوف من ولاة القيروان موقف الند للند .

<sup>(522)</sup> ابن خلدون : ج 4 ص 193 ، النويرى : ج 22 ورتة 21 .

<sup>· 194</sup> ابن خلدون : نَفس المصدر : ص 194 ·

<sup>(524)</sup> النفسوسي : صفحة 93 .

<sup>(525)</sup> انظر : آبن الخطيب : اعمال الاعلام ج 3 من 10 .

<sup>(526)</sup> ابن خلدون : ج 4 ص 194 ، النويرى : ج 22 ورقة 23 .

Les Siecles Obscurs. P. 294. (527) Les Berberes - Vol. I. P. 288 (528)

ومهما كان الامر ، فالذى يعنينا ان الطرفين جنحا الى السلم ، وآثرا العافية على الدخول في صراع لم يكونا على استعداد لخوض غماره وتحمل مغبته .

واستمرت سياسة تحاشى الصدام بين ائمة تاهرت وامراء القيروان قائمة حتى سنة 184 ه ( 800 م ) . حين قامت دولة الاغالبة في المريقية لترث اسباب العداء مع بنى رستم وتنوب عن بنى العباس في الاضطلاع بمناهضة حكمهم .

ومن الجدير بالتنويه ان الموادعة بين امراء القيروان وائمة تاهرت لا تعنى انتفاء العداء بينهما ، فالعداء بين تاهرت وبغداد ظل قائما ، ولم يتوان الخلفاء عن اغتنام ما سنح لهم من فرص فى الكيد للدولة الرستمية واثارة المتاعب فى وجه ائمتها وادرك الرستميون ما اضمره بنو العباس لهم من خصومة وعداء ، فأحجم عبد الوهاب بن رستم عن اداء الحج خشية الوقوع فى يد « المسودة » (529) وبرر له فقهاء المذهب الاباضى عزوفه هذا « بعدم المان الطريق » ، فأمان الطريق س شرعا س من شروط الحج (530) .

وليس ببعيد أن يكون العباسيون قد توجسوا خيفة من اتصال أئمة تاهرت باباضية الشرق لتدبير المؤامرات وتنظيم الثرورات المناوئية لحكمهم (531) ، ومن ثم درجوا على بث عيونهم لمراقبة وفود المغاربة في مواسم الحج . ولعل في حادثة القبض على الامير الرستمى أبى اليقظان محمد أبن أغلج بمكة وأيداعه السجن (532) ببغداد ما ينهضه دليلا على ذلك .

كذلك رهب العباسيون بالثوار الخارجين على بنى رستم ، ووجد هؤلاء فى بغداد ملاذا آمنا بعد اخفاق حركاتهم ، والراجح ان العباسيين تعاونوا معهم على اسقاط الحكم الرستمى فى تاهرت ، فنفاث بن نصر الثائر على افلح بن عبذ الوهاب الرستمى بادر بالهرب الى بغداد حين ضيق عليه عمال الامام على جبل نفوسة حتى اوشكوا على الظفر به ، وتشيد مصادر الاباضية بما لقيه نفاث من حظوة وحفاوة فى بلاط الخلافة ، حتى ان الخليفة

<sup>(529)</sup> أبو زكريا : ورتة 23 ، النفوسي : ص 140 .

<sup>(530)</sup> ابو زکسریا : ورتسة 23 .

<sup>(531)</sup> ابن الصغير : صنحة 28 .

<sup>(532)</sup> عن حادثة التبض على ابن اليتظان محمد وسجنه ثم اطلاق سراهه ، انظر : ابن الصغير : ص 27 ــ 29 ، أبو زكريا : ورتة 31 ، 32 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 37 ، 38 ، النوسى : ص 259 ــ 264 .

اطلعه على المحظور من امهات الكتب والدواوين في المذهب الإباضى . وليس ببعيد أن يكون نفاث قد تآمر مع الخلافة على بث الشقاق في الدولة الرستمية اثر عودته ، واذا كان لم يوفق في النيل من سلطان تاهرت في اقاليم الدولية الشرقية فان حسبه نجاحه في احداث انقسام مذهبي سياسي وتكوين فرقة عرفت ( بالنفاثية ) ظلت معادية للسلطة الحاكمة في تاهرت طوال عصر الدولية الرستميية .

وقد وضح تآمر بنى العباس على اسقاط امامة تاهرت فى العصر الرستمى الاخير ، فطائفة الكوفيين بتاهسرت لعبت دورا بارزا فى منساوءة الامامة الرستمية فى ذلك الحين ، وتواطأت مع زعماء العامة فى العاصمة الرستمية لاتصاء ابى حاتم يوسف عن السلطة وطرده خارج المدينة (534). وفى وجود بكر بن حماد التاهرتى ساخ محمد بن حماد سازعيم عامة تاهرت سبغداد (535) قبيل وقوع تلك الاحداث ، وعودته الى تاهرت واشتراكه فى تنحية ابى حاتم ثم اعتذاره اليه راجيا عفوه بعد عودته للسلطة (536) ، ما يشير الى تواطؤ الخلافة العباسية مع المارقين على بنى رستم وتدبيرهم المكايد ضد الدولة الرستمية وهذا كله يؤكد ما ذهبنا اليه من تأصل العداء بيسن الطرفيسن .

#### 2 \_ بنو رستم والاغسالبة:

اتخذت العلاقات بين بنى رستم والاغالبة طابعا عدائيا صرفا وكان لذلك اسبابه المذهبية والسياسية والجغرافية ، فالاغالبة كانوا سنة ، ومذهب مالك المعروف بعدائه لسائر النحل المتطرفة ساد افريقية الاغلبية ، بينما تعصب بتو رستم للمذهب الاباضى ، وهو رغم اعتداله يذهب السى تكفير مخالفيه (537) وفضلا عن ذلك فالاغالبة كانوا عمال الخلافة العباسية واداتها فى افريقية ، ورمز نفوذها الوحيد فى بلاد المغرب ، ولا غرو فقد قامت سياستهم الخارجية على مصادقة أصدقاء الخلافة ومعاداة أعدائها

<sup>· 268</sup> ابن الصغير : من 51 ، الننوسي : من 268 ·

رَحْحَرُ ( المَالِكِي : رَيَامُن النَّنُوسَ : ج 1 صَ 409 ، الدَبَاغ : مِعَالَم الأَيْمَان : ج 2 صَ 192 · (536) النَّفُوسَ : صَفَحَة 276 · (536)

رددة) المتصود هنا تكنير الحكام فقط وليس الرعية ، انظر : البغدادى : النسرق بين الفسرق " صفحة 106 ·

ومن ثم كان على أمراء بني الاغلب أن يناهضوا أئمة تاهرت جريا على سنة الخلافة وتنفيذا لمشيئتها، كما لم يتقاعس بنو رستم عن مناجزة جيرانهم الاغالبة باعتبارهم اعداء سياسيين ومذهبيين على الرغم مما عرفوا به من المسالمة والحرص على تحاشى اسباب التطاول والصراع (538) .

لقد مرضبت الظروف الجغرافية على الدولتين أن تتخذ العلاقات بينهما شكلا عدوانيا ، غلم يكن ثم محيد عن الصدام امام تشابك الحدود وعدم وضوح معالمها . لقد احاطت الدولة الرستمية بانريقية الاغلبية من الشرق والغرب والجنوب (539) ، ولم يكن هناك ما يمنع رعايا الدولتين من التبائل البدوية من الحركة والانتقال والاختلاط في مناطق الحدود (540) ، ومسن هنا اختلط الامر على بعض الجغرافيين (541) فنسبوا بعض البلدان والكور الرستمية \_ كغدامس وتهودة وودان \_ الى دولة الاغالبة . والذى يعنينا هو أن الصدام بين رعايا الدولتين في مناطق الحدود كان لا ينقطع ، فاقليم الزاب ونواحى بلزمة شهدت صراعا داميا بين مقهاء المالكية وأتباع المذهب الاباضي (542) . وجدير بالتنويه أن جمهور الاباضية بتلك النواحي لم يكن برمته مواليا للرستميين ، فجماعتي الخلفية من زواغة والنكار من هوارة \_ ومنازلهما جنوبي تونس \_ (543) كانتا على عداء مع بني رستم ، وليس من المستبعد أن يكون الاغالبة قد اصطنعوا بعض هذه العناصر لاثارة العراقيل والقلاقل في الدولة الرستهية عيفسر هذا قول لوتورنو(544)بأن جماعات الاياضية بنواحي قسطيلية \_ بلاد الجريد \_ لم يتعرضوا لاضطهاد الاغالبة . ولكن الذي لا شك ميه ان جمهور الاباضية الوهبية من لواتة وهـوارة في تلك الاصقاع لقى عسفا وعنتا على أيدى بنى الاغلب وعمالهم (545) .

كما كانت حدود دولة الاغالبة الشرقية غير واضحة المعالم ، فقبائل نفوسة الاياضية كانت تضرب قرب طرابلس التابعة لبني الاغلب ، وامتدت ديارها حتى مشارف القيروان ذاتها (546) . ومن ثم كانت هذه المناطق

Gautier: Op. Cit. P. 294, Vonderheyden: Op. Cit. P. 267.

La Revolte d'Abou - Yazid. P. 105.

<sup>(538)</sup> النفوسي : صفحة 93 ،

<sup>(539)</sup> انظر : الخريطة · (540) مجهول : الاستبصار : ص 179

<sup>- 87</sup> م

<sup>(541)</sup> راجع : ابن خردانبة : المسالك والمالك (542) ابن خلدون : العبر : ج 4 ص 203 ، Masqueray : Op. Cit. P. 220.

Lewcki : Etudes Ibadites. P. 73. (543) ابن عذاری : ج 1 ص 167 ،

<sup>(544)</sup> انظسر:

<sup>(545)</sup> ابن خلدون : ج 4 ص 203 ٠

<sup>(546)</sup> اليعقوب : البلدان ص 349 ·

ميدانا حاملا بالصراع بين الدولتين الاغلبية والرستمية .

وليس صحيحا ما ذهب اليه مؤرخو الغرب (547) من انتفاء طابع العداء بين الاغالبة وبنى رستم وقولهم بأن كليهما نعم بحدود آمنة عازفا عن شهر السلاح فى وجه جاره · حقيقة ، لم يصل التشاحن بينهما السى حد يهدد وجودهما بسبب انشغال الاغالبة بمواجهة مشاكلهم الداخلية فضلا عن النشاط البحرى الذى ضربوا فيه بسهم وافر ، ونفس الشيء يقال عن بنى رستم واهتمامهم بحركة التجارة مع الجنوب . هذا فضلا عن بعد المسافة وعورة الطرق بين تاهرت وافريقية ، فقد كانت المسافة بينهما مسيرة شهر على ظهور الابل (548) . لكن ذلك لا يعنى قط احجام حكام الدولتين عسن الاغارة على الملك بعضهم البعض على امتداد الحدود ، وخاصة فى الجهات الشرقية ، بل دابوا على بث الفتن واثارة العراقيل وتحسريض العناصر المعادية للحكم ، واذا كان الرستميون الاوائل قد احرزوا النصر فى المرحلة الاولى فان الاغالبة ظفروا به بعد ذلك فى اواخر العصر الرستمى .

بدأ النزاع الرستمى الاغلبى فى منطقة طرابلس ، وسببه أن هذه المدينة كانت تابعة للاغالبة ، وقد امتد نفوذ عاملها على بعض بطون هـوارة الاباضية الضاربة بجوارها ، وعدتها ثلاثمائة اسرة (549) . وبديهى أن يطمح هؤلاء الاباضية فى الاستقلال عن سلطان الاغالبة للدخول فى طاعة بنى رستم (550) ، غدابوا على اثارة المتاعب فى وجه العامل الاغلبى على طرابلس ، وغمدت جماعات منهم الى الاغارة على المدينة وبث الرعب بين سكانها (551) فكان عاملها يسرف فى الانتقام من الاباضية بها حتى لقد خرجت جموع غفيرة منهم ولجاوا الى الصحـراء (552) . ويبـدو أنهم استمدوا العون من جيرانهم أباضية نفوسة ، فقد نجحوا عام 196 هـ (812 م ) فى اجتياح طرابلس ، والحقوا بها الخـراب والدمـار . وهب

Vonderheyden : Op. Cit. P. 268, : انظــر (547)

Marcais : La Berberie Musulmane. P. 107, Huart : Histoire des Arabes. Vol. I. P. 321.

Brockelman: Op. Cit. P. 150.

<sup>(548)</sup> ابن خرداذبة : المسالك والممالك على 88 مع المسالك والممالك على 88 المسالك والممالك المسالك المسالك على المسالك المسالك المسالك على المسالك المسا

 $<sup>\</sup>cdot$  146 أبو زكريا : ورقة 23 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 30 ، النفوسى :  $\cdot$  140  $\cdot$ 

<sup>(551)</sup> الانصارى ، نفحات التنسرين . ورقة 7 ــ مخطوط ،

<sup>(552)</sup> النفوسى : صفحة 144 ٠

ابراهيم بن الاغلب لاستنقاذ نفوذه ، فرمى الثوار بابنه عبد الله الذي الملح في استرداد المدينة واثخن في الاباضية تنكيلا ثم حصنها ببناء سور حولها (553) . واستعان الاباضية بالامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن -وكان اذ ذاك بجبل نفوسة \_ فاستجاب لهم وخرج على رأس جيش حن نفوسة وغيرها وضرب الحصار حول طرابلس (554) . ولم يستطع عبد الوهاب اقتحام المدينة ، فقد اغلق عبد الله الاغلبي أبوابها وباشر القتال من باب واحد وتمكن جنده من اغتيال بعض مشاهير الاباضية (555) ، كما استطاع عن طريق جواسيسه المساد خطط المحاصرين (556) .

وكاد عبد الوهاب أن يعود من حيث أتى ، لولا أن أسعفه الحظ بموت ابراهيم بن الاغلب واستدعاء ابنه عبد الله الى القيروان لتقلد الامارة (557) . فاضطر عبد الله الى التسليم بمطالب الرستميين في انضمام اباضية هوارة الى دولتهم وانسلاخهم عن نفوذ عامل طرابلس الاغلبي ، ونص في الاتفاق على ان « يكون البلد والبحر لعبد الله وما كان خارجا عن ذلك لعدد الوهاب » (558) هكذا انتصر عبد الوهاب بسبب اضطرار عبد الله الى وقف الحرب وعودته الى القيروان ، بل شجعه ذلك على الاجتراء على الاراضي الاغلبية ذاتها مضرب صفحا عن الاتفاق واستولى على قابس \_ وهي ميناء على البحر كان تابعا للاغالبة (559) \_ ، وكذلك آلت اليه بعض القرى والحصون الاخرى ثم عبرت جيوشه الى جزيرة جوبة واستولت عليها ، وعاد عبد الوهاب الى جبل نفوسة ومنه الى تاهسرت بعد ان ولى عماله على هذه النواحي الجديدة (560) وشغل الاغالبة الاول بمشاكلهم الداخلية عن تصحيح الوضع على حدودهم الشرقية ، كما قنع الرستميون بما احرزوه من مكاسب ، ، ولم يتمادوا في سياسة التوسيع مفتنمين فرصة ثورات الجند في المريقية على الامارة الاغلبية . وهذا

<sup>(553)</sup> ابسن الاثيسر : ج 6 مس 60 ٠

<sup>(554)</sup> نفس المصدر والصحيفة ، أبو زكريا : ورقة 21 ،

Fournel: Op. Cit. Vol. 2. P. 150.

<sup>(555)</sup> ابو زكريا : ورقة 23 ، الشماخي : السير - من 160

<sup>(556)</sup> النفسوسي : مستحسة 145 ،

<sup>(557)</sup> ايسن الاثيسر : ج 6 مس 60 .

<sup>(558)</sup> نفس المصدر والصحيفة ، الشماخي : السير : من 161 .

<sup>(559)</sup> اليمتوبي : البلدان من 349 ، 350 -

<sup>(560)</sup> ابن خلدون : ج 6 مس 122 ، الشماخي : السير : من 161 ، النفوسي : مادسة 146 ، 147 ·

ما حدا ببعض الاحزاب المعارضة لعبد الوهاب ان تستنكر فتوره « وقلة محاربته المسودة (561).

ودرج افلح بن عبد الوهاب \_ الذي اشتهر بالدهاء والسياسة \_ على تحريض اتباعه من البدو الاباضية المقيمين ببلاد الجريد لاثارة القلاقل في دولة الاغالبة ، ويذكر ابن خلدون (562) انهم تمردوا على العامسل الاغلبي بقسطيلية واردوه قتيلا ، وأن الامير أبي عقال الاغلبي سير اليهم الجيوش ، واستأصل شاغتهم ومن المشكوك فيه أن يكون أبو عقال قد قضى نهائيا على ثورات الاباضية في المريقية الجنوبية ، ويبدو ان ذلك كان دانعا لخلينته الامير محمد الاغلبي على الاهتمام بتوطيد نفوذه في تلك النواحي ففي سنة 239 ه ( 854 م ) اسس مدينة جديدة سماها العباسية في بلاد الجريد لمواجهة اخطار الاباضية ، ولتكون تاعدة المامية للاغارة على تاهرت ذاتها مضلا عن منافستها للماصمة الرستمية في تجارة العبور (563) غير أن ألملح بن عبد الوهاب بادر بمواجهة الخطر الاغلبي ، والهلح في تدمير العباسية ، واضرم فيها النيران (564) .

كما حاول اباضية نفوسة وهوارة الاستيلاء على طرابلس في عهد أحمد بن محمد الاغلبي ( 242 - 249 ه ) ( 857 - 864 م ) ولم ينقذها سوى جلب واليها الامدادات من القيروان فحال دون سقوطها سنة 245 هـ ( 860 م ) ، وهكذا اتسمت سياسة بنى رستم في عهدى عبد الوهاب وأفلح بالقوة فأمسكا بزمام المبادرة في صراعهما مع الاغالبة ، ونجما في مواجهة اخطارهم بل واقتطاع اجزاء من دولتهم على أن الاغالبة سرعان ما رجحت كنتهم بعد موت افلح بن عبد الوهاب ، اذ منيت الدولة الرستمية بأخطار الصراع العنصرى والطائفي في الداخل . فلم يعدم الاغالبة وجود صنائع واتباع عملوا لحسابهم في مناهضسة المسة بنسى رستم في ذلك

<sup>(561)</sup> الشماخي : السير ص 194 ، ويعنى الشماخسي بالمسودة بنس الاغلسب انصسال العبساسييسن .

<sup>(562)</sup> العبر : ج 4 منصة 200 · (563) النفوسي : منصة 189 ،

Mercier : Histoire de l'Afrique Septentrionale. P. 285.

<sup>، 201 — 200</sup> م 4 ج ؛ ابن خلدون : ج 4 م 200 — 201 (564) Fournel : Op. Cit. Vol. I, P. 513.

<sup>(565)</sup> ابن خلدون : ج 4 ص 201 ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبي ص 398.

الحيسن (566). ولا يخفى دور شخص يدعى خلف الخادم مسن موالى الاغالبة من تاليست الشوار على السي المرب بكر بن الملح حتى الصوه عن الامامة وطردوه خارج تاهرت ويحدثنا ابن الصغير (567) انه كان يبذل الاموال للثوار بسخاء ، الامر الذي يدل على تواطؤ بنى الاغلب وتآمرهم على استاط الحكم الرستمى

وفي سنة 267 ه ( 881 م )اشتركت جيوش الاغالبة جنبا الى جنب مع اباضية نفوسة في قتال جيش العباس بن احمد بن طولون — الذى خرج من مصر غازيا افريقية — ، وهذا لا يعنى عودة الوئام بين بنى رستسم والاغالبة فقد قاتلت نفوسة العباس لا « لانقاذ طرابلس وبنى الاغلب من ظلمه » كما ذهب النفوسى (568) ، ولا تلبية لطلب ابن قرهب عامل الاغالبة على طرابلس كما قال سعيد بن مقديش (569) ، وانما لان خطره هدد بنى الاغلب وبنى رستم على السواء (570) . فبعد استيلاء العباس على لبدة ، بطش بجمهور الاباضية هناك « وتعدى سودانه على بعض حسرم البوادى وهتكوا الحجب » (571) ولما كان هؤلاء من رعايا بنى رستم ، فقد استنجدوا بعاملهم على جبل نفوسة ويدعى الياس بن منصور في الوقت الذى بعث فيه العباس اليه يدعوه للدخول في طاعته (572) . فهب العامل الرستمى لدرء خطر العباس دون سابق اتفاق مع الاغالبة (573) . مصداق التيروان والتحامه مع ابن طولون قبل قدوم الاباضية من نفوسة (574)

(570)

<sup>(566)</sup> ابن الصغير : صفحة 27

<sup>· 632</sup> سيرة الائمة الرستبيين من 37 ، النفوسي : من 567)

<sup>(568)</sup> انظر : الازهار الرياضية : ج 2 مس 255 ،

<sup>(569)</sup> انظــر: نزهــة الانظــار ـ ص 121 .

Basset: Les Sanctures .. P. 93.

<sup>(571)</sup> ابـن عــذارى : ج 1 مستحــة 157 .

<sup>(572)</sup> ابن الدایة : سیرة احمد بن طولون ص 61 ، وقد جاء فی خطاب العباس السی الیاس بن منصور « ، . اقبل بسمعك وطاعتك والا وطیت بلدك بخیلی ورجلسی وابحت رحمك » وجاء فی رد الیاس « ، . لقد بلغنی من قبیح الممالك مالا یسعنی التخلف معه عن جهادك ، وأنا علی اثر رسالتی الیك » راجع : البلوی : سیرة احمد بن طولون ص 254 ، النفوسی : ص 258 .

تصور بعض المصادر هذا الحادث باعتباره يخص كلا من الطرفين على حدة ، دون ادنى اشارة الى اشتراكهما في مواجهته ، انظر : الورجلاني : الدليل لاهل المتول عنى اشارة الى اشتراكهما في مواجهته ، انظر : الورجلاني : الدليل لاهل المتول عنى المتول المتول عنى المتول المتول عنى أن المتول المتول عنى أن المتول المتول عنى المتول المتول عنى المتول المتول عنى المتول المتو

<sup>(574)</sup> البلوى : سيرة أحبد بن طولون ' مس £254 .

فقد وصلوا في اليوم التالي (575) ، واشتركوا مع الاغالبة في قتال العباس (576) . وحين هزم العباس ، استأثر الاغالبة بالمغانم والامسوال الطائلة (577) دون الاباضية الذين رفضوها « زهدا وتعففا » على حد قول المصادر الاباضية (578) .

وعمد ابراهيم بن أحمد الاغلبي الى اتباع طرق شتى في صراعه مع الرستميين الذين وتفوا موتف الدفاع . ففي سنة 269 ه ( 883 م ) اوغلت جيوشه في مضارب القبائل الاباضية ببلاد الجريد ، وتمكن من وضع حد لشنبهم (579) . وبث الفرقة بين أباضية نفوسة باصطناع مسائل فقهية اختلف شيوخهم حول تأويلها (580) .

ويبدو أنه معل ذلك توطئة للاطاحة بمعقل القوة في الدولة الرستمية، بغزو جبل نفوسة ، هذا هو ما حدث نعلا سنة 293 ه ( 897 م ) واختلفت الروايات في تفسير دوافع هذا الغزو ، فبعضها (581) تعزوه الى اعتراض نفوسة الجيش الاغلبي السزاحف نحسو مصر الطولونيسة ، وبعضها (582) الآخر يزعم أن الأمير الاغلبي كان قادما على رأس جيش من بغداد لغزو تاهرت فاعترضته نفوسة دفاعا عن عاصمة الرستميين ، بينما يذهب ابن عذارى (583) الى أن جيش ابن الاغلب كان متوجها الى طرابلس لتأديب عاملها ، فاعترضته نفوسة ومنعته من المرور ، في حين يقول الشماخي (584) باجتماع نفوسة على قتال الامير الاغلبي لانه « انسد

**— 193 —** (13)

<sup>(575)</sup> نفس المصدر : ص 255 ، النويري : ج 26 ورتة 7 .

<sup>(576)</sup> البلوى: من 255 ، المتريزي: الخطط ج 1 من 320 .

<sup>(577)</sup> البلوى : ص 255 ، ابن عذارى : ج 1 ص 158 ، الشماخى : السير ص 225 -الورجـــلانـــى : ج 3 صفحـــة 54 .

<sup>(578)</sup> النغوسي : من 257 ، الورجلاني : ج 3 من 54 ومن المعروب أن المذهب الإباضي يقر الغنيمة في حالة قتال مخالفية في الذهب ، انظر : ابو غانم الصفرى : المدونة ورقة 43 ٤ السوقى : شرح السؤالات ورقة 173 .

<sup>(579)</sup> ابسن خلسدون : ج 4 صنعسة 203 .

<sup>(580)</sup> ذكر الشماخي أن أبراهيم بن أحمد أهدى نفوسة سيفا ، فاختلف شيوخهم حول كيفية التصرف فيه فرأى البعض رده اليه ، ورفض البعض الاخر ح لانه عون له على باطلة ، بينما قال فريق ثالث بكسره ودفنه ، فاعترض الاخرون على ذلك « لان عطايا الملوك جائزة » · · · فوقع بذلك خلاف أفضى السي شقاق بينهم » . انظر : السيسر: صنحـة 264 .

Fournel: Op. Cit. Vol. 2. P. 8. ث 37 ورتة 37 أبو زكريا: ورتة 37 أبو زكريا: ورتة 33 أبو ز Zaki Hasan: Les Tulunde. P. 161.

<sup>(584)</sup> السيسر ⅓ سندسة 268 ·

وتعدى » وعلى الرغم من اختلاف هذه الروايات ، فهى تجمع على اعتراض اباضية نفوسة الجيش الاغلبي عند مكان يقال له قصر مانو بين قابس وطرابلس (585) بسنة 283 ه ( 897 م ) فقامت معركة بين الطرفين قضى فيها على غالبية النفوسيين (586) وعلى اثر الاجهاز على نفوسة ، نزل الجيش الاغلبي على اباضية قنطرارة ونفسزاوة فبطش بهم واسر جندهم (587) ، وسيق الاسرى الى القيروان حيث عذبوا ثم قتلوا (588) وفي العام التالى بعث الامير الاغلبي جيشا الى نفوسة اثخسن فيها ، وعاد بثلاثهائة اسير قتلوا ومثل بهم « فنظمت قلوبهم في حبسال علقت علسى بساب تسونس » (589) .

وهكذا \_ شغلت الامامة في تاهرت بمشاكل الصراع حول السلطة عن تقديم العون لاباضية المغرب الادنى (590) ، متركوا وشانهم يتلقصون ضربات الاغالبة حتى وهنوا وضعفوا ، وبضعفهم تداعت الدولية الرستمية (591) ولولا ما حل بدولة الاغالبة من اضطراب سياسى في عهدها الاخير ، وانصراف امرائها لمجابهة الخطر الشيعى ، لامكنهم غزو تاهرت نفسها ، واسقاط الاسرة الرستمية ، لكن الدولتين المتعاديتين جمعتهما في النهاية وحدة المصير ، نقد وقعتا نريسة للغور الشيعى سنسة في النهاية وحدة المصير ، نقد وقعتا نريسة للغور الشيعى سنسة

#### 3 ــ بنــو رستــم والادارســة:

رغم ما ساد علاقات بنى رستم بالأدارسة من عداء نتيجة خلافاتهم المذهبية والاجتماعية والسياسية فان المصادر الاباضية تلوذ بالصمت التام فلا تذكر شيئا البتة عن هذه العلاقات ، وقد فسر كثيرون من الدارسين (592) هذا الصمت على انه دليل على ما ساد هذه العلاقات من طابع الود وحسن

<sup>(585)</sup> ابسو زكسريسا : ورتسة 33 -

<sup>(586)</sup> نفس المصدر : ورقة 34 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 40 ،

<sup>(587)</sup> نفس المصدر والصحيفة -

<sup>(588)</sup> الوسياني : سُير ابي الربيع `` ورقة 3 ، النويري : ج 22 ورقة 37 ،

Fournel: Op. Cit. Vol. I. P. 576. (589) ابن مذاری : ج 1 ص 174

<sup>· 286</sup> النفوسي من 286 ·

<sup>(591)</sup> الدرجينــى : ج 1 ورتــة 41 ٠

<sup>(592)</sup> انظر : محمد بن تاویت : دولة الرستهیین م 117 ، محمد علی دبور : المغرب الكبیر ا ج 2 من 387 ، حسن عبد المواد : دولة الادارسة : من 245 ،

الجوار ،الكن كتابا آخرون ذكروا (593) حقيقة هذه العلاقات وانطوائهاعلى الخصوصة والعداء . وسبب هذا العداء أن الادارسة كانوا من الشيعة الزيدية بينما كان بنو رستم من الخوارج الاباضية ، كذلك كانت دولة الادارسة دولة حضر ، بينما غلب الطابع البدوى على الدولة الرستمية . هذا فضلا عما كان بينهما من تنافر سياسى ــ بسبب صداقة بنى رستم لبنى مدرار والامويين في الاندلس اعداء الادارسة ــ على السرغم مسن اشتراكهما في معاداة الخلافة العباسية .

وجدير بالذكر أن الادارسة ـ مدفوعين بهذه الخصومة المذهبيـة والتباين الاجتماعي والعداء السياسي ـ عولوا على الاغارة على الملك دولة الرستميين واقتطاع بعض اجزائها ، بينما ركن الرستميون الى المسالمة لقصور في قوتهم ، غلم يكن بوسعهم مناجزة جيرانهم الاقوياء ، واذا كانت غزوات الادارسة لم تشكل خطرا على حكومة تاهرت ـ حسبما اعتقدم ماسكراي (594) ، فحسبهم اقتطاع اقليم تلمسان ـ وسكانه من مغراوة وبني يغرن الزناتيين ـ من بني رستم وضمه الى دولتهم .

ولم يكن ثمة ما يحول دون احتكاك الادارسة بجيرانهم الرستميين ، خاصة وان دولتهم ارتبطت في قيامها وتوسعها بخوارج المغربين الاقصى والاوسط مغالبية القبائل التي بايعت ادريس الاول كانت على مسذهب الخوارج ، مزناتة ، وزواغة ولماية ولواتة وسدراتة ونفزة سوهسي أباضية المذهب سرحبت بادريس الاول ودخلت في طاعته (595) ، وان ظلت بعض بطونها على مذهبها وولائها لبني رستم وكان على ادريس وخلفائه أن يدخلوا في صراع مع بني رستم اذا ما ارادوا التوسع شرقا لضم هذه البطون واستئصال شافة الخوارج في منطقة تلمسان واسافل شاف ، وقد تحقق لهم ذلك بالفعل فيما يتعلق بأباضية زناتة بالذات (596) .

Masqueray : Op. Cit. P. L XXIV, Gautier : Op. Cit. P. 295. : نظـر (593) Chronique d'Abou Zakaria. P. 220.

<sup>:</sup> الكتاني : بن أبى زرع : القرطاس " من 16 ـــ 18 ، ابن خلدون : ج 4 من 12 ، الكتاني : (595) المغرب : ورقة 13 مخطوط ، محمد على السنوسى ، الدرر السنية من 44 ، Gautier : Op. Cit. P. 274.

<sup>(596)</sup> تصور بعض المصادر أن الادارسة نجحوا في اقتطاع كانة الاجزاء الشمالية مسن الدولة الرستمية حتى لاصقت حدودها الشرقية دولة الاغالبة ، انظر : عبد الرحمن ابن زيدان : اتحات اعلام الناس ، ج 2 ص 5 ، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي : صنحة اعلام الناس ، ج 2 ص 5 ، حسن ابراهيم : الواتع أن بني السياسي : صنحة مناصقة المناس Vonderheyden : Op. Cit. P. 274. 221 كن الواتع أن بني رستم احتفظوا بنفوذهم على بعض هذه الجهات حيث شكلت الملاكهم حاجزا بين الاغالبة والادارسة ، انظر اليعقوبي : البلدان ، ص 252 .352 Gautier : Op. Cit. P. 295 .352

غفى سنة 173 ه ( 789 م ) توجه ادريس الاول على رأس جيش للاستيلاء على تلمسان واخضاع قبائل مغراوة وبنى يفرن وغيرهم سن الخسوارج الصفريسة والاباضيسة (597) ، وتمكس سن دخولها دون كبير جهد (598) .

ونجـح فى توحيـد جموع زناتـة فى غربـى بلاد المغـرب تحـت لوائه ، واستولى على مدينة ذات اهمية استراتيجية خاصة « فتلمسان قفل بلاد المغرب » (599) ذات شهرة تجارية عريضة (600) ، فضلا عن قوة بشرية كبيرة (601) سلخها عن نفوذ دولتى الخوارج .

ويبدو أن الامام عبد الوهاب الرستمى حاول استعادة نفوذه فى هذه النواحى ، لكنه لم يجرؤ على غزو تلمسان (602) ، ولم يكن بوسعه سوى تاليب اصهاره من بنى يفرن ، فقاموا بالثورة على الادارسة ، وظلوا بمنأى عن نفوذهم الى أن اخضعهم ادريس الثانى سنة 197 ه ( 813 م ) فدانوا له بالطاعة من جديد وتخلوا نهائيا عن مذهب الخوارج (603) ، بل حاول زعماء مغراوة وبنى يفرن اغراء بنى رستم للدخول فى طاعة الادارسة ، فلم يستجيبوا ، وناصبوهم العداء ودخلوا معهم فى حروب فتت فى عضد بنى رستم على عكس ما يذكره مارسيه (604) من « خروج تاهرت ظافرة من هذا الصراع » فالثابت أن الامامة الرستمية لم تقم بمحاولة جدية فى هذا الصدد ، واقتصر الامر على مجرد اغارات محدودة قامت بها جماعات من نفوسة ردا على اعتداءات بنى يفرن على رعايا الدولة الرستمية (605)،

وفضلا عن اغارات بنى يفرن ومغراوة على الاطراف الشمالية للدولة الرستمية حرص الادارسة على اثارة العراقيل فى تاهرت نفسها ، ولا يخامرنا شك فى أن ادريس الثانى كان من وراء تمرد الواصلية على عبد

<sup>:</sup> انظر ، الوهاب ، انظر ، المحمن بن رستم تزوج من يغرنية وأنجب منها ابنه عبد الوهاب ، انظر ، المعرب المعرب ، النفوسى : ص 100 ، معرب المعرب ، النفوسى : ص 100 ، ابو زكريا : ورقة 14 ، النفوسى : ص 100 ، المعرب المعرب

<sup>(598)</sup> أَبِنَ أَبِي زِرع : ص 22 ، الكتاني : الأزهار · ص 5 ، الجزنائي : زهرة الآس صفحة 10 .

<sup>(599)</sup> سعيد بن مقديش : مفحة 18

<sup>(600)</sup> البكرى: صنحة 76 م

<sup>(601)</sup> اليعتروبسي : البلدان [1] صنحسة 80 .

<sup>(602)</sup> ابسن الصغيس : صفحـة 17

<sup>(603)</sup> ابن أبى زرع: ص 69 ، الجزنائى: ص 22: محمد على السنوسى: الدرر السنية ص 45 ، سلفاتوركوسا: تواريخ مدينة غاس . ص 4 ،

Mercier: Histoire de l'Afrique. Septentrionale. P. 89.
. 93 نظر: مادة بنى رستم ـــ دائرة المعارف الاسلامية: من 604)

الوهاب الرستمى سنة 195 ه (606) ( 811 م ) ، نمن المعروف أن طنجة كانت معتلا لواصلية المغرب (607) ، وأن أوربة دانت بمذهب الواصلية ، كما أقبلت بعض بطون زناتة على اعتناته كذلك (608) ، ومعلوم أن أوربة كانت عصب دولة الادارسة ، وأن ولاء زناتة الغرب تحسول الى بنسى أدريس وبديهى الا تقطع الصلة بين الواصلية الضاربين خارج تاهرت وبين معاقلهم في دولة الادارسة ، وليس غريبا اقدام الادارسة على استغلال هذه الصلة في أثارة العراقيل أمام خصومهم من بنى رستم ، مصداق ذلك قول أبى زكريا (609) « فتكاثفت كلمة الواصلية ، واجتمعوا من كل نقب ، وجاءوا من كل أوب . . وأظهروا مخالفة الامام » .

واغلب الظن أن ثورات هوارة على الأئمة الرستميين لم تخل كذلك من تحريض الادارسة ، فمواطنها الاصلية كانت داخل دولة الادارسة (610) حيث اتخذت من جبل ينجان معقلا وملاذا حين تعرضت لبطش عبد الوهاب ابن رستم . ومن المرجح أن تكون حركتها التي انتهت باستيلاء زعيمها محمد ابن مسالة على السلطة في تاهرت سنة 260 ه ( 874 م ) قد قامت بمساعدة آل ادريس وتحريض منهم .

ومن المحقق أن تلك المؤامرات التى أمعن الادارسة في نسج خيوطها لم تقابل بأدنى مبادرة من قبل بنى رستم للرد عليها ، وذلك أمما يشكك فى تصور جوتييه (611) للعلاقات الرستمية الادريسية على أنها موجات من « الانعال وردودها » ، ولا محل لتصديقه في تعليل أنشاء مدينة غاس بخوف أدريس الثاني من تآمر بنى رستم على دولته بالتواطؤ مع العناصر الحائقة على آل ادريس داخل بلادهم .

لم يكن بوسع الائمة الرستميين مجاراة الادارسة في تدبير المكائد ، واحداث الشقاق ، كما عزفوا نهائيا عن محاولة استرداد نفوذهم المفتود في الاقاليم الشمالية والساحلية ، على الرغم مما حل بدولة الادارسة مسن

<sup>(606)</sup> ابو زكريا : ورقة 19 ، سحمد على دبوز : ج 3 ص 485 ، حسن عبد العواد : دولة الادارسة : ص 246 ·

<sup>(607)</sup> قدامة بن جمنر : الخراج ص 295 ؛ النتوسى : ص 116

<sup>(608)</sup> أبدو زكدريا : ورقبة 19 . (609) السدة وأخدا الانجة ورقة 29 .

<sup>(609)</sup> السيرة وأخبار الانمة ورقة 29 .

<sup>. 14</sup> ابن خليون : ج 4 منحة (610) Les siecles obscurs. P. P. 290, 291. (611)

ضعف وتفتت اثر وفاة ادريس الثانى سنة 213 ه (828 م) (610) . فقد الت تلمسان وما حولها الى آل سليمان (613) واضحت ولاية حاجزة بين الدولتين . وقد تعرضت ولاية تلمسان للتجزئة والتمزق السياسى ايضا ، فقسمت الى ثلاثة اقسام بين أبناء محمد بن سليمان ، اذ استقل ابنه محمد بمدينة تلمسان وعيسى بأرشقول ، اما جراوة فكانت من نصيب ادريس ثم آلت الى ابنه عيسى المكنى بأبى العيش (614) . هذه الفرقة السياسية (615) المنافعة جميعا الامر الذي حدا بفورنل (616) الى الاعتقاد باستعادة زناتة لنفوذها القديم في هذه الجهات . ومع ذلك لم تسلم الدولة الرستهية من اخطارهم ومؤامراتهم

لقد ضعفت الدولة الرستهية بعد أغلح ابن عبد الوهاب ، وشعل ائمتها بأحداث تاهرت وما جاورها ، فاجترا أمراء آل سليمان على اقتطاع بعض البلاد والقلاع التابعة لبنى رستم (617) ، كمدينة الخضراء وسوق ابراهيم وغيرها (618) بعد البطش بسكانها من الاباضية (619) ، دون أن يحرك أئمة تاهرت ساكنا (620) ، وغضلا عن ذلك فقد أسهموا في اثارة

<sup>(613)</sup> ينتسب آل سليمان الى سليمان بن عبد الله ــ اخ ادريس الاكبر ــ الذى نجا من معركة غغ ولحق باخيه فى المغرب الاقصى بعد تأسيس دولة الادارسة سنة 172 ه ولما فتح ادريس تلمسان جعل سليمان واليا عليها . ويخيل الينا أنه غادر تلمسان بعد ثورة زناتة بزعامة محمد بن خزر واتجه الى نواحى تاهرت حيث لم يطبله المقام هناك طويلا . ويبدو ان خلافا وقع بينه وبين راشد ــ مولى الادارسة ــ بعد موت ادريسالاول جعله لا ينزل وليلى على اثر ثورة ابن خزر ويتجه الى نواحى تاهرت . لكنه ما لبث أن لحق بادريس الثانى حيث شب عن الطوق ، وصحبه في حملته على تلمسان لاستردادها وقد مات ابان اقامة ادريس الثانى في تلمسان ، وخلفه ابنه محمد في ولايتها من قبل ادريس الثانى ، انظر : البكرى : ص 77 ، ابن خلدون : ج 4 ص 17 ، سلفاتور كوسا : ص 14 ، مبارك الميلى : تاريخ الجزائر ج 2 ص 49 ،

<sup>(614)</sup> ابسن خلسدون : ج 4 ص 17 .

<sup>(617)</sup> المتدسى : صنحـة 218

<sup>(618)</sup> اليعتوبي : البلدان : ص 352 ، 353 .

<sup>(619)</sup> النفوسي : صفحة 70 ،

<sup>(620)</sup> يرى الاستاذ محمد على دبوز أن بنى رستم تنازلوا عن هذه البلاد طائعين مختارين لال سليمان العلويين . وهو رأى يجانب الصواب بالقياس الى ما كان بين الطرفين مسن خصومة سياسية وعداء مذهبى ، انظر : المغرب الكبير : ج 3 من 336 م

الفتن والثورات التى أضعفت الحكم الرستمى فى سنيه الأخيرة ، فبكر بن حماد ـ أخ محمد بن حماد زعيم الثوار على أبى حاتم يوسف ـ كان على صلة مريبة بأبى العيش عيسى بن ادريس العلوى حاكم جراوة (621) ، وبأحمد بن القاسم بن ادريس حاكم مدينة كرت (622) ، ولما أخفقت الثورة ، واستعاد أبو حاتم الأمامة هرب كثيرون من الثوار لأئذين بآل سليمان والادارسة (623) .

هكذا \_ اتسمت علاقات بنى رستم السياسية مع الادارسة بطابع العداء ، واسفر الصراع بين الدولتين عن تغلب الادارسية واستكانية بني رستهم .

#### ب \_ العسلاقسات السوديسة:

#### 1) بنو رستم وأباضية الشرق:

سبق القول بأن أباضية الشرق عهدوا الى أساليب الدعوة السريسة والتنظيم السياسى على أثر فشل حركة عبد الله بن أباض التميمى في عهدمروان أبن محمد الاموى ، فطفقوا يرسلون من مركزهم في البصرة دعاتهم الى الامصار المتطرفة كخراسان وجنوبى الجزيرة العربية والمغرب لنشر المذهب الاباضى واقامة دولة أباضية خالصة ، واسفرت هذه الجهود عن فشلل الدعوة في خراسان ، ونجاحها في الجزيرة العربية والمغرب .

ففى جنوبى الجزيرة العربية ، قامت دولة أباضية ضمت عمان واليمن وبعض أقاليم الحجاز برئاسة أبى عبد الله بن يحيى الكندى ، المعروف بطالب الحق ، والتى سقطت سنة 130 ه ( 748 م ) غير أن فلول الاباضية تمركزوا في حضر موت بزعامة الجلندى الذى قتل سنة 134 ه على يد الجيوش العباسية (624) . ولم يحل ذلك دون قيام دويلات للاباضية في عمان . كان

<sup>(621)</sup> ساق بكر بن حماد أبياتا من الشعر امتدح بها أبا العيش تدلل على هذه الصلة ، منها :

سائل زواغسة عن طعان سيوفسه ورساحه نسى العسارض المتهلل وديسار نفسزة كيف داس حسريهها والخيسل تهسرغ في الوشيسح الذيل انظسر : النفسوسي : صفحة 70 .

<sup>(622)</sup> النفوسي : صفحة 74 .

<sup>(623)</sup> ننس المصدر : صنحة 77

<sup>(624)</sup> ابن الاثير: ج 5 ص 145 ، 169 ، أحمد أمين : ضحى الاسلام : ج 3 ص 338 . ولا صحة للرواية القائلة بمعاصرة الجلندى لامامة عبد الرحمن بن رستم . انظر : أطنيش : الامكان . صفحة 107 .

آخرها امامة الصلت بن مالك التي دالت سنة 280 هـ (625) . (896 م) . وكانت هذه الحكومات الاباضية في عمان على نسق الدولة الرستمية في المغرب ومعاصرة لها . وكانت وثيقة الصلة بجماعـة الاباضيـة الام في البصرة . فضلا عن مشايخ المذهب بمكة والمدينة (626) ولم يكن هناك ثمة ما يحول دون التقاء اباضية عمان واباضية المغرب \_ واغلبهم من نفوسة (627) \_ في مواسم الحج (628) وان كنا نشك في وجود صلات وتيقة بينهما ، فالمصادر خلو من ذلك تماما في الوقت الذي تزخر فيه بالكثير عن صلات اباضية البصرة بعمان وتاهرت وحرصهم على دعهم الحكم الاباضي فيها (629).

لقد ظل التنظيم السياسي السرى لاباضية البصرة قائما يتداول رئاسته فقهاء المذهب جيلا بعد جيل رغم عنف الضربات التي كالها بنسو العباس للخوارج في المشرق . واستمرت صلاتهم بأباضية المغرب ابان مرحلة الثورة وبعدها ، لما جنحوا الى الاستقرار السياسي واقاموا دولة بنسی رسنسی ،

وفي كلتي المرحلتين دابوا على دعم أباضية المغرب ماديا وروحيا ، فأرسلوا اليهم الاموال ، وافتوهم في مشاكلهم السياسية والمذهبية ، وتدخلوا لتسوية خلافاتهم بابداء النصائح وارسال البعوث . كما حرص زعماء اباضية المفرب على الاستنارة بخبرة شيوخهم المشارقة في السياسسة والحكم والاستزادة من تبحرهم في العلم وتفقههم في المذهب ، فدابوا على انفاذ بعوثهم للدراسة على مشايخ البصرة ، وحكموهم فيما عن لهم من مشاكل وخلافات ، واستمدوا منهم الكتب والتآليف وخاصة ما تعلق منها بالمذهب الاباضي .

وقد سبقت الاشارة الى دور ابى عبيدة مسلم بن ابى كريمة في التنظيم والاعداد لامامة أبى الخطاب عبد الاعلى بن السمح ، ومتابعته احوالها ، وحرصه على تجنيب اباضية المغرب الخلاف والشقاق الذي

<sup>(625)</sup> المسمودي : مروج الذهب : ج 4 ص 245 ٠

Masqueray: Op. Cit. P. XIVI (626) الوسياني: سير أبي الربيع ورقة 3 ،

<sup>(627)</sup> الوسياني: ننس المصدر والصحيفة ،

<sup>(628)</sup> يذكر مارسيه أنه عن طريق هؤلاء الحجاج انتقلت بعض الانماط الفنية من بلاد المغرب ألى مصر ، وخاصة تلك التقاليد الفنية المتعلقة بكنائس المغرب ، فقد وجدت طريقها الى الاديرة المصرية بعد تلونها بلون تبطى خاص ، انظر : La Berberie Musulmane. P. 116.

<sup>(629)</sup> الشباخي : صنحة 114

سببته مسألة الحارث وعبد الجبار .

وبديهى ان تتوطد هذه الصلات بقيام دولة بنى رستم ، وحسبنا ان مؤسسها عبد الرحمن بن رستم تتلمذ فى حلقة ابى عبيدة بالبصرة ، ونجاحه فى تأسيس دولة اباضية بالمغرب اعتبر نصرا لاباضية المشرق أيضا ، فقد نظروا اليه باعتباره « امام الظهور » (630) لسائر اتباع المذهب فى كالمة ارجاء العالم الاسلامى .

ويبدو ان جماعة هائلة من اباضية الشرق هرعوا الى تاهرت بعد انشائها هروبا من بطش بنى العباس ورغبة فى العيش فى كنف الدولة الرستمية (631) نقد تطلع اباضية الشرق الى قيام دولة لهم تضم المشرق والمغرب معا (632) ، غانبروا يعضدون الدولة الرستمية ، وبادروا بانفاذ المساعدات المالية ليستعين بها عبد الرحمن بن رستم على مواجهة مشاكل دولته آملين ان تكون نواة للدولة الكبرى المنشودة . وليس أدل على تعاطف ابن رستم مع اباضية الشرق من رفضه لمزيد من هذه الاموال حين تدعمت دولته واشتد ساعدها (633) .

كذلك جزعت جماعة المذهب في الشرق لما ظهرت الاضطرابات والانشقاقات في الدولة الرستمية في عهد عبد الوهاب بسن عبد الرحمس وخاصة ما مس الجانب المذهبي منها ، كانشقاقات النكار والخلفية ومسانتهت اليه من المتراق الاباضية في المغرب . وجدير بالتنويه أن المتخاصمين كانوا يحتكمون في خلالهاتهم الى مشايخ المذهب في الشرق ، نقد هادن يزيد ابن مندين ــ زعيم النكار ــ الامام عبد الوهاب ريثما ترد فتوى المشارقة حول الامامة المشروطة ، وسياسة الامام في تنصيب عماله (634) .

كما احتكم الامام عبد الوهاب وخلف بن السمح أيضا الى فقهاء المشارقة في مسألتي تعدد الائمة وحق الرعية في اختيار عمالها (635) ولم يتوان اعلام المذهب وفقهائه عن البت في تلك المسائل أو القضايا . وعلى الرغم مما تصوره المصادر الاباضية من أن فتاوى المشارقة كانت في صالح الامامة ، فلا نعدم وجود ما يشير الى استيائهم من سياسة عبد

<sup>· 25</sup> أبو زكريا : السيرة : ورقة 18 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 25 ·

<sup>(631)</sup> انظر ابن ثاويت دولة الرستميين : ص 109 .

<sup>632)</sup> ابن الصغير : صنحة 10

<sup>(633)</sup> ننس المصدر : ص 14 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 21 -

<sup>(634)</sup> ابو زكريا: ورتعة 15 ، الشماخي : السير : ص 146 ·

<sup>(635)</sup> الشهاخسي : السير : صنصة 181

الوهاب وانتهاكه تعاليم المذهب وخروجه على أحكامه (636). وعلى أية حال ، فإن حرصهم على تحاشى الشقاق ورأب الخلاف أفضى بهم الى تهدئة الخواطر باسداء النصح لاطراف النزاع جميعا (637) .

كان حرص رؤساء التنظيم الام في البصرة على استمرار الامامة في تاهرت ودعمها شعلهم الشاغل ، فقد أفتوا بجواز تقاعد الامام عن الحج حرصا على سلامته (638) ، كما كلفوا أنفسهم مشقة نسخ آلاف التآليف والتصانيف لتزويد المكتبة « المعصومة » بتاهرت بها (639) . ولا غرو فقد وجدت هذه الكتب اقبالا لدى أباضية المغرب ، فأقبلوا على دراستها وتصدوا للانحرافات المذهبية وخروج الائمة في سياساتهم عن تعساليم المذهب (640) علي هدى ما ورد فيها .

كما حرص المشارقة على انفاذ بعوثهم لتفقد احوال الدولة الرستمية (641) والتدريس في مساجدها (642) والافتاء في مشاكلها وقضاياها (643) ، وغضلا عن ذلك فقد نقلوا معهم الى المغسرب تقاليد الحضارة والفن الشرقي (644).

ومن المعروف أن المتاجر والسلع الشرقية كانت ترد الى تاهرت عن طريق الاباضية المشارقة ، فيخبرنا الشماخي (645) أن الربيسع بن حبیب - خلیفة أبی عبیدة مسلم بن أبی كريمة - كان يبعث أخاه بصحبة ما يحتاجه الامام عبد الوهاب من صنوف البضائع والسلع الشرقية .

والمصادر خلو من أية اشارة الى استمرار هذه العلاقات بعد امامة عبد الوهاب باستثناء اشارة عابرة أوردها بعض مؤرخي الاباضية (646) عن اهتمام أغلح بن عبد الوهاب بتواليف أعلام المذهب من المشارقة \_

<sup>(636)</sup> الشماخي : السير ص 147

<sup>(637)</sup> انظر : ملحق رتهم (4) .

<sup>(638)</sup> أبو زكريا: ورتمة 23.

<sup>(639)</sup> البرادى : رسالة في بعض كتب الإباضية . ورتة 207 ، الشهاخي : السير . ص 162 ، الدرجينيي : ج 1 ورقية 26 .

<sup>(640)</sup> الوسياني: سير أبي الربيع ورتسة 79.

 <sup>(641)</sup> الشهاخي : السير ، منحة 165 .
 (642) نفس المصدر : منحة 279 .

<sup>. 2</sup> درقة (643) نفس المصدر : من 228 ، الوسياني : ورقة (643) Marcais, G : La Berberie musulmane. P. 116.

<sup>(645)</sup> السيسر ، صنصة 161 ،

<sup>(646)</sup> انظر : الوسياني : ورقعة 70 ، البرادي : رسالة في بعض كتب الاباضية ورقة 206 .

وخاصة سا كتبه أبو سفيان محبوب بن الرحيل ــ وحضه رعيته على اتباع سننهم . ولو صبح ذلك ، لكان الملح آخر ائمة بنى رستم الذين اعترف جمهور الاباضية بامامتهم كما يذهب الورجلاني (647) . ونعتقد أن استياء أعلام المذهب في الشرق من خروج عبد الوهاب على تعاليم المذهب تطور الى رفض وانكار لامامة خلفائه ، فقد تحولت الامامة الى ملك وراثى ، وضاعت هيبتها ، وامتهنت رسومها ، فكان ذلك قمينا بعزوف اباضية الشرق عن مناصرة الدولة الرستمية والاتصال بحكامها .

#### 2 ــ بنــو رستم وأمويــو الاندلس:

اتخذت علاقات بنى رستم بأموى الاندلس طابعا وديا برغم اختلافهما مذهبيا ، مقد أوجبت الضرورة السياسية عقد أواصر الصداقة بين تاهرت وقرطبة ، اذ اشترك الطرفان في عداء بنسى العباس والإغالبة والادارسية (648) ، وكان الاغالبة على وجه الخصوص خطرا عليهما معا ، غلم يكن ثمة بد من اتصال بني رستم باحدى القوى الكبرى المعاصرة ، كما كان أمويو الاندلس ينشدون عقد صلات مع القوى المناوئة لبنى الاغلب في المغرب ومن ثم التقى الطرفان حول مصالحهما السياسية المشتركة رغم خلافاتهما المذهبية والتاريخية .

وقد بالغ مورنل (649) وماسكراي في تقدير مدى ما وصلت اليه هذه العلاقات ، فقالا بوجود « تحالف سياسي رسمي » بين تاهرت وقرطبة ضد عدوهما المشترك ، وبرر فورنل ومارسيه (650) ذلك بما « كان من تحالف تقلیدی ، بین اموی الاندلس وبین بربر زناتة الذین کانوا عصب الدولة الرستمية » والثابت أن دولة بنى رستم قامت على أكتاف قبائل نغوسة وهوارة ولواتة ولماية وغيرها (651) ، بينما تحولت قبائل زناتة من مغراوة وبنى يفرن ـ الضاربة في شمالي الدولة الرستمية ـ عـن ولائها لبنى رستم ودانت بالطاعة للادارسة (652) . ومن ناحية اخرى لم تتعد علاقات بنى رستم ببنى امية بالاندلس علاقات الود وتبادل السفارات

<sup>647)</sup> الدليل لاهل العقول ج 2 ص 76 · 76 Provencal : Op. Cit. P. 245 32 32 عمال الاعلام ج 1 من 32 648) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ج 1 من 32 649) انظلير : 649) انظلير : 649)

Loc. Cit, La berberie musulmane et l'Orient P. 104. (650) انظـر:

<sup>(651)</sup> النبوسي : صنحة 4 .

<sup>(652)</sup> ابن ابى زرع : ص 69 ، سلفاتوركوسا : تواريخ بدينة ناس : ص 4 .

والهدایا ، ولم تصل قط الى درجة التحالف أو القیام بعمل سیاسى أو عسكرى مشترك ضد اعدائهما ، رغم تعرض الدولة الرستمیة لاغارات الاغالبة والادارسة ، وتهدید الاغالبة للنفوذ الاندلسى فى حوض البحر المتوسط الغربسى .

وقد أرجع بعض (653) المؤرخين بداية هذه العلاقات الى وقت مبكر وذكروا ان عبد الرحمن بن معاوية الاموى « لاذ ببلاط بنى رستم حينا من الدهر قبل اجتيازه الى الاندلس » ، وأكد مرسييه (654) - اعتماداً على المقرى ــ انه قضى زمنا في تاهرت ونواحيها قبل رحيله الى الاندلس. وقول مرسييه هذا صحيح اذا كان يعنى تاهرت القديمة ، وليست تاهرت التي أقامها ابن رستم سنة 161 هـ ( 778 م ) فمن الثابت أنه نزل عند قبيلة نفزة الضاربة بتلك النواحى وقضى هناك زمنا عند أخواله (655) ، ثم جاز الى الاندلس سنة 138 ه ( 755 م ) (656) . وقد حاول الميلى (657) تبرير قول دوزى ومؤنس ، فذكر ان عبد الرحمن بن رستم أجاز عبد الرحمن الاموى الى قبائل المغرب الاوسط اعتمادا على نفوذه هناك قبل تأسيسه تاهرت . لكن رواية دوزى ومؤنسس وتفسير الميلسى غير صحيحة ، فعبد الرحمسن بسن رستم مضسلا عسن عسدم تأسيسه دولته في الوقت الذي وطأ فيه عبد الرحمن الاموى ارض المغرب سنة 133 ه ( 751 م ) ، لم يكن له نفوذ فيبلاد المغرب الاوسط آنذاك ، فصلاته بقبيلة لماية بالمغرب الاوسط لم تقم الا بعد ولايته القيروان كنائب لابي الخطاب المعافري سنة 141 ه (658) ( 758 م ) ويخيل الينا أن الأمر التبس على دوزى ومن نقل عنه ، مخلطوا بين شخصيتي عبد الرحمن بن رستم وعبد الرحمن بن حبيب أمير المريقية في ذلك الحين (659) .

والمعقول أن تكون تلك الصلات قد بدأت بعد رحيل عبد الرحمن بن

<sup>(653)</sup> انظــر Dozy : Spanish Islam. P. 166. مؤنس : نجر الاندلس : من 664

Histoire de l'etablissement des Arabes ... P. 76. : انظـر: (654)

<sup>(655)</sup> كانت أم عبد الرحمن من سبايا نفزة ، انظر : ابن عذارى : ج 2 ص 62 · ابن الابار : المحلة السيراء : ج 1 ص 35 · وقد ذكر ابن الخطيب أنه نزل على مغيلة وليس على نفزة ، انظر : أعمال الاعلام : ج 2 ص 8 ·

<sup>656)</sup> ابـن الابـار : منحـة 35

<sup>(657)</sup> انظر : تاريخ الجزائر ، ج 2 ص 16

<sup>(658)</sup> ابن خلاون : ج 6 ص 121 · مارسيه : مادة بنسى رستسم ــ دانسرة المسارن الاسسلاميسة ، صفحة 92 ·

<sup>(659)</sup> ابان عاذاری : ج 2 صفحة 60

رستم الى المغرب الاوسط واختطاطه مدينة تاهرت ، فيبدو أن ابن رستم استعان بخبرة الاندلسيين في انشاء المدينة وتعميرها ، ولا غرو نقد سمى أحد أبواب المدينة « باب الاندلس » (660) ، وأن كان بروفنسال (661) قد تشكك في وجود مثل تلك الصلات المبكرة . لكن وجود مفاربة أباضية في بلاد الاندلس اذ ذاك يرجح ما ذهبنا اليه ، نقد غص اقليه الجزيرة بالكثيرين منهم ، ومنهم من تقلد بعض الوظائف العامة في امارتسى عبد الرحمن الاول وابنه هشام (662) . ويبدو أن نفوذ هؤلاء الاباضية - ومنهم بعض افراد البيت الرستمي ــ (663) قد ازداد بدرجة استثارت الاندلسيين في عهد الحكم الاول ، فانبرى الشعراء يهيبون به البطش بهم (664) ، مخرج اليهم بنفسه ونزل الجزيرة « وحمل السيف على اكثر أهلها » (665).

وهذا يفسر قول ابن حيان (666) بترحيب عبد الوهاب بن عبد الرحمن ابن رستم بالثائرين على الحكم الامسوى ، وتشجيعه عبد اللسه البلانسي - عم الحكم - للوثوب على الامارة في قرطبة وانتزاع الحكم من ابن أخيه .

وزالت تلك الجفوة بين تاهرت وقرطبة بعد وفاة الحكم سنة 206 هـ ( 821 م ) ، وعادت الصلات الودية الى سابق عهدها في عهد عبد الرحمن ابن الحكم ( 306 ــ 238 هـ ) (667) ( 821 ــ 853 م ) ، فقد نقال بروفنسال (668) عن ابن حيان أن عبد الوهاب الرستمي ، أوقد سفارة من ابنائه الثلاثة \_ عبد الغنى ودحيون وبهرام \_ لتجديد أواصر الود مع عبد الرحمن ، وأن الاخير رحب بهم وابتهج لمقدمهم ، وذكر ابسن سعيد (669) أنه أنفق عليهم « ألف ألف دينار » فضلا عن الهدايا والالطاف التي أنعم بها عليهم قبل رحيلهم الى بلادهم .

واستمرت صلات المودة بعد موت عبد الوهاب بن رستم 6 فعول

<sup>(661)</sup> انظـر:

<sup>(662)</sup> ابسن التوطية : صفحة 71 ·

<sup>(663)</sup> من هؤلاء محمد بن سعيد بن رستم الذي تقلد ولاية شذونه ، ومحمد بن عبد الرحمن ابن رستم '، وقد خدم في جند الحكم بن هشام -

<sup>(664)</sup> حتى الشاعر عباس بن ناصح الحكم على ذلك بتوله:
حمل بالانيل الدى ربوا لنتنتهم من تبل أن يرحلوه نصونا جذعا
(665) ابسن التوطيعة: صفحة 71 ، 72 .

Provencal: Op. Cit. P.P. 152, 244. (666) انظـر:

 <sup>493</sup> ابن عبد ربه : العقد الغريد : ج 4 مس 493 .

Histoire de l'Espagne musulmane. Vol. 1 P. 245. (668) انظـر:

<sup>(669)</sup> المغرب في حلى المغرب: ج 1 ص 48 -

عبد الرحمن بن الحكم على « وصل البعوث الى دار المغرب » (670) · فوجدت في بلاط افلح بن عبد الوهاب ايما ترحاب . وقرب الامير الاندلسي اليه كثيرين من آل البيت الرستمي ، واتخذ منهم الوزراء والحجاب والقواد ، ونعرف أن شخصا يدعى عبد الرحمن بن رستم ولى الحجابة لعبد الرحمن الثاني (671) ، وقيل الوزارة (672) في رواية أخرى .

ويخبرنا ابن الدلائي (673) أن الأمير الاندلسي موض قائده محمد ابن سعيد بن رستم سنة 229 هـ ( 844 م ) في قتال المجوس ، وقد تمكن بالفعل من النجاح في مهمته (674) .

وتوطدت عرى الصداقة بين الملح بن عبد الوهاب ومحمد بن عبد الرحمن الاندلسي ( 238 ـ 273 هـ ) (675) ( 853 ـ 887 م ) ، فقد استقرت المور الاندلس في عهده وازدهرت احوالها (676) ، وتطلع نحو بلاد المغرب لتدعيم صلته مع تاهرت وسجلماسة (677) . وقد زعم بروننسال (678) أن الامير محمد بعث بهداياه الى تاهرت لما تقلد أنسح ابن عبد الوهاب الامامة . كما بعث اليه باخبار انتصاره على المجوس عند نهر الوادى الكبير سنة 230 ه ( 855 م ) لكن الملح تولى الامامة في تاهرت سنة 207 ه ( 822 م ) ولم يتقلد الامير محمد حكم الاندلس قبل سنة 238 ه ( 853 م ) . وهذا أيضا مما يخطىء قوله عن هزيمة المجوس على يديه ، فالراجح أن ذلك لم يحدث الاسنة 246 هـ (679) ( 861 م ) . ولو صح أن الامير الاندلسي أرسل الى صديقه الرستمي بأنباء انتصاراته سنة 246 ه ، فان أفلح كان سباقا في هذا الصدد ، اذ بادر بارسال خبسر احراقه مدينة العباسية التي بناها الاغالبة سنة 239 ه ( 854 م ) السي

<sup>(670)</sup> ابسن سعيد : نفس المصدر : صفحة 46 .

<sup>(671)</sup> نفس المسدر : صنحة 50 ، Marcais, G : La Berberie musulmane. P. 104

<sup>(672)</sup> مارسييه : مادة بني رستم ... دائرة المعارف الاسلامية : ص 93 ، Faroughy: Op. Cit. P. 15.

<sup>(673)</sup> نصوص بن الاندلس من 99 ، 100 .

Provencal: Op. Cit. P. 246. (674) نفس المصدر والصحيفة ،

<sup>(675)</sup> ابن عبد ربه: العقد الغريد ، ج 4 ص 493 ،

<sup>(676)</sup> نفس المصدر : ص 495 ، المترى : نفح الطيب ج 1 ص 329 . (677) ابن عذارى : ج 2 ص 161 ، محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ج 3 صنصة 23 . ج 3 صنصة 23 . (678) انظر : (678) انظر : (678) انظر : (678) المتلاء : (678)

Histoire de l'Espagne musulmane. Vol. I P.P. 245, 281.

Condé : Op. Cit. P. 299. : انظـر (679)

الامير محمد « تقربا اليه » فبعث اليه الاموى مائة الف درهم (680) دليلا على اغتباطه وامتنانه ، وتأكيدا لاواصر الصداقة في مواجهة الخطر المستسرك (681) .

وظلت هذه العلاقات الودية قائمة بعد موت الملح على الرغم مما تعرضت له الدولتين من خطر الفوضى والتمزق السياسي ، ومع ذلك فلا محل لتصديق قول ابن عذارى (682) - ومن نقل عنه (683) - عن دخول الامام الرستمي أبي اليقظان محمد في طاعة الامير محمد الاندلسي . والمعقول أن يكون الامام الرستمي قد ناشد صديقه أمير قرطبة العون ضد خصومه ليس الا وعلى اية حال ، لم يظفر ابو اليقظان بطائل ، اذ غرقت الامارة الاندلسية في ذلك الحين وحتى بداية حكم عبد الرحمن الناصر في مشاكلها الداخلية (684) . على أن تقاعس الأمير محمد عن مساعدة صديقه لم يكدر صفو علاقاتهما ، فظلت صلات الود مرعية بين الطرفين ، وليس أدل على ذلك من اسراع عمر بن حفصون \_ الثائر على امراء قرطبة \_ بمفادرة تاهرت خشية أن يقبض عليه أمامها ويسلمه لصديقه أمير قرطبة ، وكان ابن حفصون قد نزل تاهرت لائذا بصديق له من بلدة رية ومقيم ىتاھــرت (685) ،

بل نعتقد انه برغم تدهور احوال الامامة الرستمية بعد أبى اليقظان محمد ، وانشىغال الامارة الاموية بالاندلس بمواجهة الثورات التي تفاقمت خلال عهدى. المنذر بن محمد وعبد الله بن محمد ، فقد أوجبت الضرورة السياسية مزيدا من توثيق الصلات بين تاهرت وقرطبة . اذ استبدل الخطر الاغلبي بخطر جديد لاحت نذره مهددا كافة القوى السياسية فسي المغرب والاندلس على السواء ، وهو الخطر الفاطمى . وهذا ما حدا بأمراء قرطبة الى بث عيونهم في بلاد المغرب والاستعانة بأصدقائهم حكام تاهرت في تقصى أخبار الشبيعة ومتابعة نشاطهم والاعداد لمواجهتهم (686) .

<sup>· 277</sup> منتوح البلدان من 277 ·

<sup>(681)</sup> لا نوانق نورنل توله بأن هذا الحادث يكشف عن الخيوط الاولى للعلاقات بين تاهرت Les Berbers. Vol. I. P. 514. وتسرطبة ، انظسر :

<sup>(682)</sup> البيان المغرب ، ج 2 صنحة 161 · (683) انظر : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج 2 ص 22 ، Dozy : Op. Cit. P. 317 Provencal : Op. Cit. P. 281.

<sup>(684)</sup> انظر المترى : ج 1 ص 345 وما بعدها . (685) ابن التوطيـة : صفحـة 110 ·

وبديهى ان يفكر الرستميون الاواخر في الاستعانة بقرطبة للقيام بعمل مشترك ضد الخطر الشيعى (687). لكن شيئا من ذلك لم يحدث ، فقد سقطت الدولة الرستمية بتاهرت سنة 297 ه ( 909 م ) ، وبعدها سقط بنو مدرار والادارسة ، وفتح المغرب برمته على يد الشيعة الفاطميين ، ولم يقم حكام قرطبة بجهود لمجابهتهم الا في عهدى عبد الرحمن الناصر (678) والحكم المستنصر ، ولا يخفى ما كان من اتصال الحكم المستنصر بالاباضية النكار الذين تصدوا لمقاومة الفاطميين بعد سقوط الدولة الرستمية (689)،

وهكذا ـ تأثرت علاقات بنى رستم ـ الى حـد كبير ـ بظـروف دولتهم الجغرافية ومذهبهم الدينى ومصالحهم السياسية والاقتصادية .

<sup>(686)</sup> ابسن عسذارى : ج 1 صغصة 150 ، محمود مكى : التثميع في الاندلس : ص 111. (687) Brunschvig : Op. Cit. P. 17.

<sup>(688)</sup> ابسن خلسدون : ج 4 صنعة 41 .

<sup>(689)</sup> ابن حيان: المتتبس في ذكر بلد الاندلس من 192 .

## الباب الرابع

الخوارج والفاطميون في بلاد المغرب

# الصفرية والفاطميون أ - الفاطميون وسقوط دولة بني مدرار

ارتبطت نهاية دولتى الخوارج في المغرب بظهور الدعوة الفاطمية ، فقيام الدولة الفاطمية سنة 297 ه ( 909 م ) تم على انقاض الدول المستقلة في المغرب ، ومن بينها دولتى بنى مدرار وبنى رستم الخارجيتين .

ومن المعروف ان بلاد المغرب كانت ميدانا للدعوة الفاطهية منذ وقت مبكر ، فقد عهد محمد الحبيب المقيم بسلمية ـ من ارض حمص ـ الى اثنين من دعاته ببث دعوته في بلاد كتامة ، ونجحا في التمهيد لما قام به أبو عبد الله الشيعى داعية عبيد الله المهدى فيما بعد (1) . واستطاع أبو عبد الله الشيعى الذي نزل بلاد المغرب سنة 280 هـ ( 893 م ) ان ينشر دعوته بين قبائل كتامة ، كما نجح في اعداد جيش (2) منهم تمكن بفضله من مناجزة دولة بنى الاغلب في افريقية سنة 289 هـ ( 902 م ) ، ولم يمض طويل وقت حتى دانت لنفوذه معظم اقاليمها الغربية .

وبعث أبو عبد الله فى استدعاء مولاه عبيد الله المهدى سنة 292 هـ ( 305 م ) مخرج اليه « يتصدى للسلطان ويخاطر فى طلب الملك » (3) برنقة خاصته وثقاة رجاله (4) . وأنلت من عمال بنى العباس وعيونهم فى

<sup>127</sup> أبن الاثير: ج 6 مس 127 .

<sup>(2)</sup> ابن عذاري : ج 1 م 172 ·

<sup>(3)</sup> ابن الابار : الحلة السيراء ج 1 ص 191 .

<sup>(4)</sup> احسطحب المهدى فى رحلته ابنه ابا القاسم وغيروز داعى دعاته ، وطيب ، وأبا العباس محمد بن زكريا وأبا يعقوب القهرمانى ، ومحمد بن عزيزة ، وجعفر الحاجب · انظر ، اليمانى : سيرة جعفر الحاجب من 110 ·

مصر والمغرب لما بذله من اموال وهبات (5) ، فضلا عن تشيع بعض هؤلاء العمال لآل البيت (6) . ووصل المهدى الى طرابلس ، وانفذ أبا العباس محمد بن زكريا — أخ ابى عبد الله الشيعى — بصحبة بعض رجال كتامة الى اخيه ليعرفه بوصوله ، واثر الانتصار بطرابلس ، لكن ابا العباس وقع في اسر بنى الاغلب (7) ، فاضطر المهدى لمغادرة طرابلس الى قسطيلية — ببلاد الجريد — واحجم عن التوجه الى الشيعى بكتامة خوفا على حياة اخيه (8) . ولما علم بأن زيادة الله الاغلبى ارسل كتابا الى عامل قسطيلية في طلبه ، غادرها على التو ، ويمم وجهه شطر مجلماسة في اقاصى الصحراء ليأمن شر الاغالبة وعمالهم (9)

وكان على المهدى ان يجتاز اراضى الدولة الرستمية كيما يصل الى سجلماسة ، نمر بوارجلان ــ شمالى سدراته ــ وهناك اكتشف امره ، ولقى عنتا من اهلها (10) ، نغادرها الى سجلماسة (11) .

ونزل المهدى بسجلماسة على اميرها اليسع بن مدرار ، ونعسم هناك بحياة آمنة لما قدمه اليه من اموال وهدايا ، « فقربه اليسع وكف عنه » (12) ، كما حظى باحترام اهل المدينة واجلالهم (13) ، وعاش طليقا منعما فسكن القصور واقتنى الخدم والاتباع (14) ، ويخيل الينا أن التشيع وجد طريقه الى سجلماسة قبل مقدم المهدى ، ومن المؤكد أنه لم يعدم انصارا واتباعا بين سكانها ، فذلك ما توحى به بعض الروايات الشيعية (15) ، وغير الشيعية (16) ولا غرو فقد كانوا يلجأون اليه للافتاء

lvanov : Ismaili tradition. ببلاحق كتاب 43 ، 42 م انظر : انتتاح الدعوة ص 42 ، 43

<sup>(6)</sup> انظر: شرح الاخبار ج 5 ص 31 بننس المصدر السابق ·

<sup>· 116</sup> اليماني : سيرة جعفر ص 116

<sup>(8)</sup> المتتاح الدعوة ص 43 ·

<sup>(9)</sup> النيسابورى: استتار الامام ورقة 14 ، اليمانى: ص 116 ، انتتاح الدعوة ص 43 ، النيسابورى: الدعوة ص 43 ، المينى: عقد الجمان ابن الابار: ج 1 ص 191 ، المتريزى: اتماظ الحنفا ص 84 ، المينى: عقد الجمان ج 15 ورقة 153 ، Biquet; Op. Cit. P. 69.

<sup>· 35</sup> ابو زكريا : ورثة 35

<sup>(11)</sup> اليماني : س 119

<sup>363</sup> شرح الاخبار من 31 ، ابن الاثبير : ج8 من 13 ، ابن خليون ج8 من 35 المتريزى : اتعاظ من 84 ، الخطط ج8 من 350 .

<sup>(13)</sup> المتتاح الدعوة من 43 ، النويرى : جـ 26 ورتة 32 ، حسن ابراهيم : عبيد الله المهدى De Goeje : Memoires sur les carmathes de Bahrin. P. 66. ، 14

<sup>(14)</sup> اليماني : ص 122 ، الدرجيني : ج 1 ورتة 42

غيما عن لهم من مسائل فقهية ودينية (17) ، الا ان ابا زكريا (18) ، بالغ في اظهار مكانة المهدى في سجلماسة الى حد الزعم بتوليه الوزارة لليسع بن مدرار ، ومبايعة أهل سجلماسة له بالامارة بعد موت اليسع ، وامتداد نفوذه حتى مدينة فاس عاصمة الادارسة والظاهر أن هذه الرواية تخلط بين مكانة المهدى ابان سنى اقامته الاولى في المدينة وبين نفوذه غداة توليه الخلافة سنة 297 ه ( 909 م ) ومع ذلك فلا تخلو هذه الرواية من دلالة على ما تمتع به المهدى في سجلماسة من هيبة ونفوذ خلال السنوات الثلاث الاولى من اقامته بها .

ولكن جد من الاحداث ما جعل اليسع بن مدرار ينكب المهدى ورجاله ويودعهم السجون والمصادر تختلف في اسباب ذلك، الميذهب البعض (19) الى ان اليسع قبض على المهدى على اثر رسالة من الامير الاغلبى زيادة الله الثالث اوقيل من الخليفة العباسى المعتضد (20) او المكتفى (21) بينما رجح آخرون (22) ان الرسالة وصلته من الخليفة العباسى والامير الاغلبى معا ومهما كان الامر فهذه الرسائل لا تنهض دليلا على ولاء اليسع بن مدرار لامير المريقية او لخليفة بغداد كما ذهب (23) البعض اليسب هذا الولاء قبض على المهدى واودعه السجن المهمة احتمال وانه بسبب هذا الولاء قبض على المهدى واودعه السجن الهم اوعزوا الى بان يكون ليهود سجلماسة دور في هذا الصدد الماطة وانهم اوعزوا الى

<sup>(15)</sup> ذكر اليماتي تصة مؤداها ان التائم بن المهدى وضع رجله في عين ماء آسنة غجرى الماء قيها مدرارا ، غلما رآه البستاني صاح « اني بالله وبالمهدى » فاستفسر منه المهدى عن قوله ، فاخبره بانه عرف الامر عن اجداده ، فامره المهدى بالكتمان . انظر : سيرة جعفر ص 120 .

<sup>(16)</sup> أورد الدرجينى قصة أخرى مضمونها أن أحد جيران المهدى بسبطماسة قص عليه حلما وطلب منه تفسيره ، غلما فسره قبل الرجل يده قائلا « يا أمير المؤمنين أنت مولاى » : انظر : طبقات الاباضية ج 1 ورقة 42 ·

<sup>(17)</sup> ابو زكريا : ورتة 36 ·

<sup>(18)</sup> نفس المصدر والصحيفة ٠

<sup>(20)</sup> ابن خلدون : ج 6 ص 131 ، المقدمة ج 1 ص 240 ، القلقشندى : ج 5 ص 266 .

<sup>(21)</sup> ابن خلدون : ج 3 من 363 ، الباجي المسعودي : الخلاصة النتية من 37 ·

<sup>(22)</sup> شرح الاخبار جـ 5 ص 31.

<sup>(23)</sup> انظر : ابن خُلُدون : ج 6 ص 131 ، المتدمة ج 1 ص 240 ، التلتشندى : ج 5 ص 266 ،

اليسع بالقبض عليه (24) ، بعد ان اخبروه ان ابا عبد الله الشيعى قام بدعوته من اجله ، فقد عاشت اقلية يهودية فى دولة بنى مدرار وهيمنت على مناجم الفضة فى درعة وتجارة الذهب مع الجنوب (25) . ومن الطبيعى ان يجدوا فى الخطر الشيعى تهديدا لمصالحهم ، ولهذا تعرضوا للعسف والاضطهاد على اثر سقوط سجلماسة فى يد الشيعة (26) ، وسواء اكانت الخلافة وعمالها أو يهود سجلماسة هم الذين نبهوا اليسع الى ضرورة القبض على المهدى ، فالذى لاشك فيه أن الامير المدرارى استجاب للامر حرصا على سلامة دولته ليس الا ، بعد أن أدرك أن أبا عبد الله الشيعى يدعو اليه . فكان قبض اليسع على المهدى أذن من قبيل التوافق غير المقصود بين أهداف العباسيين والاغالبة وبين مصالح بنى مدرار التى تهددها خطر الشيعة الاسماعيلية .

لقد كان اليسع يدرك أن المهدى علوى (27) ، لكنه لم يقف على حقيقة علاقته بالدعوة الشيعية في المغرب (28) ، فلما نبه اليها : استدعى المهدى وابنه « واستراب بهما » (29) ، وسأل المهدى عن « نسبه وحاله ، وهل اليه قصد أبوعبد الله ؟ » ، فاعترف المهدى بالنسب أذ لم يسعه أنكاره « لكنه أنكر صلته بأبي عبد الله الشعيى ، وكذلك فعل أبنه » (30) . ثم امتحن رجاله بالعذاب ، فلم يعترفوا (31) ، وهم باطلاق سراحهم أم امتحن رجاله بالعذاب ، فلم يعترفوا (31) ، وهم باطلاق سراحهم ألولا أعتراف أحدهم ويدعى أبو يعتوب القهرماني (32) ، عندئذ تحفظ على المهدى في منزل أخته وسجن أبا القاسم في أحدى حصون سجلماسة (33) ، ولم يكن منه في حقهما ما يكره » (34) ، فكانا مبجلين معظمين في منزليهما (35) ، وليس أدل على ذلك من السماح للمهدى بالاتصال من

Momour: Op. Cit. P. 107.

<sup>· 202</sup> مجهول الاستبصار ص 202

<sup>(25)</sup> نفس المصدر والصحيفة •

<sup>(26)</sup> ننس المصدر والصحينة ٠

<sup>(27)</sup> المتتاح الدعوة ص 44 ،

<sup>(28)</sup> ابن خلكان : ونيات الاعيان ج 1 ص 272 ·

<sup>(29)</sup> ابن خلدون : ج 6 مس 131 ·

<sup>(30)</sup> المتتاح الدعوة ص 44 شرح الاخبار ص 32 .

<sup>(31)</sup> النويرى: ج 26 ورقة 32 ٠

<sup>(32)</sup> اليماني : ص 122 ·

<sup>(33)</sup> افتتاح الدعوة من 44 ، الاستبصار من 204 . وذكر ابن عذارى أن المهدى وابنه سنجنا فى غرفة واحدة بمنزل مريم بنت مدرار · انظر البيان المغرب ج 1 من 210 ·

<sup>(34)</sup> النويرى : ج 26 ورقة 32

<sup>(35)</sup> اليماني : ص 122

سجئه ببعض اصحابه وانصاره ، فكان هؤلاء همزة الوصل بينه وبين داعيته ابى عبد الله الشيعى في كتامة .

وجدير بالتنويه أن الشيعى نجح في تتبع أخبار المهدى منذ وصوله الى بلاد المغرب ، « نمكانت كتبه تترى بطلبه حيثما نزل » (36) ، وكانت رسله على اتصال به بعد نزوله سجلماسة ، تحمل اليه الاموال والهدايا وتخبره بأنباء انتصاراته في حروبه مع الاغالبة (37) . ولم ينقطع هذا الاتصال بعد سجنه ، نقد كتب الشيعى الى المهدى بعد هزيمته لجيش الاغالبة بقيادة ابراهيم بن حبشى ، وسير الكتاب مع أحد ثقاته ، فدخل السجن متخفيا في زى قصاب يبيع اللحم ، وأوصل الكتاب للمهدى (38) . وذكر جعنسر الحاجب (39) أن المهدى اصطفى أحد التجار القيروانيين في سجلماسة ، ويدعى المطلبى ، وكان متشيعا ، وعهد اليه بمهمة مرافقة الشيعى عند قدومه لتحريره من سجنه بسجلماسة . ويخبرنا صاحب كتاب الاستبصار (40) أن المهدى لما أودع السجن بعث لداعيته بكتامة يستنفره كنائة على أن الشيعى ما كان بمكنته أن يخف لنجدة المهدى قبل أنهاء صراعه مع الاغالبة ، غلما قضى على حكمهم في أفريقية سنة 296 هراء 908 م) شرع على التو في قتال بني رستم وبني مدرار (41) .

استخلف الشيعى على القيروان اخاه ابا العباس وجعل معه ابا زاكى تمام بن معارك (42) وخرج من رقادة فى منتصف رمضان من نفس العام فى جيوش عظيمة يرافقه كبار اصحابه (43) . فاهتزت قبائل المغرب الاوسط لخروجه ، وخافته زناته ، وبادرت القبائل بالدخول فى طاعته (44) . ثم عرج على تاهرت واستولى عليها (45) وهو فى طريقه الى سجلماسة .

<sup>(36)</sup> اليسابورى : استتار الامام ورقة 14 مخطوط .

<sup>(37)</sup> ذكر ابن عذارى ان احد الهاشيهين بسجلماسة اهدى اليه المهدى هدايا كثيرة مما بعثها الشيعى اليه ، وأمره « بالتستر وعدم الظهور في المعيشة واللبس » خشية الميون والرتباء ، انظر : البيان المغرب ج 1 ص 187 ، 188 ، Vonderheyden : Op. Cit. P. 296.

<sup>(38)</sup> ابن الاثير : ج 8 ص 13 ، ابن خلدون : ج 4 ص 35 ، النويرى : ج 26 ورقة 32 .

<sup>(39)</sup> سيرة جعفر من 125 ·

<sup>(40)</sup> مجهول : ص 204 ·

<sup>(41)</sup> النويرى : ج 22 ورقة 44.

 <sup>(42)</sup> اليمانى : من 123 ، ابن الاثير : ج 8 من 16 ، أبو الغدا : ج 2 من 65 .

<sup>(43)</sup> اليباني : نفس المصدر والصحيفة ، ابن عذاري : جد 1 مس 209 ·

<sup>· 364</sup> ابن الأثير : ج 8 ص 16 ، ابن خلدون : ج 3 ص 364 ·

<sup>(45)</sup> ابن عذارى : جـ 1 ص 210

وبعث الشيعى برسله الى اليسع يتلطفه ويعده بالانصراف عن بلاده ، اذا ما اطلق سراح المهدى (46) ، فقتل اليسع الرسل ولم يجبه الى طلبه . وعاود الشيعى سياسة الملاينة متجنبا ذكر المهدى « تقية عليه » فقتل اليسع الرسل للمرة الثانية . (47) فلم يجد الشيعى بدا من ضرب الحصار على سبجلماسة (48) ، وقد اشتهر ببراعته في عمليات الحصار في حروبه حتى لقبه المحدثون (49) ، بالمحاصر Poliorcete والتحم اليسع بن مدرار بجيوش الشيعى الذي قتل كثيرين من رجاله ، وكاد أن يظفر به لولا حلول الظلام . فعاد بعسكره الى خارج المدينة (50) — مهموما خوفا على حياة المهدى ، بينما لاذ اليسع بالهرب (51) .

والواقع ان خلافا بين المؤرخين حول مصير المهدى ، فمنهم من يؤكد سلامة المهدى لاشتباه اليسع في شخص آخر \_ يدعى بسطام \_ واعتقاده بأنه هو الذى يدعوا له ابو عبد الله الشيعى ، فلذلك لم يستجب لنصيحة اصحابه بقتل المهدى ، واطلقه مع من اشتبه فيهم من الاسرى لينجو بنفسه ، ومنهم (53) من ذهب الى ان اليسع قتل المهدى قبل هربه « وان الشعيى حين اقتحم المدينة في صبيحة اليوم التالى ، وجد المهدى مقتولا وعنده رجل من اصحابه كان يخدمه \_ قيل انه يهودى (54) \_ فضاف ابو عبد الله ان تنتقض عليه كتامة ورجاله ، فأخرج الرجل الى العساكر وقال هذا هو المهدى » . وقد تصدى مأمور لتجريح هذه الرواية على أساس عداء ابن خلكان للفاطميين . وساق في ذلك عددا من الادلة (55) . وصع

<sup>(46)</sup> اليماني : ص 123 ، شرح الاخبار ص 33

<sup>(47)</sup> انتتاح الدعوة ص 45 ، ابن الاثير: ج 8 ص 16 ، ابن خلدون: ج 3 ص 364 ، المتريزي : اتعاظ الحنفا ص 90 ، المنصوري : زبدة الفكرة ج 5 ورقة 161 ، الباجي المسعودي ص 37 ·

<sup>(48)</sup> ابن خلدون : ج 3 ص 364 ، النويرى : ج 26 ورقة 32 ·

Vonderheyden : Op. Cit. P. 305. : نظر (49)

<sup>(50)</sup> المتتاح الدعوة ص 45 ·

روي المتاح الدعوة من 45 ، ابن الاثير : جـ 8 من 16 ، المقريزي : اتعاظ المنفا ص 290 ·

<sup>· 124</sup> نظر : شرح الاهبار ص 33 ، اليماني : ص 124

<sup>(53)</sup> انظر : ابن خلكان : ج 1 ص 272 ، سعيد بن بطريق : ص 78 ، النويرى : ج 26 ورتة 33 ، الخزرجى : ورتة 42 .

<sup>(54)</sup> مَجْهُول ؛ الاستبصار ص 167 . .

<sup>5:)</sup> هاك موجزا لهذه الادلة :

 <sup>1)</sup> أن عبيد الله المهدى لم يسجن في سجن المدينة ، وانها أودع في بيت مريم أبنة الأمير المدراري \* ==

ذلك لا تزال مسالة مصير المهدى من مشكلات التاريخ الاسلامى . والحاصل \_ ومقا لغالبية المصادر \_ ان اليسع بن مدرار غادر سجلماسة سرا مع اهله وذويه لائذا بصنهاجة في جوف الصحراء (56) ، بينما شغل ابو عبد الله الشيعى عنه \_ الى حين \_ بتحرير المهدى .

ولدينا روايتان أيضا عن كيفية تحرير المهدى ، احداهما (57) ترجح قدوم المهدى الى داعيته فى مقره خارج المدينة والتقائه به ، والأخرى (58) ، تذهب الى أن أهل سجلماسة خرجوا فى الصباح الى الشيعى وأخبروه بهروب اليسمع ، وأرشدوه الى مكان المهدى والقائم ، حيث أطلق سراحهما .

\_\_\_ 2) كان المهدى معرومًا لدى أهل سجلماسة ، ولو كان قد قتل ونادى الشيعى بامامة غيره لكثمفوا عن هذا الزيف •

3) لم يدخل الشيعى بننسه لتحرير المهدى ، وانها قدم المهدى اليه على ظهر حصان .

4) من الصعب أن ينصب الشيعى بديلا عن المهدى وهو برنقة قواده وأصحابه وسائر اتباعسه

5) لم يكن تنصيب البديل للمهدى امرا ممكنا في وجود ابنه ابى التاسم الذي كان على
 قيد الحياة .

 ض حدث ذلك ، لما لاذ ابو التاسم بالصمت لان الدعاة في سائر الامصار والذين عرفوا المهدى ما كانوا ليسكتوا عن كشف تلك الخدعة .

7) ولو غرض وتغاضى ابو التاسم عن الامر ، وأن الشيعى لم يكن يعرف شخص
 المهدى ، غلابد وأن أمرا غريبا كان سيحدث عند لقاء المهدى المزعــوم بابى
 العباس ــ أخ الشيعى ــ وأم عبيدة الله المهدى اللذين كانا برقادة .

8) لو أن اليسم قتل المهدى حقيقة لكان قد اشاع الخبر اثناء هربه بين قبائل الصحراء
 من قبيل التشغى والانتقام .

9) اذا كان هناك ثهة ما يشكك في أصله غير كونه ينتمى الى على وفاطمة ،>
 لاتخذه الشيعى وأخوه سندا لهما خلال الشهور السبعة التى تآمرا خلالها على
 المهدى ، فكل ما فاها به آنذ أنه ليس الامام .

10) اجماع المؤرخين على أن أبا القاسم أبنه خلقه بعد وقاته ٠

(11) كأن للمهدى أصدتاء ورفاق في سائر بلاد المشرق والمفرب ، غضلا عن عدد مسن الرسل والدعاة بكافة ارجاء العالم الاسلامي غلو أنه قتل حقا لاشاع هسؤلاء وأولئك الامر واصبح معروفا لدى المعاصرين ، وعلى ذلك ، غان رواية ابن خلكان لا أساس لها من الصدق

Momour: Polemics on the origin of the fatimi caliphs. P.P 115, 16, 17.

· 45 اليماني : من 126 ، المتتاح الدعوة من 45

(57) اليماني : ص 125 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 42

(58) انظر: انتتاح الدعوة من 45 ابن الاثير: ج8 من 16 ،
ابن عذارى: ج1 من 210 ، ابن حماد: اخبار ملوك بنى مبيد من 9 ،
ابو الغدا: ج2 من 65 ، الاستبصار من 204 ، ابن خلدون: ج3 من 364 والنويرى: ح65 ورقة 32 ، ابن ابى دينار: من 49 ، المعينى: ج15 ورقة 154 ،

وأيا ما كان الامر ، فبعد تحرير المهدى والاحتفاء به ، انفذت الخيل فى اشر اليسع بن مدرار ، وذكر ابن عذارى (59) أن قوما من البربر ــ يعرفون ببنى خالد ــ قبضوا عليه وسلموه الى أبى عبد الله الشيعى تقربا اليه .

وسيق اليسع الى المهدى حيث عذب وشهر به في سجلماسة هو ومن معه ، ثم امر المهدى بقتلهم جميعا ، فقتلوا (60) . وصادر المهدى أموال بنى مدرار (61) ، ونهبت كتامة المدينة ، وأرغم غالب سكانها على مبارحتها (62) ولم تجد نفعا توسلات شيوخها الى المهدى ليكف رجاله أيديهم عنهم (63) . ولتى اليهود \_ بصفة خاصة \_ على أيدى المهدى ورجاله عنتا شديدا ، فتعرضوا لشتى انواع العذاب اعتقادا بأن لهم يدا في الوقيعة بين المهدى واليسع بن مدرار ، فقتل اثرياؤهم ونهبت أموالهم ، وأرغم من بقى منهم على احتراف المهن الوضيعة (64) . ثم أمر المهدى باحراق سجلماسة فاضرمت فيها النيران (65) .

وغادر المهدى سجلماسة الى رقادة فى ربيع الاخسر سنة 297 هـ ( 909 م ) بعد ان بويع بالخلافة فيها (66) ، وبعد أن عين عليها واليا من

```
(59) البيان المغرب جـ 1 ص 211 ، 212 '
```

<sup>(60)</sup> اليمانى : ص 131 ، شرح الاخبار ص 33 ، ابن الاثير : ج 8 ص 16 ، ابن خلدون : ج 3 ص 364 ، النويسرى : ج 26 ورقسة 33 ، المتريزى : اتعاظ الحنفا ص 91 ·

<sup>(61)</sup> اليماني : ص 129 ، 130 ، الخررجي : ورقة 42 ·

<sup>(62)</sup> مجهول: الاستبصار ص 204.

<sup>(63)</sup> اليماني : ص 130 ·

<sup>· 202</sup> الاستبصار ص 202

<sup>(65)</sup> ابن عذاری : ج 1 ص 210 ، (65)

<sup>(66)</sup> ابن غلبون : التذكار م 18 ، وثمة رواية تقول بأنه بويع في رقادة وليسس في ابن غلبون : ابن الابار : ج 1 مي 191 ، النويري : ج 26 ورقة 31 ، المحلماسة انظر : ابن الابار : ج 1 مي 191 ، النويري : ج 26 ورقة 31 ، Hassan Ibrahim : Relations between the Fatimids P. 51.

ونعتقد أنه بويع بسجلماسة أولا ، ثم بويع بعد ذلك بيعة عامة فى رقادة · والواقع ان اقدم عملة وصلتنا عن المهدى مؤرخة بسنة 297 ه · وخالية من ذكر المدينة التي ضربت بها · كما انها خلو ايضا من ذكر لقب « أمير المؤمنين » الذي نجده على عملة أخرى ضربت بالقيروان سنة 300 ه ·

وهاك صورة للدينار الذي ضرب سنة 297 ه:

الوجه: لا اله الا الله وحده لا شريك له ( غراغ )

الوجه الاخر : لله \_ محمد رسول الله \_ المهدى

دائرى : بسم الله ضرب هذا الدينر سنة سبع وتسعين وملتين ( غراغ ) Lane-Poole : Catalogue of the collection of Arabic coins pressente انظر in the khedivial library P. 148.

اما الدينار الذى ضرب بالقيروان سنة 300 ه مصورته على الوجه التالى: الوجه: عبد الله سلا اله الا الله وحده سلا شريك له سامير المؤمنين دائرى: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله · ==

تبلـه (67) .

وهكذا سقطت دولة بنسى مدرار على يد الفاطميين سنسة 297 هـ ( 909 م ) ، بعد انتصار كتامة على مكناسة ، وتغلب البرانس على البتر ، وهزيمة الخوارج على أيدى الشيعة .

<sup>=</sup> الوجه الاخر: الامام - محمد - رسول - الله - المهدى بالله .

دائرى : بسم الله ضرب هذا الدينر بالقيروان سنة ثلث ميه

Lane-Poole : Catalogue of oriental coins in the British museum : انظر Vol. 4. P. 2.

<sup>· 65</sup> المقريزى : اتعاظ الحنفا من 91 ، ابو الفداء : ج 2 من 65

## ب - ثورات الصفرية على الحكم الفاطمي :

اندلعت ثورات الصغرية في سجلماسة على اثر رحيل المهدى منها الى رقادة سنة 297 هـ ( 909 م ) ولم تفلح سياسة القمع والعنف التي لجأ اليها الفاطميون بانفاذ حملاتهم الفينة بعد الاخرى الى سجلماسة ، ولا سياسة اللين والدهاء باصطناع بعض افراد البيت المدرارى وتنصيبهم ولاة يحكمون بأسمهم ، في دعم النفوذ الفاطمي في تلك الانحاء وتحويل البربر الصفرية عن ولائهم لبنى مدرار .

فقد تضافرت عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ومذهبية وجغرافية لتزيد في عداء الخوارج الصفرية للحكم الفاطمى الشيعى واستمرار ثوراتهم عليه. فمن الناحية السياسية ، لم يرضخ الخوارج الصفرية لولاة الفاطميين بعد أن الفوا الاستقلال السياسي في كنف دولة بني مدرار لما يزيد على قرن ونصف قرن من الزمان وبديهي ـ وقد تأصلت فيهم نزعة الاستقلال ـ أن يرفضوا الاذعان لحكم ولاة غرباء ، تسندهم حاميات من الجند الكتامي (68) . ولا ريب في أن الظروف السياسية في بلاد المفرب وقتذاك ساعدت على تفاقم هذه الثورات ، فقد شغل الفاطميون بمواجهة المشكلات العديدة التي واكبت قيام دولتهم عن الاهتمام بدعم نفوذهم في سجلماسة باقاصي الصحراء .

ولعل من أهم هذه المشكلات احتدام الصراع بين المهدى وأبى عبد الله الشيعى ، وما سببه اغتيال الشيعى من خلاف كتامة على المهدى وثورتهم عليه ، وما تجشمه الاخير من مشاق لقمع هذه الثورة (69) ، ومن ناحية

<sup>(68)</sup> البكرى: من 150

<sup>(69)</sup> ابن خلدون: ج 4 ص 78

اخرى تضعضع النفوذ الفاطمى في المغرب الاقصى باستهالة عبد الرحمن الناصر الاندلسى لمغراوة وبنى يفرن الذين الحقوا عدة هزائم بالجيوش الفاطهية سنة 312 ه (924 م) 314 ه (926 م) (70) كما استولت جيوشمه على مليلة وسبتة — من موانى المغرب الاقصى — سنة 314 ه (926 م) وسنة 319 ه (931 م) على التوالى ، ودخل موسى بن ابى العافية امير فاس في طاعته وعمل على « استمالة اهل العدوة المجاورين له » (71). وبذلك اصبح الجزء الاعظم من شمال المغرب الاقصى ومساحات شاسعة بالمغرب الوسط بمناى عن سيادة الفاطميين ، وظل النفوذ الاموى قائما بالمغرب الاقصى حتى سقوط الخلافة الاموية بالاندلس . واذا كنا لا نجد من الشواهد الاقصى حتى سقوط الخلافة الاموية بالاندلس . واذا كنا لا نجد من الشواهد والقرائن ما ينم عن تضامن الصفرية في المغرب مع أموى الاندلس بعسد سقوط دولة بنى مدرار سنة 297 ه ( 909 م ) ، فان تغلغل النفوذ الاندلسي في المغرب الاقصى مكن من اندلاع ثوراث الصفرية بسجلماسة على الحكسم الفاطمى .

وكانت سياسة الفاطميين الاقتصادية الجائرة من اهم الدوافع لقيام هذه الثورات ، فقد انتهج الفاطميون سياسة مالية متعسفة ، وما لبث المهدى ان تخلى عن سياسة داعيته ابى عبد الله الشيعى المعتدلة (72) ، فاستولى على « اموال الاحباس والحصون » (73) ، واشتط فى جمع الضرائب وتفنن فى زيادتها (74) ، وقد تعرضت سجلماسة للسلب والنهب على يد رجاله ، كما كانت ثروات اهلها ، ومناجمها الغنية بالفضة مطمعا لجيوشه ، وقيل ان المهدى « تحصل من التبر ومن الحلى وقرمائة وعشرين جملا ادخلهها رقادة » (75) .

ومما دفع صفرية سجلماسة الى الثورة ايضا اصرار الفاطميين على نشر المذهب الشيعى ، فقد ذكر ابن عذارى (76) ان المهدى « اظهر التشيع القبيح وسب أصحاب النبى وازواجه . . ومنع الفقهاء ان يفتى احدهم الا بمذهب زعم انه مذهب جعفر بن محمد ، منه سقوط الحنث عمن طلق

<sup>(70)</sup> ابن عذارى: ج 1 ص 266 ، 269

<sup>(71)</sup> نفسه ج 1 من 283 -

<sup>. 192</sup> نفسته من 191 ، 192

<sup>(73)</sup> سلعيد بن مقديش : ص 123

<sup>(74)</sup> ابن حيون: المجالس والمسايرات ج 1 ورتة 28 ، مخطوط ،

<sup>(75)</sup> الاستبصار م 204 ·

<sup>(76)</sup> البيان المغرب ج 1 م 220 .

بالنية ، واحاطة البنسات بالميراث ومدحست الشعراء عبيد الله بالكفسر فاستجازه » . ومع ما انطوى عليه قول ابن عذارى من مبالغة ، فالثابت ان المهدى عمد الى نشر مذهبه بحد السيف (77) ، وغير من النظم والاحكام بما يتمشى وتعاليسم المذهسب الاسماعيلى . وبديهسى ان يفزع صفريسة سجلماسة من هذه السياسة الدينية حتى ليذهب داشراوى (78) الى ان حركة الشاكر لله سنة 332 ه ( 794 م ) قامت اساسا لمناهضة سياسة الفاطميين الدينية ، ولا مراء فى أن الصفرية من الخوارج فضلا عن عدائهم المتعدوا أنهم « يدفعون نبوة محمد (ص) ويدعون النبوة بعده ، ويدعون منته وشريعته ويدعون الى غيرها » (79) ، بل ارتبطت المعتائد الاسماعيلية فى تصورهم بالخرافات والاساطير فاعتقدوا أنهم « يعبدون راسا عندهم فى تصورهم بالخرافات والاساطير فاعتقدوا أنهم « يعبدون راسا عندهم الدنانير » (80) ، ولما كان الصفرية من أكثر فرق الخوارج تطرفا فى محاربة مخالفيهم ، فلم يتوانوا عن الجهسر بعدواتهم للفاطميسين ، والتمرد على احكامهم ، ومناهضة عمالهم ،

وقد كان تعصب الفاطهيين لكتامة وصنهاجة واختصاصهم بالمناصب العليا في دولتهم سببا في تعميق عدواة مكناسة الصغرية لهم ، فقد اثاروا بسياستهم تلك الصراع بين البربر وبرانسا (81) ، اذ لا يخفى أن غالبية صغرية المغرب كانوا من البربر البتر من مكناسة وزناتة وغيرها ، بينما قامت دولة الفاطهيين بالمغرب على اكتاف كتامة من قبائل البرانس ، ومن ثم لم يكن من المقبول أن يرضخ صفرية سجلماسة لوالى المهدى من كتامة ثم لم يكن من بلغت خمسمائة فارس من رجالات كتامة أيضا (82) .

ولا شك في أن الظروف الجغرافية ايضا ساعدت صفرية سجلماسة

<sup>(77)</sup> ابن خلدون : ج 1 ص 131 ·

La captivite d'Ibn Wasul. P. 296. (78)

<sup>(79)</sup> ابن حيون : المجالس والمسايرات ج 1 ورقة 358 · ولمل السبب في ذلك يرجع الى ان الفاطهيين ــ كما يذهب الدكتور محمد كامل حسين ــ « كانوا يعيلون الى صبغ البلاد كلها بصبغة مذهبهم ، احيانا بالترغيب واحيانا بالترهيب ، فكان الدعاة يؤدون واجبهم في تشكيك المسلمين في مذاهبهم ، ويحببون اليهم المذهب الفاطمي » · · انظر : في ادب مصر الفاطمية ص 130 ·

<sup>(80)</sup> ابن حيون: المرجع السابق ورقة 361 ·

Drague : Op. Cit. P. 25. ، 26 ننسه ورتة 26)

<sup>(82)</sup> ابن عذارى : جا 1 مس 213

على القيام بثوراتهم ، فكانت مدينتهم فى اقاصى الصحراء (83) ، والطرق الموصلة اليها من افريقية وعرة . لذا تقاعس الجند الفاطمى عن التوجه لقمع تلك الثورات . ويخبرنا ابن حيون (84) ان الكتاميين كانوا يتثاقلون عن القيام بهذه المهام متذرعين ببعد سجلماسة ومشاق الطريق اليها رغسم ما كان يبذله الائمة لهم من وفير العطاء ومعسول الوعود .

قصارى القوى ، ان اشتطاط الفاطهيين في سياستهم الاقتصادية ، وتعصبهم المذهبي واحيائهم النعرات القبلية ، وملائمة الظروف السياسية والجغرافية في المغرب الاقصى ، كل هذه العوامل دفعت الصفرية السي الثورة على الحكم الفاطمي ونبذ مذهبهم الاسماعيلي ، والتشبيث بالولاء لآل مدرار .

والواقع ان حكم الاسرة المدرارية لم يختف بعد مقتل اليسع بن مدرار سنة 297 ه ( 909 م ) كما اعتقد بعض المؤرخين (85) وانما ظل قائما في سجلماسة متأرجحا بين الولاء والعداء للفاطميين ، واذا كان الفاطميون قد الملحوا احيانا في استمالة بعض المراد البيت المدراري والاغداق عليهم وتنصيبهم ولاة من قبلهم ، لمان معظم المدراريين ثاروا على الفاطميين ورفضوا الاذعان لحكمهم واستقلوا بأمر سجلماسية عن نفوذهم .

فبعد مقتل اليسع بن مدرار سنة 297 ه ( 909 م ) ، ولى عبيد الله المهدى على سجلماسة قائده ابراهيم بن غالب المزاتى ، وترك معه خمسمائة فارس من كتامة (86) ، وما أن قفل المهدى متوجها إلى رقادة حتى ثار الصفرية عليه وقتلوه (87) هو وجنده فى نفس العام (88) ، وبايعوا الفتح بن ميمون الملقب بواسول من بنى مدرار ، ولم يستطع المهدى استعادة نفوذه على سجلماسة لانشغاله بمواجهة الاضطرابات فى افريقية بعد اغتيال ابى عبد الله الشيعى، فاستقر الامر للفتح بن ميمون « تحت تقية من مطالبة

<sup>(83)</sup> المراكش : المعجب ص 357

<sup>(84)</sup> المجالس والمسايرات ج 1 ورقة 26 ·

<sup>(85)</sup> انظر: ابو الندا: جـ 1 ص 66 ، ابن ابى دينار: ص 50 ،

<sup>(86)</sup> ابن عذاری : ج 1 س 213 ·

<sup>(87)</sup> الْبِكرى : من 150 ·

<sup>(88)</sup> ابن عذارى : ج 1 ص 214 · تتل ابرهيم بن غالب المزاتى سنة 297 ه وليس 298 هـ كماذهب ابن خلدون وابن الخطيب انظر : العبر ج 6 ص 131 ، اعمال الاعلام ج 3 ص 145 ·

ولما مات الفتح سنة 300 ه ( 912 م ) بايع الصفرية اخاه احمد بن ميمون ، فانفرد بالسلطة تسعة اعوام بمناى عن نفوذ المهدى . وفى سنة 309 ه ( 922 م ) انفذ المهدى قائده مصالة بن حبوس لدعم سلطانه في المغرب الاقصى (90) ، فدخل سجلماسة عنوة « واخذ أهلها بالدعوة الشيعية » (91) وقبض على أحمد بن ميمون وقتله ، وبعث برأسه الى المهدى (92) ، وحاول استرضاء الصفرية بابقاء الحكم المدرارى ، فلم يعين عليهم واليا من قبله ، بل اصطنع المعتز بن محمد بن سارو بن مدرار وهو ابن عم أحمد بن ميمون و ونصبه واليا عليهم من قبل المهدى « ليأمن جانبهم » (93) ، وقد نجحت هذه السياسة — الى حين — في الحفاظ على النفوذ الاسمى للفاطميين (94) في سجلماسة ، فظل المعتز بن محمد على ولائه للفاطميين حتى وفاته سنة 321 ه (934 م ) وذلك على عكس رواية أبن خلدون (95) القائلة باستبداده بالأمر من دون الفاطميين . فقد كان ابنه وخليفته محمد الملقب بأبى المنتصر الذي حكم عشر سنوات (96) ، وكذلك حفيده المنتصر سمكو بن محمد الذي حكم شهرين على ولائهما لسلطان حفيده المنتصر سمكو بن محمد الذي حكم شهرين على ولائهما لسلطان حفيده المنتصر سمكو بن محمد الذي حكم شهرين على ولائهما لسلطان حفيده المنتصر سمكو بن محمد الذي حكم شهرين على ولائهما لسلطان الفاطميين (97) .

على ان سياسة الولاء للفاطهيين لم تلبث ان تعثرت سنة 332 هـ ( 945 م ) فانتهز محمد بن الفتح بن ميمون ـ ابن عم المنتصر سمكو ـ فرصة ضعف ابن عمه الطفل (98) ، وانشىغال الفاطهيين بثورة ابى يزيد مخلد بن كيداد ، واغتصب الحكم فطرد ابن عمه خارج سجلماسة ودعى لنفسه

 <sup>(89)</sup> اخطأ ابن خلدون ــ ومن نقل عنه ــ حين زعم ان النتح بن ميمون كان اباضيا ·
 انظر : العبر ج 6 ص 131 ، السلاوى ج 1 ص 113 ·

<sup>(90)</sup> ابن الخطيب : المرجع السابق من 146

<sup>(91)</sup> الْبكرى : من 150 ، ابن خَلدون · ج 6 من 131 ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج 3 من 46 ، التلقشندى : ج 5 من 166 ·

<sup>(92)</sup> ابن خلدون : المرجع السابق ص 131 ·

<sup>(93)</sup> البكرى : ص 150 ﴾ ابن الخطيب : ج 3 ص 146 ·

<sup>(94)</sup> ابن الخطيب: ننس المصدر والصحينة ·

<sup>(95)</sup> العبر ج 6 من 131 ·

<sup>(96)</sup> استقط البكري حكم هذا الامير ٠ انظر : المغرب ص 151 ٠

<sup>(97)</sup> ابن حيون : المجالس والمسايرات ج 1 ورتة 296 · وقد خالف ابن الخطيب سائر المؤرخين نذكر أن المنتصر سمكو أخ محمد بن المعتز وليس ابنه · انظر : اعمال الاعلام ج 3 مس 146 ·

<sup>(98)</sup> البكرى : ص 151 ، ابن خلدون : ج 6 ص 131 ، ابن الخطيب : ج 3 ص 146 . ا التلتشندى : ج 5 ص 167 ، السلاوى : ج 1 ص 113 ·

وخلع طاعة الفاطميين (99) ، كما ضرب السكة باسمه وتلقب بالشاكر لله (100) .

على ان بعض المؤرخين (101) ذهبو الى أن الشاكر لله « أخذ بهذاهب السنة ورغض الخارجية ونادى بالدعوة لبنى العباس » . وغالى البعض (102) الآخر فقال بأنه « كان سنيا على مذهب المالكية » . ونعتقد أن حركة الشاكر لله كانت حركة خارجية مغرية خالصة، تمثل رد الفعل الصغرى ضد الحكم الفاطمى ، فهى تماثل فى هذا السبيل وتعاصر حركة المي يزيد مخلد بن كيداد الاباضى ، ويبدو أن مؤرخى السنة تجاهلوا هذا الامر عن عهد انكارا لفضل الخوارج فى قيادة حركات المقاومة ضد الشيعة ، أو أن الامر التبس عليهم خاصة وأن أبا يزيد قد استنفر السنة فى المغرب للانضمام لحركته (103) ، كما « دعى الشاكر لنفسه مموها بالدعاء لبنى العباس » (104) حتى يؤازره السنة بالمغرب ، ومن المستبعد أن يكون الشاكر لله قد تخلى عن المذهب الصغرى واعتنق المذهب المالكي للدخول في طاعة الخلافة العباسية لان الشاكر لله لم يكن يطمع فى مؤازرة الخلافة العباسية لحركته خاصة وقد زال نفوذها كلية من بلاد المغرب بعد ستوط دولة الاغالبة ، ولم يكن بمقدور بنى العباس مناجزة الفاطميين ببلاد المغرب

<sup>(99)</sup> البكرى : ص 151 ، ابن خلدون : ج 6 ص 131 .

<sup>(100)</sup> اخطأ ابن خلدون ومن نقل عنه في تلقيبه ( بالشاكر بالله ) انظر : العبر ج 6 ص 131 ، السلاوى : ج 1 ص 113 · الصحيح ما ورد بعملته الذهبية والغضية حيث لقب « بالشاكر لله » وهاك صورة الدينار ضرب في عهده ·

كتابة دائرية : بسم الله ضرب هذا الدينر سنة ست وثلثين وثلثمائة

الوجه الاول الاسام ـ محمد ـ رسول الله ـ الشاكر لله ٠

ويتشكك لأفوا في اتخاذه لقب « أمير المؤمنين » ويذكر انه اكتفى بلقب « امام » Catalogue ... F'. 401, 402. كان العملة خلو من ذلك ١ انظر : لكنن شكوك لاغوا لا سبيل لصحتها ، هنجد على دينار ضربه الشاكر لله سنة 245 هـ

لتب أمير المؤمنين · وهاك صورته : الوجه : عبد الله ... لا اله الا ... الله وحده ... لا شريك له ... أمير المؤمنين ( غراغ غامض )

الوجة الاخر : الامام ... محمد رسول الله ...الشاكر لله

بسم الله ضرب هذا الدينر سنة خبس واربعين وثلثمائة · انظر : Lane-Poole : Catalogue of the collection of the Arabic coins

Lane-Poole : Catalogue of the collection of the Arabic coins : انظر : presented in the khedivial liberary P. 328.

<sup>(101)</sup> انظر : ابن خلدون : ج 6 من 132 ، السلاوى ج 1 من 113 ؛ الخزرجي : ورتة Bel : Op. Cit. P. 168. 47

<sup>(102)</sup> انظر : البكرى ص 151 ·

<sup>(103)</sup> الدباغ : ج 2 من 185

<sup>(104)</sup> التلتشندي : ج 5 من 167 ·

وتعضيد الحركات المناوئة لهم لبعد المسافة ، ولضعفهم في العصر العباسي الثاني وخضوعهم لنفوذ الترك • ولو أن الشاكر لله دعى للخلافة العباسية حقا ، لما دعى « لنفسه بالخلافة وتسمى بامير المؤمنين وتلقب بالشاكر لله » (105) وضرب العملة باسمه (106) · ولو كان ينشد التبعية لقوة مناوئة للفاطميين ، لاعلن تبعيته لاموى الاندلس اصدقاء الاسرة المدرارية ، واصحاب الننوذ الفعلى على اغلب جهات المغرب الاقصى . أغلب الظن ان الشاكر لله تشبه بمعاصره الاباضى النكارى ابى يزيد مخلد بن كيداد في محاولة استمالة السنة بالمغرب وتعضيدهم لحركته ليس الا .

على كل حال \_ نجح الشاكر لله \_ بحسن سيرته \_ (107) وتعصبه لمذهبه وتفتهه ميه « وظنه أن ليس الحق الا ما أنتهى اليه » (108) ، في جمع شمل الصفرية تحت لوائه والانفصال بسجلماسة عن طاعة الفاطميين ويبدو انه مكر في بسط نفوذه على بعض نواحى المغرب الاقصى ، محاول غزو المارة نكور سنة 340 ه ( 953 م ) لكن الصفرية لم يجيبوه الى ذلك وقنعوا باستقلالهم السياسى وحريتهم الدينية محجمين عسن الدخول في مشروعات توسيعية (109) . وقد نعم الصفرية في عهده بالاستقرار والرخاء، اذ نعلم أن العدل ساد بسجلماسة أبان حكمه ، كما كانت عملته «طيبة للغاية » على حد قول السلاوي (110) ·

وظل الشاكر لله في مامن من الخطر القاطمي طوال عهد المنصور الذى انصرف لدرء ثورة ابى يزيد في المريقية ، تلك الثورة التى هددت بالقضاء على دولته . ولما ولى المعز الخلافة سنة 341 ه ( 954 م ) حاول تاديب امير سجلماسة المدراري ، ماستنفر كتامة للقيام بتلك المهمة دون طائل ، مقد تثاقلوا عن الخروج متذرعين بمشاق الطريق وبعد المسامة (111) ويبدو أن تغاضى المعز عن ثوار سجلماسة شجع عماله في المغرب الاتصى

<sup>· 148</sup> ص 3 بن الخطيب : اعمال الاعلام ج 3 ص

<sup>(106)</sup> انظـر: . Lavoix : op : cit. P. 401.

<sup>(107)</sup> ابن الخطيب: المرجع السابق ص 148 ·

<sup>(108)</sup> ابن حيون : المجالس والمسايرات ج 1 ورقة 369 ، ج 2 ورقة 992 .

<sup>(109)</sup> ابن حوتل: المسالك والممالك ص 57.

<sup>(110)</sup> الاستتصاح 1 من 119 و يؤكد ذلك إن العملة التي ضربها سنة 336 ه كان وزنها D. 19 mm. P. 3 gr 90 D. 21 mm P. 49 gr 10. والتي ضربها سنة 340 ه كان وزنها Lavoix: P.P. 401, 402.

<sup>(111)</sup> ابن حيون: المرجع السابق جـ 1 ورتة 26 ·

على شق عصا الطاعة والدخول في طاعة عبد الرحمن الناصر كما معل يعلى بن محمد اليفريني (112) بافكان ــ بشمال غربي تاهرت ــ واحمد بن بكر الجذامي أمير فاس (113) ودفعه ذلك الى اعداد حملة هائلة لاستعادة نفوذه المفتود في في بلاد المغرب الاقصى سنة 347 هـ (960 م) (114).

وقد عهد المعز الى قائده جوهر الصقلى بقيادة تلك الحملة التي حشيد لها اعدادا غفيرة من كتامة (115) وصنهاجة (116) والاولياء (117) ، غضلا عن عبيده وغلمانه (118) واجتمع برؤسائهم وحضهم على الاستماتة في القتال واعدا اياهم بحسن المثوبة منعما عليهم بجزيل العطاء (119) . ومضى جوهر الى سجلماسة وبعث الى اهلها بالقبض على الشاكر لله وتسليمه ، على أن يبذل لهم الامان ، دون طائل (120) . غضرب الحصار حول المدينة (121) طيلة شبهور ثلاثة (122) تمكن الشباكر اثناءها من الهرب بأمواله وذويه وخاصته ، ونزل بحصن منيع يعرف بتاسجدلت (123) على بعد اثنى عشر ميلا من سجلماسة (124) .

ودخل جوهر المدينة دون مقاومة ، واصدر عنوا عاما عن أهلها (125) ليكسب جانبهم وتسلل الشاكر لله الى المدينة في محاولة لتأليب اتباعه على القائد الفاطمي واسترداد نفوذه ، لكن رجلا من مطغرة تربص به وسلمه الى جوهر ، نعاد به اسيرا الى القيروان (126) بعد أن عين على سجلماسة

<sup>· 96</sup> ابن خلدون : العبر ج 4 ص 96

<sup>(113)</sup> ابن حيون : المرجع السابق جـ 1 ورقة 22 ، السلاوى : جـ 1 ص 197 . Lavoix: Op. Cit. P. 402

<sup>(114)</sup> ابن حيون ننس المصدر ورقة 25 ،

<sup>(115)</sup> ابن حيون نفس المصدر ورقة 31 ·

<sup>(116)</sup> ابن خلدون : جـ 6 ص 132 ·

<sup>(117)</sup> هم اتباع ابى يزيد مخلد بن كيداد الذين اذعنوا بالطاعة للفاطميين واغلبهم من بنى كبلان ، انظر : ابن حيون المرجع السابق ورقة 32 .

<sup>(118)</sup> الشطيبى : الجمان ورقة 197 .

<sup>(119)</sup> انظر ملحق رتم 6 ٠

<sup>(120)</sup> ابن حيون : المرجع السابق ورقة 296 ·

<sup>(121)</sup> الشطيبي : المرجع السابق ورقة 197 ·

<sup>· 148</sup> أبن الخطيب : ج 3 من 148

<sup>(123)</sup> نفس المسدر والمسجيئة · ويسبيه ابن خلدون « حصن تاسكرات » انظر : العبر ج 6 مص 132 `

<sup>(124)</sup> البكرى : 151 أ

<sup>(125)</sup> ابن حيون : المجالس والمسايرات ج 1 ورقة 296 .

<sup>(126)</sup> البكرى : ص 151 ، ابن خلدون : ج 6 ص 132 ، ابن الخطيب : ج 3 ص 149، التلتشندى : ج 5 من 167 ، السلاوى : ج 1 من 114 ، الشطيبي : الجمان : ورتة 197 '

واليا من قبله سنة 347 هـ ( 960 م ) (127) .

وابتهج المعز بانتصارات تائده جوهر واسترداد سجلماسة وغيرها من مدن المغرب الاقصى التى تمردت عليه ، قطير مزهوا انباءها الى الدعاة الاسماعيلية في الشرق (128) . وآثر المعز الابقاء على حياة الشاكر لله بعد أن شهر به بين أهل القيروان (129) ، قطل معتقالا في سقيفة قصره زمنا (130) ، ثم نقل الى رقادة وظل سجينا بها حتى وقاته سنة 354 هـ ( 967 م ) (131) .

ولم تغلع سياسة اللين والتسامح التى اتبعها المعز وقائده جوهر سواء فى معاملة الشاكر لله او فى العفو عن اهل سجلماسة فى جذبهم لموالاة الفاطميين . فالعداء المذهبي المتاصل وتعلق الصفرية بالاستقلال السياسى وبالبيت المدرارى حال دون تحقيق ذلك . فقد تكرر ما حدث على اثر مغادرة المهدى جوهر سجلماسة سنة 297 ه ( 909 م ) ، اذ ثار صفرية سجلماسة على الوالى الفاطمى واردوه قتيلا ونصبوا عليهم احد أبناء الشاكر للسه ولتبوه بالمنتصر لله (132) .

ولكى لا يتعرضوا لطائلة الانتقام ، بادروا فأنفذوا رسلهم الى المعز معلنين الابتاء على طاعته والولاء له . ولاذ المعز بالعافية قانعا بولائهم الاسمى له . وطلب الى شيوخهم القدوم اليه برفقة المنتصر اله ، فأجابوه الى طلبه . وقد اورد ابن حيون (133) تفصيلات مستفيضة عن لقاء شيوخ سجلماسة بالمعز وعفوه عنهم ، واقراره المنتصر على الولاية وخلعه عليهم واغداقه على مرافقيه . ومع ذلك لم يستتب الامر للمعز في سجلماسة ، ولم ينعم صنيعته المدرارى بالحكم طويلا ، فنزعة الاستقلال والكراهية للفاطميين كانت من وراء الثورة التى قام بها اخ للمنتصر حويدعى أبالفاطميين كانت من وراء الثورة التى قام بها اخ للمنتصر حويدعى أبالفروج عن طاعة الفاطميين سنة 352 ه ( 965 م ) (134) .

<sup>(127)</sup> ابن حيون: المجالس والمسايرات ج 2 ورتة 296:

<sup>(128)</sup> ننس المصدر وربة 332 '

<sup>(129)</sup> ننس المصدر ورتة 364 ، 365 .

Dachraoui: Op. Cit. P. 299. ابن حيون: ننس المصدر والصحينة ، 130)

<sup>(131)</sup> ابن الخطيب : ج 3 ص 149 .

 <sup>(132)</sup> ابن خلدون : ج 6 من 132 ، والسلاوى : ج 1 من 114 · التلتشندى : ج 5 من 167 ·

<sup>· (7)</sup> انظر : ملحق رقم (7)

<sup>(134)</sup> ابن خلدون : ج 6 من 132 ، السلاوى : ج 1 من 114 العلتشندى : ج 5 من 167 ·

وزال نفوذ الفاطميين نهائيا على سجلماسة منذ ذلك الحين . كمسا ذوى شأن مكناسة والصغرية أيضا سنة 396 ه ( 979 م ) لما زحف خرزون ابن غلغول المغراوى الى سجلماسة وقتل أبا محمد المعتز وبعث براسه الى ترطبة . وآلت سجلماسة بذلك الى التبعية لاموى الاندلس « وانترض أمر بنى مدرار ومكناسة من المغرب أجمسع ، وأدال منهسم بمغسراوة وبنسى يغسرن » (135) .

وهكذا ــ لم يستسلم الصغرية للحكم الفاطمى ، ولم تجد نفعا سياسة الفاطميين المتارجحة بين اللين والعنف فى دعم نفوذهم فى سجلماسة معتل الخوارج الصغرية فى المغرب .

Bel: Op. Cit. P. 169. ، المسادر والسفحات ، (135)

# الاباضة والفاطمبون

## أ \_ الفاطبيون وسقوط دولة بني رستم

سقطت تاهرت في يد ابى عبد الله الشيعى سنة 297 ه ( 909 م ) دون قتال ، وذلك لبلوغ الدولة الرستية في عصرها الاخير ذروة الضعف والاضمحلال وقد سبق أن أوضحنا مظاهر الفوضى السياسية التى تردت فيها تاهرت ، من تدهور هيبة الامامة وتضعضع نفوذ الائمة بعد تحكم رعاع العاصمة في تعيين الائمة وعزلهم ، وارتفاع شأن الفرق والطوائف المذهبية غير الاباضية ، وتدخلها في شؤون السياسة والحكم وعمالتها لقوى أجنبية بقصد اسقاط الاسرة الرستهية والوثوب على السلطة في تاهرت . ثم ظهور نفوذ البلاط ونساء الاسرة الرستهية وسيطرتهم على الائمة ، وتطاول عمال الائمة وحراسهم وخدمهم على الرعية فنهبوا الاموال واغتصبوا الحرائر . بالاضافة الى صراع أفراد البيت الرستمي حول الامامة وتكالبهم على الظفر بها ، فلم يتورعوا عن تدبير المكائد والمؤامرات من بعضهم البعض وراح بعضهم ضحية هذا الصراع ، وأفضى ذلك كله الى انهيار العصبية الرستمية « وبانهيارها شاخت الدولة وهرمت » (136) . هذا الى انحلال

(136) ابن خلدون : المتدبة من 168 \*

نظم الحكم والادارة وضعف الروح العسكرية ، وتراخى تبضة الائمة على اجنادهم ملجاوا الى « استعمال الدرهم والدينار ، بدل الرمح والسنان (137) وترتب على ذلك كله انهيار المجتمع الرستمي واضطراب الامن ، وهو ما عبر عنه ابن الصغير بقوله: « وكان البلد قد نسد ، ونسد اهلها . . واتخذوا للمسكر اسواقا والغلمان اخوانا » « وعجت الطرق بمنساسر اللصوص وخاصة من سفهاء زناتة » (139) .

وغضلا عن ذلك كله ، تعرضت الدولة الرستهية لضربة تاصمة تضت على البقية الباقية من قوتها ، بسبب ما حل بأباضية نفوسة سنة 283 هـ ( 897 م ) من كارئة في موقعة مانو ــ قلعة بين قابس وطرابلس (140) ــ حيث أجهز الاغالبة نيهاعلى جيوش نفوسة (141)، ومن بعدها على أباضية تنطرارة ونفزاوة (142) وحرمت الاسامة الرستمية في ذلك الحين من مصدر قوتها ، أذ كان النفوسيون عصب الدولة وعونا لها على ما واجهها مسن أخطار . ولا غرو ، مقد حرم أبو اليقظان بن أبي اليقظان \_ آخر أئهـة بني رسنم ... من جيش يستطيع به التصدي للخطر الشيعي بعد انقطاع الامداد من جبل نفوسسة ، وادى ذلك السي سقسوط تاهسرت سنسة 297 م ( 909 م ) .

كانت تاهرت اذن على وشك السقوط ، وكان بوسع ابي عبد الله الشيعى داعية الفاطميين ـ الذي لا نشك في أنه أرسل بعوثه الى تاهرت تدعو للتشيع ـ ان يطيح بالحكم الرستمي في وقت مبكر . غير انه آثر التريث حتى يفرغ من حروبه مع الاغالبة ــ اعظم القوى السياسية في المقرب في ذلك الحين ـ نلم يقدم على متح بلاد المغرب الأوسط والاقصى الا بعد ستوط رقادة عاصمة بني الاغلب سنة 296 ه ( 908 م ) .

وبعدها شرع في غزو سجلماسة لتحرير عبيد الله المهدى ، وعرج في طريقه اليها على تاهرت مدانت له دون مقاومة .

من هذا يتضبح أن تاهرت لم تسقط أبأن عهد أبراهيم بن أحمد الأغلبي

 <sup>(137)</sup> النفرسى : الازهار الرياضية ج 2 من 278 .
 (138) سيرة الاثبة الرستية من 55

<sup>(139)</sup> ابن المسغير : م 49

<sup>(140)</sup> ابو زكريا : ورنة 33 ' (141) تنس المصدر ورتة 34 ·

<sup>(142)</sup> تنس المصدر والصحينة ٠

( 261 ــ 289 هـ ) ( 875 ــ 901 م ) كما ذكر المؤرخون (143) الذين أجمعوا على أن « أبا عبد الله الشيعي نزل كتامة سنة 280 ه » وأتاه البربر من كل مكان ، وعظم أمره وبلغ أمره الى أبراهيم بن أحمد الاغلبي ، فاستصغر ابر أبى عبد الله واستحقره ، ثم مضى ابو عبد الله الى مدينسة تاهرت معظم شانه ، وأتته القبائل من كل مكان ، وبقى كذلك حتى تولى أبو مضر زيادة الله الاغلبي » . وأن كانت تلك الرواية لا تخل من دلالة على تشييع كثيرين منسكان تاهرت وبعض القبائل الضاربة خارجها قبيل الغزو الشبيعي . يؤكد ذلك قول ابن الصغير (144) ان خطباء تاهرت « كانوا على منابرهم لا يستعملون الا خطب أسير المؤمنين على بن ابى طالب خلا -خطبة التحكيم » . ولا يخفى ما قام به هؤلاء الشيعة من دور هدام في الاحداث السياسية التي حفل بها العصر الرستمي الاخير ، وهو عصر برزت فيه : الطوائف والفرق الدينية غير الاباضية كما سبق أن أوضحنا .

والواقع أن المصادر غير الاباضية لا تمدنا الا بالنذر اليسير عن سقوط دولة بنى رستم ، غلم يرد بها اكثر من ان « أبا عبد الله الشيعى وصل الى تاهرت مدخلها بالامان وقتل من بها من الرستمية ، وبعث برؤوسهم الى أخيه أبى العباس ، وطوفت بالقيروان ونصبت على باب رقادة ثم ولى أبو عبد الله على تاهرت أبا حميد دواس بن صولات اللهيصى وابراهيم بن محمد اليماني المعسروف بالهسواري ، وكسان يلقب بالسيد الصغير » (145)

وقد سبق أن أوضحنا كيف اغتيل الامام أبو حاتم يوسف على يد أبناء أخيه سنة 294 ه ( 906 م ) بالتواطؤ مع يعقوب بن أفلح \_ عم الاسام - المقيم بين زواغة ، وكيف اغتصب احدهم ويدعى اليقظان الاسامة . وتمخض هذا الحادث عن مزيد من الاضطرابات في تاهرت قام بها الحزب المشمايع لابي حاتم ، وقد تزعمته ابنته المعروفة « بدوسر » . كما واصلت الطوائف والغرق غير الاباضية ـ من المالكية \_ والواصلية والصفريـة والشبيعة (146) ــ مؤامراتها على حكم اليقظان بن أبى اليقظان . ونعتقد أن اليقظان نجح في اخضاع تلك الاحزاب المعارضة لحكمه ، ويبدو أنه

<sup>(143)</sup> انظر : أبو الندا : ج 2 ص 65 ، ابن ابى دينار : ص 48 ، العينى : ج 5 ورتة 153 ، اطنيش : الامكان : ص 58 ·

<sup>(144)</sup> ابن الصغير : س 59 ·

<sup>(145)</sup> انظر : البكرى : ص 68 ، ابن عذارى : ج 1 ص 209 ، 210 ، مارسيه : مادة بني رستم ' دائرة المعارف الأسلامية مَّ 93 · ﴿ 146} أبو زكريا : ورتة 36 ·

استعان بعمه يعتوب بن أغلج وأنصاره من السمحية الذين نزحوا الى تاهرت.

وقد مشلت دوسر ابنة أبى حاتم يوسف في الانتقام من قتلة أبيها ، وخبا أمل الطوائف غير الاباضية في « تبييت خبر الاباضية » (147) ، علم يجدوا مناصا من مناشدة ابى عبد الله الشبيعي وكتامة \_ القدوم للقضاء على « المارة الفرس » (148) والراجح أن هذه الاتصالات حدثت قبل فراغ أبى عبد الله من قتال الاغالبة ، غلم ير موجبا للتوجه الى تاهرت ، ولما يفرغ بعد من صراعه مع الاغالبة . وعاودت دوسر الاتصال به ، غاستجاب لها ووعدها بتحقيق مطلبها (149).

وما أن دانت له رقادة بعد هرب زيادة الله الى الشرق سنة 294 هـ ( 908 م ) ، حتى اعد حملة ضخمة توجه على رأسها الى سجلماسة حيث قبع عبيد الله المهدى في سجن اليسع بن مدرار .

تذكر الروايسة الاباضية (150) أن رؤساء الطوائف غير الاباضيسة خرجوا اليه على بعد الميال من تاهرت ووعدوه بالعون على نتحها ، وهونوا له من شمأن بنى رستم .

وعرب الشبيعي على تاهرت \_ في طريقه الى سجلماسة \_ وفتحها ليؤمن ظهره اثناء تتاله مع اليسمع بن مدرار . غبعث في استدعاء اليقظان ابن أبي اليتظان وبنيه ، ولما قدموا اليه ، أمر بقتلهم جميعا (151) .

وقد حرص الشبيعي على استئصال شاف بنى رستم حتى لا يناوئه منهم مناوىء ، ولم يسلم من القتل الا من لاذ بالهرب الى وارجلان (152).

ويمقتل ابي اليقظان متحت تاهرت ابوابها للشبيعي دون قتال (153)، وانسابت جيوشه داخلها فاستباحتها (154) سلبا ونهبا وتخريبا (155)

<sup>(147)</sup> ابن الصغير: س 51 \*

<sup>(148)</sup> ابو زكريا : ورئة 36 ، النفوسى : من 292 ·

<sup>(149)</sup> ذكرت المصادر الاباضية أن أبا عبد الله استجاب لطلب دوسر بعد أن وعدته بالزواج اذا ما أخذ بثار ابيها ، والراجع أن يكون السبب في ذلك فراغه من حروبه مسمع الاغالبة ، وعزمه على المتتاح المغربين الاوسط والاتصى ، انظر : الدرجيني : ج 1 ورتة 42 ، الننوسي : من 292

<sup>(150)</sup> أبو زكريا : ورقة 36 -

<sup>(151)</sup> نفسى المصدر والصحيفة ، ابن عذارى : ج 1 ص 210 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 42 ، (152) أبو زكريا : ورقة 37 ، . . . . Biquet : Op. Cit. P. 71.

<sup>(152)</sup> أبو زكريا : ورتة 37 ،

Biquet : Loc. Cit. ، 42 ورقة 1 ورقة (153) وتصور الرواية الإباضية هرب دوسر ... بطريتة روائية ... خشية أن يتزوجها الشيعى كما وعدته ، انظر : أبو زكريا : ورقة 36 ، الننوسي من 293 ·

<sup>(154)</sup> النفوسي : حس 292 ٠

<sup>(155)</sup> ابو زكريا : ورقة 37 م

« حتى أهلكت ألحرث والنسل » (156) .

وامر ابو عبد الله باحراق المكتبة الرستمية المعروفة « بالمعصومة » بعد أن انتقى منها الكتب المتعلقة بالحكم والفنون والرياضيات والصنائع (157) . كما أضرم النيران في تاهرت أيضا (158) . وغادرها على عجل بعد ان ولى عليها عاملا من قبله (159) ، ويهم وجهه شطر سجلماســة .

ووجه مرقة من مرسانه الى وارجلان في اثر يعقوب بن الملح الذي هرب اليها مع بعض اصحابه (160) ولم تستطع خيل الشيعى الوقوف له على اثر (161) ، هنجا بذلك من المذبحة التي حلت بأسرته . وقد رحب ابو صالح ماجنون بن مريان ــ شيخ وارجلان بمقدمه وعبثا حاول اقناعه بتولى « امامة الدماع » ومناوءة الفاطميين (162) . مقد آثر حياة الزهد والعزلة حتى وغاته (163).

وبستوط تاهرت ، وانقراض الرستهيين ، انتهسى حكم بنى رستم الذي استمر ما يزيد على مائة وثلاثين عاما (164) .

<sup>(156)</sup> الدرجيني : ج 1 ورتة 42 ·

<sup>(157)</sup> أبو زكريا : ورتة 42 .

<sup>(158)</sup> ننس المصدر ورقة 37 ، وقد اعتقد ماسكراى أن المصادر الإباضية تبالغ في هــذا الصدد اظهارا لنظائع الشيعة ، انظر : Chronique d'Abou Zakaria. P. 211.

<sup>(159)</sup> البكرى : مص 68 -

<sup>(160)</sup> أبو زكريا : ورتة 37 .

<sup>(161)</sup> تنسيج المسادر الإباضية روايات أسطورية حول شجاعة يعتوب بن أغلج ومهارته في الإملات من أعدائه ، انظر : أبو زكريا : ورقة 41 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 47 . Masqueray : Op. Cit. P. LXXIV. (162) أبو زكريا : ورتة 42 ،

وروى أنه قال في هذا الصدد « لا يستر الجمل بالغنم » ، غصارت مثلا . انظر : أبو زكريا : ورقة 42 ، النفوسي ص 293 -

<sup>(163)</sup> ابو زكريا : ورتة 42 ·

<sup>(164)</sup> البكرى : من 68 ، ابن عذارى : ج 1 من 209 .

وقد اختلف المؤرخون في تحديد سنني حكم الاسرة الرستهية ، نتيجة خلافهم حول بداية حكم عبد الرحمن بن رستم أول أثبتها ، وقد ورد باحدى القصائد في رثاء الدولة الرستيية انها ظلت تائمة مائة وخبسين عاما ، تال الشاعر :

مسدارج عسز الملك نيها وأبدعسوا نقد اسسوا تاهرت بالغرب وارتقسوا يحفهم من كان بالقصب يتطع وداموا بها خبسين عاما ومائة

انظر النفوسي من 300 ٠ والصحيح أن عبد الرحمن بن رستم تولى المامة الظهور سنة 162 ه ، وعلى ذلك متد استبر حكم الاسرة الرستمية مائة وخبس وثلاثين عاما ، على أساس أن دولتهم ستطت سنة 297 ه

لكن سقوط الحكم الرستمي لم يقض نهائيا على النغوذ الاباضي في بلاد المغرب ، مظلت وارجلان وجبل نفوسة معقلين رئيسيين لاباضيسة المغرب . وقد وجه الفاطميون جهودهم نحو فتح هذين المعتلين ، فبعد تحرير المهدى من سجلماسة وجهوا جيشا الى وارجلان . وبادر اباضيتها باخلائها والاعتصام بحصن مجاور لها عرف « بكدية بنهادين » (165) بعد شحنه بالمؤن والاتوات . ولم يستطع الجند الفاطمي اقتحام الحصين ، مآثروا الانسحاب (166) . وبقيت وارجلان معقلا للمقاومة الاباضية ضد المساطمييسن .

اما جبل نفوسة ، فلهم يخضع للحكم الفاطمي وذاك لمنعته انطبيعية (167) واضحى بمثابة ملاذ لثوار الاباضية في سائسر بسلاد المغرب (168) . وعبثا حاولت جيوش الفاطميين غزو الجبل ، مكانت في كل مرة تبوء بالغشل .

هكذا ، نجح الفاطميون في متح تاهرت دون عناء سنة 297 هـ واستطوا حكم بنى رستم ، لكنهم لم يغلحوا في الاستيلاء على جبل نغوسة ووارجلان لمنعة الجبل وتطرف الواحة في اقامي الصحراء . وأضحى جبل نفوسة منذ ذلك الحين معقلا للحركات الاباضية المناوئة للفاطميين . كمسا لم يفلح الفاطميون في ارغام الاباضية في المناطق الخاضعة لحكمهم على انتخلى عن مذهبهم واعتناق المذهب الاسماعيلى . ولم تتمخض سياســة البطش والتعصب التي جرى عليها الفاطميون الاعن اندلاع ثسورات الخوارج الاباضية ، تلك التي سببت لهم مزيدا من المتاعب وهددت بزوال دولتهم من بلاد المغرب في بعض الاحيان .

<sup>(165)</sup> الدرجيني : ج 1 ورتة 42 .

<sup>(166)</sup> أبو زكريا : ورتة 37 ، الدرجيني : ج 1 ورتة 42 .

<sup>(167)</sup> الوسيانى : سير أبى الربيع : ورقة 27 ، على يحيى ممبر : الإباضية في موكب التاريخ من 145 . التاريخ من 145 . (168) أبو زكريا : ورقة 115 ، Lewcki : Etudes Ibadites. P. P. 49, 50.

## ب - ثورات الاباضية على الحكم الفاطمي :

زال الحكم الرستمى من تاهرت سنة 297 ه ( 909 م ) ، وتبدد شمل الخوارج الاباضية لما تعرضوا له من اضطهاد مذهبى على يحد الفاطميين ، والذى لا شك فيه أن الخوارج الاباضية حوهبية ونكارا حرفضوا الاذعان للمذهب الشيعى (169) « واستكانوا الى حين للمسالمة والرضى بالواقع ، انتظارا لسنوح الفرصة » (170) ، بينما لاذت اعداد غفيرة منهم بجزيرتى جربة وصقلية ليأمنوا غائلة الفاطميين (171) .

وكان تنت القوى الاباضية وتشتتها ما بين جبل نغوسة وواحسة وارجلان وبلاد الجريد واحواز تاهرت وجزيرتى جربة وصقلية مما سهل على الفاطميين مواجهة حركاتهم والقضاء عليها . فقد ثار الاباضية بطرابلس سنة 300 ه ( 912 م ) على ماتنون الاجابى عامل المهدى ، وكانت تصورة اقليمية محضة اذا اقتصرت على أباضية هوارة بناحية طرابلس بزعامة شيخ يدعى محمد بن اسحق المعروف « بابن القرلين » .

ونجح المهدى فى حصار طرابلس بحرا ، كما قطع المؤن عنها ، فاستسلم الثوار بعد أن قدموا لابى القاسم بن المهدى مبلغا باهظا من المال ، وسلموا اليه ثلاثة من زعمائهم قتلوا برقادة (172) .

كذلك قضى بالغشل على محاولة اخرى لجمع شمل الاباضية تحت لواء أحد مشايخهم ويدعى أبو خزر تمهيدا للثورة على الفاطميين . وانتهت

Julien: Op. Cit. 339.

<sup>(169)</sup> أبو ركريا : ورقة 115 ، الطاهر الزاوى : تتريخ النتح المربى في ليبيا من 183 -

<sup>(170)</sup> الجربى: مؤنس الاحبة من 59 ·

<sup>(171)</sup> الوسياني : سير أبي الربيع ورقة 59 ، (172) ابن عذاري : ج 1 ص 233 ، 234 ،

به الحال الى الهرب لجبل نفوسة يائسا ، وأصبح الجبل منذ ذلك ألحين مقرا للمقاومة الاباضية ضد الحكم الفاطمي (173) .

وقد تمكن اباضية نفوسة من احياء الامامة الاباضية بعد سقوطها في تاهرت وبايع مشايخهم أبا يحيى زكريا الارجانى — المعروف بأبى بطة — « بامامة الدفاع » (174) وشكلوا حكومة من مشايخ المذهب ، وحاول أبو زكريا — الاغارة على طرابلس لكنه هزم وقتل كثيرون من رجاله (175). وتشجع المهدى فبعث بجيوشه لغزو نفوسة سنة 310 ه ( 922 م ) فلم تفز بطائل وهزمها الاباضية عند قرية الجزيرة . وعاود المهدى المحاولة في العام الثانى وتخبرنا المصادر (177) الاباضية أن جيوش المهدى لقيت الهزيمة مرة أخرى عند قرية تيركت بجبل نفوسة ، وأن كنا نعتقد أن النتيجة كانت غير ذلك لأن أبا زكريا الارجانى قتل في تلك المعركة (178) ، كما يذكر الشماخى (179) أن مشايخ الجبل دأبوا منذ ذلك الحين على دفع المغارم الولاة القيروان الفاطميين الذين كانوا يغالون في تقديرها ، ويهددون بغزو الجبل أذا ما تقاعس النفوسيون عن دفعها .

ولم يتحرر اباضية نفوسة من هذه الاتاوات « وذل المسودة » الا فى مشيخة زعيمهم أبى الفضل سهل النفوسى (180) ويبدو أن ذلك لم يتم الا بعد قيام ثورة الاباضية الكبرى بزعامة أبى يزيد مخلد بن كيداد . تلك الثورة التى احتوت كافة العناصر الاباضية ـ وهبية وخلفية ونفاثية ونكارا ـ في سائر بقاع المغرب ، وهددت بزوال النفوذ الفاطمى منها .

لا شك أن حركة أبى يزيد تمثل من الناحية الاجتماعية حلقة من

<sup>(174)</sup> أبو زكريا : ورقة 115 ، الطاهر الزاوى من 188 ، على يحيى معبر : الإباضية ص. 145 ،

Lewcki: Etudes Ibadites, P.P. 50, 98, Masqueray: Op. Cit. P. LXXV.

<sup>(175)</sup> الشباخي : السير ص 318 ٠

<sup>(176)</sup> نفس المصدر من 321 ، وتقع هذه الترية غربى جبل نفوسة ، انظر : نفس المصدر والصحينة ، Cewcki : Op. Cit. P. 50

<sup>(177)</sup> ابو زکریا : ورقة 117 ، على يحيى معمر ص 154 ، Lewcki : Loc. Cit.

<sup>(178)</sup> نفس المسادر والصفحات ،

<sup>(179)</sup> السير من 320 ، 323 ،

<sup>(180)</sup> تنس المدر ص 275 ٠

حلقات الصراع التقليدى بين البتر والبرانس كما تصور جوتييه (181) ، كما انها عبرت عن نزعة الاستقلال عند البربر من الناحية السياسية كما اعتقد بل (182) . أما الناحية الحضارية فانها تمثل صراعا بين أهل البداوة والاستقرار (183) وهى أيضا نزاع بين قوى محلية مغربية في اطار صراع أعم بين الفاطميين والاندلسيين حسبما اعتقد برنشويج (184) . لكن المؤكد أن ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداذ كانت في المحل الاول رد فعل للخارجية الاباضية في مواجهة الشيعة الاسماعيلية ، فكانت حربا مذهبية شهر فيها سلاح المبادىء الخارجية للاطاحة بالعقائد الاسماعيلية الغريبة على البربر واذا كان البربر السنة قد أيدوا حركة أبى يزيد في مراحلها الاولى ، فذلك واذا كان أبا يزيد كان سنيا » (185) .

كان من اهم ما يميز الحركة طابعها الخارجى الاباضى (186) ، فزعيمها من « اهل الدعوة » على حد تول احد مؤرخى الاباضية (187)، تلقى تعاليمها بالشرق « وراس فى الفتيا فى مذاهب الاباضبة من الخوارج » (188) وكان اول الامر أباضيا وهبيا ثم تحول الى مذهب النكار (189) الضاربين بجبل الاوراس وبلاد الجريد (190). ونعتقد أن هذا

Masqueray: Op. Cit. P. 232.

<sup>(181)</sup> اعتقد جوتييه أن الفاطميين عجزوا عن أيجاد حل « للمسألة الزناتية » على الرغم من أعتمادهم على تواد من زناتة كمصالة بن حبوس . ذلك أن كتامة وصنهاجة — وكانتا على هامش الحياة السياسية في المغرب — سادتا الموتف في المحر الفاطمي ولعبتا دورا بارزا في أحداث المغرب في ذلك الحين وسن ثم أتجهت زناتة بولائها لاسوى الاندلس أعداء الفاطميين نكاية في كتامة وصنهاجة أعدائها التقليديين ، ولما كانت صنهاجة وكتامة من البرانس وزناتة من البتر ، ولما كان أبو يزيد مخلد بن كيداد زناتيا ، فقد نظر جوتييه إلى ثورته من خلال الصراع بين البتر والبرانس ، انظر : Les siecles obscurs. P. P. 354, 570.

وقد یؤخذ الاسران علی تصور جوتیه ، نقد انضوی کثیر من تبائل البرانس فی حرکة آبی یزید مثل عجیسة واوربة وهوارة . انظر : ابن خلدون : ج 6 ص 145 والمقریزی : اتماظ الحنفا ص 114 ، التجانی ص 326 ،

La Religion Musulmane. P. 150. : انظرر (182)

<sup>(183)</sup> انظر: احمد مختار العبادى: سياسة الفاطميين ص 202 ·

la Tunisie dans le haut moyenage P. 17. : انظر (184)

<sup>(185)</sup> هكذا ذكر الدكتور مؤنس في متدمته لكتا بارياض النفوس للمالكي : انظر : ص 23 ، 24

<sup>(186)</sup> ابن حماد : اخبار ملوك بني عبيد ص 16 ، ، 16 المجاد عماد المجاد الم

<sup>· 279</sup> انظر : الشباخي : السير من 279 ·

<sup>(188)</sup> اطنيش : الامكان من 46 ·

<sup>(189)</sup> ابو زكريا : ورقة 38 ، 43 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 23 ، وجاء في هجاء احسد الشعراء لابى يزيد هذا البيت :

حل البيلاء بمغاسد وجبيع شيعته النواكسر Cherbonneau : Documents indits sur l'héretique Abou Yezid P. 493.

<sup>· 114</sup> ابن عذارى : ج 1 مس 166 ، محمد بن تاويت ، دولة الرستيين مس 114 ·

التحول تم في آخر أيام الدولة الرستمية حين ذوى شأن الاباضية الوهبية ، وعلا نجم النكار (191) ، وهم اكثر تشددا ، والتزاما بتعاليم المذهب الاباضى من الوهبية (192) . فابو يزيد اذن ليس سنيا ، ولم يكن صفريا أيضا كما زعم جوتييه (193) ، او « صفريا نكاريا كما ذهب فورنال (194) نقسلا عسن ابسن خلسدون (195) السذى ذهب الى أن « النكاريسة الخوارج الصغرية » . وانما كان اباضيا نكاريا جمعت حركته سائر غرق الاباضية في المغرب ، وهذا ما يعنيه قول ابن حوقل : (196)

« خرج أبو يزيد في أضراب الكفر والنفاق والاباضية والنكاريـة المسراق ».

وجدير بالتنويه ان ابا يزيد حاول استنفار اتباع كافة المذاهب والفسرق الناقمسة على الشبيعة الاسماعيلية والاستفادة منهم . ذكر ابن عذارى (197) انه لم يفصح بادىء ذى بدء عن ميوله المذهبيــة لنفس الغرض « مدعى الى الحق بزعمه ؛ ولم يعلم الناس مذهبه ، مرجوا ميه الخير والقيام بالسنة » . حقيقة أن أبا يزيد لم يعلن في بادىء الأمر عسن « نكارية » الحركة ، فأذاع أنه « خرج غضبا لله » (198) « لاستخفاف الفاطميين بالشريعة والوضع من النبوة » (199) ، لكن جموع الوهبية والسنة الذين آزروه لم يخف عليهم حقيقة معتقداته ، انما أيدوه لاتفاقهم معه في الرغبة في الاطاحة بالحكم الفاطمي رغم ما كان بينهم جميعا من عداء مذهبي . مالاباضبة الوهبية بايعوه على شريطة « انهم ان ظفروا بالمهدية والقيروان صارا الامر شيوري » (200) والسنة آزروه نكاية في الفاطميين،

<sup>(191)</sup> أبو زكريا : ورتة 48 ، 49 ،

<sup>(192)</sup> ابن أبي دينار ص 52 ، المقريزي : الخطط : ج 1 ص 351 ، وقد ذكر الشماخي أن النكار اعتمدوا في عقائدهم على أقوال عبد الله بن زيد في الكلام ، وأبي المورج وابن عبد العزيز وحاتم بن منصور في الفقه ، انظر : السير ص 280 .

Les siécles obscurs. P. 257. : انظرر (193)

Les Berbers Vol. 2. P. 225. : انظـر (194)

<sup>(195)</sup> انظر: العبر: ج 4 ص 40 ، الاستبصار ص 205 .

<sup>(196)</sup> المسالك والمالك ص 48 ·

<sup>(197)</sup> البيان المغرب : ج 1 ص 307 -

<sup>(198)</sup> الخزرجي : ورقة 45 ، ابن الخطيب : رقم الحلل من 34 · (198) ابن النديم : النهرست من 265 · (199) ابن خلدون : ج 7 من 13 ·

اذ أفتى فتهاؤهم أن قتالهم « أفضل من جهاد أهل الشرك » (201) وأجمعوا على الانضمام لابى يزيد لان الشيعة في نظرهم « كفرة بينما الخوارج من أهل القبلة لا يزول منهم الاسلام » (202) . فانضمام الوهبية الاباضية والسننة للحركة أذن كان بمثابة ائتلاف أو تحالف ضد عدو مشترك .

ومن المحقق أن أبا يزيد تطلع الى تكوين دولة أباضية كبيرة متأثرة بتعاليم المذهب الاباضى ، ولذلك هادن كافة الاحزاب المناوئة للفاطميين واستخدمهم فى الجهاد ضدهم . ولم يكن بوسعه اظهار مراميه الحقيقية فى بداية حركته ، أنما آثر التمويه وأعمال الحيلة ، فلم يمانع فى قبول اشتراطات الوهبية أعداءه التقليديين ، ولم يجد غضاضة فى خداع السنة حين « أمرهم بقراءة مذهب مالك » (203) .

والحقيقة أن أبا يزيد كان يكن عداء مرا لهؤلاء وأولئك لا يقل عن عدائه للفاطميين ، ومن المؤكد أنه أضمر بهم غدرا أو على الاقل أضعاف شوكتهم بضربهم بالفاطميين فقد أرجأ الانتقام من الوهبية الى ما بعد الانتهاء من قتال الشيعة (204) ، كما « مكر بالسنة » (205) أثناء حصار المهدية ، وتخلى عنهم لتحصدهم جيوش القائم الفاطمي .

كما لم يتورع عن اظهار مراميه الحقيقية فى النهاية حين استشعر من نفسه القوة بعد انتصاراته التى احرزها على الجيوش الفاطمية (206) كل ذلك يؤكد الطابع المذهبي للحركة باعتبارها ــ فى المحل الاول ــ ثورة

<sup>(201)</sup> الدباغ :  $\pm 2$  ص 185 ، القاضى عياض : ترتيب المدارك قسم «1» من جزء «2» ص 64 ، 65 وقد نظر فقهاء القيروان الى ما قام به العبيديون من تغييرات في العبادات والطقوس على أنه من قبيل الكفر ، فقد اسقط المروزى عامل المهدى على القيروان صلاة التراويح ، كما أحدث القائم تغييرات جوهرية في الشرائع والاحكام أثارت غضب فقهاء السنة الذين أخذوا بالشدة والبطش .

انظر: ابن مذارى: ج 1 ص 205 ـــ 208 ، الاستبصار ص 205 ، الدباغ: ج 2 من 244 ·

<sup>(202)</sup> سعيد بن تعديش ص 125

<sup>(203)</sup> ابن عذاری : ج 1 مس 308 .

<sup>(204)</sup> قيل أن أصحاب أبى يزيد من النكار طالبوه بقتال الإباضية الوهبية أخذا بثار زعيمهم يزيد بن هندين ، هواهتهم الرأى على أن يكون ذلك بعد فراغه من قتال الشيعة . انظر : أبو زكريا : ورقة 39 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 44 .

<sup>(205)</sup> بىعىد بن بقديش : س 127 ·

<sup>(206)</sup> ابن النديم : الفهرست من 266

اباضية مضادة للحكم الفاطمى ، ورد فعل خارجسى (207) لسياسسة الفاطميين في بلاد المغرب .

والذى يستقصى نشأة أبى يزيد يلتمس تلك الحقيقة على الرغم مما نسبج حولها من القصص والاساطير ، فحتى تلك الاساطير لا تخلو من دلالة على تطلع أباضية المغرب للاطاحة بالحكم الفاطمسى تحت قيادة أبسى يسزيد (208) .

على كل حال \_\_ اجمعت المصادر على انتمائه الى زناتة ، وأن اختلفت فى التفصيلات (209) . وعلى الرغم مما احاط حياته الاولى حن غموض (210) . فقد كشفت المراجع أن أباه كان من قسطيلية ببلاد الجريد، وأنه احترف التجارة مع بلاد السودان (211) . وقد ولد أبو يزيد من أم مسودانية (212) وأب من زناتة . ونشأ بمدينة توزر \_\_ من أعمال قسطيلية \_\_ معتل الاباضية النكار ، الا أنه حفظ القرآن ودرس أحوال المذهب الاباضى الوهبى (213) . ثم ارتحل الى سجلماسة ودرس على أبن الجمع شيخ

<sup>(207)</sup> مما يؤكد الطابع الخارجي لحركة أبى يزيد عملته التي تضمنت عبارة « لا حكم الا لله » وهاك صورة الدينار ضرب في عهده :

الوجه : ربنا الله \_ لا حكم الا لله \_ وحده لا شريك له \_ الحق المبين . الدائرة : بسم الله الرحمن الرحيم \_ شرب هذا الدينر بالقيروان سنة ثلاث وثلاثين . ث لاد الدينر بالتيروان سنة ثلاث وثلاثين

و الوجه الاخر : العزة لله ـ محمد رسول الله ـ خاتم النبيين . الدائرة الاولى منه الذين آمنوا به وعززوه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه

عمل 1 المنظر : أبو زكريا : ورقة 38 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 23 ، (208) Le Tourneau : Op. Cit. P. 104. Cherbonneau : Op. Cit. P. 472.

<sup>(209)</sup> ذكر ابن حماد انه من بنى جعفر من بطون زناتة ، اما ابن خلدون فقال انه من بنى واركو من بطون بنى يفرن ، وذكر الدرجينسى نقسلا عسن الرقيق أنسه مسن بنى واسين في حين قال ابن حوقل بانه من سماطة ، انظر : اخبار ملوك بنى عبيد من 18 ، العبر : ج 7 من 13 ، طبقات الاباضية : ج 1 ورقة 23 ، المسالك والمالك من 48 .

<sup>(210)</sup> ابن حباد ص 17 ، Le Tourneau Op. Cit. P. 104

الاعتاب العمالي من 69 من ملاحق كتاب (211) وهرة المالي من 69 من ملاحق كتاب (211) . 40 من 18 ، ابن خلدون : ج 4 من 40 ، ابن خلدون : ج 4 من 40 ،

<sup>(212)</sup> ابن حماد ص 18 ، بينما ذكر ابن الأثير وابن خلدون أن أمه كانت من هوارة ، أنظر : الكامل : ج 8 من 138 ، العبر : ج 7 من 13 ،

<sup>· 13</sup> ابن الاثير : ج 8 من 138 ، ابن خلدون : ج 7 من 13 ·

الاباضية هناك لمدة عامين (214) انتقل بعدهما الى تاهرت (215) ، حيث أنتى في النقه الاباضي الوهبي (216) مدة ثم عاد ادراجه الى توزر ، وفي توزر اختلط بشيوخ النكار فمال الى مقالاتهم وتبحر في أصول مذهبهم (217). ولا يخالجنا شك في عودته الى تاهرت بعد ذلك حيث راتب عن كثب الاحداث الني جرت ميها اواخر العهد الرستمي ، ومن المحتمل ان يكون قد أسهم فيها بدور اضعافا للامامة الوهبية .

على كل حال ــ لم يطب له نيها المقام ، اذ سقطت في يد الشيعة سنة 297 هـ ( 909 م ) ، مفادرها الى تقيدوس (218) مدن بدلاد تسطيليــة (219) .

وفي تقيروس عكف على تحفيظ الصبية (220) القرآن وتعليمهم المذهب النكارى في مكان عرف « بعين النكارة » (221) والراجح انه بدأ منذ ذلك الحين يعد العدة لجمع شمل الاباضية النكار تمهيدا للثورة علىي الفاطميين . ولو صبح قول المقريزي (222) بأنه شرع في سنة 303 ه ( 915 م ) في تجهيع الانصار لهذا الغرض ، لكان معناه انه قضى حول ثلاثة عشر عسامسا نسى الاعسداد للتسورة ، لانسه لسم يجهسر بسدعوتسه الا نسبي عسام 316 ه ( 921 م ) (223) فقسي ذلك العسام كثسر اتباعیه وانصیاره ، واظهر مذهبیه النکیاری وبیدا « یحتسب على الناس في انعالهم ومذاهبهم » (224) وانكر على الفاطميين سياستهم الدينية والمالية (225).

كان طبيعيا أن يبعث المهدى الى عامله على تقيوس يأمره بالقبض

<sup>(214)</sup> الشماخي : السير من 279 ،

<sup>(215)</sup> ابن الاثير : ج 8 من 138 ، ابن خلدون : ج 4 من 41 .

<sup>(216)</sup> ابن حماد مل 20 ، 418. (216) (216) (216) (216) (217) ابن خلدون : ج 4 مل 41

<sup>(218)</sup> نفس المصدر عن 40 -

<sup>(219)</sup> الاستيصار من 156 ٠

<sup>(220)</sup> ابن حباد مس 19 ، ابن الاثير : ج 8 مس 138 ·

<sup>(221)</sup> أبن حيان : المتتبس في أخبار بلد الاندلس من 192 ، ابن النديم من 265 ·

<sup>(222)</sup> اتعاظ الحنفا من 109 ·

<sup>(223)</sup> ابن حماد من 19 ، ابن الاثير : ج 8 من 138

<sup>(224)</sup> ابن الاثير: نفس المصدر والصحيفة .

<sup>(225)</sup> ابن الخطيب : رتم الحلل ص 34 ·

على أبى يزيد (226). لكنه نجح في الهرب الى الشرق ، ولم يعد السي المغرب الا بعد وماة المهدى سنة 322 ه ( 934 م ).

نزل ابو يزيد بتقيوس مرة اخرى ، وشرع على الفور فى الاعداد للثورة على القائم ، فبعث رسله الى جبل نفوسة مستنفرا الاباضية الوهبية لشد ازره (227) ، شم انتقل الى توزر سنة 325 ه ( 937 م ) حيث ساندته اكثرية من الاباضية النكار مد واعلن الثورة من هناك (228) .

وبعث القائم الى والى قسطيلة ليواجه الخطر الاباضى ، فبعث بدوره الى عامله على توزر ـ ويدعى ابن فرقان ـ (229) بالقبض على ابى يزيد ، فاعتقله واودعه السجن . وحاول شيوخ النكار الوساطة لدى ابن فرقان لاطلاق سراح ابى يزيد ، دون جدوى ، فأجمعوا الراى على تحريره بالقوة (230) ، فكان لهم ما ارادوا (231) .

وعول ابو يزيد على استنفار سائر جماعات الاباضية وجمعهم فى مكان آمن ، فنزل بوارجلان (232) وبعث الى الاباضية بجبال الاوراس يطلب التاييد ، فاجابوه . فغادر وارجلان الى الاوراس ، وانضم اليه بنو برزال -- ومواطنهم جنوب المسيلة - وكذلك بنو زنداك من مغراوة (233)، فضلا عن لواتة وبنو كملان (234) . واتفق شيوخ الاباضية - وهبية ونكارا - على بيعة ابى يزيد سنة 331 ه (944) م ) « على محاربة الشيعة.

<sup>(226)</sup> الدرجيني : ج 1 ورقة 23 وقد ذكر ابن خلدون أن القائم ، وليس المهدى ... هو الذي بعث إلى عامله بالقبض على أبى يزيد ، ( انظر العبر ج 7 ص 13 ) وتعتد أن المهدى كان على علم بنشاط أبى يزيد منذ البداية ، قلم يكن انشاؤه المهدية الالخوقة من خطر ثورات الإباضية وهذا يقهم ضمنا من الروايات الاسطورية التين نسجت حول انشائها وبديهي أن يبادر بمواجهة ذلك الخطر قبل أن يدهمه ، فكان كتابه إلى عامله بتقيوس للقبض على أبى يزيد ، انظر زهرة المعانى ص 69 ، ابن الاثير : ج 8 ص 30 ، 31.

<sup>(227)</sup> وجه أبو يزيد السى أهل الجبل هذه الرسالة . . « قد غاتنا منكم كثير ، وغاتكم منا كثير ، وأنه ليس لله علينا أن نشترى حجة » انظر : أبو زكريا : ورقة 38 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 23 .

<sup>(228)</sup> ابن حماد : ص 20 ، ابن خلدون : ج 7 ص 13 .

<sup>(229)</sup> ابن خلدون : نفس المصدر والصحيفة .

<sup>(230)</sup> أبو ركريا: ورقة 38 ، الدرجيني : ج 2 ورقة 44 .

<sup>(231)</sup> تصور المسادر الاباضية أن أربعة من النكار التحموا السجن وتتلوا كل من تصدى لهم حتى تمكنوا من تحرير أبى يزيد ، وهى رواية تغلب عليها الطابع الاسطورى ، انظر : أبو زكريا : ورقة 138 ، الدرجينى : ج 1 ورقة 44 ،

<sup>(232)</sup> ابن خلدون : ج 7 مس 13 ·

<sup>(233)</sup> نفس المصدر والصحيفة .

<sup>(234)</sup> نفس المصدر والصحيفة ،

على أن يكون الامر شورى اذا ظفروا بالمهدية » (235) .

ويمكن تقسيم المراع بين أبى يزيد والفاطميين الى ثلاثة مراحسل الساسية ، بدات المرحلة الاولى منها بحصار جيوش القائم لابسى يزيد بالاوراس سنة 331 ه ( 944 م ) وانتهت بحصار أبى يزيد للمهدية سنة 333 ه ( 946 م ) ، وفيها كانت الفلبة للثوار . أما المرحلة الثانية ، فكانت الحرب فيها سجالا ، اذ تبادل الطرفان النصر والهزيمة . بدأت هذه المرحلة باخفاق أبى يزيد في افتتاح المهدية وانتهت بحصاره سوسة في جمسادى الاخر سنة 334 ه ( 947 م ) . وفي المرحلة الثالثة كان افول نجم أبى يزيد وهزيمة جيوشه وانتهاء الامر بقتله ، وفشل ابنه الفضل في الاخذ بثاره سنة 336 ه ( 949 م ) .

#### المسرحلسة الاولسي:

من السمات البارزة لتلك المرحلة بزوغ نجم ابى يزيد واشتداد ساعده بانضمام جموع الاباضية كافة الى حركته فضلا عن مالكيسة القيروان . وبغضلهم دانت له غالبية مدن افريقية وحصونها بعد حروب حالفه النصر فيها . ولم تجد نفعا محاولات القائم استرداد نفوذه . فقبع بالمهدية متخذا موقف الدفاع . وكاد الحكم الفاطمى ان يزول نهائيا من بلاد المغرب لولا انضمام صنهاجة الى القائم ، اذ ادى انضمامها الى تحول كبير في مسار الصدراع .

فقد عول القائم بادىء ذى بدء على مباغتة أبى يزيد بالاوراس سنة 331 هـ ( 944 م ) ولما يشتد عوده بعد . الا أن أبا يزيد ألمح في فلك الحصار الذى ضربنه جيوش القائم (236) حول مقره وأحرز نصرا على تلك الجيوش ذاع بعده صيته ، فانضمت اليه كثير من القبائل منها مزاتة (237) . وعلى التو شرع أبو يزيد في فتح مدن أفريقية وحصونها الساحلية ، فاستولى على باغاية (238) - جنوبى الاوراس (239) - ومنها توجه الى قسطيلية

<sup>(235)</sup> ننس المسدر والمسحينة ،

<sup>(236)</sup> عن حيل أبى يزيد في فك الحصار · انظر : أبو زكريا ورثة 39 ، الدرجيني : ج 1 ورثة 44 ·

<sup>(237)</sup> ننس المسدرين والصنحات .

<sup>(238)</sup> ابن هماد من 21 ، ابن خلدون : ج 4 من ١

<sup>(239)</sup> الاستبصار ص 163 ·

فقتحها (240) وانضمت اليه جموع النكار فيها ، ونجح في الحيلولة بينهم وبين مقاتلة الاباضية الوهبية (241) . ثم أمن أهلها وهدم أسوارها (242) .

وواصل ابو يزيد فتوحاته فدانت له تبسا ومجانة ــ بوسط افريقية ــ كما فتح مرماجنة ــ جنوبى مجانة ــ واهدى له رجل منها حمارا اصهب صار يركبه وبه كنى ، فقيل « صاحب الحمار » (243) . وتوجه الى الاربس ــ شمال غربى القيروان ــ ففتحها واضرم فيها النيران كما أنفذ عسكرا الى سبيبة ــ قرب القيروان ــ استولى عليها بعد قتل عاملها (244) .

واحدث سقوط الاربس هلعا كبيرا في المهدية (245) ، فأنفذ القائم جيوشا للدفاع عن رقادة والقيروان ، كما بعث بقائديه ميسور الفتى وبشرى الفتى لمناوءة ابى يزيد . غير ان بشرى هزم عند باجة فوقعت في يد ابى يزيد وانصرف بشرى الى تونس فاستمال اهلها بالمال ، فبعث أبو يزيد عسكرا في اثره دارت الدائرة عليه . لكن اهل تونس ثاروا على بشرى وكاتبوا ابا يزيد ، فأمنهم وولى عليهم رجلا منهم يدعى رحمون ، ثم توجه أبو يزيد نحو القيروان . فسبقه بشرى اليها وهزم طلائع الجيش الاباضى ، وبعث بالاسرى الى المهدية حيث قتلوا (246) .

واستمان بشرى بكتامة لملاقاة ابى يزيد والحيلولة دون وصوله الى القيروان لل فخرجت للقائه ، لكنها عادت مدحورة الى القيروان ، واستولى أبو يزيد على رقادة وعاث نيها في الوقت الذى كان نيه قائده أيوب الزويلى يدق أبواب القيروان في مسقطت القيروان في صفر سنة 333 ه ( 946 م ) في يد أيوب ، نقتل عاملها ، وأمن شيوخها ورفع النهب عنهم (247) . أما ميسور الفتى نقد هزم على يد أبى يزيد عند مكان يقال له الاخوان (248) عند ما حاول استنقاذ القيروان (249) . وطير أبو يزيد أنباء انتصاراته

<sup>(240)</sup> المتريزي : اتعاظ الحنفا من 109 ،

<sup>(241)</sup> أبو زكريا : ورثة 39 ،

<sup>(242)</sup> ابن الاثير : ج 8 ص 138 ٠

ركين المربح المربح على المربح المربح

<sup>(244)</sup> ابن الأثير : ج 8 ص 138 ، المتريزي : اتعاظ الحنفا ص 110 ٠

<sup>(245)</sup> المتربزى: ننس المصدر والصحينة .

<sup>(246)</sup> ابن حماد ص 21 ، ابن خلدون : ج 4 ص 41 ، التجانى : رحلته ص 24 ، 25 ·

<sup>(247)</sup> ابن خلدون : ج 4 ص 41 · (248) منزل بين التيروان والمهدية · البكرى ص 31 ·

ابن عذاری : ج 1 من 310 ، ابن الأثیر : ج 8 من 139 ، ابن خلدون : ج 4 من 249 ، ابن خلدون : ج 4 من 41 ، من 41 .

تلك الى عبد الرحمن الناصر في قرطبة (250) .

والواقع أن أبا يزيد بلغ قمة النصر بالاستيلاء على القيروان ، أذ انضم أهلها من المالكية اليه وكونوا جيشا قويا انضوى تحت لوائه (251) ، كما هوت مقاومة سوسة للله ميناء بشمال شرقى القيروان للمام سرية من رجاله (252) ، لكن لم تدم سيادته عليها طويلا (253) ، وساد الهلع مذينة المهدية أذ أصبحت مهددة بالسقوط ، ولم يستطع القائم مناهضة أبى يزيد ، فخندق على نفسه بالمهدية وناشد زيرى بن مناد شيخ صنهاجة العون ، كما استنهض همة الكتاميين للدفاع عن العاصمة (254) .

ورحل أبو يزيد من القيروان ميمما وجهه شيطر المهدية ، وخرجت جيسوش القائم للقائه عند مكان يقال له « الوادى الملح » (255) فبدد أبو يزيد شيملها (256) ولم يشا تعقب فلولهم ، بل آثر استجماع كافة قواه لاقتحام المهدية ، فبعث في استدعاء ابنه فضل الذي وصل مسرعا على راس امداد هائلة من القيروان (257) ، واتخذ أبو يزيد معسكره عند مكان يقال له « ثرنوط » على بعد ستة أميال من المهدية (258) . لكن تحولا كبيرا في الموقف افضى الى فشل محاولات أبى يزيد في اقتحامها .

#### المرحلة الثمانية:

كان الصراع في هذه المرحلة سجالا ، نتيجة حدوث صدع في معسكر

<sup>(250)</sup> تعتبر ملاقة إلى يزيد الودية مع أموى الاندلس امتدادا لعلاقات أباضية تاهرت مع أمراء ترطبة ، وولاء زناتة لاموى الاندلس ، غير أن ابن خلدون بالغ في تقديسر طبيعة هذه العلاقة ، غذهب الى ان أبا يزيد « كان يدعو للناصر صاحب الاندلس » وكان ملتزما لطاعته والقيام بدعوته » ، والواقع أن الامر لم يتجاوز « ترحيب أموى الاندلس بثوار المغرب ضد الفاطميين » كما لم يقصد أبو يزيد سوى مناشدة الناصر المعون ضد عدوهما المشترك ، وجدير بالتنويه أن الرسل الذين أنفذهم أبو يزيد لهذا الفرض لاتوا ترحيبا في ترطبة وان لم تسفر اتصالاتهم عن نتائج ايجابية ، انظر : Variedades : Al-Hakam II y Iosberbers P. 316.

Fournel: Op. Cit. Vol 2. P. 338, Brunschrig: Op. Cit. P. 17.

<sup>(251)</sup> كان أحد بنودهم مكتوب عليه « نصر من الله ونتح قريب على يد أبى يزيد ، اللهم انصره على ساب نبيك » انظر : ابن عذارى : ج 1 ص 309 ، سعيد بن مقديش ملك . مر126 .

<sup>(252)</sup> ابن حباد من 20 ·

<sup>(253)</sup> التجانى : رحلته ص 27 ، محمد الاندلسي : الحلل السندسية ص 115

<sup>(254)</sup> ابن حماد : ص 20 ، ابن الاثير : ج 8 ص 139 ، التجانى ص 324 · (254) بكان بين المهدية وتماجر ، انظر : البكرى ص 29 ·

<sup>(255)</sup> بكان بين المهدية وتباجر ، انظر ، البحر: (256) نفس المصدر والصحيفة ،

<sup>(257)</sup> ابن حماد ص 21 ، ابن خلدون : ج 4 ص 42 ، المتريزي : اتعاظ الحنفا ص 114.

<sup>(258)</sup> البكرى ص 31 ، وتيل على بعد خبسة اميال من المهدية ، انظر : التجاني : ص 326.

أبى يزيد ، وتدعيم جيوش القائم نقد دب الشقاق في صنوف الشوار ، وبارح الإباضية الوهبية والسنة المالكية ومعسكر ابى يزيد ، في الوقت الذي تواندت نيه جموع كتامة وصنهاجة للذود عن المهدية . ولا غرو نقد أخنق الثوار في اقتحامها ، وعمدت جيوش القائم الى استرداد ننوذه في المريقية ، بينما عول ابو يزيد على محاولة اعادة تجميع قواه والاعتماد اساسا على النكار بجبل الاوراس واتسم الصراع بينه وبين القائم بالقسوة والضراوة ، نكانت الحرب سجالا تبادل الطرفان نيها النصر والهزيمة .

فقد عسكر أبو يزيد بثرنوط كما سبق القول ، ومنها حاول مسرارا غز والمهدية دون جدوى .

غفى المرة الاولى ، وصلت جيوشه الى بابها ـ عند المصلحيّ ـ واضحت قاب قوسين من السقوط ، لكن انشغال عسكره بالمغام واستبسال كتامة في الدغاع ، ووصول صنهاجة لنجدة القائم ، غير مسار القتال ، غدارت الدائرة على أبى يزيد وكاد أن يقتل في المعركة . لكنه نجا بأعجوبة ، وعادت جيوشه الى ثرنوط (259) .

وحفر ابو يزيد خندتا بثرنوط وارسل يطلب المدد من نفوسة والزاب، واتاصى المغرب. ولما وصلته الامداد ، كر الى المهدية محاولا اقتحامها للمرة الثانية ، الا أنه عاد مدحورا أيضا ، فبعث يستنجد بعامله على القيروان ، فخف الى نجدته ، وزحف أبو يزيد فى آخر رجب سنة 333 ه ( 946 م ) على المهدية لكنه هزم مرة أخرى . وفى آخر شوال تام بمحاولته الرابعة ، فشدد عليها الحصار ، وهدد من بداخلها بالموت جوعا ، لكن القائم نجح فى مواجهة المجاعة لما كان قد أذخره من حبوب ومؤن من تبل ، وأمر كتامة بمهاجمة قسنطينة \_ أكثر مدن أفريقية حصانة ومنعة (260) \_ خاضطر أبو يزيد إلى أنفاذ جزء من جيشه للحيلولة دون استيلاء الكتاميين عليها .

ودب الشقاق في معسكر أبى يزيد ، غفارته الاباضية الوهبية والمالكية ولم يبق معه سوى النكار من زناتة الاوراس وبنى كملان وهوارة (261) .

<sup>(259)</sup> ابن الاثي : ج 8 ص 140 ، ابن خلدون : ج 4 ص 41 ، المتريزي : اتماط المناط من 114 ، المتريزي : اتماط

<sup>(260)</sup> الاستبصار ص 165 ·

<sup>(261)</sup> ابن ألاثير: ننس المصدر والصحينة ، التجاني ص 326 .

ورد بعض (262) المؤرخين ذلك الى يأسهم من اقتحام المدينة لمناعتها ، وحرمانهم من الاسلاب والمغانم التي كانوا يطمعون فيها .

ونعتقد أن ابن خلدون (263) أصدق في تنسير ذلك الانشقاق ، أذ ارجعه الى اظهار أبى يزيد حقيقة نواياه ، وغدره بالقيروانيين ؛ وتنكره لما أخذه على نفسه من عهود ومواثيق ، فقد تنافس زعماء هذه الفرق في الظفر بالسلطة حين أضحى سقوط المهدية وشيكا ، ومن ثم أوقع أبو يزيد بالسنة أثناء القتال مع جيوش القائم ، فأمر رجاله بالتخلى عن القيروانيين أثناء المعركة وتركهم هدفا لسيوف الشيعة « فقتل من شيوخهم أربعة آلاف ما بين عابد وعالم وصالح » (264) وأدرك الإباضية الوهبية مرامى أبى يزيد في الانتقام أذا ما دانت له المهدية ، ففارقوه حتى « لا يتفرغ لافشاء كفره » (265)

ولعل ذلك يفسر غضبة السنة على أبى يزيد ودعوتهم للخلافة العباسية ، وملاحقة أبى يزيد حركتهم ، وقتله زعيمها (266) ، كما يفسر أيضا طلبه الامداد من الاباضية النكار بالاوراس بعد مقاطعة سائر الفرق الاباضية الاخرى حركته (267) . وحين وصلته هذه الامدادات ضرب الحصار من جديد على المهدية ، وكادت تسقط هذه المرة بعد أن غادرها كثيرون من أهلها لائذين بصقلية وطرابلس ومصر ، لولا استبسال فرسان كتامة فسى الذود عنها (268) والحاقهم الهزيمة بأبى يزيد الذى هسرب الى القيروان تاركا معسكره غنيمة لجيوش القائم (269) .

لذلك ثارت معظم مدن افريقية على أبسى يزيد ودخلت في طاعسة القائم (270) . وحاول أبو يزيد استرداد نفوذه المفقود ، فاسترد تونس في صفر سنة 334 ه ( 947 م ) ، ثم فقدها مرة أخرى بعد هزيمته عنسد اصطفورة سه على مقربة من تونس سه واستعادها أيوب بن أبى يزيد مسن

<sup>(262)</sup> ننس المصدرين والصنحات .

<sup>(263)</sup> العبر : ج 4 من 42 +

<sup>· 127</sup> سعيد بن معديش ص 264)

<sup>(265)</sup> الاستبصار ص 206

<sup>· 42</sup> ابن مُلدون : ج 4 ص 42 ·

<sup>(267)</sup> ابن حماد ص 23

<sup>(268)</sup> ننس المصدر والصحيفة ، المتريزي : اتعاظ الحنفا ص 116 .

<sup>(269)</sup> ابن خلدون : ج 4 مس 42 ·

<sup>(270)</sup> ننس المصدر والصحينة ،

جديد كما استرد باجة وأضرم نيها النيران (271) .

وطلب القائم العون من عامله على المسيلة ـ من بلاد الزاب (272) \_ على بن حمدون (273) لاستنقاذ باجة ، لكن أيوب بن أبي يزيد بدد شمل جيشه . وفي تلك الاثناء نجح القائم في دخول تونس واقصاء ابي يزيد عنها ، هفر الى القيروان . في حين نجح على بن حمدون في بسط نفوذ القائم علسى مدينتي تيجس (274) وباغاية (275) .

وكان لا بد لابي يزيد ليسترد هيبته أن يحرز نصرا كبيرا يعوضه عن هزائمه السابقة ، فأعد جيشا ضخما مزودا بآلات الحصار والمنجنيقات ، فضلا عن ثمانين الف فارس واتجه نحو سوسة في جمادي الاخرة سنة 334 ه ( 947 م ) وضرب عليها الحصار (276) ، دون جدوى .

#### المرحلسة الثالثسة:

دارت الحرب سجالا حول سوسة وفي تلك الاثناء توفي القائم في رمضان من نفس العام (277) . وتولى بعده ابنه اسماعيل الملقب بالمنصور ، وكتم المنصور خبر وماة والده ، ولم يغير شيئًا من رسوم الخلامة كالسكة والخطبة والبنود (278) حتى لا يفت ذلك في عضد اتباعه.

وبادر المنصور بانفاذ جيشه واسطوله الي سوسية لفك الحصار عنها . وبانفعل تمكن رجاله من هزيمة ابي يزيد واستباحة معسكره ، كما

<sup>(271)</sup> ابن الاثير: ج 8 من 141 ، المتريزي: اتماظ الحنفا من 116 .

<sup>(272)</sup> الاستبصار من 171 ·

<sup>(273)</sup> ابن حيان : المتبس في اخبار بلد الاندلس مي 35 .

<sup>(274)</sup> مدينة تقع بين مجانة وتسنطينة ، انظر البكرى ص 63 .

<sup>(275)</sup> ابن خلدون : ج 4 ص 42 ، المتريزي من 118 . (276) البكري من 35 ، ابن حماد من 23 .

<sup>(277)</sup> تخطىء بعض الروايات حين تجعل وماة القائم اثناء حمار المهدية وليس حصار

سوسة ، انظر : أبو زكرياً : ورقة 40 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 45 . (278) ابن خلدون : ج 4 من 43 ويؤكد تول ابن خلدون أن العبلة التي شربها المنصور

سنة 336 ه هي أول عملة ضربها ، اذ ضربت بعد ظفره بابي يزيد في نفس العام .

الوجه الاول: الامام - لا اله الا الله - المنصور بالله .

دائرية : بسم الله ضرب هذا الدينر بالهدية شمهر ذي القعدة من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، الوجه الاخر ، اسماعيل ــ محمد رسول الله ــ امير المؤمنين ، انظر : Lane-Poole: Catalogue of oriental coins in the British museum. Vol 4 P. 6.

أبلى أهل سوسة في المعركة بلاء حسنا (279) .

ونزل أبو يزيد القيروان ، فثار أهلها عليه وطردوه منها ، فلجأ الى سبيبة (280) . وقدم المنصور الى القيروان واجرى على أهلها الارزاق والعطايا (281) ونشب قتال بين أبي يزيد والمنصور في أرباضها دارت اندائرة منيه على ابى يزيد في أواخر ذى القعدة سنة 334 ه ( 947 م ) . غير ان ابا يزيد تمكن من الحاق عدة هزائم بجيوش المنصور ، وبعث بسراياه لقطع الاتصال بين المهدية والقيروان وسوسة ، فوعده المنصور بأن يسلم اليه آله وحرمه بالقيروان على أن يرحل عنها ، فأجابه الى ذلك ، لكنسه اخلف وعده ، فقاتله المنصور وهزمه في خامس المحرم من عام 335 هـ ( 948 م ) (282) ٠

وعقد المنصور العزم على استئصال شامة الثوار ، معبأ جيوشه والتحم معهم في معركة حاسمة في نهاية المحرم من نفس العام أجهز فيها على خيرة رجال ابي يزيد (283) ، وانتهب معسكره ، وقر أبو يزيد تاركا أثقاله واسلحته لا يلوى على شيء الى باغاية . وتعقبه المنصور ، فاعتصم ببنى برزال من النكار (284) ومرض المنصور ماستقر بالمسيلة ، وقدم عليسه زيري بن مناد ماغدق عليه (285) ، كما واماه محمد بن خزر الذي كان مواليا لابي يزيد ، فأكرم وفادته ، وعهد اليهما باقتفاء أثر أبي يزيد (286). وبانضهام صنهاجة وعجيسة الى المنصور قضى نهائيا على حركة أبى يزيد بالنشل (287) . معول ابو يزيد على الهرب الى بلاد السودان لكن أتباعه

```
(279) تغنى الشعراء بشجاعة أهل سوسة نقال أحدهم :
منسا طعسان السمسر والاقسدام
                                   ان الخـوارج صدها عـن سوسـة
في النقسع دون المحصنات رجال
                                   وجالاد اسياف تطايس بينهسا
                                                   وتسال آخسر:
```

تحديسن لسه المسدائسن والثفسور مدينية سوسية بالغرب ثغير نكان من الالبه لها نصيبر اتاهسا الخارجسون ليملكوهسا انظر: التجاني ص 28 ·

<sup>(280)</sup> ابن خلدون : ج 4 ص 43 ·

<sup>(281)</sup> ابن حماد من 26

<sup>(282)</sup> ننس المصدر من 27 ، ابن خلدون : ج 4 من 43 ، المتريزى : اتعاظ الحنفا ص 121.

<sup>(283)</sup> ابن حماد من 27 . (284) ابن خلدون : ج 4 من 43 . (284) ابن خلدون : ج 4 من 43 . (285) ابن حماد من 27 .

<sup>(286)</sup> الخزرجي : ورثة 45 ·

<sup>(287)</sup> ابن حماد : ص 28 ، احمد مختار العبادى : سياسة الفاطميين نحسو المفسرب والاندنس من 202 ·

منعوه من ذلك . متحصن بجبل كيانة (288) .

وحاصر المنصور وزيرى بن مناد الجبل وضيقا الخناق على النكار ، متخلت هوارة عن ابى يزيد وانضمت الى المحاصرين ، وقتل كثيرون من النكار واسر بعضهم . وآوى ابو يزيد الى قلعة (289) براس الجبل علها تعصمه من الوقوع في يد عدوه ، لكن المنصور اضرم النيران في الشعراء المحيطة بها وحاول ابو يزيد الهرب ، فوقع مثخنا بالجراح في قبضة المنصور وظل بأسره حتى مات في المحرم سنة 336 ه ( 949 م ) متأثرا بجراحه ، ومثل المنصور بجثته وشهر بها (290) ، واظهر اغتباطه بموت ابى يزيد مكتب الى سائر عماله بالمغرب بانباء انتصاره . وانبرى الشعراء في امتداحه مهنئين بالقضاء على الثورة (291) .

وحاول غضل بن ابى يزيد استنفار غلول الاباضية ، وهبية ونكارا ، لمناهضة المنصور ، ونجح بالفعل في جمع اخلاط شتى جعل على راسهم معبد بن خزر الزناتى . وبادر المنصور بانفاذ جيش قاده مواليه شفيسع وقيصر ، وجعل معهما زيرى بسن منساد ، فبسددوا شمسل الحشسود الاباضية (292) ، وهرب الفضل لائذا بمزاتة . ويبدو أن الاباضية الوهبية خذلوه في حروبه ، والبوا عليه مزاتة أيضا ، فقاتلوه هو واصحابه مسن النكار ، وقدموا راسه قربانا للمنصور توددا اليه ، فامنهم ، « وانطفا ذكر انفضل والنكار » (293) ، وأغدق المنصور على زعماء مزاتة بالهدايا اعترافا بغضلههم ، (294) .

<sup>(288)</sup> ابن حماد ص 28 ، التجاني ص 327

<sup>(289)</sup> عرضت حدّه القلعة « بقلعة الشاكر » من عمل لهيصة ، انظر : ابن الخطيب : اعمال الاعسلام : ج 3 من 154 ه

<sup>(290)</sup> ابن حباد من 30 ، ابسن الطيب : ج 3 من 45 ، ابسن خلسدون : ج 4 من 44 ، المربيني : ج 1 ورتة 46 ، المتريزي : اتعاظ المنفا من 125 ، التجاني من 328 ، الدرجيني : ج 1 ورتة 46 ، Cherbonneau : Op. Cit. P. 439.

<sup>(291)</sup> قال أحد الشعراء بهذه المناسبة :

هــل الــــــــــة النــواكـــــر وقــال كــر :

وتال آخر: أما النفاق فقد نسخ وابو الكباير تد سلخ الفلر: ابن حماد Cherbonneau : Op. Cit. P. P. 493, 496.

<sup>(292)</sup> ابن الاثير : ج 8 مس 145 · ابن خلدون : ج 4 مس 44 ·

<sup>(293)</sup> أبو زكريا : ورقة 41 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 46 .

<sup>(294)</sup> ابن حباد : من 32 ، 4 (294)

وحاول أيوب بن أبى يزيد \_ الذى كان موندا فى سنارة من تبل والده الى الاندلس \_ رنع لواء الثورة على المنصور ، لكنه اغتيل على يد رؤساء مغراوة أيضا ، وتقربوا برأسه الى المنصور (295) .

هكذا ــ اخفقت ثورة الاباضية الكبرى ، ولو قدر لها النجاح لاضحى زعيمها من مشاهير التاريخ (296)

لقد وصل أبو يزيد الى أعتاب النجاح (297) ، لكن عوامل شنتى حالمت دون تحقيقه في الستبسال صنهاجة وكتامة في الذود عن الكيان الفاطمي كان عاملا جوهريا وراء نشل الثوار في الاستيلاء على المهدية آخر معاقل الفاطميين (298) .

ومن المحقق أن أبا يزيد أسهم بسياسته التى أثارت الشقاق بين أنصاره في هذا الفشل ، حقيقة أنه نجح بدهائه في احتواء كافمة العناصر الناقمة على الفاطميين وكسبهم الى جانبه ، لكنه لم يستطع الحفاظ على ولائهم لحركته بسبب تنافس هذه العناصر واطهاعهم في الاستئثار بالسلطة بعد هزيمة الفاطميين . فاعمل أبو يزيد الحيلة للتخلص من هذه التوى واحدة تلو الاخرى ليصفو له الجو ، فكانت النتيجة أن فارقته جميعا ، وتخلت عنه في وقت عصيب كان النصر فيه وشيكا .

ويتحامل المؤرخون جميعا اباضية وسنسة وشيعسة على الرجسل ، ويعزون غشله الى غساد سيرته ، وسوء سياسته ، ومروته وزندقته غلاورجلانى (299) يعزو اليه « خراب اغريقية » ويتهمه بأنه « صنع غيها الاقاويل ، واحتال على اهلها الاباطيل » وأبو زكريا (300) يصغه بغساد الخلق ، غكان يبيت كل ليلة على اربعة أبكار حسب زعمه والدرجينى (301) يشبه وحشيته في حروبه «بما غعله ناغع بن الازرق» «والغراعنة وملوك اهل الكفر» ومؤرخو السنة (302) سجوا من القصص حول هذه المعانى بما لا يقل عن مؤرخي الاباضية « لان مذهبه يستحل اهل السنة ونساءهم » (303)

<sup>. 17</sup> مس 77 نظدون : ج 7 مس 17 . Fournel Op. Cit. Vol. 2. P. 275. (296)

<sup>- 79</sup> بن الخطيب : رقم الحال من 34 ، حسن محبود : قيام دولة المرابطين من 79 (297) ابن الخطيب : من 23 ، Gautier : Op. Cit. P. 361.

<sup>· 78</sup> من 2 ج 2 من 78 · 78

<sup>(300)</sup> السيرة : ورتية 40 · . . .

<sup>(301)</sup> طبقات الاباضية : ج 1 ورقة 45  $\cdot$  (302) انظر : ابن الأثير : ج 8 من 141  $\cdot$  ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ج 3 من 54  $\cdot$  محمد بن محمد الأندلسي : الحلل السندسية من 115  $\cdot$ 

<sup>(303)</sup> ابن الأثي : ج 8 من 141 ·

وبديهى أن يردد مؤرخو الشيعة نفس العبارات ، نهو فى نظرهم سفاح «كان يعمل أكواما من رؤوس المسلمين ويأمر المؤذنين بالاذان عليها » (304) كما كان «يستبيح نساء المسلمين » (305) أيضا

ولا يخامرنا شك في تجنى تلك المصادر جهيعا على أبى يزيد ، نحروب الاباضية في المغرب حموما حانطوت على مثالية مفرطة في معاملة الخصوم . ونجد مصداتا لذلك في حروب أبى يزيد مما أورده أولئك المؤرخون أنسهم . نحسبه وفاؤه بالعهود التي كان يقطعها على نفسه ببذل الامان لسكان المدن المفتوحة . ولم يلجأ الى أساليب القمع والبطش الاحين تمردت عليه هذه المدن وانضمت لخصومه . والدارس لشخصية أبى يزيد ونشاته وتربيته يلمس مقدار علمه وتفقهه وما انطوت عليه أخلاقه مسن شمائل حميدة . وحسبنا زهده وتعففه وارتدائه الثياب الخشنة وركوبه الحسار بدلا من الخيول المطهمة (306) ونعلم خروجه بدعوة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والاحتساب ، فضلا عن تقواه وورعه حتى كان من أهل الفتيا ، ولا غرو فقد عرف « بشيخ المؤمنين » (307) ما أصدق لو تورنو (308) في سن الشيخوخة أن يصبح زعيما سياسيا نابها ، وقائدا عسكريا حاذةا في سن الشيخوخة أن يصبح زعيما سياسيا نابها ، وقائدا عسكريا حاذةا وحاكما فذا ، لقد كان أبو يزيد مثالا للرجل العظيم » .

وعلى الرغم من فشل ثورة الاباضية الكبرى سنة 336 ه ( 949 م )، فقد خلفت آثارا بعيدة الغور في تاريخ المغرب السياسي . فبالقدر الذي هزت فيه النفوذ الفاطمي وهددت بزواله ، كان خروج الفاطميين مسن الصراع ظافرين عاملا هاما في دعم نفوذهم في بلاد المغرب .

ومن ناحية أخرى نبهت ثورة أبى يزيد خلفاء الفاطميين الى ضرورة تغيير سياستهم فى حكم بلاد المغرب تغييرا تاما (309) ، مشعروا بخطورة النتائج المترتبة على انتهاج سياسة التعصب المذهبى ، ومن ثم ، جندوا بعد

<sup>(304)</sup> ابن النديم : الفهرست من 266 ، ابن حوقل من 48 ، المعريستى : الخطط : ع 1 من 351 .

<sup>(305)</sup> آبن حساد ص 20

<sup>(306)</sup> ابن حماد : ص 20

ر307) النويرى : ج 26 ورتة 36 . La revolte d'Abou-Yazid au Xme siecle. P. 123. (308)

De goeje. Op ; Cit. 143. (309)

الثورة الى تطبيق « عقيدة التقية » الشيعية (310) . فيخبرنا القاضى عبد الحبار (311) أن « اسماعيل المنصور الخليفة الفاطمى الثالث قد تظاهر بعد هزيمة أبى يزيد بالعودة الى الاسلام ، فقتل الدعاة ، ونفى بعضهم الى الاندلس والى بلاد أخرى . وقال للعامة ، من سمع منكم أحدا يسبب النبى فليقتله ، وأنا من ورائه ، وقرب اليه الفقهاء والمحدثين ، واستمع اليهم . . كما خفف الضرائب وأظهر ولعا بالعفة » .

وفيها يتعلق بمصير الاباضية في المغرب بعد مشل ثورتهم الكبرى ، الثابت ان ثورة أبي يزيد تعد آخر الحركات الكبرى لاباضية المغرب ، وباخفاتها لم تقم لهم قائمة ذات شان بعد ذلك . فبالاباضية الوهبية بجبل نفوسة حاولوا في عهد بني زيري معاودة الثورة ، وبايعوا أحد مثنايخهم ويدعى ابو نوح سعيد بن زنفيل بالهامة الدفاع ، واتصلوا باخوانهم بوارجلان والمريقية ، وحاولوا الاستعانة بالخلالة الاموية في الاندلس ، دون جدوى . فقد ادرك ابو نوح « ان البلاد قد تغيرت والمرور قد تمكرت » واضطر الى طلب الامان من المنصور بن بلكين ، فأمنه وأكرم وفادته (312) . واعتصمت غلولهم بجبل نفوسة وواحة وارجلان وبعض نواحى بلاد الجريد (313) . وعلى اثر غزو المرابطين وارجلان هربوا في منتصف القرن الرابع الهجرى ( العاشر الميلادي ) الى وادى الميزاب ، كما تفرقوا الى بعض جهات مراكش وجبل دمر ـ شمال غربى جبل نفوسة \_ وظل قليل منهم بوارجلان (314). اما النفاثية من زواغة ، فاستوطنوا جزيرة جربة ـ المواجهة لقابس ـ كما سكن بقايا الخلفية جبل نفوسة (315)، ولم يكن هناك ثمة رابطة بين هذه الجماعات ، فعاشب في شبه عزلة ، ولم تقم بعد ذلك بأدنى دور في تاريخ المغرب السياسي .

أما النكار ، معلى الرغم من خفوت صوتهم في الحياة السياسية في

<sup>(310)</sup> برنارد لويس: اصول الاسماعيلية ص 183 ٠

<sup>(311)</sup> كتاب تثبيت نبوة سيدنا محمد سل مخطوط باسطنبول في مكتبة شهيد على باشا برقم 1575 . وقد اقتبسنا النص السابق نقلا عن برنارد لويس في كتابه : أصول الاسماعيلية صل 183 .

<sup>(312)</sup> انظر : أبو زكريا : ورقة 49 وما بعدها ،

Lewcki: Melanges ... P. 270, Basset: Op. cit. P. 336.

بلاد المغرب لم « تنقطع آثار دعوتهم » ـ كما ذهب ابن خلدون (316) ، مُقد ظل بنو برزال يدينون بمذهب النكار ويثيرون العراقيل في وجه بسن زيرى لصالح أموى الاندلس (317) . وتمركسزت غلولهسم بين طرابسلس وتابس ، كما أقامت جماعات منهم بجبال بجاية وقسنطينة وما ولاها ، فضلا عن بلاد الجريد ، وقد وصفهم التجاني (318) ... في القرن الثامن ... بسوء الخلق وحدة الطباع .

أما الخوارج الصغرية ، متد ذوى شانهم نهائيا من بلاد المغرب في أواخر الترن الرابع الهجري (319) .

وهكذا سـ لم يرضح الخوارج للحكم الفاطمي بسقوط دولتيهما نسي سجلماسة وتاهرت سنة 297 ه ( 909 م ) وظلت ثوراتهم تقض مضاجسع الفاطميين ابتداء من المهدى وانتهاء بالمعز ، وكادت احدى هذه الثورات أن تعصف بحكمهم نهائيا من بلاد المغرب . لكن غشل هذه الثورات اغضى في النهاية الى انتهاء دور الخوارج السياسي في بلاد المغرب الاسلامي ، ذلك الدور الذي وجه احداث المغرب على مدار ترنين ونصف ترن من الزمان .

<sup>(316)</sup> العبر : ج 7 مس 17 ،

<sup>(317)</sup> ابن حيان : المنتبس في ذكر بلد الاندلس من 192 ، Variedades : Op. Cit. P. P. 216, 217.

<sup>(318)</sup> رحلة النجاني من 119 ، 120

<sup>(319)</sup> ابن خلدون : ج 6 مس 1322 ، ` Bel : Op. Cit. P. 169.

انتهينا من ابراز دور الخوارج في الحياة السياسية في بلاد المغرب . لكن اثرهم كان عميقا في المجتمع المغربي بجوانبه المتعددة في نواحي الفكر السياسي ونظم الحكم فضلا عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

وليس من شك في أن الخوارج بفكرهم الثورى الديمقراطى أحدثوا نقلة هائلة في تاريخ المفرب نتج عنها تطور واضح في نظهه السياسة ، وازدهار في الحياة الاقتصادية فضلا عسن تغيير ملحسوط في جوانبه الاجتماعية ، وهو ما سنفصله فيما يلسى :

الباب الخامس

**....** 

أثر الخوارج في المجتمع المغربي

## الفكر السياسى ونظم الحكم

لا شك أن نظرية الخوارج في الحكم اكثر نظريات الفرق الاسلامية ميلا الى الديمقراطية . فعلى خلاف السنة الذين تصروا احقية الاماسة على قريش ، والشيعة الذين جعلوها في على بن أبى طالب واعقابه (1) ، اقر الخوارج مبدأ جواز امامة أي مسلم عالم بالكتاب والسنة (2) ونادوا بالغائها أذا ما تحققت العدالة والمساواة (3) ، ومن هنا نظر المحدثون (4) الى مكر الخوارج السياسي باعتباره مكرا جمهوريا بالمفهوم الحديث .

ونعتد أن تصارع الاحزاب الاسلامية حول الزعامة السياسية وما نتج عنه من فتن ومحن المت بالمسلمين ، زهد جماعة القراء الذين (5) أصبحوا فيما بعد زعماء الخوارج في منصب الامامة على اساس أنها سبب البلاء والنكبات التي حلت بالجماعة الاسلامية على أثر مقتل عثمان ، والواقع أن سماحة نظرية الخوارج في الحكم مستمدة من شدة تدينهم وحرصهم على مراعاة تعاليم الاسلام وما تدعو اليه من مساواة وعدالة ، فقد ظهروا

ابن حيون : شرح الاخبار ورقة 87 - مخطوط ، أساس التاويسل ورقسة 188 ،
 189 ، 194 .

<sup>(2)</sup> النوبختى : نرق الشيعة : من 31 ؛ الاسترائيني : التبصيراق الدين من 46 .

<sup>. 67</sup> من الكليل والنطل : من 67 من الملك والنطل : من 67 من الكليل والنطل : من 67 من الكليل والنطل : Biquet : Op. Cit. P. 35, Smith : Op. Cit. P. 279. (4) Faroughy : Op. Cit. P. 12.

<sup>(5)</sup> ابن تتيبة الامامة والسياسة : ج 2 مِن 206 ، الدينوري : الاخبار الطوال . ص 191.

كفرقة سياسية دينية اثناء قضية التحكيم بين على ومعاوية ، فأنكروا تحكيم الرجال ونادوا بأن « لا حكم الا لله » (6) ، ورفضوا امامة على ومعاوية ، وانكروا احتكار قريش لها ودعوا الى الثورة على مخالفيهم باعتبارهم كفرة مارتين (7) . وينفى هذا دعاوى البعض (8) بأن فكر الخوارج السياسي محصلة ظروف قبلية كامنة في كونهم من بدو تميم الذين يقدسون الحياة البدوية ويرفضون الخضوع لسلطان الدولة السياسي. هلم يكن الخوارج جميعا من تميم ، انما انتشر مذهبهم بين قبائل بكر وهمدان والازد وغيرها من القبائل العربية الاخرى (9) .

ففكر الخوارج السياسي اذن مصدره الدين وليس العصبية وهو ما عبر عنه ابن خلدون (10) بقوله « . . الخوارج المستميتين في شان بدعتهم لم يكن ذلك لنزعة ملك ولا رياسة ولم يتم امرهم لمزاحمتهم العصبية القوية » انما تولد عن. « خلاف اجتهادي في مسائل دينية ظنية » (11) متعلقة بالامامة ، ذلك هو ما اجمع عليه جمهرة من الدارسين الثقاة (12).

وكان الطابع الديني سمة مميزة لنشاط الخؤارج ونظمهم السياسية في المشرق ، فقد التزموا بتعاليم المذهب في اختيار الائمة ، وجباية الاموال والجهاد ومعاملة الخصوم . . الخ . كما كان التطرف الشديد من خصائص فكرهم السياسي ومن اسباب فشلهم ايضا حتى قيل بأن « سياستهم غير سياسية » (13) ، وليس ادل على ذلك من تولهم بالاستعراض ورفض التقية وتشددهم في قبول المهاجرة (14) . . النح . .

الا أن الطابع الديني وسمة التطرف في فكر الخوارج السياسي خفت

الرازى: اعتقادات نرق المسلمين ص 46 .

ابن الاثير: ج 3 ص 135 ، احمد امين : ضحى الاسلام ج 3 من 330 ،

Studia Islamica راجع آراء بارتولد وكايتاني وماسينيون في هذا الصدد بمجلة عدد 1 سنة 1953 في مقال لبرنارد لويس بعنوان :

Some observations on the

Significance of hersey in the history of Islam P.P. 47, 48.

عمر أبو النصر : الخوارج في الاسلام ص 18 ، عبد المنعم ماجسد : التاريسيخ السياسي للدولة العربية . ج 2 ص 78 .

ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص 364 ) الدينورى: الاخبار الطوال م 197 انظر: المتدمة ج 2 ص 69 ) انظر المتدمة ج 2 ص 178 ) انظر المتدمة ج 2 ص 178 ) و

<sup>(10)</sup> 

<sup>(11)</sup> 

راجع : لويس : أصول الاسماعيلية " ص 5 ، المهورن : الخوارج والشيعة : ص 29 ، طه حسين : النتنة الكبرى ج 2 ص 140 . المهوزن : تاريخ الدولة العربية حس 372 .

<sup>(13)</sup> 

قطعة من كتاب في الاديان والفرق ورقة 97 .

حدتهما في أواخر القرن الأول الهجري ، فاتخذت مبادئهم طابعا عملياً وجنحت نحو الاعتدال . وظهر ذلك بشكل واضح في عقائد الاباضية والصفرية متمثلا في تجويز التقية (15) والتوسع في قبول المهاجرة عن طريق الدعوة والتنظيم السياسي (16) ، ثـم معايشـة الجماعـة الاسلامية بترك فكرة تكفير المخالفين في المذهب (17) .

ووجد فكر الخوارج السياسي في شكله المتطور طريقه الى بلاد المغرب بانتشار مذهبي الاباضية والصفرية بين البربر في أوائل القرن الثاني الهجرى . والتزم خوارج المغرب بتطبيق تعاليم المذهب حتى السبعينات من القرن الثاني الهجرى فيما قاموا به من نشاط سياسي وما اقروه من نظم في الحكم والادارة . فقد كانت تعاليم الخوارج تحض على « الثورة على. ائمة الجور » (18) ، وتدعو انصار المذهب الى العمل لاقامة « امامسة الظهور » (19) ، اذا ما توافر ما يوجب التولية من العدة والعدد مسن الرجال (20) ، لذلك شرع خوارج المغرب في « المجاهرة بالعمل » (21) واعلنوا الثورة على ولاة المغرب طوال نصف قرن من الزمان .

وتجلى التزام خوارج المغرب بفكرهم السياسي في عدة مظاهر ، فقد اختار الصفرية ميسرة اماما لا لانه رئيس مطغرة وانما لعلمه وفقهمه وسابقته (22) . ولم يقم ميسرة بثورته الا بعد وقوفه على مسؤولية الخلافة عن مفاسد عمالها في المغرب (23) وتيقنه من أن خلفاء بني أمية « أئمسة الجور » . وضمت الحركة عناصر مستضعفة من غير البربر كالافارقة (24) نطبيقا لمبدأ اللاعنصرية . وخلع الصفرية ميسرة لما أخل بشروط الاماسة « وتغير عما كانوا بايعوه عليه » (25) .

ولعل من أهم آثار فكر الخوارج السياسي في المجتمع المغربي تطبيق

<sup>(15)</sup> 

الرازى : اعتقادات نمرق المسلمين من 51 · أبو زكريا : ورقة 6 ، الشماخي : السير من 124 · (16)

<sup>(17)</sup> 

الشهرستانى : صنحـة 123 ، البغدادى : صنحـة 273 ، Provencal: Op. Cit. P. 41. (18)

نصوص من كتاب متن عقيدة التوحيد ، انظر : \* Motylinski : l'Aqida des Ibadites. P. 510. (19)

ابسو زکسریسا : ورتسة 5 · (20)

مجهول : كشف الغمة ورقة 307 مخطوط . (21)

ابن خلدون : ج 6 من 150 ، السلاوي : ج 1 من 97 ، (22)

الطبرى : ج 2 منصة 264 · (23)

ابن عبد الحكم : صفحة 293 · (24)

<sup>(25)</sup> الرتيق : ص 110 ، سعد زغلول عبد الحبيد : تاريخ المغرب العربي ص 259 ·

مبدا وجود المامين في وقت واحد ، فقد تولى الحارث بن تليد وعبد الجبار ابن قيس المرادى المامة الاباضية في طرابلس سنسة 132 ه ( 750 م ) احدهما للصلاة والآخر للحرب (26) على غرار المحكمة الاولى حين اقتسم المنصبين عبد الله بن وهب الراسبي وحرقوص بن زهير . وفي احتكام المامي الاباضية الى السيف حين دب الخلاف بينهما حتى قتل كل منهما الآخسر سلو صحت رواية البرادى (27) سما يذكر بخلافات زعماء الخوارج في المشرق لاسباب فقهية . وفي انقسام جماعة المذهب بالمفسرب واقتتسالهم بسبب ما نسج حول الحادث من قضايا فلسفية وفقهية (28) ما يؤكد اثر الفكر السياسي للخوارج في نشاطهم ببلاد المغرب ومن مظاهر ذلك أيضا اجماع الاباضية على المامة أبي الخطاب عبد الاعلى بن السمح سنة 140 هـ العربي ، وقد حرص أبو الخطاب على مراعاة أصول المذهب فيما استنه من العربي ، وقد حرص أبو الخطاب على مراعاة أصول المذهب فيما استنه من خيمة أدارية ومالية ، واسترشد في ذلك بمشورة أبي عبيدة مسلم بن أبي خريمة شيخ فقهاء المذهب بالبصرة (30) .

ونعتقد أن فكر الخوارج السياسي قد تأثر بنظرية الشيعة عن الامامة الظاهرة والامامة المستترة ، فقد فرق فقهاء المذهب (31) الاباضي بين امامة الدفاع وامامة الظهور . أذ حينما يتعرض الخوارج لمحن سياسية ، يختارون أماما في الخفاء تكون مهمته جمع شمل الانصار وتسيير أمورهم والفصل في قضاياهم وأعداد العدة للظهور أذا ما وأتت الظروف وانقشعت المحنة . هذا هو ما حدث بعد مقتل أبي الخطاب عبد الاعلى بن السمح سنة 142 ه ( 759 م ) وتعرض الخوارج لبطش الجند العباسي فاختاروا أبا حاتم الملزوزي أماما للدفاع في الوقت الذي كان فيه عبد الرحمن بن رستم يعد العدة لامامة الظهور (32) ، وتكرر الامر بعد سقوط دولة بني رستم وتنكيل الفاطميين بالخوارج فاجتمع الاباضية في نفوسة على أبسي يحيى الارجاني وبايعوه بامامة الدفاع على أمل أن يلتئم شمل أنصار المذهب

<sup>(26)</sup> ابسن عبسد الحكسم : صفصة 302

<sup>(27)</sup> انظر : الجواهر المنتقاة : ورتة 87 ، Masqueray : Op. Cit. P. 23

<sup>(28)</sup> انظر: الشماخي: السير الله من 125 ،

<sup>(29)</sup> نفس المسدر والصحيفة .

<sup>(30)</sup> انظر بلحسق راسم : (1)

<sup>(31)</sup> انظر : نصوص من متن عقيدة التوحيد ...

Motylinski: L'Aquida des Ibadites. P. 510

<sup>(32)</sup> أبـو زكـريـا : ورثـة 11 ،

في بلاد المغرب فيقيموا اسامة الظهور (33).

وظهر اثر مكر الخوارج السياسي ميما قام به الصفرية والاباضية من ثورات وما خاضوه من حروب التزموا نيها جميعا بتعاليم المدهب . مالخوارج الصفرية في المغرب كانوا يقتدون بأهل النهروان « في التحكيم ورفع المصاحف وحلق الرءوس » (34) في حروبهم . ونظر التطرف مبادئهم في معاملة الخصوم (35) ، اتسمت حروبهم بالعنف والقسوة (36) فكانوا « يقتلون الاطفال والولدان » (37) ويستحلون سبى النساء والذراري (38). أما-الاباضية فكانوا أقرب إلى الاعتدال سواء في خوض الحروب أو معاملة الخصوم ، فكانوا لا يشهرون الحرب على اعدائهم الا بعد اعلامهم واخد الحجة عليهم ، ولم يتبعوا المدبر او يجهزوا على الجرحى ، كما لم يخربوا الزروع ولم يهدموا سوى الحصون والاسوار وتعففوا عن الغنائم من غير السلاح والعتاد ، ولم يقتلوا الاطفال أو يسبوا النساء ، تمسكا بتعاليم المذهب (39) . يظهر ذلك في حروب الحارث وعبد الجبار في طرابلس (40)، ومعاملة أبى الخطاب عبد الاعلى بن السمح للقيروانيين (41) ، ومعاهدة أبى حاتم الملزوزي مع جميل بن صخر (42) .

وظل التزام خوارج المفرب بعقائد المذهب في سياساتهم ونظمهم خلال السنوات الاولى من حكم ائمة بنى مدرار بسجلماسة وبسى رستهم بتاهرت ، اذ طفت تعاليم المذهب على دوافع العصبية والعنصرية .

فالخوارج الصفرية بايعوا عيسى بن يزيد الاسود من موالى العرب بالامامة سنة 140 هـ (43) ( 757 م ) انطلاقا من مبدأ جواز توليــة غير العرب من المسلمين . وفي انشاء سجلماسة ما ينم على بروز العامل الديني المذهبي ، اذ شيدت لتكون مجمعا للخوارج الصفرية » (44) من سائر

Lewcki: Etudes Ibadites. P.P. 50, 98. نفس المصدر: ورتسة 115 ٠ (33)

مجهول : أخبار مجموعية ، صفحية 32 -(34)

الشهرستسانسى : صفحية 121 -(35)

Gautier: Op. Cit. P. 269. (36)

اخبار مجموعة : صغصة 29 . (37)

الرقيق : صفحة 117 ، 141 · (38)

السوفي : شرح السؤالات ورقة 57 ، الشهرستاني : ص 121 . (39)

<sup>(40)</sup> 

انظر : ابن عبد الحكم : ص 301 · ا أبو زكريا : ورتة 8 ، الشماخي : السير : ص 129 · (41)

ابن الاثير : ج 5 من 222 ، ابن خلدون : ج 4 من 193 . (42)

ابن خلدون : ج 6 صنحــة 130 ٠ (43)

المقدسي : احسن التقاسيم ص 219 ء (44)

العناصر وكافة العصبيات المغربية . ونفس الشيء يقال عن الاباضية ، فقد بايعوا عبد الرحمن بن رستم بالامامة ـ وهو من الفرس ـ لفضله وعلمه وسابقته وكفاءته وسلامة حواسه وأعضائه (45) . لقد بويع ابن رستم اماما للدفاع سنة 144 ه ( 761 م ) ـ على اثر مقتل أبي الخطاب ـ في المغرب الاوسط في نفس الوقت الذي كان ميه أبو حاتم الملزوزي اماما للدناع أيضا في طرابلس وجبل نفوسة (46) . أذ أن النقه الاباضي يجوز , بيعة امامين في وقت واحد « ما وجد بين حوزتيهما عدو يخشى باسمه ، او لشقة البعد بينهما » (47) . ولم يحل ذلك دون تعاونهما لاقامة امامسة الظهور التي تقلدها ابن رستم سنة 162 هـ ( 179 م ) ، نقد كان ابسو حاتم يبعث الى عبد الرحمن بزكاة امواله (48) . وبيعة ابن رستم الثانية تمت بموافقة «أهل الحل والعقد » من مشايخ المذهب واجماع جمهور الاباضية (49) ، ووفقا لشروط الامامة في الفقه الاسلامي (50) .

وكما أسست سجلماسة لتكون مقرا للخوارج الصفرية ، اقيمت تاهرت لتكون « حصنا وحرزا للمذهب الإباضي » (51) الذي كانت تعاليمه مرعية في سياسة الدولة ونظمها في عهد عبد الرحمن بن رستم حتى اطلق عليها بعض الدارسين (52) « مملكة الله » .

والواقع انه ليست لدينا معلومات عن النظم الادارية والمالية نسى سجلماسة ، لكن المصادر حفلت باشارات عن نظم الدولة الرستميسة . ويتضح منها أن عبد الرحمن بن رستم راعى تعاليم المذهب الاباضى نسى سياسته الداخلية . لقد استفاد عبد الرحمن من خبرة الفرس في هــذا الصدد (53) لكنه لم يسمح لهم بأى تفوق سياسى او تمييز اجتماعى في دولته (54) ، فكان يختار عماله وقضاته واصحاب شرطته ومحتسبيه ممن يثق في علمهم وصلاحيتهم . وكان نظام الجباية والصدقات ونواحسى انفاقها كل ذلك يجرى حسب شرائع المذهب ووفقا لتعاليمه . وليس ادل

ابن خلدون : المقدمة ج 2 مس 522 · البرداى : الجواهر المنتقاة ورتسة 88 . (45)

<sup>(46)</sup> 

اطنيش : الامكان ص 107 ، 108 . (47)

أبسو زكسريسا: ورقسة 115. (48)

نفس المصدر: ورتعة 11. (49)

المساوردى : الاحكسام السلطانيسة : ص 6 . (50)

أبو زكسريسا : ورتسة 13 . (51)

Mercier : l'Etablissement des Arabes P. 133. (52)

<sup>(53)</sup> ابن الصغير : ص 16 ، محمد بن تاويت : دولة الرستميين عس 113 . (54) Smith : Op. Cit. P. 279. (54)

على ذلك من قول ابن الصغير (55) المالكي « . . وقضاته مختارة وبيوت امواله ممتلئة ، واصحاب شرطته والطائفون به قائمون بما يجب ، واهل الصدقة على صدقاتهم يخرجون في اوان الطعام فيقبضون اعشارهم في له هلال . . (هكذا بالاصل) من اهل الشاة والبعير يقبضون ما يجب على اهل الصدقات لا يظلمون ولا يظلمون . فاذا حضر جميع ذلك صرف الطعام الى الفقراء وبيعت الشات والبغير ، فاذا صارت أموالا ، دفع منها الى الفقراء وبيعت الشات والبغير ، فاذا صارت أموالا ، دفع منها الى عمله بندر ما يستحقون على عملهم ، ثم نظر في باقي سائر المال ، فاذا عرف مبلغه ، أمر باحصاء من في البلد وفيما حول البلد ، ثم أمر باحصاء الفقراء والمساكين فاذا علم عددهم أمر باحصاء ما في الاهراء من الطعام ، ثم أمر بجميع ما بقي من مال الصدقة فاشترى منه اكسية صوفا وجبابا موفا وفراء وزيتا . ثم دفع في كل أهل بيت بقدر ذلك ، ويؤثر باكثر ذلك اهل الفاقة من مذهبه ثم ينظر الى ما اجتمع من مال الجزية وخراج الارضين، وما اشبه ذلك فيقطع لنفسه وحشمه وقضاته واصحاب شرطته والقائمين ، بأموره ما يكنيهم في سنتهم ، ثم ان فضل فضل صرفه في مصالح المسلمين ».

وفى تصرف عبد الرحمن بن رستم فى الاموال التى بعثها اليه خوارج المشرق مع بعثتهم الاولى اليه ، واجتماعه برؤساء القبائل وشيوخ المذهب فى المسجد الجامع وانفاقه هذه الاموال وفقا لنصيحة اهل الرأى منهم « ثلث فى الكراع وثلث فى السلاح وثلث فى فقراء المسلمين » (56) ما يقيم الدليل على مراعاته تعاليم المذهب فى سياسته الداخلية ، ولا غرو فقد حظى حكمه برضى الشراة فى المغرب وشيوخ المسذهب فى المشرق « فوصلسوه بكتبهم وصايساهم » (57) .

على ان خوارج المغرب لم يلتزموا بالفكر السياسى عند الخوارج ، ولم يراعوا تعاليم المذهبوشرائعه بعد انتهاء حكم مؤسسىدولتيهما في سجلماسة وتاهرت ، ففى سجلماسة برزت النعرات العنصرية والعصبيات وتحكمت في مقاليد الحكم ونظم الادارة ، اذ ان الامامة تحولت الى ملك وراثى احتكرته تبيلة مكناسة في اسرة بنى مدرار (58) بعد صراع مع زنوج السودان وتنحية

<sup>· 16</sup> ا 15 سيرة الاثبية الرستبين : ص 15 ا 16 ·

<sup>(56)</sup> النفوسي : صفحة 91 ·

<sup>(57)</sup> الشباخي : السير ، منحة 141 ،

<sup>(58)</sup> ابن عذاری : ج 1 ص 215 ، 4 (58)

عيسى بن يزيد الاسود وقتله سنة 155 هـ (59) ( 772 م ) . ومنذ ذلك الحين درج امراء البيت المدراري على انتهاك تعاليم المذهب وتقاليد الامامة حتى ان احدهم خلع نفسه ليظفر احد ابنائه بالحكم كيدا في ابنه الآخر (60). وبلغ الخروج على المذهب مداه بتولية الاطفال والنساء مقاليد الحكم ، فقد تولى المنتصر سمكو بن محمد الحكم سنة 332 هـ ( 945 م ) ولما يتجاوز الثالثة عشرة من عمره تحت وصاية جدته (61) ولعل مما يؤكد تحول الامامة في سجلماسة الى ملك وراثى اتخاذ امراء سجلماسة التابا على غرار العباسيين كالمنتصر والمعتز ، وتخليهم عن حياة الزهد والبساطة التي اتسم بها أئمة الخوارج واقبالهم على حياة البذخ والثراء واقتناء الاموال (62) والتشبه بالملوك والامراء .

وقد حدث في تاهرت بعد موت عبد الرحمن بن رستم نفس ما حدث في سجلماسة بعد مقتل عيسى بن يزيد الاسود ، اذ تحولت الامامة الي ملك وراثي (63) واتخذ الائمة الوزراء والحجاب (64) . وغدت وظائف الدولة حكرا على عصبيات بعينها استأثرت بها من دون العناصر الاخرى .

والمصادر الإباضية (65) تحاول اظهار شرعية المالمة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، متذكر انه « اجمع عليه اهل الشورى ، ثم بويع بعد ذلك بيعة عامة لم يتخلف عنها احد » التزاما بنصيحة والده الذي اشار قبل موته بجعل الامامة شورى بين سبعة اشخاص (66) يختارون الاصلح من بينهم على غرار ما معله عمر بن الخطاب .

البكرى: صنحية 149 . (59)

راجع : البكرى : من 150 ، ابن عذارى : ج 1 من 216 ، (60)

البكسرى: صفحسة 151 .

ابن عذارى: ج 1 مس 216 ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ج 3 مس 143 ، ابن الصغير : مستحدة 16 ، 20 ، (62)

<sup>(63)</sup> 

وزر لعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم السمح بن ابى الخطاب ومزور بسن عمران ، انظر : النفوسى : ص 165 ، وهذا ينفي زعم هوبكتر أن بنى رستم لم يعرفوا نظام الوزارة على أساس أن ابن الصغير ـ حسب توله ـ لم يشر الى ذلك . أَنظُـر Hopkines: Medieval Moslem government. P. 5 والواتع أن ابن المسفير يذكر « · · وقد ابتدر اليه ( يعنى احد الذين رشحوا لتولى القضاء ) اصحابه فاحاطوا به وقالوا له أن غلان بن غلان القاضى توفى ، وقد أجمع رأى المسلمين ووزراء الامام عليك ٠٠٠٠ » مما يدحض زعم هوبكنز ، انظر : سيرة الائمة الرستبيين . م 47 .

انظر : أبو زكريا : ورقة 14 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 21 ، النفوسي : من 99 . وكان هؤلاء السبعة هم : مسعود الاندلسي وأبو تدامة اليفرني ويزيد بن مندين وعمران ابن وران الاندلسي وسعدوس بن عطية وشكر بن صالح الكتابي ومصعب بن سدمان . انظر : أبو زكريا : ورقة 14 ٤ الدرجيني : ج 1 ورقة 21 .

والواقع أن اختيار عبد الوهاب لم يكن على سنة ما معله عمر بسن الخطاب ذلك أن عمرا أوصى تبل موته بأن يكون أبنه عبد الله حكما فى مجلس الشورى دون أن يكون له أحقية تقلد الخلامة . أما عبد الوهساب متد اختير للامامة قسرا ، ذلك أن رأى أهل الشورى كان فى جانب مسعود الاندلسى ، مقد « مال الاكثرون والعامة الى تولية مسعود وبادروا السى مبايعته » (67) . لكن تعصب بنى يفرن وحرصهم على اختيار عبد الوهاب أغضى الى تنصيبه . ذلك أن أم عبد الوهاب كانت يفرنية ، واستطاع أبو قدامة اليفرنى أن يحول جماعة الشورى عن مسعود الاندلسى ليجعل الامامة من نصيب عبد الوهاب وما تسوقه المصادر (68) الاباضية من تبرير عدم أختيار مسعود الاندلسى بأنه اختفى زهدا فى الامامة وهربا من مهامها ،

وقد اثار تنصيب عبد الوهاب حفيظة الجانب المتشدد في جماعة الشورى والذى مثله يزيد بن فندين ، اذ اعتبر تولية عبد الوهاب انتهاكا لتعاليم المذهب وخروجا على سنن السلف ، وبذلك لم يجمع جماعة الشورى على امامة عبد الوهاب « لان الاجماع الذى هو شرط الامامة معناه اتفاق مجتهدى الامة » كما تنص تعاليم المذهب الاباضى (69) ، وقد مثل جماعة ابن فندين الذين عرفوا بالنكار الفرقة المحافظة على تعاليم المذهب والملتزمة حدوده ، فنادوا بوجوب جماعة يسترشد الامام برأيها ولا يقطع امرا الا بمشورتها وبذلك تكون الامامة « مشروطة » (70) كما نادوا بضرورة مراعاة اصول المذهب في اختيار الولاة والعمال ، وانكروا احتكار الفرس ونفوسة وظائف الدولة (71). ودعوا الى اختصاصاهل الخبرة والحصافة بها منبين وظائف الدولة (71). ودعوا الى اختصاصاهل الخبرة والحصافة بها منبين وظائف الدولة (72) ، وكان

<sup>(67)</sup> الشماخسي : السير عس 145 ·

<sup>(68)</sup> أبو زكريا : ورتة 14 ، الدرجيني : ج 1 ورتة 21 ، النفوسي : ص 99 .

 <sup>(69)</sup> الشماخي : متدمة أصول الفته ورقعة 64 ·
 (70) أبو زكريا : ورقة 14 ، الشماخي : السير ص 145 ·

<sup>(70)</sup> أبو زكريا : ورقة 14 ، الشماحي ، السير هر (71) ابن الصغي : حس 22 ، النفوسي : حس 114

رم المعارى في مدونته أنه سأل أحد فتهاء المذهب الإباضي هذا السؤال : أي الرجلين أحب أن يستعمل ، الرجل الصالح الذي لا توة له بالعمل ، أو الرجل الذي هو دونه في الصلاح وهو أقوى على العمل ، فأجابه التوى المعالم بالعمل أحب أن يستعمل ، ( انظر : مدونة أبي غانم ورقة 1 ) وهذا يفند دعاوى مؤرخي الإباضية الذين حاولوا تبرير اختصاص عبد الوهاب ذويه واتباعه بوظائف الدولة « لانهم من اهل العلم والبصيرة في الدين » ، انظر : أبو زكريا : ورقة 15 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 22 ، النفوسي : ص 102 ،

انتصار الامام عيد الوهاب على جماعة النكار يعنى التغلب على الطابسع الديني في نظم الحكم الرستمية وتحول الامامة الى سلطة مركزية أشبه ما تكون بالملكية المطلقة .

فقد آلت الامامة الى الملح بن عبد الوهاب بعد ولماة أبيه تلقائيا وقسد حاول مؤرخو الاباضية (73) تبرير ذلك ، فذهبوا الى أن أهل الحل والعقد بادروا بتنصيب الملح اثر موت والده مخاللة خطر العدو المتربص بتاهرت . وجدير بالتنويه انهم لم يذكروا شيئا عن هذا العدو المزعوم الا أنه مقيم بجبال تاهرت . والواقع أن جماعة النكار التي كانت تسكن تلك الجبال كانت قد تشبتت شبملها وعادت فلولها الى مواطنها الاولى منذ عهد عبد الوهاب . كما لم يحدث في آخر سنى حكمه سوى تمرد خلف بن السمح الذي لم يكن خطرا مباشرا على مركز الامامة في تاهرت ذلك أن حركته اقتصرت عليي نواحى طرابلس وجبل نفوسة وقد مات هؤلاء المؤرخون أن عبد الوهاب عقد ولاية العهد لاملح قبل وماته ، وعقب انتصاره على بدو هوارة حيث . قال « لقد استحق الملح الامامة » وبعدها « انقطع اليه المنقطعون ودارسه الحوائج والعطاء من تحت يديه » (74) ، كما كان الملح صاحب السلطة في تاهرت اثناء غياب والده بجبل نفوسة وصراعه مع الاغالبة حول طرابلس ، الامر الذي يؤكد ثبوت مبدأ التوريث في الامامة الرستمية .

كما جرى الملح على سنة والده في « استعمال العمال والجبايسة ومطالب بيت المال » (75) ، مما أثار حفيظة الفقهاء فثاروا بقيادة نفاث بن نصر لانتهاك الامام رسوم الامامة وتقاليدها (76) . الا أن أقلح أرغم \_ امام ظهور خطر القبائل والعصبيات ـ على التراجع في سياسته ، وعاد السي تطبيق مبدأ اللامركزية والمساواة \_ ماخذ بنصائح اهل الراى والمشورة من شيوخ القبائل في تعيين الولاة والعمال (77) كما الزم عماله ضرورة مراعاة نقه المذهب في نظام الجباية في نفس الوقت الذي اتاح لهم فيه مزيدا من السلطات داخل عمالاتهم (78) . يتضبح ذلك من رسالة له لاحسد عمالسه

انظر أبو زكريا : ورقة 26 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 32 ٪ الشماخي : السير ، صنحـة 192 ،

ابن الصغير : صنحة 23 . (74)

النفسوسى : صفحة 195 . (75)

<sup>(76)</sup> 

أبسو زكسريسا : ورقسة 30 · ابسن الصغيس : صفحسة 23 · (77)

<sup>(78)</sup> النفوسي : صفحـة 188 ،

## جساء نيها ؛

« واما ما ذكرته من أن أجعل لك سبيلا وأطلق يدك ، وأن الحاضر يرى مالا يراه الغائب غلعمرى انه لكذلك ، ولكن ليس في هذا ( يقصد الخراج) ، انما هي اسهم جعلها الله واوقفها ، وهي وسنخ أموال الناس وليس لنا نميها قضاء ولا زيادة ولا نقصان ولا أمر ولا نهى الا على قدر الاجتهاد » (79) ماتباع الملح هذه السياسة لا يرجع الى حرص منه على مراعاة تعاليم المذهب بقدر اضطراره الى الاخذ بالتقاليد والاعراف البدوية .

ومن مظاهر ذلك اضراره الى تعيين محكم الهوارى قاضيا على الرغم من « انه انشا في بادية ولا يعرف لذى القدر قدره ولا لذى الشرف شرفه » (80) وكان رؤساء التبائل هم الذين « انزلوه في الدار المعروفة بدار القضاء ، وأجروا عليه من بيت المال قوته » (81) ·

لقد اخذت الامامة الرستمية منذ ذلك الحين تومق بين مطالب الحكم وبين الاعراف البدوية والتقاليد الفارسية وتعاليم الطوائف المذهبية المختلفة في تاهرت . وتجلى الاثر الفارسي في الاصرار على مبدأ الوراثة والاخذ بالنظم والرسوم الفارسية في الحكم والادارة . فبعد موت الملح بن عبد الوهاب آلت الامارة الى ابنه ابى بكر رغم اعتراض الفقهاء (82) . وليس كما يذهب النغوسى (83) بانه اختير نتيجة اجماع اهل الحل والعقد من رؤساء القبائل والعصبيات وشيوخ المذهب . كما تولى ابو حاتم يوسف الامامة بعد أن عهد والده اليه بولاية العهد (84) . ومن مظاهر التأثر بالتقاليد الفارسية أبضا تعويل أئمة بنى رستم على اتخاذ الكتاب والحجاب والحراس ، فضلا عن نظم السجلات واستخدام الخاتم وغيرها من النظم التي تأثرت بالتقاليد الفارسية في الادارة (85) .

ثم ازداد اثر الطوائف غير الاباضية في أواخر عصر بنسي رستم . عاضطر أبو اليقظان محمد الى الانتقاص عن سلطات بعض القبائل التي

<sup>(79)</sup> نفس المسدر والصحيفة -

ابسن الصغيسر.: صفحسة 24 · (80)

<sup>(81)</sup> نفس المسدر سنحة 25 -

ننسَ المصدر : صنحـة 31 ، 47 -(82)

الازهار الرياضية : ج 2 ص 222 ٠

<sup>(83)</sup> 

<sup>(84)</sup> ابان الصغيار : منماة 50 · (85) ننس المادر : منماة 42 <u>47 · 47</u>

كانت تستاثر بالمناصب العامة (86) وجعلها مشاعا بين كامة الفرق والطوائف من غير الاباضية ، كما اتخذ مجلسا للمشورة يضم الى جانب شيوخ القبائل واعلام المذهب الاباضي ، كثيرين من الكونميين والمالكية والواصلية (87) . ولا شبك أن سلطان هذه الطوائف قد زاد أبان أمامة يعقوب بن أغلج الذي -تولاها بفضل رؤساء تلك الطوائف وخاصة الكوفيين (88) . كما اضطر أبو حاتم يوسف الى اشراك كافة رؤساء الفرق في الحكم « اباضية وغيسر اباضيــة » (89) .

ومع ذلك لم تجد سياسة الرستميين الاواخر في التوميق بين مطالب الحكم وبين مصالح القوى المختلفة في تاهرت في تحقيق الاستقرار السياسي، اذ أن القبائل البدوية طمعت في تولى السلطة وقدر لها أن تحقق هدفها بنجاح محمد بن مسالة الهوارى في اغتصاب الحكم في تاهرت مدة ثمانية اعوام (90) كذلك تربص الفرس للاستيلاء على الحكم ابان الصراع بين الامام أبي بكر ابن الملح وبين الجند والعرب لكن خاب الملهم (91) ، ولا يخفى دور الفرق والطوائف غير الاباضية في احداث تاهرت في العصر الرستمي الاخير مسن أجل « تبييت خبر الإباضية » (92) .

ووقف الرستميون مكتوفي الايدى أحيانا أمام هذه المؤامرات ، أذ أم يكن للامامة جيش ثابت يتصدى لتلك المشكلات . ويذهب بل (93) الى ان المتقار بنى رستم الى مثل هذا الجيش يعزى الى انشىغال الائمة بالمسائل العلمية والفقهية '، وميلهم للمسالمة وزهدهم في اثارة الحروب » . والواقع أن السبب الحقيقي يكمن في استحالة تكوين جيش موحد في ظل عصبيات وعناصر مختلفة ومتناحرة « فكان لكل تبيلة رجالها وخيلها وسلاحها وكراعها » (94) . لذلك كان « الاجناد هم بطانسة السلطسان واولاده وحشمه » (95) فضلا عن أحلافه من القبائل وخاصة نفوسة التي كانت

ابن الصغير : ص 41 ، البرادى : الجواهر المنتتاة ورتة 91 -(86)

ابن الصغير : من 44 ، البرادى : نفس المصدر والصحيفة . ابن الصغير : من 56 ، النفوسى : من 275 ، (87)

<sup>(88)</sup> 

البرادى: الجواهر المنتقاة ورقية 103. (89)

ابن الصغير: من 39 ، النفوسي : من 236 . (90)

ابن الصغيس : صفحة 37 . (91)

<sup>(92)</sup> 

ننس المسدّر : منصة 51 . انظسر : 49 .La religion Musulmane .. P. 149 (93)

الشماخي: السيسر: صفحـة 148. (94)

ابسن الصغير : صفحة 27 . (95)

موالية للامامة وتوافى الائمة بالامداد في أوتات الخطر والازمات (96) .

ثم تضاعل نفوذ اتباع الائمة من « الرستميسة والسمحيسة » (97) وانهارت قوة نفوسة بعد موقعة مانو سنة 269 ه ( 883 م ) التى قضى فيها الاغالبة على خيرة الجند النفوسى ، فأصبحت الامامة الرستمية لعبة فى أيدى يد التوى المتنازعة فى تاهرت .

وبسبب انتقار ائمة بنى رستم الى جيش ثابت لجاوا الى وسائل مختلفة لمواجهة الثورات الداخلية ولو كان ذلك خروجا على الفكر الاباضى نقد درجوا على اصدار نداءات الى الرعية يدعون نيها الى الكف عن الغتن والتزام «سنة السلف الصالح» في نفس الوقت الذى كانوا نيه ينتهكون تعاليم المذهب ويخرجون على سنة اسلانهم من اقطابه.

فعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم رغم التزامه بمبدأ الوراثة في الحكم لنفسه ولابنائه من بعده بعث نداء الى اهل جبل نفوسة وناحية طرابلس يحضهم فيه على « تقوى الله والاتباع لما أمر به » (98) وحسرم عليهم ما استحله لنفسه ونهاهم عن طاعة خلف بن السمح الذى خلف والده في ولاية تلك النواحي .

وانلح بن عبد الوهاب اقتفى اثر والده حين ثار عليه نفاث بن نصر لخروجه عن تعاليم الاباضية فكتب خطابا « الى سائر المسلمين فى شأن نفاث » يخاطبهم فيه بقوله: « . . وانتم محقوقون باتباع آثار سلفكم والسلوك على مناهجهم ، وأن تفعلوا بهذا التائه المتخبط ما كان يفعله سلفكم بمن كان قبله » (99) . كذلك كان شأن محمد بن أفلح الذى وجه نداء الى رعاياه يحضهم فيه على « اتباع الماضيين من السلف والمتقدمين من الائمة والصالحين من أهل الدعوة » (100) .

وضرب بنو رستم صفحا عن جوهر التعاليم الاباضية التى تدعو الى « الامر بالمعروف وبالنهى عن المنكر » ولجاوا الى الاساليب السياسيسة الملتوية كالتجسس وبذل الرشاوى والخداع فضلا عن الاغتيال السياسى . فعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم حين اعيته الحيل فى قمع ثورة خلف

<sup>(96)</sup> الشبساخسي : السيسر : صنعسة 155

<sup>(97)</sup> ابــن الصغيــر : صنحـة 27 ، 36 ·

<sup>(98)</sup> انظسر: ملحسق رسم (3)

<sup>(99)</sup> النفوسي : صفحة 199 ٠

ابن السمح بث عيونه وجواسيسه للوقيعة بين خلف واتباعه (101) ، كسا بعث سرا الى بعض رجال خلف يؤلبهم عليسه ويمنيهم بالامسوال والضياع (102) . واخذ ابنه الملح من بعده بمبدأ « فرق تسد » فأرشى ما بين كل قبيلة ومجاورها (103) « والقى موجبات التخالف بين كل مقسدم واتباعه ، وبث الجواسيس بطرق سياسية وتدبيرات باطنية كفته مؤونة القتال » (104) . وعول الرستهيون الاواخر على « استعمسال السدرهم والدينار بدل الرمح والسنان » (105) في كسب الانصار ومواجهة الخصوم وساع الاغتيال كأسلوب جديد اتبعه بنو رستم للتخلص من منساوئهم ، واستشرى هذا الداء ولم يسلم منه المراد البيت الرستمى نفسه ، نقسد اغتال ابو بكر بن الملح محمد بن عرفة صهره وساعده في ادارة شؤون دولته وسط سخط الفقهاء وتبرمهم (106) ، كما لقى ابو حاتم يوسف بن محمد حتفه على ايدى بعض المتآمرين من المراد اسرته من اجل الوصول السي الحكسم (107) .

وهكذا اختفى ــ تقريبا ــ اى اثر لفكر الاباضية فى نظم الحكم الرستمية بعد موت عبد الرحمن بن رستم (108) مؤسس الدولة ، وتحولت الامامة الاباضية الى ملك وراثى غلب عليه الطابع البدوى ، وتأثر بالتقاليد الفارسية وتعاليم الفرق والمذاهب الاخرى غير الاباضية .

ومع ذلك نقد ترك الخوارج آثارا واضحة فى الفكر السياسى ونظم الحكم ببلاد المغرب ، خاصة فى الفترة ما بين أوائل القرن الأول الهجرى ومنتصف القرن الثانى .

<sup>(100)</sup> انظـر : ملحـق رقـم (5) -

<sup>(101)</sup> ينهم ذلك من رواية للننوسي تقول ان شخصا من انصار الامام عبد الوهاب كان يندس بين اصحاب خلف ويكاتب الامام بكل ما يسمعه ، انظر : الازهار الرياضية ج 2 منحسة 155 ،

<sup>(102)</sup> الوسياني: سير ابي الربيع ورقة 30.

<sup>(103)</sup> ابـن الصغيـر : صنحـة 27

<sup>(104)</sup> النفوسى : صفحة 183 ٠

<sup>· 278</sup> نفس المصدر : صنعة 278

<sup>(106)</sup> ابـن الصغير : منحـة 34

<sup>(107)</sup> ابــن مــذارى : ج 1 ص 278 ·

<sup>(108)</sup> ابن الصغير : صنحة 56 ،

## الحيأة الاقنصادية

أحدث الخوارج اثارا بعيدة المدى في أحوال بلاد المغرب الاقتصادية. والشائع أن هذا هذه الاثار كانت سيئة للغاية ، أذ تمخض عنها خراب وركود وكساد في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة . غير أن مسؤولية الخوارج في هذا الصدد مبالغ فيها ، ذلك أن أحوال المغرب الاقتصاديسة كانت سيئة ، منذ حكم البيزنطيين ، وزادت سواء نتيجة استنزاف طاقاته وموارده في الحروب الطويلة التي استغرقتها الفتوح العربية وما ارتبط بها من ثورات ضد الفاتحين ، كتلك التي قام بها كسيلة والكاهنة ، وما تمخض عن هذه الثورات من تخريب المزارع واحراق الاشتجار ، فضلا عما أزهق فيها من أرواح (109) مما زاد في تفاقم أحوال البلاد الاقتصادية .

وليس من شك في أن سياسة بعض عمال بني أمية في المغرب زادت الامر سوءا (110) ، فقد ارهقوا الاهلين بالمغارم والجبايات ، وحفلوا باشباع نهم الخلفاء في دمشق ، وأهملوا سبل الاصلاح الاقتصادي ، وحسبنا ان البربر اعتنقوا مذهب الخوارج لتخليصهم من جور بنسى أميسة وسوء سياستهم الاقتصادية (111) .

غير ان ثورات الخوارج زادت ـ دون شك ـ في تفاتم الازمات

<sup>(109)</sup> ابـن عــذارى : ج 1 منحــة 83 · (110) ننس المــدر : صنحــة 52 ·

<sup>(111)</sup> نفس المسدر والصحينة .

الاقتصادية ، اذ استمرت قرابة نصف قرن من الزمان أرهقت خلاله خزائن الولاة برواتب الجند وأعطياتهم (112) ، وخربت المزارع والمناجم ، وكسدت التجارة وتهددت الطرق بالاخطار .

ومن الانصاف أن نذكر أن مسؤولية الولاة في هذا الصدد لا تقسل عن مسؤولية الخوارج ، وأن الصغرية من دون الاباضية (113) أسهموا بنصيب كبير نيما حل بالبلاد من تخريب ، نقد درجوا في حروبهم على نهب الاموال واحراق الزارع والضياع . وليس أدل على ذلك من تخريب الزروع على مسيرة يومين من طنجة أثناء حصارهم بلج بن بشر ورجاله بطنجة سنة 123 ه (114) ( 741 م ) . ونظائعهم بالقيروان سنة 139 ه ( 756 م ) سبق التنويه بها .

الا ان ثورات الخوارج عموما ... صغرية واباضية ... ، استنزغت جهود الولاة ومواردهم المالية ، فقد انفقوا الكثير على اعداد الجيوش ومضاعفة الاعطيات لمواجهة هذه الثورات (115) . كما اسغرت عن هدم العمائر والاسوار مما جشم الولاة عناء ترميمها او اعادة بنائها . وفضلا عن ذلك فقد ازهقت اعداد من البشر اجمع المؤرخون على كثرتها ، فضلا عما كان يحدث من امراض واوبئة اودت بحياة الكثيرين نتيجة تعفن جثث القتلسي (116) .

وأدى ذلك كله الى حدوث الازمات والمجاعات (117) ، حتى الف الناس أكل الاعشاب والدواب والكلاب (118) وخاصة أثناء متبرات الحصار الطويال (119) .

وليس ادل على سوء احوال بلاد المغرب الاقتصادية آنذاك بسن استعانة ولاة المغرب باموال مصر لمواجهة خطر الخوارج ، فكانت تسرد اليهم اعانة سنوية قدرها مائة الف دينار (120) ، ومع ذلك لم يكن بوسعهم

البلاذرى : متوح البلدان ص 275 ، ابن تغرى بردى : ج 2 ص 20 .

<sup>(113)</sup> الدرجينسي : ج 1 ورتــة 14 ·

<sup>(114)</sup> مجهدول : اخبدار مجبوعة : عنصة 35 .

<sup>(115)</sup> الرتيـــق : من 119 ، ابن عذارى : ج 1 من 59 ·

<sup>(116)</sup> الـرتيــق : صنحــة 125 ·

<sup>(117)</sup> نفس المصدر : منفصة 118 · (118) أخبار مجبوعاة : منفصة 37 · 38 ·

<sup>(119)</sup> ابسن مسذاری : ج 1 صفحسة 76 ٠

<sup>(120)</sup> أبسن الاثير: الكابل : ج 5 منصة 63

القيام بأعباء الحكم والنهوض بأحوال البلاد الاقتصادية ، واقتصرت جهودهم على النواحى العسكرية كبناء الاسوار واقامة الحصون والقلاع (121) . وغنى عن البيان أنه لم يقدر لولاة القيروان الاهتمام بالنواحى الاقتصادية الا بعد ضعف شوكة الخوارج بها ، غلم نسمع عن جهود لهم فى هذا الصدد الا فى عهد محمد بن الاشعث أول من قمع حركات الخسوارج فى العصر العباسى ، لكن الازدهار الاقتصادى الذى احدثه لم يستمر طويلا (122) اذ سرعان ما اندلعت ثورات الخوارج بعد رحيله الى المشرق .

وتتضح الآثار السيئة لثورات الخوارج على احوال المغرب الاقتصادية من جهود يزيد بن حاتم في مواجهة المجاعات والازمات الاقتصادية ، فقد اهتم بزراعة الاراضي وجعل غلتها مباحة للناس (123) ، وكانت مراعية الخاصة ومراعي اسرته تقدم ذبائح الابل والغنم للرعية (124) ، واليه يرجع الفضل في الاهتمام بالحرف والصناعات واقامة الاسواق ، وتنسيقها (125) للخروج بالبلاد من الكبوة الاقتصادية التي احدثتها ثورات الخوارج ، لكن هذه الجهود الكبيرة لم تحقق للبلاد النهضة الاقتصادية المرجوة ، وحسبنا على ذلك دليلا أن كثيرين من ولاة القيروان من بعده كانوا يعجزون عن دفع ,واتب الجند واعطياتهم (126) .

كان التدهور الاقتصادى اذن يعزى الى الاضطراب السياسى ممثلا فى ثورات الخوارج . غلما انتهت تلك الثورات واستقرت أحوال بلاد المغرب السياسية بقيام الدول المستقلة ، قدر للبلاد أن تشهد ازدهارا ملموسا فى كافة النواحى الاقتصادية . ونحن فى غنى عن رصد هذا الازدهار الاقتصادى فى دولتى الاغالبة والادارسة ، انما نقرر أن هذا الازدهار شمل أيضا دولتى الخوارج الصفرية والاباضية .

لقد قامت دولتى الخوارج في مناطق صحراوية ، ومسع ذلك واكب قيامها ازدهارا في الزراعة والصناعة ورواجا في التجارة ، ففي مجال

<sup>· 25 ، 24 ،</sup> البكرى : ص 24 ، 121) الرقيسق : ص 24 ، 25

 $<sup>\</sup>cdot$  84 ایسن عسداری  $\cdot$  ج  $\cdot$  منصبة (122)

<sup>(123)</sup> نفس المصدر ص 93 .

<sup>(124)</sup> نفس المصدر والصحيفة ،

<sup>(125)</sup> الرتيق : ص 149 ، النويرى : ج 22 ورتة 23 · (126) ابــن عــذارى : ج 1 صفحــة 111 ·

الزراعة ، استفاد بنور مدرار من مياه نهر ملوية (127) في تحويل البقعة التي اقاموا فيها عاصمتهم الى سمهل فيضى (128) صيروا فيها الخلجان وشقوا القنوات لتوصيل المياه الى مساحة واسعة (129) قسموها الى حياض تشبه حياض البساتين (130) ومهدوها للزراعة . واستكثروا من الغروس فزرعوا اشجار النخيل والاعناب (131) على مساحة بلغت اربعين ميلا (132) . فاشتهرت سجلماسة لذلك بوفرة كرومها وفاكهتها (133)

وفضلا عن ذلك زرعسوا سائسر المحاصيل « حسب زروع مصر » « وربما زرعوا سنة عن بذر وحصدوا ما راع من زرعه وتواترت الشيقوق بالمياه مكلما اغدقت الارض سنة في عقب اخرى ، حصدوا الى سبيع سنين بسنبل لا يشبه سنبل الحنطة ولا الشمير ، بحب صلب المكسر لذيذ المطعم ، وخلقه ما بين القمح والشعير » (134) . واشتهرت سجلماسة الى جانب ذلك بالحنطة والشعير والقطن والكمون والكراوية وغيرها (135) ، حتى لقد وصفها الادريسي (136) بأنها « كثيرة الخضر والنبات » · ولا شبك أن أعدادا هائلة من البربر في سجلماسة تحولوا الى مزارعين (137) وأن بقى بعضهم على حرفة رعى الماشية والابقار (138).

كما اهتم أئمة بني رستم بالزراعة أيضا ، فاختاروا موضع عاصمتهم في مكان « جيد الهواء ، كثير المياة ، خصب الارض » (139) وقد توافرت المياه لاقليم تاهرت لوقوعه بين نهرين هما مينة وتاتش ويصبان في وادى شلف (140) . فضلا عن مياه الامطار التي اشتهرت بها تاهرت حتى

```
(127) البكري : صنحة 148 ·
```

Julien: Op. Cit. P. 339.

<sup>(128)</sup> نفس المسدر: صفحة 149

<sup>(129)</sup> ابن الخطيب : اعمال الاعلام ج 3 ص 139

 <sup>(130)</sup> مجهسول : الاستبصسار : صنصة 201 .

<sup>(131)</sup> نفس المصدر والصحيفة ،

<sup>(132)</sup> ابسن حوتسل : صفحسة 65 .

<sup>(133)</sup> الاستبصار : صفحة 201 ،

<sup>(134)</sup> ابسن حوتسل : صفحسة 90 ٠

<sup>(135)</sup> الادريسي : صغة المغرب ص 60 ، ابن مقديش : ص 11 ، القلتشندى : ج 5 صنحـة 164 ·

<sup>(136)</sup> الادريسي: ننس المسدر والصحيفة .

<sup>(137)</sup> البكرى : صنحـة 148 -

<sup>(138)</sup> ابن خلدون : ج 6 ص 120 ، (139) النفوسي : صفحة 6 . Fournel: Op. Cit. Vol I. P. 352.

<sup>(140)</sup> البكرى : من 67 ، ابن خلدون : ج 6 من 121 ،

صارت مضرب الامثال (141) · وقد عنى الرستميون بالاستفادة من هذه المياه فشقوا القنوات واقاموا الطواحين على الانهار (142) . فزرعسوا الكتان والسمسم وسائر الحبوب على اختلافها ، الى جانب غرس الاشتجار واقامة البساتين على مساحات رحبة (143) ، حتى عسرفت تاهرت بأنها « بلخ المغرب » (144) . كما ازدهرت الزراعة أيضا في واحة وارجلان اعتمادا على مياه الآبار ، فاشتهرت بأشجار النخيل والزيتون والحبوب (145) . أما الزراعة في جبل نفوسة ، فقامت على مياه الأمطار ، لكن رعى الاغنام والماشية كانت الحرفة السائدة بين سكانه (146) . كما اشتهرت الدولة الرستمية بمراعيها الواسعة وكانت تاهرت منتجعا للقبائل الرعوية في شمالي الصحراء (147) . ولكثرة مراعيها وصفها ابن حوقل (148) بأنها « احد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال و البسر اذيسن » ٠

وقيام دولتي الخوارج في سجلماسة وتاهرت واحتوائهما عناصر غير مغربية كاليهود والاندلسيين والفرس والعرب المشارقة ، ووفرة المناجم وخاصة في درعة الغنية بالذهب والفضة (149) ساعد على استغلال مقدرات البلاد الاقتصادية استغلالا طيبا فقد احسن اليهود استغلال تلك المناجم (150) . كما أن أمراء بني مدرار حرصوا على الافادة من الاندلسيين في دعم دولتهم « واقامة المصانع والقصور » (151) .

ويخيل الينا أن الاندلسيين المقيمين بسجلماسة لعبوا دورا وأضحا في هذا الصدد اذ كانت طوائف منهم تحتكر حرف الحدادة ، والصناعات المرتبطة بأعمال البناء (152) ، وقد شاركهم اليهود هذه المهن في العصر

Bernard: Op. Cit. P. 134.

 <sup>(141)</sup> ابن عــذاری : ج 1 ص 280 ·
 ابن الصغیر : صنحة 10 ·

<sup>· 67</sup> البعتوبي : البلدان : ص 358 ، البكري : ص 143)

<sup>• 228</sup> من المسلخرى : المسالك والمالك من 34 ، المقدسى : أحسن التقاسيم من 228

<sup>(145)</sup> الادريسي : صفحـة 121 -

<sup>(146)</sup> أبو زكريا : ورتبة 26 ·

<sup>(147)</sup> الادريسي : صفحة 87 ،

<sup>(148)</sup> المسالك والمسالك : صفحة 86 .

<sup>(149)</sup> ابن النتيه مختصر البلدان ص 80 ·

<sup>(150)</sup> مجهسول : الاستبصار من 202 · (151) السسلاوى : ج 1 منصة 112 ·

Fournel: Op. Cit. Vol 1. P. 553. (152) البكرى: صفحة 149 ،

الفاطمى (153) . وعرفت سجلماسة فى عهد بنى مدرار بصناعة الثياب والازر الصوفية حتى كانت تضارع مثيلاتها المصرية كما يقول البكرى (154) هذا الى جانب الصناعات الاخرى كصناعة السكر وتكرير الملح (155) ، والاحدديدة (156) .

واستفاد بنو رستم من خبرة الفرس ، فاشتهرت تاهرت بالمنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية والقوارير الزجاجية وأوانى الخزف البراقة، والتحف المعدنية والعطور (157) . وكانوا يسكون النقود والدهب المجلوب من بلاد السودان (158) ، وان كنا نفتقر الى وجود عملات رستمية كتك التى خلفها بنو مدرار ... وقد استعاض بنو رستم عن كثير من السلع المصنوعة باستيرادها من بلاد الاندلس (159) .

اما الدور البارز الذى لعبه الخوارج في حياة المغرب الاقتصادية ، فكان في مجال التجارة ، اذ قامت الدولتان المدرارية والرستمية بدور الوسيط في التجارة عبر الصحراء شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، فلم تحل العلاقات السياسية غير الودية بين دولتى الخوارج وبين اعدائهم السياسيين والمذهبيين دون استمرار الصلات التجارية مع سائر دول المغرب والاندلس فضلا عن المشرق الاسلامي وبلاد السودان .

فكانت القوافل تترى من بغداد والبصرة الى بلاد المغرب مسارة بالانبار وهيت والرقة وحران والرها وتل موزن وحلب ودمشق وطبرية والرملة والفسطاط والاسكندرية ،ومنها الى برقة ثم الى الدولة الرستمية ودولة بنى مدرار (160) · كما كان الطريق البحرى بين موانىء دولة بنى مدرار على ساحل الاطلنطى وبين موانسىء الانسدلس كاشبيلية وشاطبة (161) غاصا بالسفن من الدولتين · اما دولة بنى رستم فكان الصالها بالاندلس عن طريق مرسى فروخ (162) على البحر المتوسط الذى

<sup>· 202</sup> جهدول : الاسبصار صفحة 202 ·

<sup>(154)</sup> المغرب : صفحـة 148 ٠

<sup>(155)</sup> التلتشندي : ج 5 صنصة 164 ·

<sup>(156)</sup> الشباخي : ص 248 ·

<sup>(157)</sup> النفوسى : صنعـة. 137

<sup>(158)</sup> ننس المصدر: منحة 89

<sup>(159)</sup> البكرى : منحـة 81 ٠

<sup>· 228 ، 227</sup> من الخراج : من 227 ، 228 ·

<sup>(161)</sup> المميري : ص 21 ، ابن الدلائي : ص 18 ، 19 ،

Provencal: Op. Cit. Vol. I. P. 248.

<sup>(162)</sup> البكرى : من 81 ، الادريسي : من 100 ·

يواجه موانىء شماطبة وتدمير ومرسى اتلة الاندلسية (163) .

لذلك ربطت دولتى الخوارج بين دول المشرق والمغرب والاندلس وبين المريقية جنوبى الصحراء عن طريق منافذها المنتشرة على حافة الصحراء والتى تعتبر محطات لرحيل القوافل الى بلاد السودان · فكانت سجلماسة همزة الوصل بين بلاد المغرب والاندلس وبين بلاد السودان المغربى كما قامت الدولة الرستمية بنفس الدور بين هذه البلد وبين السودان الاوسط ·

فعلى الرغم من سوء العلاقات السياسية بين تاهرت وسجلماسة وبين بغداد والقيروان وفاس ، فان قوافل التجار المسارقة كانت تجتاز بلاد المغرب الى سجلماسة التى غصت بالعراقيين من بغداد والكوفة والبصرة ، وكانت هذه القوافل تحمل سلع المشرق الى بلاد المغرب وتعود محملة بالمتاجر السودانية في صحبة اهل سجلماسة (164) ، كذلك أقام بتاهرت طائفة من التجار العراقيين كان لهم مساجدهم ومنازلهم وفنادقهم واسواقهم الخاصة (165) ، وقد اهتم ائمة بنى رستم بتجارة الشرق فشاركوا فيها وأشرفوا عليها بأنفسهم ، وأولوا التجار رعايتهم ، وكفلوا لهم الحماية والامان (166) .

وتوطدت الصلات التجارية بين القيروان وسجلماسة وتاهرت ، فكانت القوافل تخرج من تاهرت الى القيروان مارة بهاز والمسيلة وادنة وطبنة وباغاية ومجانة ومرماجنة وسبيبة (167) وفى سجلماسة كسانت القوافل تخرج الى تاهرت ومنها الى القيروان ، والمسافة بين سجلماسة وتاهرت تقرب من خمسين مرحلة ، وبينها وبين القيروان تبلغ نحوا من ثمانين مرحلة (168) ، وعلى ذلك فقد كان فستق قفصة يباع فسى السواق سجلماسة — كالسكر والكمون والكراوية والاحذية — رواجا فى اسواق القيروان (170) ، ووفدت السلع والكراوية والاحذية — رواجا فى اسواق القيروان (170) ، ووفدت السلع

<sup>· 18</sup> اليعتوبي : البلدان : ص 354 ، البكري : ص 18 ، ابن الدلائي : ص 18 · البكري المعتوبي : ص

<sup>(164)</sup> ابن حوتل : صفحة 43 ·

 <sup>13</sup> ابـن الصغيـر : صفحـة 13

<sup>(166)</sup> ننس المصدر: صنصة 50

<sup>(167)</sup> البكرى : صفحـة 143 ، 146

<sup>(168)</sup> الأصطفري : صنحة 37 ، 38

<sup>(169)</sup> البكرى : صنحـة 41 ·

<sup>(170)</sup> الأدريسي : صنحة 61 -

السودانية الى دولة الاغالبة عن طريق تاهرت وسجلماسة ، ولا غرو لمقد وفدت الى تاهرت جموع غفيرة من تجار القيروان حيث حظوا بحريسة المتاجرة في استواقها (171) وكان عدل الائمة الرستميين ، وترحيبهم بالتجار وشبهرة تاهرت التجارية مما حبب كثيرين من هؤلاء التجار في الاقامية بتـاهـرت (172)

ولم نعدم وجود صلات تجارية بين دولتي الخوارج والادارسة ٠ حقيقة أن العلاقات التجارية بين تاهرت وفاس كانت في نطاق محدود ٤ لكن المصادر (173) تشير الى انتظام القوافل بين سجلماسة وفياس فالطريق كان ممهدا بين المدينتين ، ويبدأ من فاس الى صفرو فقلعة مهدى ، فتادلة ، فوادى شعب الصفا ، ثم يمر عبر الجبل الكبير الى الحنوب حيث توجد سجلماسة (174) · وكانت القوافل ترتاد هذا الطريق ، فتخرج من باب الفوارة بفاس الى مدينة سجلماسة (175) وقد وفد كثيرون من صفرية فاس الى سجلهاسة عاصمة صفرية المغرب طلبا للعلم والتجارة (176) · كما كان للتجار المدراريين نشاط واسع في اسسواق مدينسة فساس (177) .

وكان طبيعيا أن تتوثق الصلات التجارية بين دولتي الخوارج والدولة الاموية بالاندلس لما كان بين الطرفين من علاقات سياسية ودية . وحسبنا أن غلال سجلماسة وتاهرت كانت تسهم في حل الازمات الاقتصادية بالاندلس (178) . وقد تبادل بنو مدرار مع أموى الاندلس السلع والمتاجر ، فكان المدراريون يصدرون القمح والسكر والكرم والتمر (179) في مقابل الثياب والطرز القطنية والكتانية والحريرية التي اشتهرت بها قرطبة (180) .

هذا فضلا عن التسهيلات الواسعة التي قدمها حكسام تاهسرت

Conde: Op. Cit. P. 291.

<sup>(171)</sup> ابسن المصغيسر : صفصة 13 .

<sup>(172)</sup> الشباخسي : السير : صفحة 158 . (173) ابن حوقل : من 72 ، الادريسي : من 76 ، ابن ابي زرع : من 53 .

<sup>· 53</sup> إبسن ابسى زرع : صنصة 53

<sup>(175)</sup> ابـن حـوتـل : صنحـة 65 .

<sup>(176)</sup> الأدريسي : صلحة 60 . (177) الجزنائي : زهرة الاس : ص 29 .

<sup>(178)</sup> جغرانية المابون: ورتسة 197،

<sup>(179)</sup> جغرالميسة المالمسون : ورتسة 199 .

<sup>(180)</sup> الحبيدي : صغة جزيرة الاندلس : صغصة 21 .

وسجلماسة لتجار الاندلس اثناء رحلاتهم الى بلاد السودان (181) . وكثيرا ما آثر بعض التجار والحرفيين الاندلسيين الاقامة في تاهرت والعمل في أسواقها وجوانيتها (182) . بينما كان البعض الآخر يعمل في نقسل المتاجر بين الدولتين ، اذ في مقابل القمح الذي كان يصدر الى قرطبة استورد الرستميون كثيرا من السلع والامتعة المصنوعة في بسلاد الاندلس (183) .

أما عن تجارة الخوارج مع بلاد السودان ، نقد شكلت حجر الزاوية في نشاطهم الاقتصادي · وجدير بالذكر ان شعوب السودان كانوا اخلاطا شبتي من العناصر الزنجية القاطنة بين البحر الاحمر شرقا والبحر المحيط غربا (184) ، وبين المناطق الصحراوية أو شبه الصحراوية في الشمال وبين نطاقات الفابات الاستوائية في الجنوب (185) . ويمكن التمييز بين هذه العناصر ، فمن الشرق الى الفرب توجد شعوب النوبة ـ جنوبي مصر ـ ثم زغاوة وصوصو وكوكو \_ بالسودان الاوسط (186) \_ أما السودان الغربي ، فقد سكنه شعب التكرور واهل غانة . اما شعب التكرور فقد استوطن ضفتي السنفال ، بينما كان شعب غانة يتكون من عناصر متعددة ، معلى طول الضفة اليسرى انهر النيجر نزل شعب سنغى وبين السنفى والتكرور تقع ديار الشموب المتكلمة بلغة الماندى ، وبين السنغى في الشمال ونطاق الغابات في الجنوب عاش أجداد الشعوب المتكلمة بلغة الجور حاليا (187) . ويصف صاعد الاندلسي (188) هــذه تضبطهم وناموس الهي يحكمهم ، فقد كانت هذه الشعوب تعيش في شكل جماعات يرأسها أكبر الرجال سنا · ولكل منها كهنوته وطواطمه (189) ·

<sup>(181)</sup> ابسن الدلائسي : صفحة 18 ، 19

<sup>(182)</sup> ابن التوطية : ص 110 ، ابن النسرضى : ج 1 ص 179 ، ابسن بشكوال : الصلية . ج 1 صفحية 76 ،

<sup>(183)</sup> ابــن الدلائــّى : ص 19 ، 19 Provencal : Op. Cit. P. 245.

<sup>(184)</sup> البكري : صنحـة 149 ·

<sup>(185)</sup> حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقية : ج 1 ص 218 .

<sup>(186)</sup> اليعتوبي : تاريخه ج 1 ص 156 ، المتدسى : ج 1 ص 241 ، ابسن خلسدون : ج 6 صفحــة 199 .

<sup>· 224 ، 223</sup> م : حسن محمود المرجع السابق : ص 223 ، 224 ·

<sup>· 12</sup> طبقات الاملم : صفحة 12

<sup>(189)</sup> حسن محمود : المرجع السابق ص 225 ·

اذ كانوا « على المجوسية وعبادة الدكاكير (190) .

تقع مواطن هذه الشعوب بمحاذاة الصحراء الكبرى ، ويغصلها عن بلاد البربر سلسلة من الفواصل الجبلية تتخللها بعض المفاوز التي تعد وسيلة الاتصال الوحيدة, بينها وبين بلاد المغرب (191) ومن الطبيعى ان تتدعم العلاقات بين البربر والسودان بقيام دولة بنى مدرار مسى سجلماسة وبديهى أن تتوطد صلاتها خاصة ببلاد التكرور وغانة المعرومة ببلاد السودان الغربي (192) . وحسبنا أن عناصر سودانية أسهمت في اقامة هذه الدولة وتصدت لزعامتها حتى كان أول أمرائها سودانيا يدعى عيسى بن يزيد . واستقرت هذه العناصر في سجلماسة ، وكان لهم حصن خاص يعرف « بحصن السودان » (193) . ولا شك في أنهم ساعدوا على توثق الصلة بين وطنهم الام وموطنهم الجديد ، مكانت سجلماسة حلقة اتصال بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي (194) · وجديــر بالذكر ان القوافل كانت تقطع الطرق بين سجلماسة وغانسة في زمسن يتراوح بين شهرين (195) وثلاثة (196) ، وكان بربر زويلة ومسونسة وجدالة يصحبون هذه القوافل (197) بين سجلماسة وسائر بلاد السودان الفربى عبر المفاوز والقفار (198) . ومن المعروف أن درعة كانت مركز خروج القوافل من دولة بني مدرار (199) ، بينما عرفت « أبو الاتن » بانها اولى المراكز السودانية التي تنزلها هذه القوامل (200) .

وقد عقد بنو رستم الصلات مع شعوب السودان جميعا ابتداء

<sup>· 217</sup> مجهسول : الاستبصسار ص 217

<sup>(191)</sup> الاصطخرى : ص 35 ، حامد عبار : علاقات الدولة الملوكية بالدول الانريقية : ص 7،

<sup>(192)</sup> المامون : جغرانيته ورتـة 198 ، سر الختـم عثمان : العلاقـات بين مصـر والسودان : صنحـة 25 ·

<sup>(193)</sup> المتدسى : ص 219

<sup>(194)</sup> الاصطفرى: ص 35 ؛ حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسسلام في القارة الافسريقيسة : صفحة 75 ،

<sup>(195)</sup> البكرى: من 149 ، الاستبصار عن 200 ، 201 .

<sup>(196)</sup> ابن النتيه: مختصر كتاب البلدان ص 87 ·

<sup>(197)</sup> ابن بطوطة : تحفة النظار ج 1 ص 295 : حسن بحبود ، الاسلام والنقائسة العربية في المربية في المر

<sup>(198)</sup> اليعتوبي : البلدان ، ص 360 ·

<sup>(199)</sup> البكرى: صنحـة 149 ،

<sup>(200)</sup> ابن بطوطة : ص 298 ، وجدير بالذكر أن طريقا آخر كان يصل بين مصر وغانسة لكنه أهمل بسبب تعرض التوافل فيه لسوافي الرياح وقطاع الطرق وأصبح طريسق سنجلماسة لذلك أشهر الطرق وأكثرها ارتيادا ، انظر : ابن حوتل : ص 42 ،

من زغاوة (الكانم) شرقا جتى ساحل غانة غربا الكن هذه العسلاقات توطدت بشكل اساسى مع شعوب السودان الاوسط وخاصة مع الكانم وساعد الامتداد العريض للدولة الرستمية على تعدد الطرق والمسالك الى السودان (201) الملم يعدم الرستميون وجود مدن عديدة متناثرة على حدودهم الجنوبية كزالة (202) ووارجلان (203) أو أجلة (204) وغدامس وزويلة (205) اكانت مراكز لانطلاق التوالمل الى هذه البلاد .

وزالة مدينة صغيرة تقع على عشرة مراحل غربى وارجلان ، اهلها من هوارة ، معروفة بأسواقها العامرة (206) . وكانت مدخل القوافل الى ساحل غانة فيما عرف « بمملكة الدمدم » (207) اما وارجلان فمدينة صغيرة لكنها متحضرة ، اشتهرت بوفرة نخيلها وغلاتها ، وغصت بالاسواق والتجار ، ومنها توجه التجار الى بلاد كوكو (208) والتكرور (209) وغانة (210) . وغدامس ، بلد كبير كثير النخيل ايضا ، اهلها من الملثمين كلمتونة ومسوفة ، وهى محطة للعبور الى بلاد السودان الاوسط حيث يربطها طريق ممهد ببلدة تادمكة (211) . وكانت زويلة مركزا للتجارة مع بلاد الكانم ، واشتهرت بتجارة الرقيق حيث غصت أسواقها بالعبيد الزواغيين (212) .

من هذه المنافذ أو الموانىء الداخلية ـ ان صح القول ـ خرجت قوافل المدراريين والرستميين الى بلاد السودان محملة بالملح والنحاس والودع (213) ، لتعود بالذهب والابنوس وسن الفيل والجلود الشركية ، فضلا عن الرقيق الاسود (214) .

<sup>(201)</sup> ابن الصغير: ص 13 ، النفوسي: ص 88 .

<sup>(202)</sup> الادريسي : صنصة 132

<sup>(203)</sup> بونيل: الممالك الاسلامية في غرب المريقية ص 160 .

<sup>(204)</sup> الادريسي : صنحــة 132 ·

<sup>(205)</sup> اليعقوبي : البلدان : صنعة 345 ·

<sup>(206)</sup> الادريسي : صنحــة 132 ٠

<sup>(207)</sup> الاستبصار: صفحة 225

<sup>(208)</sup> جغرانية المامون ورقة 201 ، ابن بطوطة : ص 318 ·

<sup>(209)</sup> الشماخي : السير ص 273

<sup>(210)</sup> الادريسي : صنحــة 121 ·

<sup>(211)</sup> الاستبصار : صنحة 145 ·

<sup>(212)</sup> اليعتوبي : البلدان : صنحسة 345 -

<sup>(213)</sup> التلقشندي : ج 5 صفحة 164

<sup>(214)</sup> ابن النتيه : 87 ، جغرانية المامون ورتة 198 ، الاصطخرى : ص 35 ·

والى سجلماسة وتاهرت كانت تفد القوافل وتخرج محملة بتك السلع الى المشرق وسائر دول المفرب والاندلس (215) .

وجدير بالذكر أن أئمة بنى رستم شاركوا رعاياهم هـذا السدور « فكان عبد الوهاب فى أيام ابيه تاجرا » (216) ، وكانت قوافله تسافر الى بلاد كوكو (217) ، ولدينا من الروايات ما يؤكد اشتغال افلح بـن عبد الوهاب وابى اليقظان محمد بن افلح (218) وابى حاتم يوسف بـن محمد (219) بالتجارة كذلك ، كما رحب أئمة بنى رستم وعمالهم بتجار السودان ، ففتحوا لهم الاسواق واحسنوا معاملتهم وقدموا اليهم التسهيلات التجارية ، فأعفوا بضائعهم وسلعهم من الضرائب والرسوم (220) ، وعامل حكام السودان الرعايا الرستميين بالمشل ، فرحبوا بسفارات الائمة وكفلوا الامان للتجار ، ويحدثنا ابن الصغير (221) ان الامام افلح اوفد سفارة من قبله الى احد ملوك السودان ، وبعث اليه بالهدايا السنية حفاظا على مصالحه التجارية .

هذه الصلات التجارية دعمت علاقات المودة ووشائج الصداقة بين الطرفين ، فكان رعاياهم يختلطون ببعضهم البعض ، ووجدت اقليات لكل منهما في بلاد الآخر (222) ، ويرجح لويسكى (223) وجود جماعات ، من السودان بجبل نفوسة في القرن الثاني الهجرى اعتمادا على نص اورده الشماخي ذهب فيه الى ان كثيرين من اهل الجبل اجادوا لغة الكانم.

ولا غرابة اذا ما ادركنا تسامح الخوارج مع اعدائهم السياسيين والمذهبيين ، وترحيبهم بالغرباء في بلادهم . وليس ادل على ذلك من وجود طوائف اليهود في سجلماسة وتاهرت ففي دولة مدرار احتكر اليهسود

Bernard: Op. Cit. P. 134. (215)

<sup>(216)</sup> الشماخي : السير : صفحة 158

<sup>(217)</sup> أورد الوسياني رواية ذكر فيها أن أفلح بن عبد الوهاب أراد مرافقة قوافل والده الى بالاد كوكو ، فأخذ الامام عبد الوهاب يختبره في الفقه وخاصة في مسألة الربي ، فأجاب عن كافة الاسئلة فيما عدا سؤال واحد ، فأمره أبوه بعدم السفر حتى تزداد خبرته بأمور التجارة ، انظر : سيرة أبى الربيع ، ورقة 25 ،

<sup>(218)</sup> انظر : الدرجيني : ج 2 ورتــة 136 ·

<sup>(219)</sup> انظـر : ابـن الصغير : صفحـة 50 م

<sup>(220)</sup> الشباخي : السير : صنحة 273 ، 274 ·

<sup>(221)</sup> سيرة الاثبــة الرستبييــن : صفحــة 31 -

<sup>(222)</sup> الوسياني : ورتسة 4 -

Etudes Ibadites. P. 96. : انظرر (223)

استغلال مناجم الفضة والذهب في درعة (224) وفي تاهرت عاش الرهادنة في احيائهم الخاصة \_ الجيتو \_ وهيمنوا على كثير من مناشط التجارة(225) ولا غرو فقد ذكر ابن الصغير (226) ان عاصمتى دولتى الخوارج غصتا بجموع التجار من سائر ارجاء العالم الاسلامى على اختلاف مللهم ونحلهم.

ولا شك فى أن الخوارج جنوا أطيب الثمار من التجارة ، فيخبرنا ابن حوقل (227) أن أهل سجلماسة حققوا ثراء عريضا بزوا به « سائر أهل المغرب » ولا غرو ، فقد كانت معاملاتهم التجارية تصل الى آلاف الدنانير (228) . كما ذكر أبن الصغير (229) أن « سكان تاهرت علت وجوههم سيماء الحضارة والرفاهية ، وبدت من محياههم آثار النعمسة والغنسى » .

وليس ادل على هذا الازدهار الاقتصادى من طيب العملة التى سكها ائمة الخوارج وجودتها (230) ، مما يؤكد أن الخوارج وأن تسببوا فى فى تفاقم ازمات بلاد المغرب الاقتصادية فى عصر الثورات يعزى الفضل اليهم فى انعاش احوالها الاقتصادية فى عصر الاستقرار السياسى .

على أن سقوط دولتى الخوارج على أيدى الفاطميين سنة 297 هـ ( 909 م ) واندلاع ثورات الخوارج من جديد ضد الحكم الفاطمى أصاب الازدهار الاقتصادى الذى شهدته البلاد . وتفاقمت الاحـوال وازدادت سوءا بسياسة العسف الاقتصادى التى اتبعها الفاطميون . فقد انسابت جيوش أبى عبد الله الشيعى في تاهرت بعد فتحها ، « واهلكت الحرث والنسل » (231) ، ولما سقطت سجلماسة نهب الفاطميون اهلها واستولوا على أموال بنى مدرار (232) ، ثم أضرموا فيها النيران (233) وفرض

<sup>· 202</sup> الاستبصار : صنحة 202

<sup>· 57</sup> ابـن الصغيـر : صفحـة 46 ك 75 · 57

Faroughy: Op. Cit. P. 14. (226) سيرة الاثبة الرستميين عن 16

<sup>· 46</sup> ص 3 ، ياتوت : ج 3 ص 46 ، ياتوت : ج 3 ص

<sup>(228)</sup> نقل القلقشندى عن ابن سعيد نصا يقول أنيه « رأيت صكا لاحدهم على آخر جبلغه أربعون الف دينار » وذكر ابن حوقل أنه رأى صكا كتب بدين على أحد التجار موقع عليه بشهادة العدول ، قيمته أثنين وأربعين الف دينار ، انظر : صبح الاعشى : ح ح مى 164 ، المسالك والمالك ص 42 .

<sup>(229)</sup> سيرة الأثبة الرستبين : صنصة 13 ·

<sup>(230)</sup> السسلاوى : ج 1 صنعة 119 ، 119 السسلاوى : ج 1 صنعة 119 ،

<sup>(231)</sup> ابـو زكـريـا : ورتـة 37 ·

<sup>(232)</sup> البسانسي : سيرة جعنسر : صفصة 130 (232) البسانسي : سيرة جعنسر : صفصة 210 (233) ابن عذاري : ج 1 ص 210 (

عمال الفاطميين سياسة مالية جائرة على البلاد التي متحوها « ماستولوا على اموال الاحباس والحصون (234) » ، واشتطوا في مرض المفارم والجبايات ماثقلوا صفرية درعة بالاعباء ، كما لقى أباضية نفوسة عنتا شديدا وارغموا على دفع الاموال الباهظة والرشاوى لعمال القيروان (235) -

وكانت سياسة العسف الاقتصادي تلك من أسباب اندلاع ثورات. الخوارج على الفاطميين . ولا شك أن هذه الثورات استنزفت جهود الطرفين معا ، ونتج عنها مزيد من تخريب الطرق واحراق المزارع وتدمير المدن الى جانب ازهاق الارواح والدماء ، مما تسبب في حدوث المجاعات وانتشمار الاوبئة التي ادت الى تفاقم الازمات الاقتصادية .

لكن ثورات الخوارج \_ برغم فشلها \_ اجبرت الفاطميين على التخلى عسن سياستهم الاقتصاديسة الجائسرة « فخففسوا الضرائسب والجبايات » (237) وجنحوا الى الاعتدال في حكم المغاربة.

وهكذا اثر الخوارج في احوال بلاد المغرب الاقتصادية تأثيرا عميقا فيسبيبهم تفاقمت هذه الاحوال وازدادت سواء في عصر الثورات ، وبفضلهم ازدهرت كامة النواحي الاقتصادية في عصر الاستقرار السياسي .

<sup>(234)</sup> سعيد بن مقديش : نزهة الانظار من 123

<sup>(235)</sup> ابن حيون : المجالس المسايرات ج 1 ورتسة 28 · (235) الشماخي : السير : صفحة 320 ، 323 · (236) الشماخي : السير : صفحة 320 ، نقلا عن كتاب تثبيت نبوة سيدنا محمد (237) لويس : اصول الاسماعيلية : ص 183 ، نقلا عن كتاب تثبيت نبوة سيدنا محمد ــ مخطوط باسطنبول في مكتبة شهيد على باشا برتم 1575 .

## الحياة الاجتماعية

ترك الخوارج آثارا هامة في كيان المجتمع المغربي ، واحدثوا تطورات واضحة في مواقف قواه الاجتماعية ذلك لان مكر الخوارج السياسي قوامه المساواة بين كامة المعناصر والاجناس دون تفرقة أو تمايز . وانتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب في النصف الاول من القرن الثاني الهجري احدث انقلابا في موازين القوى الاجتماعية ببلاد المغرب ، أذ هوت بعض انعناصر التي كانت تحتكر السلطة السياسية وصعدت عناصر كانت مغلوبة على امرها لتقف على قدم المساواة مع القوى الاخرى أو نالت حظها في بعض الاحيان في قيادة الثورات وتولى متاليد الحكم والسياسة .

لقد كان المجتمع المغربي قبيل انتشار مذهب الخوارج مجتمعا متمايزا غير متجانس . وكانت قواه وعناصره في صراع طائفي وعنصرى دائم ، غالعرب تمتعوا بوضع ممتاز باحتكارهم شؤون الحكم وهيمنتهم على السلطة . ومع ذلك دب الشقاق والصراع على الصدارة بين العرب اليمنية والعرب القيسية مما اضعف العنصر العربي عموما في اواخر العصر الاسوى .

اما البربر ــ سكان البلاد الاصليين ــ معلى الرغم من أنهم يمثلون السواد الاعظم من السكان لم يكن لهم وزن كبير في الحياة السياسية ورغم ما كان بينهم وبين العرب من عداء لم يسلموا من آغة الخصومات التبلية كالصراع بين « بربر الوبر » و « بربر المدر » ، أى بين عنصرى البترو والبرانس ، وهو صراع قديم متوارث ظل تائما طوال العصر الاسلامى .

الى جانب العرب والبربر وجدت ببلاد المغرب اقليات ضئيلة من الانمارقة والسودان واليهود ولم يكن لتلك الاقليات كبير وزن في الحياة السياسية في عصر السيادة الاموية والتعصب للعرب ، فالافارقة اصلا من البربر الذين اختلطوا بالروم واعتنقوا ديانتهم ، او من الاجانب الذين طال استيطانهم في بلاد المغرب حتى اصبحوا « افارقة » ، وقد اعتنق هؤلاء واولئك الاسلام على امل الاحتفاظ بمكانتهم الاجتماعية المتميزة التي تمتعوا بها في العصر البيزنطي ، لكن بعض ولاة بني امية اضطهدوهم وعاملوهم وعاملة المحالية المدوالي (238) »

أما السودان ، فكانوا يجلبون من المريقية جنوبى الصحراء عن طريق الغزوات العربية لاطراف بلادهم ، او يجلبون كرقيق عن طريق التجارة (239) ، وقد اختلط كثيرون منهم بالبربر ، واعتنق بعضهم الاسلام.

وكانت ببلاد المغرب اعداد غفيرة من اليهود هاجروا اليها في العصر الروماني . وظل هؤلاء يعيشون عيشة العزلة عن المجتمع المغربي ، وشكلوا التلية كان لها دور كبير في النشاط الاقتصادي . واذا كانوا قد تمتعوا بالحرية الدينية بعد الفتح الاسلامي باعتبارهم اهل ذمة ، فقد تعرضوا لكثير من مظالم الولاة الامويين (240) .

كانت ثـورات الخوارج في المغرب تمثل في بعدها الاجتماعـى مراعا بين العرب والبربر بسبب سياسة بنى أمية في التعصب للعنصر العربى ، ولهذا حرص ثوار الخوارج على « الفتك بأمر العرب » (241) عموما ، والقرشيين منهم بوجه خاص (242) · ولعل في قول هشام بن عبد الملك عقب هزيمة العرب في وقعة الاشراف سنة 123 ه ( 741 م ) « والله لاغضبن غضبة عربيـة » (243) ما يشير الـى ذلك الطابـع العنصرى للصراع .

والذى نؤكده أن هذا الصراع تمخض عن اضعاف شوكة العرب ، فقد قتل كثيرون منهم في معارك الاشراف « التي فني فيها حماة العرب

<sup>· 153</sup> انظر : البكرى : المغرب : ص 6 ، مؤنس : ثورات البربر ص 153 ·

<sup>(239)</sup> انظر : اليعتوبى : البلدان ص 345 · Julien : Op. Cit. P. 203

<sup>. (241)</sup> ابن خلدون : العبـر ج 6 صفحـة 111 ·

<sup>(242)</sup> ابن عذارى : ج 1 ص 70 ، ابن خلدون : المرجع السابق ص 112 ٠

<sup>(243)</sup> الرقيق : ص 159 ، ابن عذارى : ج 1 ص 83

وغرسانها وكماتها وأبطالها » (244) وبقدورة التي كان فيها مصير الجيش العربى « ثلث مقتول وثلث منهزم ، وثلث مأسور » (245) والقيروان سنة 139 ه ( 756 م ) التي أجهزت فيها ورفجومة « على كل من بالحينة س القرشيين » (246) إ

ثم كان سقوط الخلافة الاموية وقيام الدولة العباسية سنة 132 هـ ( 750 م ) واعتماد العباسيين على الجند الخراساني والفارسي في مواجهة ثورات الخوارج في البلاد (247) إذ الثابت أن أعدادا كبيرة من الجند الخراساني والفارسي و فدت الى بلاد المغرب في حملات محمد بن الاشسعث سنة 142 هـ ( 759 م ) ويزيد بن حاتم سنة 154 ه ( 771 م ) وهرثمة بن اعين سنة 179 هـ ( 765 م ) وقد نافس هؤلاء الجند العرب مكان الصدارة .

أما البربر فان اعتناقهم مذهب الخوارج ساعد على توحيد شملهم تحت لواء واحد . فقد جمعتهم جميعا بترا وبرانس مبادىء الخوارج التي تحض على العدل والمساواة ، واختفت \_ الى حين \_ نزعات الخصومة والتناحر بين بربر الوبر وبربر المدر واشتركوا جنبا الى جنب في الثورة على العرب (248) • وقيام دولتي الخوارج أكد هذه الوحدة للبربر ، مدولة بنسى مدرار ضمت صفريدة المفرب من البتسر والبرانس على السواء ، وتكاتفت مكناسة وزناتة من البتر مع صنهاجمة وزويلة ومسوغة ولمتونة من البرانس على تأسيسها (249) . والدولة الرستمية عاشت في كنفها قبائل هوارة ولواتة ومكناسة ومزاتة ولماية وغيرهـا (250).

كما ادى انتشار مذهب الخسوارج الى ظهسور عنصرى الافارقسة والسودان بعد أن كانا على هامش الحياة السياسية من قبل. فاعتناق الانارقة المذهب الصفرى ، أهل زعيمهم عبد الاعلى بن جريج لتولى حكم طنجة من قبل ميسرة (251) وتغلفل المذهب ذاته بين السودان أغضى الى

<sup>· 111</sup> ابن عبد الحكم : ص 294 ، الرتيق : ص 111

<sup>(245)</sup> مجهسول : أخبار مجموعسة : صفحة 43 ٠

<sup>(246)</sup> المالكي : رياض النفوس : صفحة 107 ٠

<sup>(247)</sup> الرميق : ص 159 ، ابن عذارى : ج 1 ص 83 ·

<sup>(248)</sup> راجع : ابن عبد الحكم : ص 294 ، ابن الاثير : ج 5 ص 70 ،

<sup>(249)</sup> اليعقوبي : البلدان من 359 ، ابن خلدون : ج 6 ص 129 · (249) ابسن خلسدون : ج 6 ص 129 · (250)

<sup>(251)</sup> ابن عبد الحكم : ص 293 ، ابن عذارى : ج 1 ص 52

تقلد زعيمهم عيسى بن يزيد الاسود رئاسة دولة بنى مدرار سنة 140 هـ ( 757 م ) (252) .

وقد ادى قيام دول الخوارج المستقلة في بلاد المغسرب الى انشاء مدن اسمهمت في تحقيق الاستقرار الاجتماعي والبشرى (253) .

فنى واحة تانيلالت أسس الصفرية سجلماسة سنة 140 ه (254) (757 م) وأخذت المدينة الصغيرة التى لم تكن عند نشاتها سوى « مجمع للصغرية » تتسسع ويزداد عمرانها شيئا نشيئا ، اذ اقبلت القبائل على سكناها ؛ نبنت الضواحى والارباض (255) ، كواعتادت حياة الاستقرار ، وترك معظمها حرفة الرعى الى الاشتغلال بالزراعة والصناعة والتجارة . وادى ذلك الى عمران اقليم تانيلالت بعد ان كان يعانى نقصا في السكان .

فقد جذبت المدينة الجديدة بطسون مكناسسة الضاربة في وادى ملوية (256) ونواحى تازا وتسول بالمغرب الاقصى (257) فهجروا مواطنهم واستقروا بها . كما وفدت اليها بطون من صنهاجة اللئام من مسوفسة ولمتونة (258) وزويلة (259) وغيرها . كذلك نزحت جماعات من الجنوب من بلاد السودان لتسهم في عمران الاقليم وتقيم فيه بصفة دائمة · وقد اغرى ازدهار المدينة بعض العناصر الاندلسية ، فهجرت بلادها واقامت بسجلماسة ايضا (260) ونظرا لاهمية موقعها التجارى المهتاز ، ولوفرة مناجم الذهب والفضة باقليم تافيلالت ، فقد قصدها اليهود طمعا في الثراء وطلبا للامن والاستقرار (261) .

ولا شك ان هجرة القبائل الى سجلماسة ادى الى تحولها مسن حياة البداوة الى حياة الاستقرار وغيرت الكثير من مظاهر حياتها الاجتماعية في عاداتها وتقاليدها (262) واختلطت بعناصر اخرى وافدة كالسودان

Fournel: Op. Cit. Vol I. P. 352. (252) البكرى: صنصة 149

<sup>· 112</sup> ابن خلدون : المتدمة : صفحة 112

<sup>(254)</sup> البكرى : صنحة 148 ،

<sup>(255)</sup> الادريسي : صنحـة 160 ٠

<sup>(256)</sup> اليعتوبي : البلدان : صنحة 359 .

Fournel: Op. Cit. Vol. I. P. 351. ، 129 م 129 بابسان خلدون : ج 6 من 129 ، 271 . 271 . 271 مجهول : الاستبصار من 201 ، حسن محمود : تيام دولة المرابطين من 271 ،

<sup>(259)</sup> التدسى : صنصة 231

<sup>(260)</sup> أبـو العـرب تهيـم : صنحـة 80 ٠

<sup>(261)</sup> الاستبصار: منحة 202

<sup>(262)</sup> البكرى: سنحـة 148 ،

#### والاندلسيين .

وقيام الدولة الرستمية سنة 162 ه ( 779 م ) كسان لسه آثاره الاجتماعية في حياة سكان بلاد المغرب الاوسط ، فقد تحول اقليم تاهرت من غابات وغياض و آجام للوحوش و الزواحف (263) الى مدينة عامسرة آهلة بالسكان مزدانة بالعمائر و الزروع · كما تحولت غدامس ووارجلان وودان وزويلة من مجرد قرى مغمورة على حافة الصحراء الى منسافذ وثغور داخلية آهلة بالحركة و النشاط بفضل تجارة بنى رستم مع بسلاد السودان (264) · وترتب على ذلك انتقال السكان مسن حيساة البداوة والترحال الى حياة الحضارة و الاستقرار . فقبائل هوارة ومزاتة ولواتة وسدراتة ولماية انفت معظم بطونها احتراف الرعى و اقدمت على الاشتغال بالزراعة و التجارة و تركت مواطنها الاصلية لتستقر في تاهرت وما حولها « و اتخذت العير و الخيول و نالها من الكبر ما نال أهل المدينة » (265) · وستم ، وقدر لبعضها الظفر بالحكم كما حدث بالنسبة لمحمد بن مسالة الهسوارى (266) ·

ولما كان ائمة بنى رستم من الفرس ، فقد جذبت تاهرت كثيرا من العناصر الفارسية حيث شكلوا قوة اجتماعية لها وزنها حتى كانوا اشبه « بدولة داخل الدولة » وليس ادل على نفوذهم من أن زعيمهم ابتنى سوقا « لم يكن صاحب شرطة الامام افلح ليجرأ على دخوله أو يتخلله ، هيسة وخسوفا » (267) .

هذا وقد احتوت دولة بنى رستم جماعات كبيرة من العرب نزحوا الى تاهرت لشهرتها التجارية ، او غرارا من الاضطهاد المذهبى أو هربا من اغريقية بعد غشل ثوراتهم على الامارة الاغلبية ، وكان لهم دور بارز في احداث الدولة الرستمية في عصرها الاوسط (268) ، الامر الذي اثر تأثيرا عميقا في حياة المجتمع الرستمى . ونعتقد أن العناصر الاباضيسة

<sup>· 99</sup> أبو زكريا : ورقة 13 ، الدرجيني : ج 1 ورقسة 99

<sup>(264)</sup> انظر : الادريسي : ص 132 ، اليعتوبي : البلدان ص 345 ،

<sup>(265)</sup> ابن الصغير : صغصة 27 · (266) انظر : النفوسي : صغصة 336 ·

<sup>(266)</sup> انظر : النفوسي : صفصة 536 (267) ابسن الصغيس : صفصة 27 ·

<sup>(268)</sup> النفوسي : ج 2 صفحـة 182 ٠

الواهدة لعبت دورا بارزا في هذا الشان باعتبارها اكثر حضارة ورقيا من القبائل البدوية سكان البلاد الاصليين ، ومن مظاهر ذلك تحول البالط الرستمى عن حياة الزهد والتقشيف الى حياة الترف والدعة لقد كان عبد الرحمن بن رستم \_ اول ائمة بنى رستم \_ ورعا زاهدا ، نبيته لم يكن به الا « حصيرا فوقه جلد ووسادة ينام عليها ، وسيفه ورمحه ، وفرس مربوط في ناحية من داره » (269) اما خلفاؤه فقد عاشوا حياة خلفاء المشرق وملوك الفرس ، فامتلكوا القصور والضياع والمنازل والحصون التى اقاموها بنواحى تسلونت خارج تاهرت (270) ، واقتنوا الجوارى والغلمان (271) والعبيد والحشم (272) وكان لخيولهم وخدمهم وعبيدهم منازل خاصة بحصن نماليت خارج المدينة (273) . وانصرف معظم الرستميين الى حياة الترف والدعة والولع بالغنون والآداب (274) كما تطرق الفساد الى « الرستمية » فكانوا يخالطون العيارين والشنطار وينادمون الفتيات ، ويعتدون على الحرائر (275) .

كما تشبه بنو رستم بالمشارقة في اقامة الاسمطة « والجفان » لاطعام الفقراء اينام الاعياد والمناسبات الهامة (276) . فكانت تقام الاحتفالات اننى يحضرها ونود من كانة انحاء الدولة ، وكان عمال الامسام ورؤساء التبائل ينزلون في « دار الضيافة » ويعودون الى عمالاتهم أو الى مضاربهم بعد ان تجرى عليهم الارزاق وتوزع عليهم الهدايا والالطاف (277) .

وفضلا عن ذلك كان اختلاط البربر بالعناصر الوافدة له حسناته كما كان له مساوئه ايضا ، فقد أقام البربر في ظل الحكم الرستمي « قصورا منظمة وابنية مبهجة وقبابا مرتفعة ، وأسواقا مزدحمة ، ومساجد متعددة بمنارات غالية ، وحمامات متقنة . واتخذوا الفرش والستائر المزخرفة والخيل المسومة ، وتنوعت الالبسة وتعددت اللغاة والازياء » (278) يقابل

<sup>(269)</sup> ابسن الصغير : صنحة 11 ·

<sup>(270)</sup> نفس المصدر : منصة 48

<sup>(271)</sup> ننس المسدر : منحسة 25

<sup>(272)</sup> ابن الصغير: من 34 ، النفوسي : من 266 ·

<sup>(273)</sup> ابسن الصغير : منحة 52 · . (273) ننس المسدر : منحة 31 · .

<sup>(275)</sup> نفس المصدر: صفحة 49 ·

<sup>(276)</sup> نفس المصدر : صفحة 26 · · 47 ننس المسدر : منعة (277)

<sup>(278)</sup> نفس المسدر : من 56 ، النفوسي : من 85 .

ذلك تحلل المجتمع الرستمي وتغشى الرذائل فيه « فقد ظهر المنكر ، وكثر النسق وشرب الخمر » (279) وهو ما عبر عنه ابن الصغير (280) بقوله « فسد البلد وفسد أهلها . . فاتخذوا للمسكر أسواقا والغلمان أخدانا » وعجت الطرق بمناسر اللصوص وخاصة « من سنهاء زناتة » (281) وهذا هـو الذى اثار ثائرة شيسوخ المذهب متبرمسوا بهدده المفاسد واظهروا سخطهم عليها (282) .

وجدير بالذكر أن من أهم أثار الخوارج في المجتمع المغربي بروز دور المراة ، مكما اشتهرت بعض نساء الخوارج في الشرق ــ كفزالة أم شبيب ابن يزيد الشيباني (283) - في منون السياسة والحرب ، واسهام بعضهن في النشاط السرى الخاص بالتنظيم والدعوة (284) ، برزت كثيرات من نساء الخوارج في المغرب في نواحى السياسة والثقانة . فقد تولت جدة المنتصر سمكو بن محمد الوصاية عليه وامسكت بزمام السلطة في سجلماسة حين كان قاصرا (285) . وأخت الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم بزته في علم الفلك وتفوقت عليه في قراءة الطوالع والنجوم (286) . وكانت غزالة زوجة ابى اليقظان محمد « مالكة لامره » (287) حتى لقد ارغمته على تقليد ابنها أبى حاتم يوسف ولاية العهد (288) . ولا يخفى دور دوسر ابنة أبى حاتم يوسف في احداث العصر الرستمي الاخير ، تلك التي اودت بالدولة الرستبية (289) .

<sup>(279)</sup> الشباخس : السي : منحة 263

<sup>(280)</sup> سيرة الانبــة الرستبين : صنحــة 55 ،

<sup>(281)</sup> نفس المصدر: صفحية 49 -

<sup>(282)</sup> تأنف أحد هؤلاء الفقهاء من تبرج نساء قصطالية قائلا « ما أكثر اماء هذا البلد » . انظر : الشباخي : السير ص 281 · (283) الطبري : ج 6 مفصة 275

<sup>(284)</sup> الشماخـي : السير : منحـة 108 7 109 -

<sup>(285)</sup> البكسري : صنصة 151 ·

<sup>(286)</sup> الشماخي : السير : منعية 193

<sup>(287)</sup> النفسوسي : صنحـة 264 ·

<sup>(288)</sup> ابـن الصغيـر : صفحـة 50

<sup>- (289)</sup> أبو زكريا : ورتة 36 ·

# الحياة الثقافية

ترك الخوارج آثارا واضحا في الحياة الثقافية ببلاد المغرب اذ أن مذهب الخوارج تضمن آراء خاصة تفرد بها عن سائر المذاهب الاسلامية انوافدة الى المغرب ولما كانت هذه الآراء تمثل في جوهرها عسودة الى تعاليم الاسلام الصحيحة ، فقد اقبل المفاربة على اعتناقها أكثر من اقبالهم على أي مذهب آخر وقد سبق التعريف بدور دعاة الخوارج في بث مذهبهم بين شيوخ القبائل الذين تحولوا الى دعاة للمذهب بين قبائلهم حتى عمت الدعوة سائر بلاد المغرب في النصف الاول من القرن الثاني الهجرى .

وانتشار مذهب الخوارج استلزم تبصير المغاربة بفقها وآرائسه وعقائده ولم يقدر لدعاة الخوارج الاول كعكرمة مولى ابن عباس وسلمة بن سبعيد وابن مغيطر أن يقوموا بهذا الدور ، فاختار المغاربة بعض رجالهم وأوفدوهم في بعثة الى البصرة للدراسة والتعلم والتعمق في أصول المذهب وفروعه ، واستمرت مهمتهم خمس سنوات عادوا بعدها الى المغرب «حملة للعلم » ، ثم قاموا بتدريس ما حصلوه بالمشرق في حلقاتهم التي انتشرت في جهات كثيرة من بلاد المغرب الادنى والمريقية ، وفي تلك الحلقات تلقى الاتباع الاصول والمروع والسير والتوحيد والشريعة وآراء المفرق

الى جانب علوم اللغة والفلك والرياضيات (290) ، فكانت بمثابة مدارس للعلوم النقلية والعقلية في آن واحو ، ومراكز لتعريب البربر ونشر الحضارة العسربيسة أيضا .

ولم تنقطع الصلة بين خوارج المشرق والمغرب نكانت كتب نتهاء المذهب في الشرق وتصانيفهم تفد الى المغرب بشكل دائم (291) . كما داب نقهاؤهم ومحدثوهم على القدوم الى المغرب للتدريس والافتاء (292). وفي نفس الوقت لم تنقطع بعوث المغاربة الى المشرق للاخذ عن اعلام المذهب في العراق ومصر والحجاز (293) .

ولا شك أن ذلك الاتصال الثقافي بالمشرق أثرى الحياة الثقافية في بلاد المغرب ، غظهر كثيرون من الاعلام المفاربة في العلوم الدينية والدنيوية . كالشيخ مهدى النفوسي المتكلم (294) وابن يانس ذائع الصيت في التفسير والفقه وأبو حسن الابدلاني (295) وعبد العزيز بن الاوز (296) ، ويعقوب بن سيلوس قاضي وارجلان (297) وغيرهم ممن أثروا بتآليفهم ومصنفاتهم الحياة الثقافية ببلاد المفرب وقد الف هؤلاء بالعربية والفارسية ومنهم من ترك كتبا بلغة البربر كابن سهل الفارسي (298) .

ولا شك أن انتشار آراء الخوارج بين البربر أحدث ثورة فكرية في بلاد المغرب ، وساعد على ذلك التنافس الفكرى بين الخوارج وبين غيرهم

<sup>(290)</sup> الدرجيني : ج 1 ورقة 3 ، البرادي : الجواهر المنتاة : ورقة 106 ، Masqueray : Op. Cit. P. IXI.

<sup>(291)</sup> ذكر مؤرخو الاباضية أن أباضية البصرة نسخوا لعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم آلاف الكتب لتزويد المكتبة المعصومة بتاهرت وأورد بعضهم أن ديوان نفوسة كان يحوى ثلاثمائة وثلاين الف جزء من مؤلفات المشارقة ، انظر : الشماخى : السير ص 162 ، الدرجينسى : ج 1 ورقسة 26 ، البسرادى : رسالسة فى بعض كتب الاباضيسة ، ورقسة 207 ،

<sup>(292)</sup> الوسياني: سير أبسى الربيسع ورتسة 2 ·

<sup>(293)</sup> نفس المصدر ورقة 13 · كانت مواسم العج نرصة مواتية لالتقاء الاباضية مسن كانة الامصار الاسلامية ، وقد حرص المفاربة على الاستفادة من لتائهم بأعلام المذهب نيما يعن لهم من مسائل علمية ونقهية كان ينتى نيها مشاهير النتهاء كشعيب بسن المعرف في مصر ومحبوب بن الرحيل بمكة والربيع بن حبيب وغيرهم من العراق .

<sup>(294)</sup> أبسو زكسريسا : ورتسة 20 ·

<sup>(295)</sup> الشماخيي : السير : منحة 155

<sup>(296)</sup> النفوسي : صفحـة 70 ب

<sup>(297)</sup> ننس المصدر : صنحة 48 · (298) ننس المصدر : صنحة 68 ،

<sup>•</sup> 

من اتباع المذاهب والفرق الاسلامية الأخرى التي وغدت ألى بلاد المغرب · واهم الملاحم المفكرية التي جرت في هذا الصدد كانت مع السنة المالكية والمعتزلة ، ثم مع الشيعة الفاطميين .

فقد غلب مذهب مالك على المريقية وساد ما عداه من المذاهب الاخرى . الا أن مذهب الخوارج تسرب اليها بشقيه الصفرى والاباضى وتذكرت كتب الطبقات (299) أن حلقات الصفرية والاباضية كانت تعقد في مساجد المريقية ، بل في جامع القيروان ذاته · حيث دأب مقهاء الخوارج على تدريس تعاليم المذهب ومناظرة مخالفيه ومع ما عرف عن المالكيــة من تعصب وبغض لمخالفيهم ، فقد سمحوا للخوارج بممارسة نشاطهم في المريقية حتى تولى سحنون القضاء محظر عليهم ذلك ، وبدد حلقاتهم وشبتت شبملهم (300) • ودرج من جاء بعده من القضاة المالكيسة على اضهاد الخوارج في المريقية واذلالهم .

وعلى خلاف ذلك حظى المالكية في دول الخوارج بتسامح الى ابعسد الحدود حتى أن بعض شيوخهم تولوا المناصب العامة في تاهرت في أواخر حكم بنى رستم (301) وليس ادل على هذا التسامح مما يرويسه ابسن الصغير (302) - وهو مالكي عاصر ائمة بني رستم الاواخر - عن الحرية التامة التي تمتع بها المالكية في ممارسة شعائرهم في كافة مساجد تاهرت غيما عدا المسجد الجامع ويحكى ابن الصغير (303) كثيرا عن محاوراته

<sup>(299)</sup> أبو العرب تميم : ص 120 ، الدباغ : ج 2 من 55 ·

<sup>(302)</sup> سبرة الائمة الرستميين من 57 -(303) وهاك مثالا لمناظرة بين ابن الصغير مع ابى الربيع سليمان الموارى الاباضى يقول ابن الصغير : « قال الاباضى : بن اين زعبت وزعم اصحابك وغيرهم بن الحجازيين والمراقبين ان الرجل اذا زوج ابنته البكر وهي صغيرة وأدركت أن لا خيار لها في نفسمها ، وانتم تتولون أن الرجل اذا زوج أمته وعتقت أن لها الخيار ، ولا نرق بين الامة والصغيرة لان الامة لم يكن لها حكم في نفسها وانها كان الحكم لسيدها ، غلما عتقت وصار الحكم اليها جعلتم لها الخيار ، والصغيرة لم يكن لها حكم في نفسها وأن الحكم لابيها ، غلما أدركت حمار الامر اليها ، غلم منعتموها ما أجزتم للامسة والمعنسى واحسد فم

نتلت له : انها أجزنا نكاح الصغار لان النبي (ص) تزوج عائشة بنت أبسى بكر بنت سبع وبنى بها وهى بنت تسع

فتال لى : دعنى من هذا ، فانى لا أجامعك عليها ، ولكن كلمنى من القرآن أو من باب النظرمع انى لو منيت لك الخبر ما كان لك نيه حجة لانك تعلم أن الله أحل لرسوله من النساء ومن عددهن أكثر مما أحل لامته ٤ مان كان عندك حجة غير هذه ماذكرها ، ولا ملا تقم لك حجة =

ومساجلاته مع مشايخ الاباضية في كثير من المسائل الفقهية والمذهبية دون ان يتعرض لارهاب او بطش ·

ولما كان المذهب الاباضى اقرب مذاهب الخوارج الى مذهب أهل السنة ، غلم يجد فقهاء القيروان ما يحاول دون التحالف مع الاباضية لمناوءة المذهب الشيعى (304) . وقد ظهر هذا الائتلاف بشكل واضح فى ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد .

اما المعتزلة او الواصلية نكانت مضاربهم بالمغربين الاوسط والاقصى حيث شكلوا الليات لها ثقلها في دول الادارسة وبنى مدرار وبنى رستم نففى سجئماسة اقامت اعداد غفيرة منهم وتمتعوا بحرية وتسامح في رحاب بنى مدرار على الرغم من تطرف المذهب الصفرى (305) وليس ادل على ذلك من سماح المدرارين لهم بأن « يبعثوا بزكاة أموالهم الى رئيسهم بتاهرت يصرفها حيث شاء » (306) .

و فىتاهرت وما حولها كان يقيم ما يربسو على ثلاثسين ألف من

```
= تلت له : فإن أوجدتك صحة عقدها من القرآن أترجع ·
                                              نقال : ناذكسر لى ذلك ،
نقلت له : قال الله تبارك وتعالى : « واللائي يئسن من المحيض من نسائكم الى
                                                 واللائى لم يحضن » ·
متال لَى : عجبا منك ، أنا أسالك عن عقد النكاح ومسخة وأنت تخبرني عن عدد
                                      المويسات وعدة اللائي لم يحضن ٠
                                 نتلت : هيهات أبا الربيع غاب عنك المراد -
                                         وما غساب عنسى مسن ذلك .
                تلت : اخبرني عن هذه العدد الموضعات من طلاق أم من غيره .
                                                   تسال مسن طلاق .
                           تلت : نهل يقع طلاق بن غير أن يكون عقد نكاح ﴿
                                                          تــــال : لا .
       قلت : في المويسات فمنهن اللائي قد بلغن من السنين مالا يحضن مثلهن ﴿
                                قلت : واللائي لم يحضين من الصغير ﴿
                                                       تسال : نعسم
                                قلت : مسا وجب الله عليهسن عسددا (
                                                         تسال : نعسم
                                     ملت : ابن طلاق ام بن غير طلاق .
                                                 قسال : من طسلاق .
تلت : نيكون طلاق من غير عقد نكاح ﴿ نسكت ولم يرد جواباً ، انظر : سيرة الائمة
                                     الرستمييان : منحاة 50 ، 51 ·
                                 (304) سعيد بن متديث : صنحة 125
                                           (305) اليندادي : صنحـة 103 ·
                                 (306) البسرادى : الجسواهسر ورتسة 93 ·
```

الواصلية (307). وعلى الرغم مما قاموا به من دور معاد لائمة بنسي رستم وتمردهم في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، فقد حظوا بتسامح ديني الى ابعد الحدود · وحسبنا ما كان يحدث بين شيوخهم وزعماء الاباضية من محاورات على غرار ما كان يحدث بالشرق بيسن زعيمهم واصل بن عطاء وبين ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة شيخ اباضية الشرق (308). ونستشف من المصادر الاباضية أن فقهاء المعتزلة بزوا مثايخ الاباضية في تاهرت ، وافحموا الامام عبد الوهاب ذاته في مساجلاتهم معه · فلم يستطع عبد الوهاب محاجاتهم في كثير من المسائل الجدليسة المتعلقة بالمعتائد والشرائع ، بدليل استعانته بمشايخ المذهب في جبل نفوسة في هذه المساجلات (309). وكانت المعارك الجدلية بين الاباضية والمعتزلة لا تفتر أبدا (310) · ومع ذلك نعم المعتزلة في العصر الرستمي والمعتزلة لا تفتر أبدا (310) · ومع ذلك نعم المعتزلة في العصر الرستمي مثايخ الاباضية على نهر مينة خارج تاهرت ، وكان قطب الاباضية المدافع عن مذهبهم ويدعي عبد الله بن اللمعلى له معهم مواقف مشهودة ، اشاد عن مذهبهم ويدعي عبد الله بن اللمعلى له معهم مواقف مشهودة ، اشاد بها ابن المعفير المالكي (311) .

اما التشيع فقد اخذ سبيله الى دولتى الخوارج فى عصرهما الاخير ، فالمذهب الشيعى وفد الى سجلماسة قبل وصول المهدى اليها (312)، ولم يعدم المهدى وجود انصار واتباع فى سجلماسة كانوا يستفتونه فى أمور دينهم ودنياهم ابان وجوده بها (313) .

وتحدث أبو زكريا (314) عن وجود كثير من الشيعة في تاهرت في عصر الرستميين الاواخر . والحق ــ اننا لم نقف على أي نشاط فكرى واضح للشيعة في تاهرت . وأن كانت كتب الاباضية تحفيل بكثير مين

<sup>(307)</sup> البكرى : ص 67 ، ابن خلدون : ج 6 ص 121 ·

<sup>(308)</sup> الدرجينــى : ج 1 ورقــة 105 .

<sup>(309)</sup> الشماخي : السير : صنحة 155

<sup>(310)</sup> أبـو زكـريـا : ورتـة 20

<sup>(311)</sup> فى احدى المساجلات سال شيخ المعتزلة عبد الله بن اللمطى : هل تستطيع الانتقال من مكان لست نيه الى مكان لست نيه ، نقال ابن اللمطى : لا . نقال : هل تستطيع الانتقال من مكان لست نيه الى مكان انت نيه ، نقال : لا . نقال : هل تستطيع الانتقال من مكان انت نيه الى مكان لست نيه ، نقال : خرجت منها . . انظر : ابن الصغير : ص 45 ، الشماخى : السي ص 223 .

<sup>(312)</sup> اليماني : سيرة جعفر ص 120 ، الدرجيني : ج 1 ورقة 42 .

<sup>(313)</sup> أبــو زكــريـا : ورتــة 36 .

<sup>(314)</sup> نفس المصدر والصحيفة ،

المساجلات والمناظرات بين الاباضية والشيعة بعد سقوط دولة بنى رستم سنة 297 هـ ( 909 م ) ولعل من أكثرها طرافة ما حدث بين أبى نوح وسعيد بن زنفيل الاباضى وبين أبو تميم المعز لدين الله الفاطمى من مواقف تدل على حصافة الشيخ الاباضى من ناحية وتبجيل المعز للعلماء والفقهاء من ناحية أخرى (315) .

ولا شك ان المحاورات والمساجلات بين شنيوخ تلك المذاهب وبين منقهاء الخوارج اثرت الحياة العقلية في بلاد المغرب بوجه عام . وهذا ما عبر عنه النفوسي (316) بقوله :

« .. وكثرت الآراء والاتوال ، وانتحل البحث في المذاهب وعظم الجدل حول مسألة الامامة ، فقام كل فريق يطلب الاختصاص بها ويدعى انه اولى واحق بها ، ويقيم على ذلك الحجج والادلة » · والفضل يعزى الى حكام الخوارج في اتاحة الحرية الدينية لتنافس تلك الطوائف وتصارع آرائها · وكان من اثر ذلك ان كثرت الفرق المنشقة على الائمة كالنكار والخلفية والنفاثية ، لكن هذه الانشقاقات غذت فكر الخوارج ، وامدته بآراء واجتهادات جديدة . كآراء يزيد بن فندين في الامامة المشروطة ، واجتهادات فرج بن نصر (317) المعروف بنفاث في تطوير العقائد الاباضية (318) .

<sup>(315)</sup> لما قبض على أبى نوح وجىء به ألى المعز مكبلا بالاصفاد ، قال المعز : أن التيود دخلت في رجلك بالعلم ولا تخرج الا بالعلم . قال أبو نوح : عسى الله أن يجمل ذلك كنارة لذنوبى . فغضب المعز وقال : أفندن مسيئون فيك ، قال أبو نوح : قلت ليس في ذلك ما يدل على اساءتك ، ألا ترى أن الله يبتلى عباده فيصبروا فيؤجروا ، وليس في ذلك ما يثبت الاساءة لله . فزال غضبه ، فطلبته العنو ، فعفى . . وقربه . . وفي احدى مجالس المعز مع العلماء والفقهاء ومن بينهم أبى نوح ، سأل المعز : ما الدليل أن لهذه الصنعة صانعا ، وأجاب جلساؤه بأجوبة غير مرضية . فقال أبو نوح ، فرأيت أبا تميم كأنه يريد الجواب ، وتأدب أبو نوح وقال : جوابك منه ومن سؤالك ، لان الصنعة بنفسها دليل الصانع ، ولا صنعة بغير صانع . فأعجب المعز بلباقته انظر الشماخي : السير ص 352 وما بعدها .

<sup>(316)</sup> أنظر : الازهار الرياضية : ج 2 ص 115 ·

<sup>(317)</sup> وليس ادل على مكانة نرج بن نصر العلمية من رحلته الى بغداد ومواتفه ومحاوراته في بلاط العباسيين مع فقهائهم وعلمائهم ومحدثيهم ، وظفره نذلك بسرضى الخليفسة ورعايته . عسن هذه الرحلة انظر : أبو زكريا : ورقة 29 ، 30 . وجدير بالذكر أن نفاثا نسخ ابان وجوده ببغداد ديوان جابر بن زيد في الفقه وعاد به الى المغرب ، انظر : أبو زكريا : ورقة 30 .

العرب النوسى : الأزهار الرياضية : ج 2 من 195 (318) . Lewcki : Melanges Berberes Ibadites. P. 280.

وكان أئمة الخوارج يقدرون العلم والعلماء ، فقد عرف عن حكام سجلماسة « حب العلم والرغبة في طلبه وتحصيله » (319) . كما كان البيت الرستمى « بيت العلوم جامعا بفنونها من علوم التفسير والحديث ، وعلم اللسان وعلم النجوم ، والاصول والفروع والفرائض » (320) . وعبد الرحمن بن رستم بويع بالامامة « لعلمه وغضله » وحسبه أنه كان من « حملة العلم الخمسة » الى المغرب . وعبد الوهاب بن عبد الرحمن كان له خلواته العلمية الخاصة الى جانب مجالسه العامة التي كان يرتادها طلبة العلم من سائر أرجاء دولته (321) • وأبو بكر بن أفلح عرف بشغفه بالآداب والتواريخ (322) وكان أبو اليقظان محمد « يدرس في حلقات ثلاث ثلاثة أنواع من العلم » (323) . وكانت مكتبة الاسرة الرستمية ـــ المعروفة بالمعصومة تحوى امهات الكتب الدينية الى جانب مصنفات الفنون والرياضيات والصنائع (324) .

وقد أضحت سجلماسة وتاهرت من المراكز الثقافية الكبرى في بلاد المغرب وأمها طللب العلم من سائر انحائه وخاصة تاهرت « التسى تعددت بها اللغات واللهجات (325) وجاب علماؤها مدن الشرق والمغرب رغبة في طلب العلم وتحصيله (326) كما خرج منها أيضا طلاب العلم الى القيروان وقرطبة (327) .

والى الخوارج يعزى الفضل في وضبع البذور الاولى لنشر الاسلام في بلاد السودان الواقعة جنوبي الصحراء ذلك أن الجهود السابقة التي بذلها عقبة بن نامع لم يقدر لها النجاح (328) ، كما أن غزوات عبد الرحمن ابن حبيب وعبيد الله بن الحبحاب لاطراف بلاد السودان لم تتمخض عن شيء

<sup>(319)</sup> اسماعيل حامد : نبذة في تاريخ الصحراء التصوى ص 7 .

<sup>(320)</sup> الدرجينسى : ج 1 ورتسة 25 . (321) النفوسى : صفحة 197 .

<sup>(322)</sup> ابن الصغير : صنحـة 31 .

<sup>(323)</sup> الدرجيني : ج 1 ورتــة 136 . (324) أبو زكريا : ورقة 42 .

<sup>. 263)</sup> الشمساخسي السيسر : صنصة 263

<sup>(326)</sup> من هؤلاء بكر بن حماد التاهرتي الذي سمع بالمشرق وساجل شعراء العراق كدعبل الخزاعي وعلى بن الجهم ثم نزل القيروان وناس وناظر علماءها وترك اشمار تنم

من علو مكانته العلمية والادبية · انظر : النفوسي : ص 71 وما بعدها . (327) الضبى : بغية الملتمس ص 364 ، ابن بشكوال : الصلة ج 1 ص 86 .

<sup>(328)</sup> عبيد الله بن صالح : نص جديد ، ص 218

سوى الحصول على المفانم (329) . كما قام أبو القاسم سمكو بن وأسول أمير سجلماسة بنشر الاسلام على المذهب الصفرى بين الجماعات السودانية التي كانت تعمل في نقل التجارة عبر الصحراء ، ومعروف أن كثيرين منهم آثروا الاستقرار بسجلماسة بعد اسلامهم ، وبغضل بنى مدرار انتشر الاسلام بين قبائل صنهاجة اللثام من مسوفة ولمتونة التي كانت تضرب بنواحى سجلماسة على طول المفازة بينها وبين بلاد غانة (330). وقد ازدادت اعداد هؤلاء بسجلماسة حتى وصف البكرى (331) سكانها «بانهم يلتزمون النقاب » . ولما كان لهم دورهم الهام في الوساطة بين بلاد المغرب من ناحية وبين أقاليم افريقية الغربية من ناحية أخصرى تسرب الاسلام عن طريقهم الى تلك الجهات وانتشر لاول مصرة بين جماعات التكرور وأهل غانة (332) .

اما الاجزاء الوسطى من بلاد السودان \_ وهى بالاد الكانم أو زغاوة \_ نقد بلغتها الدعوة الاسلامية عن طريق تجار بنى رستم ، اذ ان الرستميين كانوا على صلات تجارية وطيدة مع هذه البلاد ، ومن المحقق أن تلك الصلات اسفرت عن انتشار الاسلام بين بعض الزواغيين على خلاف ما هو شائع عن بقاء زغاوة على « الشرك » حتى قيام دولة المرابطين (333) وما ذهب اليه بعض الدارسين (334) من أن انتشار الاسلام في بلاد الكانم كان على يد المصريين ، والواقع أن بنى رستم وضعوا البذور الاولى لحركة انتشار الاسلام في تلك النواحي (335) . ولدينا من الادلة ما يؤكد ذلك ، اذ نعلم أن تاضى جبل نفوسة \_ ويدعى عمروس ابن نمتح \_ « بعث عالما كبيرا من أهل الدعوة » الى زغاوة استقر هناك

<sup>· 189</sup> أبسن خلسدون : ج 4 صنعسة 189

<sup>(330)</sup> الاستبصار : ص 201 ، حسن محبود : تيام دولة المرابطين حس 71 ،

<sup>(331)</sup> المفسرب: صفحسة 148

<sup>(332)</sup> الاشعرى: مقالات الاسلاميين عن 128 ، حسن محبود: الاسلام والثقائسة العربية عن 221 ، والواقع أن انتشار الاسلام لم يتم بصورة واسعة في هذه الجهات الا في عهد المرابطين ، انظر: الاستبصار عن 217 ، حسن محسود: المرجع السابق عن 234 ،

<sup>· 204</sup> المامون : جغرانيتــه ا من 204 ·

<sup>(334)</sup> هامد عبار : علاقات الدولة الملوكية بالدول الانريقية من 12 .

<sup>(335)</sup> أطليش : بعض تواريخ أهل وادى ميزاب : حس 116 ٠

وطاب له المقام (356). كما أورد الشماخى (337) رواية تدل على اعتناق احد ملوك زغاوة الاسلام على يد احد مشايخ نفوسة. وقد اخد لويسكى (338) بهذه الرواية وكذلك ماسكراى (339) الذى اكد أن الاسلام وصل حتى بلاد غانة عن طريق التجار الاباضية من رعايا الدولة الرستمية.

ولعل من اهم آثار الخوارج في الحياة الثقافية في بلاد المغرب تصديهم لمواجهة حركة التشيع التي قام بها الفاطميون الذين حاولوا نشر مذهبهم بوسائل العنف والشدة.

يتضح ذلك من سياستهم في محاولة طمس معالم تراث الخوارج ببلاد المغرب كاحراق المكتبة المعصومة بتاهرت واهدار كتبهم بها (340). وقد اشترك السنة مع الخوارج في محاربة التشيع وكان انتصارهم وشيكا لولا غشل ثورة ابي يزيد مخلد بن كيداد ، واخفاق حركة الشاكر لله بسجلماسة . اذ لو قدر نجاح هاتين الحركتين لزالت الدعوة الشيعية الاسماعيلية من بلاد المغرب . وبنهاية نفوذ الخوارج السياسي في بلاد المغرب أخسرت ثقافتهم وتراثهم ، وانحصر في بقاع مغلقة في جبل نفوسة وواحة وارجلان ووادي الميزاب .

واذا كانت المادة تعوزنا لدراسة اثر الخوارج في العمارة والفنسون في بلاد المغرب ، مالراجح انهم تأثروا في هذا الصدد بمؤثرات شرقية (341)، واندلسية (342) . فكانت عمائر سجلماسة وابنيتها على نمط اندلسي نتيجة جهود العناصر الاندلسية الوافدة اليها في تعميرها . وقد وصف ابسن

<sup>(336)</sup> الوسياني : سير ابي الربيع " ورتــة 4 .

<sup>(337)</sup> تنص هذه الرواية على أن « أبا يحيى النفوسي سافر الى بلاد السودان ، غالفي ملكهم ناحل الجسم ضعيف القوى ، فقال له : ما بك ف قال خوف الموت . قال فأخبرته عن الله وصفاته سبحانه والجنة والنار والحساب وما أعد الله للمطيع والعامي فكذبني وقال : لو صبح عندك ما تقول لما بلغت الينا تطلب الدنيا ، فما زلت أذكر نعم الله وآلائه حتى أسلم وحسن اسلامه » ، انظر : الشماخي : السير ص 312 م

Etudes Ibadites. P. 71. (338)

<sup>(339)</sup> النقى ماسكراى بآحد كبار مشايخ وادى ميزاب الاباضية واسمه الشيخ عبد الله . وقد أكد له الشيخ الاباضى تلك الحقيقة ، وأخبره أن جماعات من الاباضية لا تزال موجودة فى غانة حتى الوقت الحاضر ، انظر :

Chronique d'abou Zakaria. P. 279.

<sup>(340)</sup> أبسو زكسريسا : وراتسة 42 :

Marcais, G: La Berberie musulmane .. P. 116. (341)

<sup>(342)</sup> أبـو العـرب تبيـم : صفحـة 80 ،

حوقل (343) الكثير منها بأنها قريبة الشبه بأبنية الكوفة . وتفيض كتب الرحالة (344) بوصف روعة هذه العمائر من قصور وأسوار وحصون ومساجد .

كذلك تأثر من العمارة الرستمي بمؤثرات مارسية (345) سواء في انشاء المدن وتخطيطها (346) ، أو في تشييد المساحد والعمائس والقصور (347) . بينما ظهر الاثر الاندلسي واضحا في القلاع والحصون التى انتشرت خارج تاهرت (348) ابان الصراع بين القبائل والعنساصر المختلفة في العصر الرستمي الاخير ، ومن ناحية اخرى ذهب جسورج مارسيه (349) الى أن بعض المؤثرات المغربية في العمارة انتقلت السي مصر عن طريق الحجاج المغاربة .

تم بحمد الله

<sup>(343)</sup> المسالك والمسالك : صفحة 65 ·

<sup>(344)</sup> انظر : المتدسى : أحسن التقاسيم ص 219 ، سعيد بن مقديش : ننزهـة الإنظـار : صفحـة 11 · Faroughy : Op. Cit. P. 14. (345)

<sup>(346)</sup> ابسو زكسريا : ورثسة 13 ·

<sup>(347)</sup> ابسن الصغيسر : صفحة 26 ، وقد كشفت اثار بناء يعتقد أنه مسجد في سدراته بصحراء الجزائر في عصر متاخر تدل على تأثر الرستميين بالفن الفارسي ، انظر : . مس 582

السيد عبد العزيز مسالم : المغرب الكبير (348) ابسن الصغير : صغصة 38 ، 39 La Berberie musulmane .. P. 116. (349) انظـر:

# الخاتمة

تمخضت الدراسة عن عرض لتاريخ الخوارج السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى . ونعتقد أنه بفضل المادة التاريخية الجديدة التى توافرت للبحث أمكن دراسة الموضوع وجمع شتاته للمرة الاولى فيما نعلم .

فدعوة الخوارج في بلاد المغرب لم تحظ من قبل بعناية الدارسين وقد تناولنا هذا الموضوع في ضوء اعتبارين اساسيين ، احدهما متعلق بالتطور السياسي الذي حدث للخوارج في الشرق في أواخر القرن الاول الهجرى والانتقال الى مرحلة الدعوة والتنظيم السرى في اطراف العسالم الاسلامي بعد فشل ثوراتهم وملاحقتهم في قلب الدولة الاسلامية . والثاني يكمن في ملاءمة ظروف بلاد المغرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية لتقبل مذهب الخوارج وانتشاره بين البربر ، فقد كان الفكر السياسي للخوارج في صورته المتطورة اواخر القرن الاول الهجري متسقا مع ظروف بلاد المغرب وآمال البربر واهدافهم . وقد امكن الوقوف علسى طبيعة التنظيم السياسي لخوارج الشرق ونظامه وقياداته ودعاته وأساليب الدعوة والبلاد التي توجه الدعاة اليها . كما حددنا توقيت نزول دعاة الخوارج ـ الصغرية والاباضية ـ الى بلاد المغرب وتوضيح جهودهم في نشر المذهب بين البربر ، مع اسباب التنافر بين الفرقتين وعدم تعساون دعاتهم في بلاد المغرب ، فالصفرية اتجهوا الى المغربين الاوسط والاقصى والاباضية مارسوا نشاطهم في المغرب الادني وافريقية .. ثم أبرزنا دور حماة الصفرية في نشر المذهب بين قبائل مطغرة ومكناسة وزناتة وبعض قبائل صنهاجة اللثام من مسوفة ولمتونة وجدالة فضلا عن بعض العناصر

من غير البربر كالعرب والافارقة وزنوج السودان. كذلك اتضح دور دعاة الاباضية في بث دعوتهم بين قبائل نفوسة وهوارة وزناتة وسدراتة وزواغة ولواتة ومطماطة ، وجهودهم في تثبيت دعائم المذهب وتفقيم معتنقيه والاستعانة في ذلك براس تنظيمهم في البصرة . كما نوقشت آراء المستشرق جوتييه في تفسير انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب وقد كشفنا عن نسبة تلك الآراء الى المستشرق اميل ماسكراى ، كما اوضحنا ما انطوت عليه من غلو واسراف .

اما عن ثورات الخوارج في عصر الولاة ، فقد تعرض بعض الدارسين لها ، غير أنه تسنى لنا الوقوف على مادة جديدة لم يطلع أحد عليها من قبل سواء ما كان منها متعلقا بمصادر السنة أو ما كتبه مؤرخو الخوارج ومقهائهم ، وبفضلها ربطنا بين اسباب ثورات الخوارج في المغسرب وبين فكرهم السياسي المتمثل في الدعوة « لامامة الظهور » من ناحية ، وبينها وبين تفاقم المشماكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب من ناحية اخرى . وفي عرضنا لثورات الصفرية والاباضية ، المكن سد كثير من الثغرات في تاريخ هذه الثورات فضلا عن تصويب العديد من التواريخ المتعلقة بتوقيت الوقائع والاحداث ، أو الخاصة بتسلسلها مع توضيح العلل وتقصى الاسباب ، وقد راعينا تتبع تطور هذه الثورات وفق منهج موضوعي دون اخلال بالاطار الزماني والمكاني للاحداث . وأثبتنا النتائج التي تمخضت عن ثورات الخوارج مع تحليل عوامل نجاحها أو غشلها ، فربطنا بين هذه العوامل وبين موقف الخلافة في الشرق واهتمامها بشؤون المغرب أو انصرامها عنه . كذلك أمكن الربط بين تأجيج هذه الثورات أو خفوتها وبين شخصية ولاة القيروان وسياساتهم وما كانوا عليه من قوة او ضعف . واوضحنا عوامل القوة والضعف في ثورات الخوارج فعرضنا لقياداتهم وخططهم واسلحتهم، كما تحدثنا عن خلافاتهم وتعليلها تعليلا اجتماعيا ومذهبيا ، وعدم التعاون بين فرقتي الخوارج وأسبابه ، ثم بين زعماء الفرقة الواحدة منها ، وبين كل منها وبين نظيرتها في الشرق وما ترتب على ذلك كله من نتائج وآثار .

اما عن دولتى الخوارج فى بلاد المغرب نقد امكن توضيح الظروف التى قامتا نيها وقد استرشدنا بمنهج ابن خلدون فى التاريخ لدولة بنى مدرار من حيث قيامها اعتمادا على عصبية ممثلة فى قبيلة مكناسة ، مع ابراز العامل المذهبى الكائن فى تجمع صفرية المغرب الاقصى تحت زعامة امام من

الزنوج تطبيقا لمبدأ المساواة في غكر الخوارج السياسي . وعرضنا لانشاء سجلماسة ، وحققنا الكثير من الروايات التي نسجت حول اختطاطها ، وكذلك اختيار الامام ودلالته المذهبية والاجتماعية . وعللنا سبب الثورة على الامام الاول وكيف انتقلت الامامة الى مكناسة ، واوضحت أن ذلكيمثل نقلة هامة في الفكر السياسي عند الخوارج وخروجا على تعاليم المذهب ، وانتصارا لعامل العصبية من جديد . ثم عرضنا لجهود أبى القاسم سمكو ابن واسول المكناسي ثاني الائمة والمؤسس الحقيقسي للدولة في تثبيت دعائم دولته .

وعالجنا سياسة بنى مدرار الداخلية فى ضوء الصراع الاجتماعى من ناحية والمذهبى من ناحية أخرى ، أما أولهما فيكمن فى الصراع بين مكناسة وزنوج السودان ، بينما تمثل الصراع المذهبى فى ثورات الاباضية على آل مدرار الصفرية . وأبرزنا كيف كان عهد اليسع بن أبى القاسم سميكو يمثل العصر الذهبى للدولة المدرارية التى ظلت قوية بعد موته حتى بلغت شأو قوتها على عهد اليسع بن مدرار الذى حاول التوسع ومد رقعة دولته على حساب، جيرانه الادارسة . لكن مشروعاته توقفت لظهور الخطر الشيعى على حساب، جيرانه الادارسة . لكن مشروعاته توقفت لظهور الخطر الشيعى مدرار الخارجية فى ضوء طابع دولتهم الصحراوىالداخلىوظروفها السياسية ومذهبها الدينى ومصالحها الاقتصادية ، وكيف انتهج بنو مدرار سياسة عدائية مع العباسيين والاغالبة والادارسة ، وعقدوا أواصر الود والصداقة مع بنى رستم وأمويى الاندلس . وناقشنا عديدا من الروايات القديمة والآراء المستحدثة التى تعرضت بالاشارة أحيانا الى علاقات بنى مدرار مع بعض هذه القوى بشكل مخالف لما ذهبنا اليه .

وفى تناول دولة بنى رستم أوضحنا ظروف قيامها فى ضوء محنة الخوارج الاباضية فى بلاد المغرب أذ ذاك ، وأبرزنا دور عبد الرحمن بن رستم فى تجميع أباضية المغرب الاوسط بعد تثبتت شمل أباضية أفريقية والمغرب الادنى على أيدى الولاة العباسيين . ثم جهوده فى تأسيس تأهرت وما تضمنه تأسيسها من مغزى سياسى ومذهبى وحسنبنا مشكلة أماسة عبد الرحمن بن رستم التى اختلف حولها القدامى والمحدثون ، وانتهينا الى أنه بويع بالامامة مرتين — استرشادا بفقه الاباضية — الاولى على أنه ( أمام دفاع » قبل اختطاط تأهرت ، والثانية « كامام ظهور » بعد اختطاطها . ثم عرضنا لجهوده فى تثبيت دعائم دولته بتقرير نهج سياستها الخارجية انقائم على سياسة المهادنة ، ومواجهة مشاكلها الداخلية حسن

حيث مرض سلطان الامامة على القبائل داخل حدودها ، وانمام عمران تاهرت ، وارساء نظم الحكم والادارة .

وفي دراسة سياسة بني رستم الداخلية اوضحنا ما تفردت به منشيوع الفتن والقلاقل الداخلية بصورة اكثر بروزا من أية دولة من دول المغرب الاخرى المعاصرة لها . وارجعنا هذه الاضطرابات السياسية الى أسباب فقهية مذهبية ، او عوامل عنصرية وقبلية ، او نتيجة لموقف الفرق والطوائف المذهبية غير الاباضية وكلها تنطوى على اسباب اقتصادية. وانتهينا الى تحديد أدوار ثلاثة واضحة في تاريخ التطور السياسي لدولسة بني رستم ، كان الدور الاول نيها ـ ويشمل عهدى عبد الوهاب بن رستم وابنه الملح ــ يمثل سطوة الامامة وقوتها ، وقدرتها على احباط كافة الحركات المناوئة ذات الطابع المذهبي سواء بالقوة كما خعل عبد الوهاب ، او عن طريق السياسة كما فعل الملح . اما الدور الثاني، فيشمل عهدى أبى بكر بن الملح وأخيه أبى اليقظان محمد ، وهو يمشل الصراع العنصري والقبلي . وفيه خفت صوت الامامة ووهنت قوتها ، ونجحت بعض العناصر في اغتصاب السلطة في تاهرت . ولم يحل دون سقوط الامامة سوى ضعف العصبيات من جراء الصراع بينها واسلوب الموازنة الذي أتبعه أبو اليقظان محمد في موقفه من هذه العصبيات . أما الدور الثالث من حكم بنى رستم ـ ويشمل امامتى ابى حاتم يوسف بن محمد واليقظان بن أبى اليقظان ــ فيتسم بتداعى الامامة واضمحلالهـا وتحكم عامة تاهرت في تعيين الائمة وعزلهم ، وانفصام الصلة بين عاصمة الدولة واقاليمها الشرقية . كما زاد الحالة سوءا تفاقم الخلافات داخل البيت الرستمي وقيام أفراد البيت بتدبير المؤامرات والاغتيالات ضد بعضهم البعض لتولى الحكم . وقد تضافرت هذه العوامل جميعا على سقوط الدولة الرستمية سنة 297 ه ( 909 م ) .

اما علاقات بنى رستم الخارجية نقد تاثرت ــ شانها شان بنسى مدرار ــ بوضع الدولة الجغرافي ومذهبها الدينى وظرونها السياسية ومصالحها الاقتصادية وانتهينا الى ان سياسة بنى رستم الخارجية في جوهرها سياسة دناعية ، نام يتطاولوا على جيرانهم الابما تقتضيه ضرورة الدناع عن حدودهم بل تثاقلوا في بعض الاحيان عن رد خطر جيرانهم الادارسة . كما أن صلاتهم الودية لم تتعد مجرد تبادل السنفارات والهدايا ولم تصل قط لدرجة التحالف او التعاون لمواجهة العدو المشترك . ومسع

ذلك أمكن تقسيم هذه العلاقات الى شقين ، عدائية وودية . فعلاقات بنى رستم بالعباسيين والاغالبة والادارسة كانت ذات طابع عدائسى . أمسا علاقاتهم مع بنى مدرار وبنى أمية بالاندلس وأباضية الشرق ، فقد اتسمت بالطابع الودى . وقد ناقشنا الكثير من الروايات والآراء لقدامى المؤرخين ومحدثيهم في هذا الصدد .

وقد امكن الربط بين ظهور الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب وبين اسقوط دولتى الخوارج في تاهرت وسجلماسة سنة 297 ه ( 909 م ) فاتضح ان التشيع وجد طريقه الى سجلماسة قبل قدوم المهدى اليها واقامته بها . وان المهدى عاش طليقا بالمدينة حتى تيقن أميرها اليسع بن مدرار من أن أبى عبد الله الشيعى يدعو اليه ، فقبض عليه وأودعه السجن، عنى خلاف ما ذكره بعض المؤرخين من أن اليسع نفذ بذلك مشيئة الخليفة العباسي والامير الاغلبي في القيروان . وقد فندنا هذا الزعم وأثبتنا أن اليسع غمل ما فعله بالمهدى خوفا من الخطر الشيعى على دولته . وتتبعنا الاتصالات بين أبى عبد الله الشيعى وبين المهدى بسجلماسة حتى فرغ الشيعى من القضاء على دولة الاغالبة ، وتوجه الى سجلماسة لتحرير المهدى . وقد عرضنا نلروايات المتضاربة حول مصير المهدى في ضوء المادة التاريخية المتاحة . ثم أشرنا إلى تخريب الشيعة الفواطم لسجلماسة والقبض على اليسع بنى مدرار وقتله سنة 297 ه .

وبعد ذلك تناولنا ثورات الصفرية على الحكم الفاطمى مع بيسان اسبابها وارجعناها الى عواسل سياسية واقتصادية واجتماعية ومذهبية وجغرافية . ثم سياسة الفاطميين في مواجهة ثورات الصفرية وما انطوت عليه من تهديد وترغيب وغشل تلك السياسة في دعم نفوذهم بسجلماسة . وعرضنا هذه الثورات ابتداء بالثورة على ابراهيم بن غالب المزاتي سنة الفاطميين اللتين قمعتا الثورتين ، الاولى بقيادة مصالة بني حبوس سنة الفاطميون أي الفترة ما بين الحملتين من اصطناع بعض أفسراد البيت المدراري ليحكموا سجلماسة باسمهم ، وفشلهم في ذلك . وقد بينا ما وقعت ألدراري ليحكموا سجلماسة باسمهم ، وفشلهم في ذلك . وقد بينا ما وقعت فيه بعضالروايات منخطأ في تحديد سنى حكم بني مدرار في العهد الفاطمي، المتضاربة ثم ناقشنا آراء البعض حول حركة الشاكر لله المدراري وفندنا

الزعم بأنه لم يكن خارجيا صفريا ، واثبتنا أن ثورته تمثل رد الفعل الصغرى للسياسة الفاطمية في المغرب الاقصى . وأوضحنا كيف انتهى الامر في سجلماسة بضعف النفوذ الفاطمي ثم انقراض بنى مدرار بعد ذلك . كما تناولنا سقوط الدولة الرستمية على يد الفاطميين سنة 297 ه بعد أن أوضحنا بايجاز مظاهر الفوضى السياسية والاجتماعية والمذهبية في تاهرت في العصر الرستمى الاخير الامر الذي جعلها لقمة سائغة للشيعة الفواطم ، فقد سقطت تاهرت على يد أبى عبد الله الشيعى دون قتال . الا أننا خطأنا بعض الروايات القائلة بفتح الشيعة تاهرت قبل سقوط دولة الاغالبة ، وخلال واثبتنا أن ذلك الفتح لم يتم الا بعد سقوط دولة الاغالبة نفسها . وخلال مناجزة الشيعى للاغالبة كانت الطوائف والفرق غير الاباضيسة وبعض المناصر الرستمية المعادية لحكم اليقظان بن أبى اليقظان دائبة الصلة بأبى عبد الله على عبد الله على عبد الله على المدينة في طريقه الى سجلماسة وفتحها وخربها وقتل من وقع في يده من بنى رستم . لكن جيوشه فشلت في اسقاط بعض المعاقل الاباضية الاخرى كوارجلان وجبل نفوسة .

وقد استرشدنا بفكر الخوارج السياسي فيما يتعلق بامامة الدفاع في اوقات المحن والملمات في دراسة الاباضية وثوراتهم على الفاطميين. واوضحنا فشل هذه الثورات نتيجة تفتت شمل الاباضية من ناحية ، ومناهضة الفاطميين لنشاط الاباضية في افريقية والمغرب الادني مسن ناحية اخرى . ثم عرضنا للثورة الاباضية الكبرى التي تزعمها أبو يزيد مخلد بن كيداد وغسرنا دوانعها السياسية والاقتصادية والدينية ، وغندنا الروايات التي تنفى عن الحركة طابعها الاباضي . وناقشنا موقف أبي يزيد من الاباضية غير النكار والسنة ونجاحه في ضمهم لحركته في مقاومة الشيعة الفواطم . كما تناولنا نشاته وثقافته ورحلته الى الشرق وإعداده للثورة وقيامه بها . وقد حددنا مراحل ثلاثة اساسية في مسارها كانت المرحلة الاولى في صالح أبي يزيد والثوار ، بينما كانت الحرب سجالا بين الفاطميين والثوار في المرحلة الثانية . اما الثالثة مقد تبدد ميها شمل أبي يزيد وابنائه الذين تصدوا لقيادة الحركة من بعده حتى قضى عليها بالفشمل . ثم عرضنا لدوافع تحامل المؤرخين على ابى يزيد واتباعه سواء اكان هؤلاء المؤرخون سنة ام شبيعة ام اباضية وهبية واثبتنا تعصبهم وتجنيهم على الرجل وحركته . ثم تناولنا النتائج والآثار التي تمخضت عن ثورة ابي يزيد على سياسة الفاطميين في المغرب وعلى مصير نشاط الخوارج. وانتهينا الى أن حركة الشاكر لله المدرارى الصفرى وثورة ابى يزيد مخلد بن كيداد الابساضى النكارى كانتا آخر حركات الخوارج البارزة فى تاريخ المغرب الاسلامى واختتمنا البحث بدراسة اثر الخوارج فى المجتمع المغربى ، وقد أمكسن تتبع تطور فكر الخوارج السياسى واثره على ما قام به الخوارج من نشاط فى مجالات الحكم والادارة . وانتهينا الى أن الخوارج التزموا بتعاليمهم المذهبية فى هذا الصدد حتى منتصف القرن الثانى الهجرى ، ثم تحولوا عن فكرهم السياسى فيما بعد واتخذت نظمهم ورسومهم وسياساتهم طابعا دينويا صرفا متأثرين بالانماط الشرقية العربية والفارسية والاعسراف البدوية والقارسية المغربية .

وفيما يتعلق بأثرهم في حياة بلاد المغرب الاقتصادية ، ناتشنا الرأى الشائع عن مسؤولية الخوارج وحدهم عما حدث ببلاد المغرب من خراب اقتصادى ، واوضحنا أن جذور تفاقم الاحوال الاقتصادية في المغرب ترجع الى الحكم البيزنطى ، والفتح الاسلامى ثم سياسة بعض الولاة الامويين . لكننا لم ننكر اسهام ثورات الخوارج في سوء الاحوال الاقتصادية في المغرب في عصر الولاة . غير أن قيام دول الخوارج افضى الى ازدهار هذه الاحوال وانتعاشها في نواحى الزراعة والصناعة والتجارة . ثم عرضنا لموقف الخوارج من سياسة الفاطميين المالية وأثر ثوراتهم في حمل الفاطميين على انتهاج سياسة معتدلة .

اما عن اثر الخوارج فى الحياة الاجتماعية فى بلاد المغرب فقد أبرزنا التحولات الكبرى التى أحدثتها آراء الخوارج فى المساواة وتحقيق العدالة الاجتماعية من اعادة تشكيل مواقف القوى والعناصر المختلفة فى المجتمع المغربي من عرب وبربر فضلا عن الاقليات الاخرى كالاندلسيين والافارقة وزنوج السودان واليهود ، ثم اوضحنا الآثار والنتائج التى ترتبت على قيام دولتى الخوارج من حيث التحول من حياة البداوة الى حياة الاستقرار ، وهجرات القبائل واعادة توطنها ، وانشاء المدن وامتداد العمران ، وقدوم عناصر شرقية واندلسية للاقامة فى كنف الدولتين الجديدتين ، وما نتج عن ذلك من تلاحم انماط الحياة البدوية فى المغرب واختلاطها بالانماط الحضارية الوافدة ، وانصهارها جميعا فى بوتقة مغربية ، وما تمخض عن ذلك كله من آثار طيبة أو سيئة فى المجتمع المغربى

وفيما يتعلق بأثر الخوارج في الحياة الثقافية ببلاد المغرب ، فقد الفضى انتشار مذهب الخوارج بصورة واسعة الى نتائج ثقافية غاية فسى

الاهمية نقد وندت مؤثرات اسلامية شرقية لتسهم في دعم الاسلام والثقافة العربية في بلاد المغرب. واخذت هذه الانكار تتصارع مع التيارات الاخرى الواندة ممثلة في فكر السنة والمعتزلة والشيعة ، ونجم عن ذلك اثراء الحياة الثقافية في المغرب. وقد عرضنا للمساجلات والمناظرات بين اقطاب هذه الفرق ووقفنا على كثير من نصوص تلك المساجلات بين نقهاء الخوارج ومشايخ الفرق الاخرى اثبتناها في الحواشي . كذلك عرضنا للانشتقالت المذهبية في غرق الخوارج نفسها في جوانبها الفكرية وأوضحنا اثرها في اثراء أفكار الخوارج ومعتقداتهم ، وما أضافته بيئة المغرب الى رصيد هذه الانكار والمعتقدات . كما عرضنا لاعلام المفكرين في صنوف العلم المختلفة ، ولور ائمة الخوارج في تشبيع النشاط الثقافي ، والصلات الثقافية بين عاصمتي دولتي الخوارج وبين مراكز الثقافة في المغرب والاندلس ، غضلا عن بلاد الشرق الاسلامي . ثم ابرزنا دور الخوارج في وضع البذور الاولى لحركة انتشار الاسلام في المريقية جنوبي الصحراء ، وهو امر لم يفطن اليه الدارسون من قبل . وعرضنا في ايجاز لدور الخوارج في مجال الفن والعمارة في المغرب ، وتأثرهم بمؤثرات شرقية غارسية وأندلسية .

# الملاحق

ملحق رقم ((1))

# رسالة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الى شيوخ الاباضية بالمغرب

بسم الله الرحمن الرحيم (1) . صلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

اتانی کتابکم تذکرون فیه ما من الله به علیکم من جمع کلمتکم وائتلاف امرکم فی کثرة من بحضرتکم من اهل الخلاف لکم . ولعمری ما اکثرتهم وان کثروا باکثر ممن کان قبلهم علی من کان قبلکم من سلفکم ، فاقتدوا بهم یهون علیکم کثرتهم علی اخلافکم . نسال الله العون والتوفیق فی جمیع امورکم ، وان یکفنا وایاکم باسهم ، وان یجعل لنا ولکم ولجمیع المسلمین الدائرة علیهم ویشفی صدور قوم مؤمنین ویذهب غیظ قلوبهم . فلعمری لقد اسرنی ما انتهیتم الیه من امرکم ، وان کان ذلك لم یخف عنا ، غیر انا لم نظن الذی کتبتم به الی . والله یستتم لکم الخیر کله بعونه وتوفیقه .

اتانا كتابكم بمسائل ، نمنها ما رايت ان اجيبكم نيها ، ومنها ما رايت

<sup>(1)</sup> أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، رسالة في أحكام الزكاة ، مخطوط بدار الكتب المصرية -- رقم 21582 ب ورقة 114 ،

الا نجيبكم فيها من غير هوان ولا تقصير الا الذى رأيته أصلح لجماعتكم واتوم لشانكم وارفق لضعيفكم واعطف فى الذى أجيبكم فيه ، فمسا كسان من صواب فمن الله ، وما كان من خطأ فى رواية او خبسر أو غير ذلك فمسن نفسى .

استغفر الله من جميع ما ليس هو له رضى . .

ذكرتم في كتابكم العشر وكيف جمعه ، واعلموا رحمكم الله أنه (1) .. السغ .

#### ملحق رقم ((2))

#### رسالة حنظلة بن صفوان الى الخوارج الصفرية بطنجة

بسم الله الرحمن الرحيم .

من حنظلة بن صفوان الى جميع أهل طنجة :

اما بعد سه فان اهل العلم بالله وبكتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قالوا انه يرجع جميع ما انزل الله عز وجل الى عشر آيات : آمره ، وزاجره ، ومبشرة ، ومنذرة ، ومخبرة ، ومحكمة ، ومشتبهة ، وحلال ، وحرام ، وامثال .

المحروف ، وزاجرة عن المنكر ، ومبشرة بالجنة ، ومنذرة بالنار ، ومخبرة بخبر الاولين والآخرين ، ومحكمة يعمل بها ، ومتسابهة يؤمن بها ، وحلال أمر أن يؤتى ، وحرام أمر أن يجتنب ، وأمثال وأعظة .

(2)

غمن يطع الآمرة وتزجره الزاجرة ، غقد استبشر بالمبشرة ، وانذرته المنذرة . ومن يحلل الحلال ويحرم الحرام ، ويرو العلم غيما اختلف غيه الناس الى الله ، مع طاعة واضحة ونية صالحة ، غقد الملح وانجح ، وحيا حياة الدنيا والآخرة .

<sup>(1)</sup> يستطرد في الاجابة على تساؤلاتهم ونقا لتعاليم المذهب الاباخي .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (1).

(3)

#### رسالة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الى أباضية طرابلس

بسم الله الرحمن الرحيم .

من امير المؤمنين عبد الوهاب الى جماعة المسلمين بحيز طرابلس أما بعد ـ فاني آمركم بتقوى الله تعالى والاتباع لما أمركم به ، والانتهاء عما نهاكم عنه . وقد بلغنى ما كتبتم الى به من وفاة السمح ، واستخلاف بعض الناس خلفا ، ورد اهل الخير ذلك . فان من ولى خلفاً من غير رضى أمامه نقد اخطأ سيرة المسلمين ومن أبى توليته نقد أصاب .

فاذا اتاكم كتابي هذا ، فليرجع كل عامل استعمله السمح الى عمله الذي ولى عليه ، الا خلف بن السمح حتى يأتيه أمرى . وتوبوا الى ربكم لعلكــم تفلحــون (2) .

(4)

### رسالة الربيع بن حبيب الى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ويزيد بن فندين

بسم الله الرحمن الرحيم ـ وصلى الله على بنينا محمد وآله الطاهرين أما بعد ... نقد بلغنا يا اخواننا ما كان قبلكم ، وفهمنا ما كاتبتمونا به . أما ما كتبنم به من أمر الشرط ، غليس من سيرة المسلمين أن يجعلوا الشرط في الامامة ان لا يقضى امرا دون جماعة .

ولو صبح في الامامة شرط لما اقيم لله حق ولا حد ، ولعطلت الحدود ، وبطلت الاحكام وضاع الحق . على أن الامام أذا قدم اليه سارق فلا يصيب ان يتيم عليه حدا فيقطع يده حتى تحضر الجماعة التي ذكرناها ، أو زني أحد غلاً يرجم ولا يجلد حتى تحضر أيضا ، ولا يجاهد الامام عدوا الا ينهى

<sup>(1)</sup> المالكي : رياض النفوس : ج 1 ص 67 ·

<sup>(2)</sup> انظر : أبو زكريا : السيرة وأخبار الائمة : ورقة 25 ، مخطوط بدار الكتب المصرية - رقم 9030 ح ، الشماخي : السير : ص 180 ، 181 ، الدرجيني : طبقات الاباضية : ج 1 ورقة 31 وجه \_ مخطوط بدار الكتب المصرية رتم 12561 ح .

عن نساد الا بحضرة الجماعة المعلومة ، والجماعة يتعذر اتفاقها ، فالامامة صحيحة والشرط باطل .

واما ما ذكرتم من تولية رجل من المسلمين اذا كان فيهم من هو اعلم منه ، فذلك جائز اذا كان الثانى من التناعة والفضل . فقد ولى أبو بكر وزيد ابن ثابت أفرض منه ، وعلى بن أبى طالب أقضى منه ومعاذ بن جبل أعلم منه ، وهذا ليس فيه اختلاف ، لقول الرسول (ص) أشرضكم زيد وأقضاكم على وأقراكم أبى ، وأعلم أمتى بالحلال وأكرام معاذ بن جبل . وقوله (ص) معاذ بن جبل سيد العلماء سيحشر غدا يوم القيامة أمام العلماء وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته (1) .

(5)

#### رسالة محمد بن أفلح الى رعايساه

من محمد بن الملح الى جميع من بلغه كتابنا هذا من المسلمين . سلام الله عليكم . مانى أحمد الله اليكم الذى لا اله الا هو ، واسأله الصلاة على نبى الرحمة وهادى الامة صلى الله عليه .

اما بعد ـ فان افضل ما يتوامى به العباد وتحاضوا عليه ، تتوى الله ولزوم طاعته والزجر عن معصيته والترغيب فيما يورث الثواب من القول الطيب والعمل الصالح . وعليكم معاشر المسلمين بالتهىء للقدوم على الله والتأهب والاعداد ليوم تشخص فيه الابصار وتتغير فيه الالسوان ، ويشيب فيه الولدان ، وتذهل كل مرضعة عما ارضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد . واعلموا رحمكم الله ان اهل العلم بالله القائمين بهذه الدعوة قد انقرضوا وقلت الخلوف منهم ، فرحم الله امرىء مسلم احتسب نفسه وارصد لله في طلب العلم ، والنقص على من حاد الله وعدل عن منهاج رسوله (ص) وطريق المحتين من عباده حتى تكون كلمة الله هى العليا والبساطمل زهدوةا .

وعليكم معاشر المسلمين باتباع الماضين من اسلافكم والمتقدمين من المسلمين من اهل دعوتكم ، فاقتفوا آثارهم ، واهتدوا بهداهم ،

<sup>(1)</sup> أبو زكريا : السيرة وأخبار الائمة : ورقة 16 .

واحذروا الزيغ عن طريقهم والميل عن منهاجهم ، وخالفوا أهل البدغ المضلة والاهواء المزلة . نمن اراد أن يبدل دينكم ، ويلبسكم شيعا ، ويلبس عليكم أمركم ممن اتبع هواه واستحوذ عليه الشيطان ونبد ما جاء به القرآن، نالبس على الضعفاء أمرهم وزين بدعته في قلوبهم فأخدع من لا بصيرة له ولا علم له بما مضى عليه الائمة الراشدون رحمة الله عليهم ، والسلف الصالحون من أهل دعوتكم ، فأضل كثيرا ، وضل عن سواء السبيل .

ونحن ذاكرون لكم ما فيه الكفاية ان شاء الله . وبه نستعين وعليه نتوكل وما توفيتنا الا بالله (1) .

(6)

خطبة المعز لدين الله الفاطمى في شمايخ كتامة يحضم على قتال الشاكر المه المدرارى .

« . . وهذا الذي كنت ذكرته لكم من غير مجلس ومقام انى لو ندبت من عسيت أن أندبه منكم لوجدت فيه ما أريده . . »

بارك الله فيكم وأحسن صحابتكم والخلافة عليكم ، فقد صدقتم ظنى فيكم وأملى عندكم وأنتم من معدن البركة وعنصر الخير . بكم بدأ الله اظهار أمرنا ، وبكم يتم ويصلحه بحوله وقوته . وقد علمت مسارعتكم الى مساندبتم اليه . وأجابتكم لما أردتم له ، وأرجو أن تبلغوا من ذلك بحسب الأمل فيكم ، ويرفع الله عز وجل بذلك درجاتكم ويعلى به ذكركم . أنتم البنون والاخوة والاقربون ، ما يعد لكم عندى أحد ولا يبلغ مبلغكم من قلبى بشر ، وما ذلك الا لمالى في قلوبكم . وما نصر الله وليا من أوليائه قبلنا بمثل نصرتكم لنا ، على ذلك مضى أمركم ، وعليه أنتم على محبتنا ونصرتنا وموالاتنا وجل من الفضل لكم ، فأنتم حزب الله وأنصاره وجنده وأحباءه .

والله ما أردت بهذا البعث الذى بعثتكم فيه شرا استدفعه ، ولا دفع مكروه اخافه ولا استكثارا من الدنيا أصيبها . أما المكروه ، فقد علم الخاص والعام والقريب والبعيد أن غاية أمانى من حولنا من أهل الارض من المتغلبين ممن دان بملة الاسلام والمشركين أن يسلموا منا ، ويعانوا أمر بأسنا ، وما أحد منهم أمسى وأصبح اليوم — بحمد الله — يطمع في شيء

<sup>(1)</sup> البرادى : الجواهر المنتقاة في اتمام ما اخل به كتاب الطبقات لابى العباس الدرجينى ورتة 93 ، 94 \_ مخطوط بدار الكتب المصرية \_ رتم 21791 ب .

مما عندنا . وأما اكتساب حطام الدنيا ، فهذا نحن ننفق من أموالنا على هذا البعث مالا نرى نرتجع مثله ، وان مكننا الله وأيدنا ونصرنا . ولكنا أردنا بذلك وجوها منها: ما اغترضه الله عز وجل علينا من جهاد من خالف أمرنا وتسمى بأسمائنا ، وادعى ما جعل الله عز وجل لنا . ومنها أن الله عز وجل قدامتحن عباده بالجهاد في سبيله معنا ، فنحن ننبذهم اليه لنعلم المجاهدين منهم والصابرين وليرنع الله عز وجلبه درجاتهم ويجزل مثوباتهم وينقل حالاتهم مكم منكم اليوم من ينفذ في هذا الجيش تابعا يعود متبوعا ، ومرءوسا يصير رئيسا . انها ترضعكم عندنا وعند ربكم نياتكم واعمالكم ، وبها تتوسلون الينا والى بارئكم . لولا السنة التي أمر الله عز وجل باتباعها - التي لا يصلح المباد الا بها \_ ما قدمت عليكم احد منكم ولا من غيركم ، اذ كل واحد منكم عندى يستحق ان يكون المقدم . ولكن لا يصلح الناس الا برئيس ، وقد قدمت عليكم من علمتموه . اقمته فيكم مقام نفسى ، وجعلته معكم كأذنسى وعينى ، وكل امرىء منكم على نفسه بصير . وقد أمرت لكم بأجزل العطاء ، اعطيته من قبلكم الى ابعد من مسافتكم ، وقد علمتم انه لم يعط من قبلكم احد قبلى مثل ما اعطيتكم . ولا استكثرت لكم ذلك ، بل استقله اقلكم والذى لكم عند الله وعندى في الذي تستقبلونه أجل وأكبر .

فسيروا على بركات الله ويمنه وسعادته ونصره وتأييده . كونوا عندما رجوتكم له من العناء والكفاية وصلاح الحال بينكم . احسنوا عشرة بعضكم لبعض ، وعشرة من تصحبونه من غيركم . وانزلوا من ينفذ معكم من عبيدى منازل اخوانكم . واجمعوا معهم كلمتكم ، فهم لكم عضد ولحمة ، وموالاتى تجمعكم واياهم ، فلا تجعلوا بينكم وبينهم فرقا .

أحسن الله لكم الصحابة وعليكم الخلافة . . » (1)

(7)

## حدیث المعز ادین الله الفاطمی الی المنتصر لله المدراری وشیوخ الصفریة بسجلماسة

« . . يا أهل سجلماسة ، فعلتم ما فعلتم في أيام المهدى بالله واقتدر

<sup>(1)</sup> ابن حيون : المجالس والمسايرات : ج 1 ورتة 27 - 31 مخطوط بجامعة القاهرة رقـم 26060 ·

عليكم مرة بعد اخرى ، فعفا عنكم ، واحسن اليكم لحلوله فيكم ومجاورته اياكم مدة اقامته فيكم ، كما يرعاه من أحله الله محله من كرم الطباع وحسن صنيع من غير يد كانت له عنده ، ولا فعل من الجميل تقدم لكم لديه . فصفح وأحسن ، وعفا وأجمل ، فما رعيتم ذلك حق رعايته ، ولا فهتم بشكره .

ثم لفق فيكم ناعق من الشيطان فلبيتموه ، ودعاكم اليه داع فأجبتموه قام فیکم دعی فیما ادعاه یتوثب علی ما تولاه ، قد عرفتم نسبه ودریتم سببه متغلب على ظاهر أمركم ، وتحلى بالرياسة والتصنع لكم ، وتسمى بأمير المؤمنين وامام المسلمين لكم ، على علم لا تشكون ويقين لا تمترون ان ذلك لا يجوز ولا يحل تسليمه . فسلمتموه لمثله له واطعمتموه وتوليتموه وابتعتموه ، ففارقتم جماعة المسلمين ، وخرجتم من حزب المؤمنين ، واحدثتم حدثا عظبما في الدين . وانتهى الينا من امركم وامره ما لم يسعنا تركشه والغفلة عنه ، لما افترضه الله علينا عز اسمه من القيام بحقه في أرضه ، وجهاد من صدف عن دينه وعن سنة رسوله . وحل محلكم ومحل هــذا الفاسق فيكم . فأنهضنا اليكم جيشا من أوليائنا وأنصار دولتنا وعبيدنا مع عبد أمرناه عليهم وتقدمنا اليه في الاعذار والانذار اليكم في الانابة والتوبة قبل الوقوع بكم . فلم يزل مع طى المراحل نحوكم يتابع الكتب مع رسوله كيدا في الحجة عليكم ، مرة بالوعد ومرة بالوعيد ، وتارة باللسين وتارة بالتشديد ، يدعوكم الى الطاعة والنزوع عما انتم عليه من المعصية والضلال، والقبض على عدو الله فيكم أن تمادي على ما هو عليه من الغي والضلال ان استطعتموه ، والبراءة منه وتركه بجانب ان لم تقدروا عليه . ووصلت كتبه اليكم ، وادى اليكم من اختار به منكم . وكل ذلك وانتم على باطلكم مصرون ، وبالفاسق المضل لكم متمسكون . الى أن وصلت جيوشنا بقربكم ، وانتشرت عسماكرنا ببلدكم ، وعاين من عاينكم من عيون عدو الله من جمعها وعتادها وقوتها ما أنهاه اليه ، وقد علم أنه لا طاقة لكم ولا له بعسكر من عسكرها . فلما نزلت بداركم وانتم مع الفاسق على ما انتم عليه ، نهض موليا وهاربا متسللا بين اظهركم ، وقد كتنم تقدرون على أخذه لو أردتموه ، ويمكنكم منعه من ذلك ومن حصاره في داره متى احببتموه لو اخذتم بحظكم في ذلك مفعلتموه . لكنكم اتمتم مصرين على طاعته وتوليه الى أن نزع عنكم واقدرنا الله بفضله واحسانه عليه كعادته الجميلة بلا صنع ولا لغيركم في ذلك ؛ واقدرنا عليكم وامكننا منكم ، وانتم على ما انتم عليه من غيكم وضلالكم وما تستوجبون به اجتياحكم ودماركم . فسار عبدنا فيكم بما أمرناه من العنو والصفح والرحمة وانصرف عنكم ، فاحدثتم بعده ما أحدثتم . فماذا تستحقون أن يفعل بكم ؟ فقال قائلهم : أن يعاقب أمير المؤمنين فنحن أهل العقوبة ، وأن يعفى فهو أهل العفو والفضل والرحمة . . فدعا منتصر بن أحمد بن المعتز فقربه اليه وأمره بالجلوس . فقبل الارض مرارا وشكر لامير المؤمنين . ثم عطف على الوفد فقال : قد كنتم تستحقون اليم العذاب والنكال، ولكنا للذى جبلنا عليه من الصفح والعفو والرحمة قد عفونا ما سلف مسن ذنوبكم ما استقمتم واصلحتم ، وقد استعملنا عليكم عبدنا هذا — وأومى الى منتصر — فقبل وقبلوا الارض مرارا . . وأمر بصرفهم الى موضع انزلهم فيه وخلع على منتصر وفعل كذلك بجماعة من وجوههم . . » (1)

ابن حيون : المجالس والمسايرات : ج 1 ورقة 298 - 304 .

# المصادر

#### ا ــ المراجع العربية المخطوطة:

- 1 ابن أبى كريمة: ابو عبيدة مسلم بن ابى كريمة (تاريخ اواخر القرن الثانى الهجرى ): رسالة في احكام الزكاة ، مخطوط بدار الكتب ــ رقم 21582 ب .
- 2 ابن حيون المفربى: القاضى ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور ابن حيون (ت 363 ه): شرح الاخبار فى فضائل النبى المختار وآله المصطفين الاخيار من الائمة الاطهار عليهم السلام مخطوط بدار الكتب رقم 7062 ح.
  - 3 ابن حيون المغربى: اساس التأويل الباطنى ، مخطوط بدار الكتب رتم 24346 ح .
  - 4 ابن حيون المغربى: المجالس والمسايرات ، ج 1 ، 2 . مخطوط بجامعة القاهرة رتم 26060 .
  - 5 ابــن العــربــى: ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافرى (ت 543 ه) . القواصم والعواصم ــ مخطوط بدار الكتب ــ رقم 22031 ب .
  - 6 ابن فضل الله العمرى: شهاب الدين ابو العباس احمد بن يحيى (ت 749 ه). مسالك الابصار ج 5 مخطوط بدار الكتب رقام 4376 ج.
  - 7 ـ ابـن وردان : تاريخ الاغالبة في مملكة تونس ـ مخطوط بـدار الكتب ـ رقم 2199 تاريخ ـ يتمورية .

- 8 ابو زكريا: يحيى بن ابى بكر (ت النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى) . السيرة واخبار الائمة مخطوط بدار الكتب رقم 9030 .
- 9 \_\_ الانصارى: نفحات النسرين النائب الانصارى: نفحات النسرين والريحانى فيمن كان بطرابلس من الاعيان \_\_ مخطوط بدار الكتب \_\_ رقــم 1071 ح .
- 10 ــ البرادى : ابو القاسم بن ابراهيم البرادى (ت 697 ه) . الجواهر المنتقاة في اتمام ما اخل به كتاب الطبقات لابى العباس الدرجينى · مخطوط بدار الكتب ، رقم 8456 ح .
- 11 البرادى: رسالة فى ذكر كتب الاباضية ، مخطوط بدار الكتب رقم 21791 ب .
- 12 البياسى: يوسف بن محمد بن ابراهيم الانصارى (ت 653 ه) الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام مخطوط بدار الكتب ـ رقـم 8739 ح .
- 13 ـ جعفر بن احمد بن عبد السلام: (ت اواخر القرن الحادى عشر الهجرى) . ابانة المناهج في نصيحة الخوارج . مخطوط بدار الكتب ـ رقـم 25499 ب .
- 14 \_ الخررجى: جمال الدين ابو الحسن على بن ظافر (ت 623 ه) اخبار الدول المنقطعة مخطوط بدار الكتب \_ رقم 890 تاريخ .
- 15 ـ الحرجيني: ابو العباس احمد (ت منتصف القرن السابع الهجرى) طبقات الاباضية ج 1 ، 2 . مخطوط بدار الكتب ـ رقم 2561 ح .
- 16 \_ الشماخي : ابو العباس احمد بن سعيد بن عبد الواحد (ت 928 هـ) : شرح مقدمة اصول الفقه . مخطوط بدار الكتب رتسم 21587 ب .
- 17 \_\_ السوفى : ابو عمر عثمان بن خليفة المرغنى ( ت أواخر القرن السيادس الهجرى ) : شرح السؤالات \_\_ مخطوط بدار الكتب \_\_ رتــم 21789 ب .
- 18 ــ الصفرى: ابو غانم: مدونة ابى غانم الصغرى ــ مخطوط بدار الكتب ــ رتم 21582 ب .

- 19 ـ العينى : بدر الدين أبى محمد محمود بن أحمد (ت 855 ه) : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان . ج 11 ، 13 ، 15 ، مخطوط بدار الكتب ـ رقم 1584 تاريخ .
- 20 ـ القاضى عياض : عياض موسى اليحصبى ( 544 ه ) : ترتيب المدارك وتعريب المسالك لمعرفة اعيان مذهب مالك . قسم 1 من ج 2 . مخطوط بدار الكتب ـ رقم 96730 ح .
- 21 \_ المامون: الخليفة عبد الله المأمون بن هرون الرشيد: جغرافية المأمون . مخطوط بدار الكتب \_ رقم 1949 ط .
- 22 \_\_ مجهـول: تاريخ مدينة غاس وبناء جامع القرويين والاندلسيين \_\_ مخطوط بدار الكتب \_\_ رقم 4419 ح .
- 23 \_ مجهـول: قطعة من كتاب في الاديان والفرق. مخطوط بـدار الكنب ــرقم 22298 ب.
- 24 مجه ول : كشف الغمة لاخبار الامة . مخطوط بدار الكتب رقم 12968 ح .
- 25 مجه ول : محاورة بنى شيعى وخارجى فى شأن الشيخين أبى بكر وعمر وشأن الحكمين وما قيل فى ذلك مخطوط بدار الكتب رقام 19882 ب .
- 26 ـ محمد الشطى المفربى: الجمان فى اخبار الزمان ـ مخطوط بدار الكتب ـ رقم 1416 تاريخ ·
- 27 المنصورى: ركن الدين ييبرس الدوادار (ت 729 ه): زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة . ج 4 ، 5 مخطوط بجامعة القاهرة رقم 24027 .
- 28 الناصرى: عثمان بن عبد العزيز بن منصور (ت 1259 ه): منهج المعارج لاخبار الخوارج مخطوط بدار الكتب رتام 2144 تاريخ تيمورية .
- 29 ـ النسويسرى: شهاب الدين احمد (ت 732 ه): نهاية الارب في فنون الادب. ج 22 ، 26 ـ مخطوط بدار الكتب ـ رقم 549 معارف عامسة .
- 30 ـ النيسابورى: احمد ابراهيم (ت اواخر القرن الرابع الهجرى): استتار الامام ـ مخطوط بدار الكتب ـ رقم 11497 ح

(21) — 321 —

31 - الوسياني : ابو الربيع عبد السلام (ت 471 ه) : سير ابى الربيع بن عبد السلام الوسياني \_ مخطوط بدار الكتب \_ رقـم 9113 ح .

#### ب ـ المراجع العربية المطبوعة:

- 32 ابن الآبار: ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابى بكر القضاعى (ت 658 ه): الحلة السيراء ج 1 ، 2 القاهرة 1963 .
- 33 ابسن أبسى دينسار: ابو عبد الله محمد بن ابى القاسم القيروانى ( ت 1092 ه ) ، المونس في اخبار المريقية وتونس تونس سنة 1350 ه .
- 34 ابعن أبعى زرع: ابو الحسن بن عبد الله بن ابى زرع الفاسى ( ت 720 ه ): الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ج 1 . الرباط سنة 1936 م .
- 35 ابعن الاثيعر: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت 630 ه): الكامل ج 3 ، 4 ، 5 ، 6 ، 7، 8 . القاهرة سنة 1303 ه.
- 36 ابن بشكوال: ابو القاسم خلف بن مالك ( ت 578 ه ): الصلة في تاريخ ائمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفتهائهم وادبائهم 5 ، 2 . القاهرة سنة 1955 م
- 37 ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى ( ت 1377 م ): تحفة النظار في غيرائب الامصيار وعجائب الاسفيار ج 2 .
- 38 ابن تغرى بردى: جمال الدين ابى المحاسن يوسف ( ت 874 ه ) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ ج 1 ، 2 ، 3 ، القاهرة سنية 1963 م .
- 39 ـ ابسن حسزم: على بن احمد بن سعيد (ت 456 ه): جمهسرة انساب العرب. القاهرة سنة 1962 م.
  - 40 ابن حرم: الفصل في الملل والنحل . القاهرة سنة 1317 .
- 41 \_ ابن حرم: نقط العروس في تاريخ الخلفاء . القاهرة سنة 1951
- 42 ابسن حماد: محمد بن على (ت 628 ه): اخبار ملوك بنسى

- عبيد وسيرتهم ، الجزائر سنة 1346 ه .
- 43 ابن حوقل: ابو القاسم بن حوقل ( ت النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ): المسالك والمالك . ليدن سنة 1873 م .
- 44 ابسن حيسان: حيان بن خلف بن حسين (ت 469 ه): المقتبس في تاريخ رجال الاندلس نشر منشور انطونيا ، باريس سنة 1937 م.
- 45 ابن حيان: المقتبس في اخبار بلد الاندلس تحقيق الحجسر التونسي بيروت سنة 1965 م.
- 46 ابسن خرداذبه: ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت حول سنة 300 هـ) المسالك والممالك . ليدن سنة 1889 م .
- 47 ابن الخطيب: لسان الدين محمد بن الخطيب السليمانى ( ت 940 ه ) أعمال الاعلام نيمن بويع تبل الاحتلام من ملوك الاسلام . ج 2 . بيروت سنة 1956 م .
- 48 ابسن الخطيب: تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط. وهسو الجزء الثالث من كتاب اعمال الاعلام. الدار البيضاء سنة 1964.
- 49 ــ ابـن الخطيب: رقم الحلل في نظم الدول . تونس سنة 1316 ه .
- 50 ابنخلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت 808 ه): العبر ديوان المبتدا والخبر. المقدمة ، ج 3 ، 4 ، 6 ، 7 . بولاق سنة 1284 ه ، القاهرة سنة 1957 م .
- 51 ـ ابن خلكان: شمس الدين ابو العباس احمد ( ت 681 ه ): وغيات الاعيان ج 1 القاهرة سنة 1910 م .
  - 52 ـ ابـن الدايـة: سيرة احمد بن طولون . برلين سنة 1894 م ·
- 53 \_ ابسن الدلائسى: احمد بن عمر بن انس العذرى (ت 478 ه): نصوص من الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتفريع الآثار ، والمسالك. الى جميع الممالك. مدريد سنة 1965 م.
- 54 \_ ابـن رستـه: ابو احمد بن عمر: الاعلاف النفسية ج 7 ليدن سنــة 1891 م .
- 55 ـ أبن سعيد: على بن موسى بن محمد (ت 673 ه): المغرب في حلى المغرب ج 1 ، القاهرة سنة 1964 م .
  - 56 ـ ابن الصغير المالكسى: انظر:

- 57 ابن طبطبا: محمد بن على . الفخرى في الآداب السلطانية والدول الاسلامية . القاهرة سنة 1938 م ·
- 58 ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الحكم بن أعين (ت 257 ه): فتوح مصر والمغرب. القاهرة سنة 1961 م.
- 59 ـ ابـن عبـد ربـه: احمد بن محمد (ت 327 ه): العقد الفريد ج 1 ، 2 ، 3 ، 4 ، القاهرة سنة 1940 م ،
- 60 ابن عدارى: محمد بن عذارى المراكشى (نهاية القرن السابع المجرى ): البيان المغرب في اخبار المغرب ج 1 ، 2 بيروت سنة 1950 م .
- 61 ابن غلبون: محمد بن خليل: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخيار. القاهرة 1349 ه.
- 62 ابن فرحون: برهان الدين بن على ( ت 799 ه ): الديباج المذهب في صعرفة أعيان المذهب 1351 ه .
- 63 ابن الفرضى: عبد الله بن محمد بن يوسف ( ت 304 ه ): تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ج 1 ، 2 ، القاهرة سنة 1954 م .
- 64 ابس الفقيم : ابو بكر احمد بن محمد : مختصر كتاب البلدان ليدن سنة 1302 ه .
- 65 ابس قتيبة: عبد الله بن مسلم ( ت 276 ه ): الامامة والسياسة ج 1 ، 2 ، القاهرة .
  - 66 ابن قتيبة : المعارف . القاهرة سنة 1960 م .
- 67 ابن القوطية: محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت 267 ه): تاريخ المتتاح الاندلس بيروت سنة 1957 م ·
- 68 ابن كثير: عماد الدين ابى الفدا اسماعيل بن عمر (ت 774 هـ) البداية والنهاية ج 9 .
- 69 ابن النديم: محمد بن اسحق (ت 385 ه): الفهرست القاهرة سنة 1348 ه.
- 70 أبو العرب: محمد بن أحمد بن تميم ( ت 333 ه ) : طبقات علماء المريقية . باريس سنة 1915 م .

- 71 أبو الفدا: عماد الدين اسماعيل ( ت 732 ه ) المختصر في الخبار البشر ج 1 ، 2 ، القاهرة .
- 72 ابو الفرج الاصفهاني : على بن الحسين بن محمد بن احمد (ت 356 هـ) : مقاتل الطالبين ، النجف الاشرف سنة 1353 هـ)
  - 73 أحمد أمين: ضحى الاسلام ج 3 القاهرة سنة 1936 م.
- 74 أحمد مختار العبادى: سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد مجلد 5 عدد 1 ، 2 ، 1
- 75 الادريسى: الشريف محمد الادريسى (ت 558 ه): صفة المغرب وأرض السودان ومصر ليدن سنة 1894 م .
- 76 ارشيبا لدلونس: التوى البحرية والتجارية في حوض البحسر الابيض المتوسط القاهرة سنة 1960 .
- 77 ارنولد: سير توماس: الدعوة الى الاسلام. القاهرة سنة 1957 م.
- 78 الازدى : محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله ( ت 488 ه ) : جذوة المتبس في ذكر ولاة الاندلس ، القاهرة سنة 1966 م .
- 79 ــ الاسفــرائييــن: ابو المظفر الاسفرائي ( ت 471 ه ): التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين . القــاهرة سنـــة 1955 م .
- 80 ــ اسماعيل حامد (ناشر): نبذة في تاريخ الصحراء القصوى ، باريس سنــة 1911 م .
- 81 الاشعرى: مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين . بفنساون سنة 1963 م ·
- 82 اطفيتش: محمد بن يوسف (ت 1304 ه): الامكان فيما جاز ان يكون او كان . الجزائر سنة 1304 ه .
- 83 \_ اطفيدش : بعض تواريخ اهل وادى ميزاب . الجزائر سنة 1326 هـ ،
- 84 \_ الانسداسي : محمد بن محمد الاندلسي : الحلل السندسية فسى الاخبار التونسية . تونس سنة 1287 ه .
- 85 \_\_ الانصارى: احمد النائب: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ج 1 . بيروت .

- 86 ــ الباجى المسعودى: محمد الباجى المسعودى (ت 1253 ه): الخلاصة النقية في أمراء المريقية. تونس سنة 1283 ه.
- 87 ـ باسيه: رينيه: R. BASSET: مادة ادريس بدائرة المعارف الاسلامية. محلد 1.
- 88 ـ برنسارد لسويس : اصول الاسماعيلية . القاهرة سنة 1947 م ·
- 89 ــ البغـدادى: عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت 429 ه): الفرق بين الفرق . القاهرة .
- 90 \_ البكرى: ابو عبيد عبد الله بن عبد العزير (ت 460 ه): المفرب في ذكر بلاد المريقية والمغرب باريس سنة 1911 م .
- 91 ــ البـــلاذرى : احمد بن يحيى بن جابـــر ( ت 248 ه ) : انساب الاشراف ج 11 . جريفزفالد سنة 1883 م .
  - 92 \_ البالذرى: انساب الاشراف ج 1 . القاهرة سنة 1959 م .
    - 93 \_ البلادرى: فتوح البلدان ج 1 . القاهرة سنة 1956 م .
- 94 \_\_ البلوی : ابو عبد الله بن محمد المدینی ( ت حول منتصف القرن الرابع الهجری ) : سیرة احمد بن طولون دمشق سنة 1358 ه .
- 95 ـ البوعياشى: احمد بن عبد السلام . الريف بعد الفتح الاسلامى . تطوان سنة 1954 م ·
- 96 \_ بوفيل : الممالك الاسلامية في غرب المريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء . القاهرة سنة 1968 م .
- 97 \_ التجانى : عبد الله بن محمد بن أحمد (ت 717 ه) رحلته توسى سنة 1958 م.
- 98 ــ الجـربـى: محمد أبو رأس ( ت 1222 ه ) : مؤنس الأحبـة في أخبار جربة . تونس سنة 1958 م .
- 99 \_ الجزنائي : على الجزنائي ( ت اواخر القرن الثامن الهجرى ) : زهرة الآس في بناء مدينة ماس . الجزائر سنة 1923 م .
- 100 \_ حامد عمار (دكتور): علاقات الدولة المملوكية بالدولة الافريقية \_ رسالة ماجستير.
- 101 \_ حسن ابراهيم حسن ( دكتور ): انتشار الاسلام في القارة الافريقية القاهرة سنة 1964 م .
- 102 \_ حسن ابراهيم حسن ( دكتور ) : تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة

- سنة 1958 م .
- : تاریخ الاسللم السیاسی : مسن ابراهیم حسن ( دکتور ) : تاریخ الاسللم السیاسی : ج 1 ، 2 ، 3 ، 2 ، 1 ، 1958 م .
- 104 حسن ابراهيم حسن ( دكتور ) : عبيد الله المهدى . القاهرة سنسة 1947 م .
- 105 حسن أحمد محمود ( دكتور ): انتشار الاسلام والثقافة المربية في افريقية . القاهرة سنة 1963 م .
- 106 حسن أحمد محمود (دكتور): قيام دولة المرابطين القاهرة سنة 1957 م .
- 107 حسن الباشا (دكتور): الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار . القاهرة سنة 1957 م .
- 108 حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية باغريقية التونسية ج 1 4 2 . تونس سنة 1966 م .
- 109 ـ حسن على حسن عبد العواد : دولة الادارسة بالمغرب \_ رسالة مساجستير .
  - 110 **ــ حسين مؤنس ( دكتور ) :** فجــر الاندلس .
- 111 حسين مؤنس ( دكتور ): ثورات البربر في اغريقية والاندلس مجلة كلية الآداب جامعة غؤاد الاول مجلد 10 ج 1 . مايسو سنــة 1948 م .
- 112 الحميرى: محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ( ت الترن التاسع الهجرى ): صفة جزيرة الاندلس القاهرة سنة 1937 م .
- 113 الخشنسى: محمد بن الحارث بن اسد ( 366 ه ): طبقات علماء المريقية . باريس سنة 1915 م .
- 114 السدباغ: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الانصارى (ت 696 ه): معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ج 1 ، 2 ، 3 . تونس سنة 1320 ه.
- 115 ـ ديمـومبيـن: G. Dymombyne : مادة بنى الاغلب بدائـرة المعارف الاسلامية ـ مجلد 2 .
- 116 الدينورى: احمد بن داود (ت 282 ه): الاخبار الطوال.
- 117 \_ الــرازى: نخر الدين الرازى (ت 606 ه): اعتقادات فرق

- المسلمين والمشركين . القاهرة سنة 1938 م .
- 118 ــ الرفساعسى: عبد الله محمد سراج الدين (ت 885 ه): صحاح الاخبار في نسب السادة الفاطمية الاخيار بمباى سنة 1306 ه.
- 119 السرقيسة : ابراهيم بن القاسم القيرواني (ت النصف الاول من القرن الخامس الهجرى) : تاريخ المريقية والمغسرب . تسونس سنسة 1968 م .
- 120 سر الختم عثمان: العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى رسالة ماجستير.
- 121 ــ سعد زغلول عبد الحميد ( دكتور ): تاريخ المفرب العربسي القاهرة سنة 1965 م .
- 122 سعيد بن بطريق : البطريرك الهيتشيوس (ت 328 ه) : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت سنة 1905 م .
  - 123 ــ سعيد بن مقديش : نزهة الانظار .
- 124 ـ السلوى: احمد بن خالد الناصرى (ت 1319 ه): الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى خ 1 . الدار البيضاء سنة 1954 م .
  - 125 ــ سلفاتور كوسا ( ناشر ) : تواريخ مدينة ماس .
- 126 ـ سهير القلماوي ( دكتور ) : ادب الخوارج من العصر الاموى ــ رسالة ماجستير ـ القاهرة سنة 1945 م .
- 127 السيد عبد العزيز سالم ( دكتور ): المغرب الكبير . القساهسرة سنسة 1966 م .
- 128 السيد عبد العزيز سالم ( دكتور ): تاريخ المسلمين وآثارهم نسى الاندلس . القاهرة سنة 1962 م .
- 129 السيسوطسى: جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر ( ت 911 ه ): تاريخ الخلفاء . القاهرة سنة 1964 م .
- 130 الشماخي : احمد بن سعيد بن عبد الواحد (ت 928 ه) : السير . القاهرة ـ طبع حجر .
- 131 الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (ت 548 ه): الملل والنحل ج 1. القاهرة سنة 1956 م.
- 132 ـ صاعد الاندلسي: صاعد بن احمد (ت 462 ه): طبقات الامم. القاهرة سنة 1915 م.
- 133 الضبعى: احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت 599 ه): بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس . مدريد سنة 1884 م .

- 134 الطاهر أحمد الزاوى: تاريخ الفتح العربى في ليبيا القاهرة سنة 1963 م .
- 135 الطبرى: محمد بن جرير (ت 310 ه): تاريخ الرسل والملوك ج 4 ، 5 ، 6 ، 7 ، 8 . القاهرة سنة 1963 م .
- 136 **ــ طه حسين ( دكتور ) :** الفتنة الكبرى ج 1 ، 2 ، القاهرة سنسة 1961 م . سنة 1961 م .
- 137 عبد الرحمن بن زيدان: اتاحف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس ج 1 ، 2 ، الرباط سنة 1929 ، سنة 1930 م .
- 138 عبد العزيز بنعبد الله: تاريخ المغرب ج 1 · الــدار البيضــاء سنــة 1965 م .
- 139 عبد المنعم ماجد (دكتور): التاريخ السياسي للدولة العربية ج 2 القاهرة سنة 1957 .
- 140 عبيد الله بن صالح: نص جديد عن فتح العرب للمغرب صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد مجلد 2 سنة 1954 م .
- 141 **ــ عريب بن سعد القرطبى :** (ت 366 ه) : صلة تاريخ الطبرى . القاهرة سنة 1939 م .
- 142 على يحيى معمر: الاباضية في موكب التاريخ ج 1 . القاهرة سنة 1964 م .
  - 143 ـ عمر أبو النصر: الخوارج في الاسلام . بيروت سنة 1956 م .
- 144 فله وزن : يوليوس ، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية . القاهرة سنة 1958 م
- 145 فله-وزن: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام الخوارج والشيعة ، القاهرة سنة 1958 .
- 146 **ــ قدامة بن جعفر** (ت 320 ه): الخراج وصنعة الكتابة ، ليـــدن سنـــة 1889 م .
- 147 القلقشندى: أبو العباس أحمد (ت 821 ه): صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج 3 ، 5 ، 13 . القاهرة سنة 1922 م .
- 148 \_ الكتامك: محمد بن ادريس الحسنى (ت 1345 ه): الازهار

- العاطرة الانفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس 149 الكرخسى: ابراهيم بن محمد الفارس الاصطرخي (ت النصف الاول من القرن الرابع الهجري): المسالك والممالك القاهرة سنسة 1961 م.
- G. S. Colin : مادة سجلماسة بدائرة المعارف الاسالماسة .
- 151 الكندى: محمد بن يوسف (ت 350 هـ): الولاة والقضاة . بيروت سنسة 1908 م .
- G. Levi. Della Vida : بادة الصغرية بدائــرة المعــارف الاسلاميــة .
- G. Marcais : مادة بنى رستم بدائرة المشارف المشارف الاستسلاميسة .
- 154 المالكى : عبد الله بن أبى عبد الله (نهاية القرن الرابع الهجرى) رياض النفوس في طبقات علماء القيروان والمريقية ج 1 القاهرة سنسة 1951 م.
- 155 الماوردى: على بن محمد بن حبيب (ت 450 ه) الاحكام السلطانية والولايات الدينية . القاهرة سنة 1960 م .
- 156 مبارك المبلى: تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج 1 ، 2 . الجزائر سنسة 1350 ه .
- 157 المبسرد: أبو العباس محمد بن يزيد (ت القرن الثالث الهجرى) الكامل في اللغة والادب والنحو والتصريف. ج 1 ، 2 ، 3 . . القاهرة سنة 1936 م .
- 158 مجهول: اخبار مجموعة في نتح الاندلس مدريد سنة 1867 م.
  - 159 مجهول: العيون والحدائق في اخبار الحقائق ليدن .
- 160 مجهسول: (ت القرن السادس الهجسرى): الاستبصسار في عجائب الامصار . الاسكندرية سنة 1958 م .
- 161 مجهول: (ت القرن الثامن الهجرى): نبذ تاريخية في اخبار البربر في القرون الوسطى ، الرباط سنة 1934 م .
  - 162 محمد أبو زهرة: المذاهب الاسلامية . القاهرة سنة 1959 م .

- 163 محمد بن تاویت التطوانی: دولة الرستمیین أصحاب تاهـرت ــ صحیفة معهد الدراسات الاسلامیة فی مدرید مجلد 5 ــ عــدد 1 ، 2 ــ سنة 1957 م .
- 164 محمد جمال الدين سرور (دكتور): الحياة السياسية في الدولسة العربية الاسلامية القاهرة سنة 1960 م.
- . الدولة الفاطمية في مصر . الدولة الفاطمية في مصر القاهرة سنة 1965 م .
- 166 ــ محمد ضياء الدين الريس (دكتور): النظريات السياسية الاسلامية التاهرة سنة 1967 م .
- 167 محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس ج 1 . القاهـرة سنــة 1943 م .
- 168 ـ محمد على دبوز: تاريخ المغرب الكبير ج 2 ، 3 . القاهرة سنة 1963 م .
- 169 ــ محمد على السنوسى (ت 1272 ه): الدرر السندسية في اخبار السلالة الادريسية ليبيا سنة 1349 هـ:
- 170 ــ محمد كامل حسين ( دكتور ) : في أدب مصر الفاطمية . القاهرة سنــة 1963 م .
- 171 ــ محمود اسماعيل عبد الرازق: سياسة الاغالبة الخارجيــة ـــ القاهرة سنة 1972 م.
- 172 \_\_ محمود على مكى (دكتور): التشيع في الاندلس الى نهاية ملوك الطوائف صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية في مدريد \_\_ مجلد 2 \_\_ سنــة 1954 م .
- 173 \_\_ المراكشى: عبد الواحد بن على التميمى (ت 647 ه): المعجب في تلخيص اخبار المغرب القاهرة سنة 1949 م .
- 174 \_\_ المسعودى : على بن الحسين بن على ( ت 346 ه ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ج 2 ، 3 ، 4 . القاهرة سنة 1964 م .
- 175 \_ المقدسى: شهس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد (ت 388 هـ) احسن التقاسيم في معرضة الاقاليم . ليدن سنة 1909 م .
- 176 \_ المقرى: احمد بن محمد (ت 1041 هـ): نفح الطيب من

- غصن الاندلس الرطيب ج 1 ، 4 . القاهرة سنة 1946 م .
- 177 \_ القريرين: تقى الدين أحمد بن على ( ت 845 ه ): اتعاظ الحنف بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا . القاهرة سنة 1948 م .
- 178 \_ المقريري: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ج 1 ، 2 · بيولاق سنة 1270 ه .
  - 179 \_ نصر بن مزاحم المنقرى : اخبار صفين .
- 180 \_ النفوسى : سليمان بن عبد الله البارونسى ( ت 1359 ه ) : الازهار الرياضية في ائمة وملوك الاباضية ج 2 ·
- 181 ــ النـوبختــى : الحسن بن موسى ( ت 288 هـ ) : فرق الثـيعة . النجف سنــة 1951 م .
- 182 ـ النيسابورى: احمد بن ابراهيم (ت اواخر القرن الرابع الهجرى) استتار الامام ، مجلة كلية الاداب بالجامعة المصرية مجلد 4 ، ج 2 ـ ديسمبر سنة 1936 م .
- 183 ــ الورجلانــى: يوسف بن ابراهيم: الدليل لاهل العقول . ج 1 ، 183 ــ القاهرة سنة 1306 ه .
- 184 ـ ياقوت الحموى : شهاب الدين ابو عبد الله الحموى الرومى (ت 636 ه) : معجم البلدان ـ مجلد 1 ، 3 . طهران سنة 1965 م .
- 185 ـ اليعقوبي : احمد بن ابي يعتوب بن واضح ( ت 284 ه ) : انبلدان ، ليدن سنية 1891 م .
- 186 اليعقوبى: تاريخه ج 2 ، 3 . النجف الاشرف سنة 1358 ه .
- 187 اليمانى : محمد بن مالك بن ابى الفضائل الحمادى ( ت حول اواسط القرن الخامس الهجرى ) : كشف اسرار الباطنية وأخبار القرامطة . القاهرة سنة 1955 م .
- 188 \_ اليماني : محمد بن محمد : سيرة جعفر الحاجب . نشر ايفانوغا تحت عنوان مذكرات في حركة المهدى الفاطمي . مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية \_ مجلد 4 \_ ج 2 \_ سنة 1936 م.

## ج ـ المسراجع الآوربيسة:

- 189 Basset, Rene: Les sanctuaires du Djebel Nefousa.

  Journal Asiatique, Tome 13,14 Paris, 1899.
- 190 Basset, Rene: Recherches sur la religion des Berberes. Revue de l'histoire des religions. Tome 61, Paris 1910
- 191 Bel, Alfred : La religion musulmane en Berberie. Vol.1, Paris, 1938.
- 192 Bernard, Augustin : Les capitales de la Berberie. Recueil de memoires et de textes publie en l'honneur du 14e congres des Orientalistes. Alger. 1905.
- 193 Biquet, Faure : Histoire de l'Afrique septentrionale sous la dominition musulmane. Paris.
- 194 Bonet, Maury: L'Islamisme et le Christianisme en Afrique Paris, 1906.
- 195 Brockelmann, Karl: History of the Islamic people. London, 1949,
- 196 Brunschvig, R: La tunisie dans le haut moyen age. Le Caire, 1948.
- 197 Cambridge Medieval : history, Vol. 2.
- 198 Cherbonneau, M : Documente inedits sur l'heretique Abou-Yezid Mokhailed Ibn Kaidad de Tademket Traduits de la chronique d'Ibn Hammad. Journal Asiatique, Tome 20 Paris, 1852.
- 199 Conde; History of the dominion of the Arabs in Spain Vol. I, London.
- 200 Dachraoui, Farhat : La captive d'Ibn Wasul, Le rebelle de

- Sidjilmassa d'apres le cadi An-Numan. Les Cahiers du Tunisie, 1956.
- 201 De goeje M.J.: Memoires sur les Carmathes de Bahrin et les Fatimids Leiden, 1886.
- 202 Despois, Jean: Le Djebel Nefousa. Paris, 1935.
- 203 Dozy, E. Spanish Islam. London, 1913
- 204 Drague, G: Esquisse d'histoire religeuse du Maroc. Paris, 1951.
- 205 Faroughy, Dr. A: A Persian dunasty in North Africa; The Rustamides.
   The Islamic review, April, 1952, England.
- 206 Fournel: Les Berberes. Vols. 1, 2, Paris, 1895.
- 207 Gibb: Mohammedanism. London, 1945.
- 208 Hassan Ibrahim; Relations between the Fatimids in North Africa and Egypt and the Omayyads in Spain during the 4 th century A.H. Bulletin of the Faculty of Arts, Cairo University. Vol 10, Part, 2 Cairo 1948.
- 209 Hitti, P. K.: History of the Arabs. London, 1964.
- 210 Hopkins: Medieval Moslem government in Barbary unitill the 6 th century of Hijra. London, 1958.
- 211 Houdas, O. Essai sur l'ecriture Maghrebine. Nouveau melanges Orientaux. Publications de l'ecole des langues Orientales vivantes, 2 serie, Vol. 19
- 212 Huart, C. Histoires des Arabes. Vol. I. Paris, 1912
- 213 Idris, H.R.: Contribution a l'histoire de l'Ifrikiya Revue des etudes Islamiques, Année, 1935, Cahier 2 Paris, 1935.
- 214 Ivanovv, W: Ismaili tradition concerning the rise of the Fatimids. Bombey, 1942.
- وبملاحق الكتاب نصوص من الجزء الخامس عشر من كتاب شرح الاخبار ، وكتاب المعتاج الدعوة ، وكتاب زهرة المعانى .
- 215 Julien, Andre: Histoire de l'Afrique du Nord. Paris, 1931

- 216 Lammens, H: Etudes sur le siecle des Omayyades. Beyrouth, 1930.
- 217 Lane-Poole, S: Catalogue of the collection of Arabic coins in the British museum, Vol. 4. London, 1879.
- 218 Lane-Poole, S: Catalogue of the collection of Arabic Coins presented in the Khedivial liberary of Cairo. London, 1897,
- 219 Lavoix, M.H : Catalogue des monnaies Musulmane de la Bibliothèque Nationale. "l'Espagne et Afrique" Paris, 1891.
- 220 Le Tourneau, R : La revolte d'Abou-Yazid au Xme siecle Les cahiers de tunisie, 1953 Tunis, 1953.
- 221 Lewicki, T: Etudes Ibadites Nord Africaine. Warszaw, 1955.
- 222 Lewicki, T : De quelques textes inedits en vieux Berberes provenant d'une chronique ibadites anonyme.
  Revue des etudes Islamiques, Annee 1934,
  Cahier 3 Paris, 1934.
- 223 Lewicki, T: Melanges Berberes Ibadites. Revue des etudes Islamiques Annee 1936, Cahier 3, Paris, 1936.
- 224 Lewicki, T: Une chronique Ibadites "Kitab-as-syar" d'as-Samachi. Revue des etudes Islamiques, Annee 1934 Tome 8 Paris, 1937.
- 225 Mamour, P.H. Polemics on the origin of the Fatimi Caliphs London, 1934.
- 226 Marcais, G: L'Afrique du Nord Française dans l'histoire. Paris, 1937.
- 227 Marcais, G: La Berberie Musulmane et l'orient au moyen age, Paris, 1946.
- 228 Marcais, W: Comment l'Afrique du Nord a ete arabise Annales de l'institut d'etudes orientales, Annee, 1938 Tome 4
- 229 Masqueray, E. Chronique d'Abou Zakaria Alger, 1878.
- 230 Mercier, E. Histoire de Constantine, 1903.
- 231 Mercier, E. Histoire de l'Afrique septentrionale Vol. I, Paris, 1888.

- 232 Mercier, E. Histoire de l'établissement des Arabes dans l'Afrique Septentrionale Constantine, 1875.
- 233 Motylinski, A. De. C.: Chronique d'Ibn Saghir sur les Imams Rostimides de Tahert. Actes du 14 congres international des orientalistes. Alger, 1905, Vol. 3, Part 2.
- 234 Motylinski, A. De. C.: L'Aqida des Abadhites Actes du congres international des orientalistes, Alger, 1905.
- 235 Muir, W: The caliphates; its rise, decline and fall. Beirut, 1963.
- 236 O' Leary. de lacy: A short history of the Fatimid Khalifate. London, 1923.
- 237 Provencal, E.L.: Histoire de l'Espagne musulmane Vol. I, Alger, 1950.
- 238 Scott, S.P.: History of the Moorish empire in Europe Vol. 2, London, 1904.
- 239 Smith, P: The Ibadites. The Moslem world, Vol. 12 July, 1922.
- 240 Van Berchem, Max: Titres Califiens d'Occident. Journal Asiatique, Tome, 9 Paris, 1907.
- 241 Variedades: Al-Hakam II y los berbers regum untexto inedito de Ibn Hayyan. Al-Andlus, Vol. 13, Madrid, 1948.
- 242 Vonderheyden, M : La Berberie orientale sous la synastie de Benou' L'Arlab. Paris, 1927.
- 243 Zaki. M. Hassan: Les Tulunides Paris, 1933.

## الفهرس

المقدم	٠٠٠٠ ٠٠٠٠ ٠٠٠٠ ٠٠٠٠ ٠٠٠٠ ٠٠٠٠ ٠٠٠٠ ٠٠٠٠ ٠٠٠٠	5
البساب	الاول:	
	دعوة الخوارج في بلاد المغرب	23
	1) أحوال المخوارج في المشرق الاسلامي حتى أوائل القرن	
	الثانى الهجرى	24
	2) بلاد المغرب قبيل ظهور الخوارج ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	31
	3) انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب ٠٠٠٠٠٠٠٠٠	42
البساب	الثاني :	
	ثورات الخوارج في بلاد المغرب في عصر الولاة ٠٠٠٠٠٠٠٠	59
	1) ثورات الخوارج الصفرية ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	62
	2) ثورات الخوارج الإباضية	82
	3) نتأتج ثورات الخوارج في بلاد المغرب ٠٠٠٠٠٠٠٠٠	96
البساب	الثاليث :	
	دول الخوارج في بلاد المغرب ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	109
	1) دولة بنى مذرار الصفرية ،	
	أ) قيام دولة بنى مدرار ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	112
	ب ) سياسة بنى مدرار الداخلية ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	122
	ج) علاقات بنى مدرار الخارجية ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	128
	2) دولة بنى رستم الاباضية .	
	1) قیام دولة بنی رستم ۱۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰	144
	•	

	ب) سياسة بنى رستم الداخلية ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	15 <b>4</b>
	ج) علاقات بنى رستم الخارجية ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	183
البساب اا	ابسع :	
11	وارج والفاطميون في بلاد المغرب ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	209
[	الصغرية والفاطميون .	
	<ol> <li>الغاطميون وسقوط دولة بنى مدرار ٠٠٠٠٠٠٠٠</li> </ol>	210
	ب) ثورات الصفرية على الحكم الفاطمي ٢٠٠٠٠٠٠٠٠	219
2	الاباضية والفاطميون .	
	<ul> <li>الفاطمیون وستوط دولة بنی رستم</li> </ul>	229
	ب ـ ثورات الاباضية على الحكم الفاطمي ٠٠٠٠٠٠٠	235
البسساب	خامىس:	
il	الخوارج في المجتمع المغربي ١٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	255
	الخوارج في المجتمع المغربيالخوارج في المجتمع المغربي الفكر السياسي ونظم الحكم	255 257
1	•	<del>-</del>
1 2	الفكر السياسى ونظم الحكم	257
1 2 3	الفكر السياسى ونظم الحكم المحكم الحياة الاقتصادية	257 271
1 2 3	الفكر السياسى ونظم الحكم	257 271 285
1 2 3 4	الفكر السياسى ونظم الحكم	257 271 285 292

وطبعة النجياح المجديدة الدازانيين



تاريخ الشعر العربي

الدكتور نجيب محمد البهبيتي الدكتور نجيب محمد البهبيتي الدكتور نجيب محمد البهبيتي الدكتور نجيب محمد البهبيتي الدكتور عباس الجراري الدكتور عباس الجراري الدكتور عباس الجراري تحقيق الدكتور محمد حجي تحقيق الأستاذة فاطمة خليل تحقيق الدكتور سامي النشار. الدكتور إبراهيم شحاتة الأستاذ محمد بن تاويت الأستاذ محمد الحمداوي الدكتور محمود إسماعيل الدكتور محمود إسماعيل الدكتور حبيب الشاروني تحقيق الدكتور محمد الكتاني الدكتور محسن عبد الحميد الدكتور يونان لبيب رزق

أبو تمام الطائي المعلقة العربية الأولى أو عند جذور التاريخ المعلقات سيرة وتاريخأ من أدب الدعوة الإسلامية في الشعر السياسي صفحات دراسية زهر الأكم في الأمثال والحكم رسائل أبي على اليوسى كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة تحقيق الدكتور سامي النشار الشهب اللامعة في السياسة النافعة وقعة وادي المخازن تاريخ سبتة الروايات التاريخية لتأسيس سجلماسة وغانة قضايا في التاريخ الإسلامي سوسيولوجية الفكر الإسلامي فلسفة فرانسيس بيكون روضة التعريف بالحب الشريف دراسات في أصول تفسير القرآن تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية

> مطبعة النجياح البحديدة الايداع القانوني رفم 7 9 5 / 5 9 1

To: www.al-mostafa.com